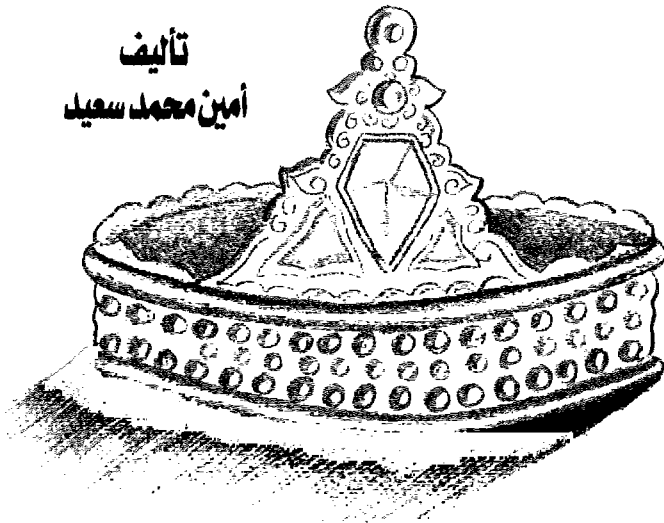


ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

دائرة معارف سياسة شرقية فى جزأين
مع ملحق خاص

١٣٧ معاهدة ووثيقة سياسية

تأليف
أمين محمد سعيد



مكتبة مدبولى
١٩٩٩

ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

دائرة معارف سياسية شرقية فى جزأين مع ملحق خاص

يحتوي علي تاريخ مفصل للنهضة الوطنية الشرقية
الجديدة وفيه سيرة ١٩ ملكاً وأميراً مسلماً وبيان واف
عن نشاطهم وطراز معيشتهم ودولهم ونظمها السياسية
وعلاقاتها الدولية وبسط لقضايا الشعوب الشرقية

١٣٧ معاهدة ووثيقة سياسية

تأليف

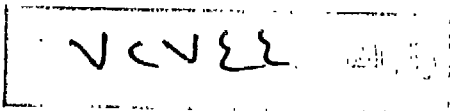
أمين محمد سعيد

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

مكتبة مدبولي

١٩٩٩



الكتاب: ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

الكاتب: أمين محمد سعيد

المراجعة: أحمد أحمد زيادة

الناشر: مكتبة مدبولي ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

التجهيزات الفنية: «زهران» للخدمات الإعلامية والدعاية والإعلان

تليفون: ٣٣٧٧٦٧٨٨ - ٤٣٢٠١٧٧

مقدمة

لئن جاز أن يدعى هذا العصر فى أوربا وأميركا عصر الصناعة أو عصر الاختراع فهو من بعض الوجوه عصر التعارف فى الشرق الأدنى، ذلك لأننا من بعد ما أيقظتنا الحادثات ونبهتنا أغلاطنا إلى وجودنا بأسواط العذاب، أخذنا نشعر بالحاجة إلى التعارف، وأن يتصل بعضنا ببعض ولو على صفحات القرطاس وأثير الأفكار، فلا عجب أن يسد هذا الكتاب القيم فراغاً عظيماً بما يمليه على الباحث من أخبار الملوك وسير الأمراء والرؤساء ممن لهم شأنهم العظيم فى الأوساط الشرقية التى يعملون فيها.

والواقع أن علائم النهضة فى هذه البلدان الشاسعة متوفرة تتناول جميع النواحي التى يبدو فيها النشاط، ولكن ظهور الكتب التى توصل القارئ بالرجال المسؤولين وتطلعه على داخلية من يقوم منهم بالأعباء الجسام هى فى عقيدتى خير مقياس لهذه النهضة المباركة، وكلما اشتد الطلب عليها كان ذلك أدعى إلى القول أن اليقظة أبلغ فى العقول وأشد تأصلاً فى النفوس.

وكان التاريخ فى القرون الوسطى عبارة عن تاريخ شخص الملك من ذكر مولده وبيان نشأته ووصف طلعتة وشرح زفافه وتعداد نسائه وإحصاء أبنائه إلى الإفاضة فى روحاته وغدواته، والخوارق التى حصلت عند وفاته، ذلك لأن الملك كان كل شئ، وأما الشعب فلا شئ، فلما انتشرت الأفكار الاجتماعية وانتقل مركز الثقل إلى الشعب أخذ المؤرخون يولون وجوههم شطر الأوضاع التى عليها الأمة فيفيضون فى شرح أخلاقها وعقائدها وأساطيرها وتشريعها وبناء أسرتها وفنها وأدبها وعلمها وتنظيمها الحربى والاقتصادى إلى غير

ذلك من الأمور التي تتناول الشعب بمجموعه، وصارت حياة الملوك والأمراء صفحة فقط من تاريخ سائر الأفراد تزيد وتنقص بحسب الملك أو الأمير من الشأن والقيمة الذاتية. ولتاريخ الملوك المسلمين هذا ميزة هي أنه يتناول في بعض الأحيان أشخاصاً بارزين لم يستمدوا مقامهم من الملك أو الإمارة أو الرياسة فقط بل استمدوه من أعمال لهم خالدة قد لانفيها حقها إذا اقتصرنا على وصفها بأنها ثورة أو انقلاب فقط، فما فعله الملك فيصل بن الحسين مثلاً منذ قاد الجيش الشمالى فى الثورة العربية ودخل دمشق ثم تبوأ عرش العراق إلى أن عاجلته المنون فاخترطفته من على أوج مجده - ولكن وبالأسف قبل إتمامه مهمته - هو تاريخ نهضة قومية بعيدة الأثر قد يكون من ورائها انقلاب خطير فى العلائق بين أوربا والشرق، ولم يكن فيصل بن الحسين الثائر الوحيد فى هذه المجموعة الخطيرة. بل إن الجمهورية التركية التى أُلقت على الغرب دورساً بليغة فى وجوب احترام الشرق وأوقفت الطغيان الاوربى عند حد معين بعد ما استفحل أمره وكاد يجرف أمماً بقضها وقضيضها إلى حظيرة الاستعمار، هى جمهورية مدينة بالدرجة الأولى لرئيس واحد من الرؤساء الذين ترجمهم هذا الكتاب القيم.

اذن فمع كل ما لمجموع الشعب من الشأن المفقود ولحياته المشتركة من القيمة الغالية فالأفراد البارزون سواء أكانوا ملوكاً أم رعايا، عظاميين أو عصاميين، لايزالون هدف الكتاب ومحور أهل الملاحظات ومحط أنظار المؤلفين - لا لميزات وهمية اكتسبوها من مخلفات القرون الوسطى، أو دعاوى باطلة يحاولون ترسيخها فى الأذهان الفارغة، بل لأن أعمالهم هى عنوان الانقلاب السياسى الطارئ، ورمز التدرج الاجتماعى المستجد، فيكون الاهتمام بالملوك

والحالة هذه لا يختلف من حيث الأساس عن الاهتمام بالرجل الكبير أيا كان، ولم يدر فى خلد المؤلف وهو يكتب من حيث الأساس عن الاهتمام بالرجل الكبير أيا كان، ولم يدر فى خلد المؤلف وهو يكتب للنشء الحديث فى الشرق الإسلامى أن يملأ كتابه بالمواد الجافة أو الإحصائيات المتعبة، أو يكيل فيه المديح جزافاً على الطريقة القديمة البالية. بل لم يقصر فى إعطاء كل ذى حق حقه من الملوك والأمراء والرؤساء الذين ترجمهم بحيث يجد القارئ حياة الذين لم يفعلوا شيئاً، أو ليتهم لم يفعلوا شيئاً مدونة بنزاهة إلى جانب حياة من فعلوا كل شئ. ويلذع فى بعض الأحيان لذعاً قاسياً موجعاً، ولا سيما متى كان انحراف أصحاب الترجمة انحرافاً داعياً إلى غبن الأمة وغش الوطن، وهذا واجب مقدس لأن من أهم وظائف المؤرخ ألا يكون شفوفاً بل عادلاً وأن يهتدى بالحقائق لا بما يغلى فى صدره من الأهواء، وأنى يطبق أحكامه فى القضايا المعروضة عليه. سواء أكانت قضايا الخاصة أم قضايا العامة على القاعدة الرشيدة للألاء: «والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر»

القاهرة فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٣٣

عبد الرحمن شهبندر

ما هو هذا الكتاب؟

باسمك اللهم وبحمدك، وصلاة وسلاماً على صفوة أنبيائك ورسلك:

لم يكن للمسلمين عقب الحرب العظمى وقد وضعت أوزارها يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ دولة مستقلة يحسب حسابها، ويرهب جانبها، فقد اهتبل الحلفاء فرصة عقد الهدنة بينهم وبين الترك فاحتلوا عاصمتهم، وأنشؤا مخالبتهم في جسم دولتهم، ثم حكموا عليها بالتمزيق والفناء بمعاهدة سيفر (أغسطس سنة ١٩٢٠)، وكادوا يوارونها لحدها، ويسكنونها رمسها، وضرب الإنكليز حمايتهم على مصر في ابتداء تلك الحرب مغتتمين إعلانها، فاعتصم المصريون بالصبر انتظاراً لانتهاه ليلها، وتنفس صبحها ومعرفة المصلى من المجلى في ميدانها وما كانت فارس في حالة تفضل حالة مصر، فقد نزل الإنكليز ثغورها وامتلكوا ديارها وسلكوها في عداد الأقطار الإسلامية التي يحمونها ويسيطرون عليها. وكانت أفغانستان مجردة من حق السيادة الخارجية، وقد تنازلت عنه لهم يمارسونه باسمها.

وكانت جزيرة العرب تغلى غيظاً وحقدًا، فلم يكف الإنكليز أنهم خانوا عهداً وقد وعدوها أبان الحرب أن يساعدها في إنشاء دولة عربية تضم الحجاز والشام والعراق، بل راحوا يؤيدون اليهود في إنشاء وطنهم القومي، كما أيدوا الفرنسيين في احتلال سواحل الشام وثغوره، واقتسموا معهم ذلك القطر، فاقتصوا بجنوبه واختص أولئك بشماله، ويحمي هؤلاء الأرمن وينشئون لهم وطناً قومياً، ويحمي الإنكليز اليهود ويمكنون لهم في أرض فلسطين تمكيناً.

وانشأ الإنكليز في العراق نظام حكم شاذ نفر منه العراقيون واشمازوا، وساد الاضطراب تونس، وتتابعث الثورات في المغرب الأقصى واجتمعت قبائله على قتال الفرنسيين والأسبانيين وماج الشرق من أقصاه إلى أقصاه، وزاده هياجا وحقدًا إيصاد الحلفاء أبواب مؤتمهم الأعلى في وجه ممثلى أممه، وتصاممهم

عن سماع مطالبها وظهورهم بمظهر المتواطئ على اقتسام بلادها والتهام ممالكها، فنهض المصريون وتلاههم الأفغانيون وثار الفرس وتقلد الترك السلاح واقتفى أثرهم العراقيون والسوريون والمغاربة فنازلوا أوربا واستردوا بحد السيف ما عجزوا عن نيله بشق القلم.

ولقد فصلنا في هذا الكتاب هذه الأحداث تفصيلاً، وأفضنا في الكلام عن مقدماتها وأسبابها وما تلاها من تحول، وبسطنا نصيب كل شعب في هذا الكفاح والنضال ثم أتبعناه بمجموعة ثمينة من المعاهدات والوثائق السياسية التي عقدت أو تبودلت في خلال هذه الفترة من تاريخ الشرق وعددها ١٣٧ معاهدة ووثيقة.

وفي الكتاب بيانات تاريخية عن حالة ثمانى عشرة دولة وإمارة إسلامية. ثلاث منها في إفريقية وهي: مصر وتونس والمغرب الأقصى، وأربع عشرة في آسيا وهي: تركيا والعراق وسورية وشرقى الأردن وبلاد العرب السعودية واليمن ولحج وحضرموت وحيدر أباد «الهند» وأفغانستان وإيران والكويت والبحرين ومسقط. ودولة في أوربا وهي ألبانيا، وعن نظمها السياسية وتطورها الاجتماعى ووضعها الدولى، وترجمنا كل ملك من ملوكها وأمير من أمرائها ويقترن اسم معظمهم باسم الدولة أو الإمارة الجديدة. فهو في الغالب مؤسسها ومنشؤها، مع وصف شامل لأخلاقه ومبادئه وأرائه وميوله السياسية والاجتماعية والدينية وطراز ميعشته. وذلك في أسلوب طريف لم ينسج على منواله حتى الآن في كتب التاريخ العربية.

وأسهبنا في الكلام عن قضايا شعوب الشرق السياسية وعن حركاتها الوطنية وعن مطالبها وأمانيتها، وأتبعناه بما أجمعت عليه من موثائق وطنية تسعى لتنفيذها وتحقيقها، فيعرف كل شعب مطلب جاره، فجاء سجلاً وافياً للنهضة الشرقية بعد الحرب العظمى، وسفراً جامعاً لأخبارها وحوادثها.

ولقد استفرغنا الجهد فى إتقانه وفى تجنب المبالغات والتطويل، واكتفينا باللب، وكانت الحقيقة والنزاهة رائدنا فى كل ما دوناه وأذعنناه، وإذا كان هناك هنات أو هفوات، والكمال مما اختص الله به ذاته، فسنعمل لتلافيها فى المستقبل، راجين من كل من يقف على هفوة أن يتفضل فينبهنا إليها حتى نتلافها فى الطبعة الثانية فنكون له من الشاكرين.

ومنه تعالى نستمد العون والتوفيق

القاهرة فى جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ هـ أكتوبر سنة ١٩٣٣ م.

أمين محمد سعيد

الدول الإسلامية المستقلة

الجزء الأول

مصر

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

تعد المملكة المصرية فى مقدمة ممالك الإسلام رقياً وعمراً، وأخذاً بأسباب الحضارة والمدنية، وتتمتع بمركز جغرافى ممتاز يجعلها صلة الوصل بين أوربا وآسيا وإفريقية، أو بين الشرق والغرب ففيها تلتقى الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الأوروبية المسيحية، وفيها تعقد المؤتمرات العلمية والفنية، ومنها ترسل البعثات العلمية والتهديبية إلى الممالك الإسلامية والبلاد الشرقية.

وتبلغ مساحتها السطحية ٩٤٩٣٠٠ كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها بموجب إحصاء سنة ١٩٢٧ - ١٤١٨٦٨٠٨ نسمة. منهم ٨٥٤٧٧٨ قبطياً و ٥٩٥٨١ يهودياً و ١٠٧٦٨٧ كاثوليكياً و ٤٧٤٨١ بروتستانتياً و ١٤٤١٦ مسيحياً من الطوائف الأخرى و ١١٢٠٠٠ أجنبى. والباقون مسلمون يتعبد معظمهم على مذهب الإمام الشافعى، ويحدها من الجنوب السودان المصرى، ومن الغرب مقاطعة بنغازى، ومن الشرق البحر الأحمر وصحراء سيناء والحجاز، ومن الشمال البحر الأبيض. وعاصمتها القاهرة، ودينها الرسمى الإسلام وهى مستقلة من الوجهة الحقوقية النظرية. وأعظم مدنها القاهرة ثم الإسكندرية وطنطا وبورسعيد والمنصورة والمنيا وأسيوط وأسوان. ونظام الحكم فيها دستورى ملكى نيابى ديمقراطى.

يبلغ عدد الجيش المصرى فى زمن السلم ١٨ ألف جندى ليس للحكومة المصرية أن تزيدهم عملاً بالفرمانات القديمة، وهم يجندون بموجب نظام إجبارى.

ويتبوأ عرش مصر اليوم جلالة الملك أحمد فؤاد الأول ابن الخديوى إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ابن الوالى محمد على باشا مؤسس الأسرة الحمديدية العلوية ومنتشئ مصر الحديثة. وهذا رسمه الكريم:

جلالة الملك أحمد فؤاد الأول



ملك مصر

جلالة الملك أحمد فؤاد الأول

ملك مصر

مولده ونشأته

ولد في قصر والده الخديوى إسماعيل فى الجيزة «من ضواحي القاهرة» يوم ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤هـ و ٢٦ مارس سنة ١٨٦٩م.

وقبل أن نتبسط فى الكلام عن نشأته لابد لنا من التنويه بما صحب ولادته من يمن للمرحوم والده. فقد روى المؤرخون أن مرضا اعتراه فى الحنجرة شتاء سنة ١٨٦٧ فلم يأبه له الأطباء فى أول الأمر وظنوه عارضاً يزول، ولكنه لم يلبث أن تفاقم فشغل الخواطر فألحت صاحبة السمو والدته عليه باستقدام طبيبه الخاص - وكان خارج القطر - فاستقدم على الفور فهاله ما شاهد من اشتداد المرض فأنصرف إلى معالجته وصادف حينئذ ولادة الأمير أحمد فؤاد فتهلل وجه والده فرحاً لما بشر به وسر كثيراً فساعد سروره على نجاته وشفائه.

نشأته - دخل حين بلغ السابعة المدرسة الخاصة التى أنشأها والده فى رحبة عابدين (القاهرة) لتعليم أنجاله وكانت مشمولة بنظارة يعقوب أرتين باشا فقضى فيها ثلاث سنوات يتعلم مبادئ العلوم واللغات، وفى سنة ١٨٧٨ أمر والده بإرساله إلى جنيف (سويسرا) لتلقى العلم فى معاهدها فصحبه دور بك المفتش فى نظارة المعارف العمومية، وحسن باشا جلال، وحميد الله باشا المدرسون بالمدارس الأميرية، وبعدما أدخلوه فى معهد توديك (جنيف) يوم ٢٠ مايو من تلك السنة عاد الأول إلى مصر وبقي الأخيران فى معيته: حسن باشا جلال لتدريسه اللغة العربية، وحميد الله باشا لتدريس اللغتين التركية والفارسية.

وغادر ذلك المعهد يوم أول أغسطس سنة ١٨٧٩ بعد ما قضى فيه سنة مكبا على دروسه. منصرفاً إلى إتمام واجباته، وقصد نابولى لزيارة والده وكان ينزل فى قصر فاوريتا الملكى الشهير بضواحيها.

ومما يحسن ذكره على سبيل الاستطراد أنه لما زار جنيف فى صيف ١٩٢٩ أى بعد انقضاء خمسين سنة على زيارته الأولى بحث عن ذلك المعهد وعن أسرة منشئه ونزل فى نفس الحجرة التى كان ينزلها فى عهد الدراسة. وتحدث الأستاذ جورج توديكىم نجل مؤسس ذاك المعهد وزميل جلالته على مقاعد الدرس عما يعيه من ذكريات المدرسة فقال : « لما دخل جلالته المدرسة خصصوا له غرفتين إحداهما للنوم والأخرى للاستقبال (صالون) وهى نفس الحجرة التى نزلها فى رحلته الأخيرة. أما حجرة النوم الأصلية فحولت بعد ذلك إلى حمام، يقوم بجوار تلك الحجرة فى الوقت الحاضر. وخصصت حجرة النوم الملاصقة لها للأستاذ المصرى وكان يصحبه لتدريس اللغة العربية.

قال : « وكان يلبس زمن الدراسة ثوباً أزرق جميلاً، ويضع على رأسه بطريقة جميلة للغاية طربوشاً أحمر رشيماً لا ينزعه إلا فى ساعات اللعب. وكان شغوفاً بالألعاب الرياضية، ولئن صادف بعض صعوبة فى ابتداء الأمر إلا أنه مالبت أن اكتسب مودة زملائه فأحبوه وأكرموه. وكان يوم رحيله يوم حزن وبكاء لبعده. قال وكنا نسميه أحمد بك فواد.

نعود بعد هذا الاستطراد التاريخى إلى إتمام ما بدأنا به فنقول إنه بعد ما قضى أياماً فى نابولى إلى جانب والده عاد إلى مصر فقضى فيها ثلاثة أشهر ثم قصد إيطاليا فدخل فى المدرسة الإعدادية الملكية بتورينو، وذلك فى سنة ١٨٨٠ بناء على اقتراح الملك أمبرتو الأول. ولما أتم دروسه فيها نقل إلى مدرستها الحربية سنة ١٨٨٥ وتخرج فيها برتبة ملازم ثان فى المدفعية الإيطالية سنة ١٨٨٨ وانضم إلى الألائى المدفعية الثالث عشر المعسكر فى ضواحي رومية، ومكث فى الجيش الإيطالى العامل سنتين.

أول وظائفه - زار الإستانة سنة ١٨٩٠ وكان والده يقيم فيها فاتصل بالسلطان عبدالحميد فعينه ياوزا فخرياً لجلالته وانتدبه ملحقاً عسكرياً بالسفارة العثمانية بقينا فقضى فيها سنتين.

رجوعه إلى مصر - وقدم مصر سنة ١٨٩٢ فاسندت إليه رتبة فريق في الجيش المصرى. وفى يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٢ صدر الأمر العالى بتعيينه سر ياور للخديوى وهذا نصه :

« إنه بناء على ما أتصفتم به من صفات المعارف والكمالات وما هو ماثبوت عندنا من لياقتكم وحسن درايتكم ووثوقنا بذاتكم العلية قلدنا سعادتكم وظيفة سرياورنا. وصدر أمرنا للسردارية بذلك. وهذا لسعادتكم للمعلومية ومباشرة أمور وظيفتكم هذه حسبما نعهدده في سعادتم من الغيرة والحمية وفقنا المولي جميعا لما فيه الخير والصلاح. أمين»

وعمل في خلال تقلده ذلك المنصب علي رفع شأن العسكرية في البلاد وعلي ترقية الحرس المصري فصار يضارع بنظامه وهندامه أعظم حرس أوروبى، ولا يزال الضباط الذين عملوا تحت إمرته في خلال تلك السنوات يذكرونها بمنتهى الفخار والإعجاب.

جهوده العلمية - ورأي في سنة ١٨٩٥ أن بلاده في حاجة إلي جهوده العلمية فانصرف إليها. وكان مشروع إنشاء الجامعة المصرية فى مقدمة المشروعات التى عمل على تحقيقها وإخراجها لشدة الحاجة إليها وقد ظل يدأب ويوجد حتى تم له إدراك هذه الأمانة العظمى فاحتفل يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ بافتتاحها. وإليك شذرات من الخطبه النفيسة التى ألقاها فى تلك الحفلة :

«لقد جاء اليوم الذى تقضى فيه الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية الحققة فى نفس القاهرة دون أن تتغرب فى ربوع العالم التى نالت بفضلها مكانة عالية فى العمران» .

«واننى أبتهل إلى الله تعالى أن يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً. إذ إننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالى بسببه إلا لترقية هذه الشبيبة التى لا يكتفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى أنه يتحتم عليها أيضاً أن تتحلى بفضيلتى الصبر والاستمرار

لأنهما سر النجاح. ولاريب عندنا فى أنها ستكسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديدة بتحقيق الآمال التى وضعها فيها مجلس إدارة الجامعة والأمة بأسرها».

وظل يرمى هذا المشروع حتى نما واكتمل وأتى أكله مضاعفاً فصار لمصر جامعة علمية تضارع جامعات أوروبا رقياً وتقدماً. وتتألف الجامعة اليوم من أربع كليات : كلية العلوم والطب والآداب والحقوق. وقد ألحقت بوزارة المعارف فى سنة ١٩٢٥ واحتفل يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٣١ بفتح كليات الجامعة فى الجيزة وبفتح مكتبتها وتضم ١٥٠ ألف مجلداً تحوى جانباً كبيراً من أئمن كتب العالم.

منشآت أخرى - وأنشأ إلى جانب الجامعة، الجمعية الملكية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع، وقد احتفل بافتتاحها يوم ٨ أبريل سنة ١٩٠٩ ورعاها بعد ماولى الأريكة فكثير عدد رجالها والمنتسبين إليها. وتعمل على إعداد محاضرات نفيسة فى مختلف الشؤون العلمية ثم تنشرها فى مجلتها الدورية «مصر الحديثة».

وقد تم لها بفضل مساعدته وهباته إنشاء دار فخمة خاصة بها فى شارع مكة نازلى، وفى هذه الدار عقد مؤتمر الملاحة الدولى الأخير.

وأنشئت الجمعية الملكية الطبية المصرية بفضل تنشيطه فى سنة ١٩٠٨ ومابرحت تنمو وتزداد تقدماً وقد أدت للعلم أجل الخدم.

وأنشأ فى سنة ١٩٠٩ جمعية لتنشيط السياح على زيارة الأقطار المصرية ومشاهدة آثارها العظيمة. لما فى ذلك من توثيق عرى الألفة والود بين الشعب المصرى والأمم الأوربية واجتذاب السياح. فتستفيد البلاد منهم فوائد مادية وأدبية وقد نمت هذه الجمعية بفضلها ومازالت مثابرة على تنفيذ الخطة التى رسمها لها.

ورأس جمعية الأسعاف المصرية فقد اختاره مجلس إدارتها رئيساً لها يوم ٥ يناير سنة ١٩١٠ فقام بأعباء الرياسة خير قام، ووسع نطاقها فأدت أجل الخدم.

ومثل مصر فى مؤتمر المستشرقين الدولى المعقود فى أثينا فى شهر مايو سنة ١٩١٢ بصفته رئيس الجامعة المصرية ومنح رتبة دكتور من جامعة أثينا.

وكذلك انتخب يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٥ رئيساً للجمعية الملكية الجغرافية وقد أنشأها والده الخديوى إسماعيل سنة ١٨٧٥ فأعاد إليها الحياه والنشاط ونفخ فيها من روحه فنمت وتقدمت وعادت إلى إذاعه نشراتها الدورية، وطبعت كثيراً من الكتب العلمية أهدتها إلى الجمعيات الجغرافية. وفى سنة ١٩٢٥ عقد المؤتمر الجغرافى الدولى فى دارها بمصر بمساعدة جلالته وتعضيده.

ومعهد الأحياء المائية فى الإسكندرية هو نفحة من نفحاته وقد شرع فى إنشائه منذ سنة ١٩١٥ وأعلن افتتاحه رسمياً يوم ٢٨ يناير سنة ١٩١٨ وهو مشمول بالرعاية الملكية.

وفى ٢ مارس سنة ١٩١٦ تولى رئاسة جمعية الهلال الأحمر المصرية. فخفف من آلام الأسرى وأسقام الجرحى، ونهض بهذه الجمعية فاستطاعت أن تؤدي مهمتها على الوجه الأكمل.

وفى يوم ٨ يناير ١٩١٧ انتخب عضو شرف فى المجمع العلمى المصرى فكانت باكورة أعماله وضعه جائزة مالية لمن يؤلف أحسن كتاب فى تاريخ والده وما قام به زمن حكمه.

وبلغ عدد الجمعيات والهيئات العلمية والاقتصادية والخيرية التى كان يرأسها ويديرها أو يساهم فيها قبل ارتقائه العرش اثنتى عشرة جمعية وهيئة كان يمدّها ويعطف عليها ويشجعها خدمة للعلم، ورغبه فى إنهاء البلاد ورفع مستواها العلمى والاجتماعى والاقتصادى، ثم أغدق عليها من سحائب فضله وإحسانه بعد انتقال الأمر إليه فواصلت أعمالها، وكانت من العناصر النافعة التى ساعدت على نمو النهضة الحديثة واتساع نطاقها.

كيف يقضي يومه ؟

يستيقظ جلالته مبكراً، صيفاً وشتاء، فى الساعة الخامسة صباحاً غالباً، ولكنه لا يغادر فراشه مبكراً لئلا يزعج خدمه ويطانته، ويكونون فى ذاك الوقت المبكر مستغرقين فى النوم.

إلى الحمام - ويقصد الحمام عندما ينهض ويكون ذلك فى الساعة السابعة فيستحم ويقوم بحركات رياضية بسيطة ثم يتزين، ويفطر ويتألف فطوره عادة من فنجان لبن وقطعة من الجبن وقليل من المربى أو العسل الأبيض وبعض الفواكه الموسمية.

مطالعة الصحف - وينتقل بعد الأكل إلى البهو الخاص الملاصق لحجرة النوم فينظر فى شؤون الدولة، ويدرس الملفات والتقارير المرفوعة إليه بدقة وعناية، ثم يطالع الصحف اليومية الصادرة فى القاهرة بين عربية وأجنبية ويقرأ ما يستوقف نظره من مقالاتها وأخبارها وتعليقاتها، كما يطالع ما يصدر فيها من مجلات وصحف أسبوعية وترفع إليه يوم صدورها. وهو مشترك أيضاً فى كثير من الصحف والمجلات الأوربية بين فرنسوية وإنكليزية وإيطالية يطالعها ويفضل قراءة الفصول العلمية على غيرها، وبذلك يتسنى له متابعة سير الحركة السياسية والاجتماعية والعلمية فى العالم فلا يفوته شئ منها ولا يند عنه خبر من أخبارها. وفضلاً عن ذلك فهو مشترك فى كثير من شركات الأخبار، وترفع إليه على الدوام قصاصات من الصحف فى مختلف الشؤون العامة.

عند جلالة الملكة - وينتقل فى الساعة التاسعة إلى الجناح الخاص بجلاله الملكة ثم يدخل الجناح الخاص بسمو ولى العهد وشقيقاته فيجمعهم ويلاعبهم ويداعبهم ويتفقد حجر نومهم وأمتعتهم بنفسه، ويسألهم عما تعلموه

واستظهموه، ولا يخاطبهم إلا باللغة العربية ويتعلمونها مع اللغة الإنكليزية. ويكافئ المجد منهم بجوائز خاصة. ويعنى بغرس روح الديمقراطية وحب الخير والإحسان فى نفوسهم.

المقابلات - وبعد ما يقوم جلالتة بهذا الواجب العائلى كأفضل ما يقوم به والد بار نحو أبنائه يقصد مكتبه الرسمى فى القصر وهو واسع يطل على ساحة عابدين. فيبدأ باستقبال زائريه وتكون الساعة العاشرة فيقدمهم كبير الأمناء ذاكراً اسم كل منهم حين دخوله البهو ويكون جلالتة عادة فى وسطه. وكثيراً ما تمتد هذه المقابلات إلى الساعة الواحدة بعد الظهر.

طعامه - ويتناول طعام الغداء فى الساعة الواحدة والنصف عادة إما منفرداً وإما مع جلالة الملكة والأنجال. وطعامه من الخضار والفواكه، ولا يكتر من أكل اللحوم ويتبع نظاماً صحياً خاصاً.

ويعود إلى مكتبه بعد الظهر فيقابل كبار موظفى القصر ويدخلون عليه بالرادنجوت وينظر فى مايعرضونه عليه من الشئون والمهام ويصغى إلى أقوالهم ويناقشهم مناقشة الخبير العليم المحيط بكل شئ الواقف على كل شئ.

نزهته - ويخرج للنزهة فى خلال فصل الصيف حينما يكون فى قصر المنتزه بالإسكندرية فيتروى فى حدائقه وجنانه وقد يركب أحياناً مركبة صغيرة يجرها جواد واحد فيقودها بنفسه، وقد ترافقه جلالة الملكة فى هذه النزهات البسيطة. ويتفقد خلالها الأشجار والأزهار ويصدر إلى القائمين عليها ما يراه من تعليمات لإصلاحها وتشذيبها. وقد تستمر هذه النزهة ساعة أو ساعتين إذا كان الجو صافياً والهواء عليلًا.

أما فى زمن الشتاء فلايخرج إلى حدائق قصر عابدين إلا نهاراً طلباً للشمس. ويزور الجناح الخاص بجلاله الملكة حين عودته من نزهته اليومية إذا لم تكن معه وقد يدخل جناح الأنجال. ويتعشى فى الساعة الثامنة مساءً خفيفاً بسيطاً يتألف من فاكهة وجبن ولبن.

ماءؤه - ويشرب على المائدة من ماء افيان فقط، ولا يتذوق المشروبات الروحية ويمقتها. ومما يروى عنه أنه لما زار ألمانيا فى صيف سنة ١٩٢٩ أدبت له بلدية برلين مآدبة شائقة وكان فى جملة أصناف الطعام «فراولة» مثلجة بالشمبانيا فامتنع جلالته عن تناولها عند ماشم رائحتها فجئ له بغيرها.

تدخينه - وجلالته غير مغرم بالتدخين أيضاً وقد يدخن سيجاراً بعد طعام الغداء. ومعدل ما يدخنه يومياً لايزيد عن خمس سكاير.

ومما يؤثر عنه بوجه خاص أنه لايتحدث على المائدة بحديث الأعمال اليومية بل يتكلم فى ماسواها من الشئون الأخرى تاركاً البحث فى شئون المكتب إلى المكتب.

حبه للسينما - ويحب جلالته السينما إجمالاً ويشهدها ثلاث مرات فى الأسبوع مع جلالة الملكة ومن يكون معهما من أفراد الأسرة المالكة، وتعرض فى دار السينما بالقصر فى الساعة الحادية عشرة مساءً. والأشرطة المعروضة تكون غالباً علمية أو تاريخية أو اجتماعية. وقد يختار له بعض ما يعرض فى دور السينما فى العاصمة أو الإسكندرية. وبين ما يعرض أيضاً أشرطة صحية تضعها مصلحة الصحة العامة أو تستوردها من البلاد الأجنبية.

نومه - وينام جلالته الساعة الحادية عشرة صيفاً وشتاء بعد أن يعمل مدة أربع عشرة ساعة فى الغالب.

ملابسه - ينفر جلالته من الألوان الزاهية فلا يلبسها لاصيفاً ولاشتاء ويميل إلى الألوان القاتمة الدكناء، ومنها معظم بذلاته وأربطة رقبته ويفضل استعمال كولونيا «اتكنس» على غيرها من العطريات. وقد اعتاد استعمالها من صغره.

ويستبدل فى أيام الصيف قميصه الداخلى ويكون من الصوف بقميص

شفاف من القطن. ويرتدى فى مكتبه وفى زيارته الخاصة راندجوت ملوناً صيفاً وشتاء. أما فى الحفلات العسكرية فيلبس بذله مشير فى الجيش المصرى. ويلبس فى الحفلات الرسمية راندجوت أسود.

وصابون «برسوب» هو الصابون الوحيد الذى يستعمله فى غسيله وحمامه وقد ألفه منذ صغره. وهو محافظ على عاداته القديمة لم يبدل شيئاً منها. كما أنه لا يزال محتفظاً بحاشيته وبخدمه القدماء.

كيف يحادث زائريه؟ - قلنا أنفاً إن كبير الأمراء أو من ينوب مثابه يعلن أسماء زائرى جلالة الملك حين دخولهم مكتبه وإن جلالته يكون غالباً واقفاً فى وسطه فيستقبل زائره ويصافحه بيده، ثم يشير له بالجلوس وقد اعتاد أن يكون هو البادئ بالحديث.

ومما يؤثر عنه أنه إذا علم بوفود عظيم من العظماء شرقياً كان أو غربياً إلى مصر أمر حاشيته أن يحملوا إليه مجموعة من الكتب الخاصة ببلد القادم أو فى الفن الذى اختص فيه إذا كان فناناً أو فى العلم الذى يجيده إذا كان عالماً فيطالعها بروية ويستوعب ما هو بحاجة إليه، فإذا حل وقت الزيارة ودخل الزائر عليه خلب لبه بطول باعه ووفرة اطلاعه، فلا يخرج من حضرته إلا وهو مندهش من سعة اطلاعه وغزازه علمه. وحديثه كثير الصراحة خال من الكلفة والتصنع مملوء بالطرف والحكايات اللائقة، ويهون بحسن مقابله الأمر على محدثيه ويخفف ارتباكهم.

مكتبة القصر - وعنى جلالته عناية خاصة بمكتبة قصر عابدين الخاصة. ويقولون إنها أهملت إهمالاً شائناً فى العهود السابقة فاستحضر لها خبيراً فنياً من إيطاليا تولى مهمة إصلاحها وتنسيقها، ووضع لها فهرس يساعده اختصاصى مصرى فصارت تعادل أعظم المكتبات إتقاناً وتنظيماً.

وفى المكتبة أيضاً مؤلفات عديدة فى التاريخ، ولجلالته ميل زائد إلى اقتناء

الكتب التاريخية. ولا سيما ما كان منها متصلاً بتاريخ مصر. ويعمل جلالته لتكون المكتبة مرجعاً يرجع إليه الباحثون في الشؤون المصرية.

ونقول بهذه المناسبة إنه لما ألف الكاتب الفرنسي المشهور المسيو هانوتو كتابه «تاريخ الأمة الفرنسية» دعاه جلالته الملك إلى زيارة مصر فزارها في سنة ١٩٢٩ فاقترح عليه كتابة تاريخ للأمة المصرية مماثل لتاريخه الفرنسي. ولما تشرف بمقابلته قال له :

« أنا عسكري بل حارس على الحدود، وقد وقفت نفسي على مستقبل أمتي وأنا عامل على رفعها إلى المستوى اللائق بها.

« لقد عملت أعمالاً مختلفة في هذا السبيل أثمرت ثمرها المطلوب فجددت شباب الجمعية الجغرافية التي أنشأها والدي وأسست جمعية الاقتصاد السياسي وغيرها من الجمعيات. وسأنشئ مجمعاً للصحراء يجمع كل ما يلزم للسائح الاطلاع عليه من شؤون الصحراء وأحوالها.

« ولما أطلعت على كتابكم «تاريخ الأمة الفرنسية» وددت أن يكون لنا تاريخ مثله فيعرف شعبي تاريخه. كما أود أن تعرف الشعوب الأخرى تاريخ مصر». ومما قاله جلالته في حديثه أيضاً :

« يعود الفضل في شق سبل الرشاد أمام أمرائنا السالفين وفي مثابرتهم على العمل بجهد ونشاط إلى ثقتهم بعظمة بلادهم وبماحببتها إياه العناية الربانية من ثروة طبيعية عظيمة. إن سلطتنا قائمة على الواجبات الملقاه على عاتقنا، ولا أطلب سوى أن يوثق بي بصفتي ممثلاً لروح الشعب المصري. وقد قبلت أن أعتلي العرش مع تقدمي في السن فوقفت بقية حياتي على حكم تلك الساعة الحاسمة. فأنا من أنصار المدنية والسلم والتعاون الأدبي العام» .

« وأعود فأقول لكم إنني جندي. وكلمتي واحدة، وإذا قلت فعلت وواجبي

مستمد من ضميرى. وقد كانت مصر حتى الآن شريكة المدنية الأوروبية فى إفريقيا» .

ومن عادته وضع قطعة من الورق الأبيض فى المكان الذى يود الرجوع إليه من الكتب أو المجالات التى يستعيرها من المكتبة، ومما يستحق الذكر أن جميع المجالات والصحف التى ترد باسم جلالته تجلد وتحفظ فى المكتبة.

دقلته - اشتهر جلالته بالميل إلى الاستفادة والدرس فى خلال زيارته للمعاهد والملاجئ ودور الصحة والمختبرات والمعامل التى يقصدها أو يفتتحها، فهو يفتنم هذه الفرص فيناقش رجالها والقائمين بأمرها. وقد يكثر من إلقاء الأسئلة عليهم فيعجزون أمام براعته ودقته وقوة ملاحظته ومضاء ذاكرته.

ويضيق بنا المقاوم لو رحنا نسرد الحوادث العديدة التى حدثت لجلالته من هذا القبيل فنكتفى بإيراد بعضها فما لا يدرك كله لا يترك كله.

فقد حدث حين زيارته لمصلحة الإحصاء أنه أمطر الموظفين الأخصائيين وإبلا من الأسئلة مستفسراً عن الجليل والتافه من شئون الآلات الكثيرة والماكينات العديدة. ولما عجز أحد الموظفين عن إجابته على سؤال وجهه إليه مع أنه قضى سنين فى إدارة تلك الآلة والإشراف عليها، أنقذه جلالته بقوله «تبقى تسأل عن هذه المسألة وتجيبنى عنها» .

ولما افتتح مصحة فؤاد بحلول شرح له الطبيب المختص طريقة استعمال الأشعة حيث دخوله الحجرة الخاصة بها فقال له «أريد أن تجر بها أمانى» فجاءوا بمريض يعالج فى المصحة ووضعوه أمام الآلة بعد مانزعو ثيابه من الجزء الأعلى وأطفأوا الأنوار وأغلقوا الأبواب وأسدلوا عليها ستائر سوداء ثم أطلقوا الأشعة على جسم المريض وكانت الحجرة فى ظلام قاتم وانبرى الطبيب يشرح لجلالته أعراض المرض كما هى ظاهرة على جسمه فكان ينعم النظر مستقصياً مدققاً.

وابتسم فى خلال تلك الزيارة للدكتور برنان مدير المصححة - وهو سويسرى - حينما ذكر بين يديه «أن إقليم حلوان من أكثر أقاليم العالم ملائمة لمعالجة التدرن الرئوى، وأن المصححة قائمة فى خير مكان يحسن اختياره لهذا الغرض» وقال له : «لما طلبت شراء هذه الدار لتحويلها إلى مصححة عارضونى معارضة شديدة ولكننى صممت على رأيى وألححت فى طلبى وهكذا يجب على الإنسان أن يتذرع بصدق العزيمة فى مثل هذه الظروف» .

ونزل بنفسه حين افتتاح الجناح الجديد فى مستشفى الملك التابع للأوقاف - إلى الطابق الأرضى متفقداً حالة المطابخ ونظافتها وبعد أن حيا الطهاه قال لكبيرهم «أخبرنى بالتفصيل عن أنواع الطعام التى تطبخونها للمرضى» فذكرها فسأله عن كمية غذاء كل منهم وعن الأنواع التى تقدم لضيوف كل درجة من درجات المستشفى، ولما وقف على كل ما أراد الوقوف عليه من التفاصيل قال للطهاه «أطلب منكم العناية بعملكم لافى مقابل الأجر الذى يعطى لكم. بل خدمة للإنسانية وإخوانكم» .

وحدق جلالته فى الخارطة الكبيرة المصنوعة من الجبس البارز التى تمثل نهر النيل من منبعه إلى مصبه والموضوعة فى دار الجمعية الجغرافية وقال : «أظن أن فى مقاساتها خطأ. ثم التفت إلى حسين سرى بك - وهو من كبار المهندسين - كمن يسأل عن رأيه فقال : «نعم إن فيها غلطات فنية يجب إصلاحها» .

ولما رحل إلى ألمانيا فى صيف سنة ١٩٢٩ زار دار مطبعة أولشتاين وهى من أعظم دور الطباعة فى العالم كله. فأفاض مديرها فى الشرح والتفصيل والإيضاح ثم قال : «إننى ألتمس العفو يا صاحب الجلالة إذا كنت أطيل فى الشرح والإيضاح» فقال له جلالته «يجب أن تعتمدوا على رغبتى فى زيادة معلوماتى، وما دامت هذه الرغبة رغبتى ففى استطاعتكم أن تطيلوا الشرح والتفسير كما تشاءون. لأننى إذا خرجت من هذه الزيارة بدون معلومات جديدة فشقوا أن أثرها فى نفسى لن يعمر طويلاً» .

وأعرب عن رغبته بدخول طيارة كبيرة من طيارات نقل الركاب حين زيارته مطار تمبهلوف في برلين ليتفرج على أجزائها من الداخل، وقال لمدير المطار «إن من عادتي ألا أكتفى بالنظر إلى الأشياء نظرة خارجية إجمالية عامة قد لا تجدى نفعاً في معظم الأحيان».

ولما زار مصانع هال بجوار مدينة أسن سأل أحد المديرين الذين كانوا يرافقونه في طوافه عن مسألة تختص بالمعروضات فأجابه بجواب لم يقنعه. فأعاد الكرهِ وطرح عليه السؤال نفسه فارتبك ولم يجر جواباً. فقال له «إننى لم أجيء إلى هنا لمجرد النزهة والفرجة حتى أكتفى بالنظر إلى المعروضات. بل جئت خصيصاً لأتعلم وأستفيد لعلنى أستطيع أن أخدم بلادى بعد ذلك بالمعلومات التى أكون قد جمعتها واستوعبتها فى أكام زيارتى».

علومه - يجيد جلالته العربية والتركية والإيطالية والفرنسوية، ويقرأ الإنكليزية ويحدث فيها كما يقرأ الألمانية ويلم بها، وله شغف كبير بالألعاب الرياضية وهو من أعظم مؤيديها، وإليه يعود الفضل فى إنشاء ملعب الإسكندرية ويعد من أجمل الملاعب فى العالم، ويسع ٢٥ ألف نسمة، وفى تنمية الروح الرياضية فى مصر على اختلافها، وكثيراً ما يشهد الحفلات الرياضية ويوزع الجوائز على الفائزين.

وقد عرفت الجامعات العلمية فى أوروبا ميله إلى العلم وشغفه به وطول بابه فى فنونه فأهدته درجات علمية عديدة حازها عن استحقاق وكفاءة كعالم بارع لاكملك لمصر.

أخلاقه - ومن أبرز صفاته التواضع واللين وحب الديمقراطية، ويظهر ذلك جلياً فى جميع صفاته وحركاته. وهو قليل الكلام. يكره المظاهر الكاذبة، ويميل إلى البساطة، وقد عرف بالوفاء وحفظ العهد للذين خدموه وأخلصوا له. كما عرف بالصبر وطول الأناة. ويجد زائر مكتبه لوحة خطية جميلة كتب عليها «الصبر».

وهو متمسك بالدين أشد تمسك. محب للعلماء مقرب لهم، وقد نالوا فى عهده من التكريم والعناية مالم ينالوه فى عهد أسلافه الكرام. كما أنه حريص جداً. على التمسك بالتقاليد الإسلامية والشرقية فلا يحد عنها.

راتبه وثروته - ويبلغ راتبه السنوى ١٥٠ ألف جنيه مصرى، ويعد من كبار الأغنياء ومن أصحاب الثروات العظيمة.

خطبه ورسائله - يعد جلالته خطبه بنفسه ويحرص على أن ينشئها من دون أن يدع ذلك إلى الديوان - كما هو حال الملوك والأمراء الآخرين. وهو أيضاً خطيب مرنجل يلبس أفكاره جمالاً فصيحة عالية تزيدها رونقاً وبهاء.

ويراجع بنفسه البلاغات الرسمية التى يصدرها القصر يومياً عن مقابلاته أو زيارته أو رحلاته إن كان فى رحلة، وهى لاتنشر إلا بعد عرضها عليه وإطلاعه عليها وموافقته على نشرها.

مأدبه - تمتاز المآدب الرسمية التى تؤدب فى قصر عابدين بالفخامة والرونق والبهاء والإتقان، فلا تقل عن أفخم المآدب التى تقام فى قصور كبار ملوك أوربا كما شهد بذلك الكثرون.

وتبرز دوائر القصر ليلة المأدبة فى حلة باهرة من الأنوار، ويقف رجال الحرس الملكى على جانبى الأروقة والسلالم التى يمر فيها المدعوون. وبعدما يتم وصول هؤلاء يجتمعون فى القاعة الكبرى وينقسمون إلى جماعات يرأس كلاً منها وزير دولتها المفوض فى مصر. وفى الساعة العاشرة يفتح باب قاعة مجاورة ويبدو جلاله الملك واقفاً فى وسطها وقد ارتدى بذلة رادنجوت وتقلد قلادة محمد على وإلى يساره الأمراء وبعض رجال القصر، ويكون المندوب السامى البريطانى أول داخل على رأس الجالية البريطانية فيحىى جلالته ويقدم الذين معه من أبناء بلاده، ثم يدخل وزراء الدول كل على رأس مواطنيه. وبعد الانتهاء من هذه العملية يضع جلالته ذراعه فى ذراع زوجة المندوب السامى البريطانى إذا كانت

موجودة أو يتأبط ذراع غيرها من زوجات كبار المدعوين على الطريقة الأوربية ويسيران يتبعهما الأمراء والوزراء والمدعون إلى قاعة التمثيل حيث ترقص بعض رقصات الأوبرا، ويمثل بعض ممثليها رواية ذات فصل واحد، وعند الانتهاء ينتقل المدعون إلى قاعة المائدة.

وتقضى التقاليد المتبعة على الرجال الرسميين الذين يدعون إلى هذه المآدب بأن ينحنوا انحناء عظيماً عندما يقدمون إلى جلالته. أما السيدات فينحنين إنحاء يسيراً مع إرجاع القدم اليمنى إلى الوراء قليلاً.

وتعرض قائمة الطعام «المينو» التى تعد من المآدب الرسمية على جلالته قبل البت فيها، وكثيراً ما يبدل ويغير فيها فيختار لوناً بدل لون أو يأمر بإضافة لون جديد.

وكبير طهاه المطبخ الملكى مصرى يتقاضى راتباً شهرياً قدره ٣٠٠ جنيهاً يساعده عدد من الطهاة من مصريين وترك، وأقل راتب يتناوله الواحد منهم هو ١٥ جنيهاً فى الشهر. أما راتب المكلف بصنع الحلوى فهو خمسة وعشرون جنيهاً فى الشهر.

وتحفظ أنية القصر الذهبية والفضية للمآدب الرسمية فى مكان خاص بها بإدارة خازن مسئول. وتجرد مرة واحدة كل سنة، ويسلم الخازن لكبير خدم المائدة ما يحتاج إليه من الأنية عند قيام جلالته برحله وتعاد إلى مكانها بعد انتهاء الرحلة.

ويعلو كل طبق من الأطباق الفضية والصينية التى ابتيعت فى عهد جلالته حرف «ف» وفوقه التاج الملكى. ونقش على بعضها كلمة «فؤاد» وتحتها كلمة «الأول»، وكذلك نقش التاج الملكى مع حرف «ف» على الأكواب البلورية التى صنعت خصيصاً فى أوربا للقصر، وهى آية فى البساطة وسلامة الذوق وثمان الكوبة الواحدة جنية مصرى.

وكذلك طرزوا التاج الملكى وتحتة حرف «ف» على كل فوطه من الفوط التى تستعمل على الموائد الملكية.

وفى مستودع الأنية فى القصر مجموعة كبيرة من الفضيات بينها شمعدانات يبلغ ارتفاعها قامة إنسان، وكانت تضاء وتستعمل فى المدافن.

وفناجين القهوة التى تقدم فى البلاط من الصينى فى ظروف دقيقة جميلة من الفضة. وفى البلاط ثلاثة موظفين لتقديم القهوة وخمسة للخدمة على المائدة ويبلغ مرتب الواحد من هؤلاء ١٠٠ جنيه فى السنة تقريباً، ولمائدة القصر كبير خدم يتناول ١٥٠ جنيهاً فى السنة ومعاون ٢٢ خادماً، ويسافر بعضهم بمعية جلالته فى رحلاته وأسفاره، وقد تشرف بعضهم بالسفر بمعيته إلى أوربا حينما زارها فى سنتى ١٩٢٧ - ١٩٢٩ م.

عنايته بمزارعه - ولجلالته عناية كبيرة بمزارعة فينزورها بلا انقطاع وكلما سنحت له الفرص فيشرف بذاته على سير العمل ويقف على الطرق التى نفذت فيها تعليماته الخاصة بمعيشة المزارعين. فيطوف المزرعة قسماً قسماً ومظلتة (شمسيته) على رأسه ويقضى ساعات فى هذه الدراسة المحبة إليه.

وترفع إليه بلا انقطاع تقارير مفصلة عن سير الحالة الزراعية فيدرسها بعناية ودقة، وقد صارت المزارع الملكية مضرباً للأمثال فى نظامها ورقيتها. وحسبك أن عدد أنواع القطن المزروعة فيها لا تقل عن خمسة وهى : السكلاريدس، والفؤادى، والأشمونى، والمعرض، والنهضة.

ولما افتتح المعرض الزراعى الصناعى فى القاهرة سنة ١٩٣١ عرض فيه أنموذج لعزبة تفتيش «أدفيينا» من تفتيش الخاصة، وتتألف من ٣٢ منزلاً اشتمل كل منها على غرفتين وزيبة للمواشى، وقد توفرت فيها كلها الشروط الصحية. وعرض فيه النموذج للتفتيش نفسه. ويتكون من دورين: الأول أرضى وبه مكاتب موظفى التفتيش، والثانى لاستراحة الزائرين والموظفين، وهناك أيضاً نموذج لمنزل مفتش «أدفيينا» ويتألف من دورين بهما ثمانى غرف وما يلحقها من

حمام ومطبخ ودورة ماء وأماكن لتربية الطيور وحديقة ونماذج لمساكن الفلاحين. وفى التفتيش مكان خاص لمواشى الألبان يتألف من اسطبلين يسع كل منهما ١٤٤ ماشية للألبان، واسطبل للعجول يسع ١٥٠ منها. ومظلة لها تلجأ إليها فى النهار، واسطبل للولادة يسع ١٦ من الأنعام، ودار للتمريض تسع ١٧ منها وهناك مستودعان للعلوفات وغرفة لتبريد الألبان ومكتب للطبيب ومظلة لفحص المواشى المريضة وغرفة لخدمة الاسطبل. وقد روعيت فى إنشائه الشروط الصحية اللازمة لاسطبل حيوانات الألبان كتنظيفه بالماء العذب وفرش أرضه بالأسفلت وشق مجاريير لصرف فضلاته ووضع نوافذ لفتحاته تضبط طريقة التهوية.

ومما يدل على شدة عناية جلالته بشئون الزراعة أن مساحة الأراضى المزروعة فى تفتيش الزعفران التابع للأوقاف الملكية كانت أقل بكثير من الأراضى البور مع اختلاف المناسيب يوم تولت الخاصة الملكية الاشراف عليه. فلم يمض وقت طويل حتى زرعت أراضى التفتيش كلها بعد تقصيبها وإصلاحها وتجهيزها بما تحتاج إليه من محطات رى وصرف وأعمال صناعية وطرق زراعية. يضاف إلى هذا وهذا حديقة الفاكهة التى أنشئت بتفتيش انشاص فى الإسمناعيلية ومساحتها ١٥٨ فداناً.

ويكرر جلالته على مسامح رجال زراعته حينما يزورهم فى التفتيش بأن أعمالهم ومزارعهم يجب أن تكون أنموذجاً للأهلين يحتذونه ولاسيما ما يتعلق منها بطريقة إصلاح الأراضى البور وطرق الرى والصرف والشئون الزراعية الأخرى.

جلالته والخلافة الإسلامية - بين المؤتمرات التى عقدت بمصر فى عهده مؤتمر الخلافة الإسلامية الذى اجتمع فى شهر مايو سنة ١٩٢٦ برئاسة الشيخ محمد أبى الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر السابق. فقد لبى دعوة الهيئة الدينية العليا بمصر عدد كبير من ممثلى الأقطار الإسلامية فوفدوا إلى هذه العاصمة.

وبعد ما تباحثوا وتناقشوا قرروا تأجيل البت فى مصير الخلافة إلى مؤتمر آخر
يعقد لهذه الغاية، ويشترط أن يكون عقده فى مصر.

وبمناسبة عقد هذا المؤتمر لانرى بدا من تسجيل رواية رويت عن المغفور له
سعد باشا زغلول حينما كان رئيساً للوزارة المصرية فى سنة ١٩٢٤ فقد تشرف
رحمه الله بمقابلة جلالة الملك على أثر إلغاء الترك للخلافة وطردهم سلاسل
العثمانيين من الأستانة وذلك قبل أن يقرر اجتماع مؤتمر الخلافة فى مصر فقال
لجلالته ما معناه :

«أريد يا مولاي أن أقول لكم بصراحة إنه من الخطأ أن تترك مقام الخلافة
يفلت من يد مصر بعد ما قوض الترك أركانه وأرى أن جلالتك خير من يصلح له
بين ملوك المسلمين. فإذا وافقتم على هذا الإقتراح فأنا - أى سعد باشا - مستعد
للعمل فى مصر وفى بلدان الشرق الأدنى كلها للمناداة بجلالتك خليفة
للمسلمين».

فشكر جلالته للفقيه العظيم غيرته وعنايته، وقال إنه لايجعل أن تنفيذ هذه
الفكرة يزيد عرش مصر مجداً وعظمة، ولكنه يرى أن هنالك أمراً آخر يجب
تقديمه على مجد شخصه وسؤدد عرشه، وذلك هو مستقبل مصر فهو لا يرى أن
تثار قضية الخلافة قبل حل المشكلة المصرية لأن أثارها قد يعرقل سير القضية
المصرية، ثم قال :

«ولو كانت المسألة شخصية لقبلت الفكرة عن طيبة خاطر. أما وهى لا تتفق
ومصلحة مصر السياسية فيجب أن تقدم هذه المصلحة على كل مصلحة
أخرى».

هباقته - أحصى أحد الباحثين ماجاد به جلالته من هبات للأعمال الخيرية
والجمعيات العلمية والرياضية فبلغت فى خلال عشر سنوات فقط ١٨٧٨٧٧
جنيهاً موزعة كما يلى :

لجميعات الخيرية	٤٤٢٦٣
للملاجئ والمستشفيات	١٠٦٤١
للفقراء والمنكوبين	٤٥٨٦٩
لتشجيع العلوم والفنون الجميلة	٧٠٠٤٦
لتشجيع الألعاب الرياضية	١١٤٣١
لجميعات وهيئات دينية مختلفة	٥٨٣٣

وتقدر الأموال التي جاد بها بعد ذلك بثلاثين ألف جنيه.

أنجاله - تزوج وهو شاب بأميرة من أبناء عمه ولدت له الأميرة فوقية كبيرة أنجاله. وأقترن يوم ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ بالملكة نازلى كريمة المرحوم عبدالرحيم باشا صبرى من الوزراء السابقين فرزق منها بالأمير فاروق ولى العهد يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ والأميرات فائزة وفوزية وفائقة وفتحية.

البعوث إلى البلاد الإسلامية - وهو أول من سن سنة إرسال البعوث إلى البلاد الإسلامية لتهديب أهلها وإرشادهم وتعليمهم. ففى عهده أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر بعثة من الأساتذة الأزهريين إلى بكين (الصين) لتعليم العلوم الدينية واللغة العربية فى مدرسة المعلمين الإسلامية. وهناك بعثات أخرى تعد المعدات لإرسالها.

واتصل بعلم جلالته فى شهر يوليو سنة ١٩٣٣ أن سيادة إمام اليمن الإمام يحيى مريض فأمر بإيفاد طبيبين خاص من مهرة الأطباء المصريين لمعالجته فسافرا إلى صنعاء لهذه الغاية وقاما بها قياماً حميداً.

ويجب أن لانسى مآثرته الخالدة، وهى طبعة المصحف الفؤادى طبعاً متقناً تكريماً لكلام الله القديم، وتوزيعه على الأقطار والمدن الإسلامية لينتفع به المسلمون.

كيفه أرتقي العرش؟

ظلت مصر حتى أوائل القرن الثامن عشر خاضعة لحكم المماليك يسومون أهلها العذاب وفي سنة ١٨٠٥ اختارت المرحوم محمد على باشا والياً لها، وهو ألبانى الأصل من قولة جاء جندياً فى الحملة التى أرسلها الباب العالى لإخراج الفرنسيين وتأييد المماليك فاكسب ثقة الناس بشجاعته وإقدامه ودرأيته فاختاروه، وكتبوا إلى الإستانة فجاء الأمر بالموافقة مقابل خراج سنوى قدره أربعة آلاف كيس.

وتفرد محمد على باشا بالحكم بعد إبادة المماليك، ونال بعد حروب الأناضول فرماناً يجعل ولاية مصر فى ذريته يتوارثونها الأكبر فالأكبر، وفى ٨ يونيو سنة ١٨٦٧ نال إسماعيل باشا من السلطان رتبة الخديوى ولقب بها، وكان يلقب قبلاً بالعزیز أو الوالى أو الباشا، ويأن تكون ولاية العهد فى الأكبر من أبناء الجالس على الأريكة.

وفى سنة ١٨٨٢ دخلت البلاد المصرية على أثر الثورة العرابية تحت الحماية الإنكليزية المقنعة مع احتفاظها بالأوضاع القديمة، وظل هذا شأنها حتى إعلان الحرب العظمى وانضمام سمو الخديوى عباس باشا إلى السلطان وحلفائه من خصوم الإنكليز، ففى يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ضرب الإنكليز الحماية رسمياً على مصر وخلعوا الخديوى الغائب وولوا عمه المرحوم حسين كامل باشا وأكبر أنجال الخديوى إسماعيل بدلاً منه، وقد اتخذ لنفسه لقب سلطان، وتوفى ليلة ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ فخلفه شقيقه السلطان أحمد فؤاد. وهو التاسع الذى يلى الأريكة من السلالة المحمدية العلوية: فأولهم جده الأكبر محمد على باشا، ثم ابنه إبراهيم باشا، فعباس باشا الأول، فمسعود باشا، فإسماعيل باشا، فتوفيق باشا، فعباس باشا الثانى فالسلطان حسين كامل فالملك فؤاد وهو أول من لقب بملك من هذه الأسرة.

كتاب المندوب

كان هناك اتفاق شفوى بين السلطان حسين كامل والإنكليز يقضى بأن يخلفه على العرش نجله الأمير كمال الدين حسين، فإذا لم يقبل يعرض (العرش) على شقيقه الأكبر الأمير أحمد فؤاد. ولما كان الأمير كمال الدين كتب إلى والده ليلة وفاته معلناً تنازله عن حقوقه فى العرش وعدم استعداده لقبوله. كاشف السير رجلند ونجت المندوب السامى البريطانى يومئذ الأمير أحمد فؤاد راغباً إليه ارتقاء عرش جده الأكبر، فلم يتردد فى القبول رغم حراجه الظروف، وكانت رحى الحرب العظمى دائرة، وكان مستقبل الإنكليز وحلفائهم لايزال مجهولاً، وهذا نص التبليغ الذى تلقاه يومئذ من الحكومة البريطانية :

«يا صاحب العظمة السلطانية ...

«بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية أتشرف بأن أعرب لعظمتكم عن فائق الأسف الذى شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل إلى علمها نعى المغفور له صاحب العظمة السلطان حسين كامل. الذى أكبرت الأمة المصرية جميعها إخلاصه لكل مافيه خيرها إخلاصاً لايعتريه فتور، وقدرته حق قدرة فكانت وفاته لديها كارثة وطنية. وإننى أتشرف بإبلاغ عظمتكم السلطانية عطف حكومة جلالة الملك لما أصاب شخصكم الكريم من دواعى الحداد.

«هذا وفى الوقت نفسه إنى مكلف أن أحيط علم عظمتكم أنه لما كان نظام الإرث فى السلطنة المصرية لم يوضع حتى الآن، وكنتم عظمتكم بعد طبقة ابن الوارث المتعين طبعاً لورثة العرش فإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوء هذا العرض السامى على أن يكون لورثتكم من بعدكم حسب النظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم.

«أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد أن تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة

التأكيدات التى أعطتها لسلف عظمتكم عند ارتقائه العرش وهى مقتنعة أن فى استطاعتها أن تعتمد فى العمل مع عظمتكم على تلك الصداقة التى كانت شعاراً لحكم السلطان المرحوم، وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهية والتقدم، ذلك الأمر الذى له من المكانة فى نفس الحكومة البريطانية مالا يقل عن منزلته لدى عظمتكم.

«وانى أنتهز هذه الفرصة فأقدم لعظمتكم السلطانية أجل احتراماتى».

عن القاهرة فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م.

رجلند ونجت

أول وزارة فى العهد الجديد

وفى يوم ١٠ أكتوبر صدر أمر سلطانى إلى صاحب الدولة المرحوم حسين رشدى باشا بتأليف الوزارة وهذا نصه :

«عزيزى حسين رشدى باشا

«نعلم رعايانا أنه بسبب وفاة سلفنا وأخيها المحبوب المغفور له السلطان حسين الأول الذى اختطفته المنية قبل الأوان، وملأت القلوب حزناً عليه قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على أن يكون هذا العرض من بعدنا لورثتنا طبقاً للنظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها.

«منذ ثلاث سنوات كانت حدود بلادنا يظهر أنها مهددة وكانت ثروتها الزراعية توشك أن تصاب فى مصادرها، ولقد لبى سلفنا رحمه الله نداء الواجب وتفانى فى إخلاصه لمرافقه بلاده فلم يتردد فى تحمل أعباء السلطنة على ما كان يحف بها من المصاعب. واعتماداً على ولاء رعاياه وعلى تأييد الدولة الحامية وقف نفسه

مدة هذه السنوات الثلاث على تنفيذ المنهاج الذى أخطه فى المرسوم الصادر منه إلى دولتكم عند ارتقائه عرض السلطنة، وقد صار مرجع أسس تعميم التعليم وبحث موارد ثروة القطر والشروع فى الوسائل التمهيدية التى من شأنها إحلال مصر فى مكانة الكرامة اللائقة بها فى العالم الذى سيجدد على أثر انعقاد الصلح.

«ونحن اليوم ننشد ذلك الولاء نفسه من رعايانا فى ظروف هى أكثر يمناً وتوفيقاً، فقد زالت الأخطار التى كان يظن أنها تتهدد بلادنا. وعادت ثروة القطر إلى ما كانت عليه وبقي علينا أن نخصص أنفسنا بالاشتراك مع نواب الأمة اشتراكاً يزداد على الدوام لإتمام تنفيذ ذلك المنهاج الذى أخطه سلفنا، وأن نحقق فى جميع الفروع الإصلاحات التى من شأنها ضمان التقدم المادى والأدبى فى بلادنا.

«ولما كنا على يقين من خبرتكم ومن صفاتكم السامية فإننا نوجه إلى عهدتكم مهمة تأليف الوزارة، ومن الله نلتمس الإعانة على ما نحن قادمون عليه من العمل».

عن القاهرة فى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٣٥هـ (١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧م).

فؤاد

عهد

يمتاز عهد جلالة الملك فؤاد بظهور هذه النهضة الوطنية العظيمة فى مصر وقد اهتز لها الشرق وأعجب بها الغرب، وكانت فاتحة هذا التحول العظيم فى نظامها السياسى والاجتماعى والصحى، يشمل جميع مرافقها.

ولا يتسع المقام للإحاطة بتاريخ النهضة الوطنية المصرية وإيراد تفاصيلها وعواملها. فذلك مما لا يدخل فى موضوع هذا الكتاب. وحسبنا أن نقول إجمالاً إن أقطاب مصر ومفكرىها أدركوا بعدما عقدت الهدنة بين الحلفاء وألمانيا يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨م أنه أن أوان مطالبة الحكومة البريطانية بإلغاء الحماية التى ضربتها على مصر يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ مغتنمة فرصة انقضاء الحرب العالمية ودخول تركيا فيها إلى جانب أعدائها، وبتحرير الشعب المصرى وإعادة حقوقه المغتصبة إليه برأ بالوعود التى قطعها ساسة الحلفاء وأقطابهم زمن الحرب للشعوب التى والتهم. وبعود الإنكليز المتعددة لمصر.

وفى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ زار وفد مؤلف من المغفور له سعد باشا زغلول والمرحوم على باشا شعراوى وعبدالعزیز باشا فهمى دار الحماية وطلبوا من المندوب السامى البريطانى بأن يأذن بسفر وفد يمثل الشعب المصرى إلى لندن للمطالبة باستقلال مصر ورد حقوقها إليها، ولعرض قضيتها على مؤتمر الصلح فى باريس وعلى رأى العام المتمدن. وكذلك رفع المرحوم حسين رشدى باشا رئيس مجلس النظار يومئذ - وكان متضامناً مع سعد باشا وزملائه - كتاباً إلى عظمة السلطان اقترح فيه أن يعهد إليه وإلى زميله عدلى باشا بالسفر إلى لندن ليبسطا للحكومة البريطانية آراء عظمتهم وآراء حكومتهم فى مصير مصر السياسى، فوافق السلطان على هذا الاقتراح.

ولما رفض الإنكليز أن يسمحوا للوفدين الوطنى ويمثل الشعب، والرسمى ويمثل الحكومة، بالسفر إلى لندن، واعتقلوا سعد باشا ومحمد محمود باشا

وصدقى باشا وحمد باشا الباسل وأرسلوهم إلى مالطة منفيين استقالت الوزارة احتجاجاً وعمت الاضطرابات وقامت المظاهرات ونهضت الأمة المصرية عن بكرة أبيها تطالب بحقوقها وتدافع عن كرامتها، فصفق العالم اعجاباً بها وطأطأ الرأس أمام جلال نهضتها، وهتف لاتحادها وتضامنها.

وأدرك الإنكليز أن الأمر جد، وأن مصر مصممة على مواصلة الكفاح والنضال حتى تفوز بحقوقها وتنال أمانيتها، فجنحوا إلى اللين والمسالمة، وأطلقوا سراح الزعماء المعتقلين في مالطة، وسمحوا لأعضاء الوفد الآخرين بالسفر إلى باريس حيث وافاهم المعتقلون الأربعة من مالطة فاتحد الفريقان في العمل لاسترداد حقوق مصر.

وخطا الإنكليز الخطوة الثانية فألفوا لجنة برياسة اللورد ملنر وزير المستعمرات يومئذ ومن كبار أقطابهم المعروفين جاءت مصر لدرس القضية المصرية عن كثب والإحاطة بتفاصيلها، ومد الحكومة البريطانية بأرائها فيما يحسن عمله لحلها، فأسقط في يدها حينما حاولت الاتصال بالهيئات المصرية وكبار المصريين، فقد اتفقوا على مقاطعتها، وأبلغوها أن لمصر وفداً يمثلها فلترجع إليه وتتفق معه.

ولما أقفلت الأبواب في وجه اللورد ملنر ولجنته، وأدرك أنه لا أمل يرجى من طول المكث في مصر لما ظهر من تضامن الأمة وتراس صفوفها عاد إلى لندن، ومن هنالك اتصل بالوفد وهو في باريس وفأوضه وعرض عليه مشروعه الشهير يوم ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ فرفضه لأنه لم يحز قبولاً من جانب الأمة.

مشروع كرز

وتألفت بعد ذلك وزارة عدلى باشا الأولى فى شهر إبريل سنة ١٩٢١ وضعت نصب عينيها الإنكليز لحل القضية المصرية، فتألف وفد رسمى رأسه عدلى باشا بالذات وسافر إلى لندن فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢١ فعرض عليه اللورد كرز وزير الخارجية البريطانية يومئذ مشروعه الشهير وهو أول مشروع عرضه الإنكليز رسمياً على الحكومة المصرية وهذا نصه :

١ - فى مقابل إبرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة الملك بريطانيا العظمى رفع الحماية المعلنة على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والإعتراف بمصر فى ذلك الحين دولة متمتعة بحقوق السيادة (Sovereign State) تحت إمره ملوكية دستورية. فبمقتضى هذا قد أبرمت، وتستمر باقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبة من جهة، وبين حكومة مصر والشعب المصرى من الجهة الأخرى. معاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف.

٢ - تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تحت إدارة وزير معين لذلك.

٣ - يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى فى مصر قوميسير عال يكون له فى جميع الأوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائى، ويكون له حق التقدم على ممثلى الدول الأخرى.

٤ - يمثل الحكومة المصرية فى لوندرة وفى أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعى هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير.

٥ - بالنظر للتعهدات التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها فى مصر وعلى الخصوص فى ما يتعلق بالدول الأجنبية يجب أن توجد أوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير العالى البريطانى الذى يقدم كل

المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فى ما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسية.

٦ - لاتدخل الحكومة المصرية فى أى اتفاق سياسى مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القوميسير العالى البريطانى.

٧ - تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصليين فى الخارج حسب مقتضيات مصالحها.

٨ - لأجل تولى الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية فى الأماكن التى لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضع ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى أنفسهم تحت تصرف الحكومة المصرية، ويقدمون لها كل مساعدة فى قدرتهم.

٩ - تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولى المفاوضات لإلغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات، وتقبل مسئولية حماية المصالح المشروعة للأجانب فى مصر، وتتداول حكومة جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت فى هذه المفاوضات رسميا.

١٠ - تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر فى الدفاع عن مصالحها الحيوية وعن سلامة أراضيها.

لأجل القيام بهذه التعهدات ولحماية المواصلات الإمبراطورية البريطانية الحماية اللازمة يكون للقوات البريطانية حرية المرور فى مصر، ولها أن تستقر فى أى مكان فى مصر ولأى مدة يحدان من وقت لآخر. ويكون لها أيضا فى كل وقت مالها الآن من التسهيلات لإحراز واستعمال الثكنات وميادين التمرين والمطارات والترسانات الحربية والمين الحربية.

١١- بالنظر للمسؤوليات الخاصة التى تتحملها بريطانيا العظمى، وبالنظر للحالة القائمة فى الجيش المصرى والمصالح العمومية تتعهد الحكومة المصرية بالألا تعين ضباطاً أو موظفين أجانب فى أى مصلحة منها قبل موافقة القوميسير العالى البريطانى.

١٢- تعين الحكومة المصرية بعد استشارة حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً تكل إليه فى الوقت المناسب الحقوق التى يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين، ويكون هذا القوميسير المالى مسئولاً بوجه أخص عن دفع المطلوبات الآتية فى مواعيدها :

(١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختلطة.

(٢) جميع المعاشات والسنويات الأخرى المستحقة للموظفين الأجانب المجالين على المعاش وورثتهم.

(٣) ميزانيتى القوميسيرين المالى والقضائى والموظفين التابعين لهما.

١٣- لأجل أن يؤدى القوميسير المالى واجباته كما ينبغى يجب أن يحاط إحاطة تامة بجميع الأمور الداخلة فى دائرة وزارة المالية، ويكون له فى كل وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزارة ووزير المالية.

١٤- ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجى أو تخصيص إيرادات مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير المالى.

١٥- تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً قضائياً يكلف بسبب التعهدات التى تحملتها بريطانيا العظمى القيام بمراقبة تنفيذ القانون فى جميع المسائل التى تمس الأجانب.

١٦- لأجل أن يؤدى القوميسير القضائى واجباته كما ينبغى يجب أن يحاط إحاطة تامة بجميع الأمور التى تمس الأجانب وتكون من اختصاص وزارتى

الحقانية والداخلية، ويكون له فى كل وقت التمتع بحق الدخول على وزيرى
الحقانية والداخلية.

١٧- حيث أن رقى السودان السلمى هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام
مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر فى أن تقدم لحكومة السودان نفس
المساعدات الحربية التى كانت تقوم بها فى الماضى.. أو أن تقدم بدلا من ذلك
لحكومة السودان إعانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين.
تكون كل القوات المصرية فى السودان تحت أمر الحاكم العام.

وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه
النيل. ولهذا الغرض قد تقرر أن لا تُقام أعمال رى جديدة على النيل أو روافده
جنوبى وادى حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أمناء يمثل أحدهم مصر
والثانى السودان والثالث أوغندا.

١٨- المبالغ التى تعهد خديوى مصر فى أوقات مختلفة بدفعها للبيوت المالية
التي أصدرت القروض التركية المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة
المصرية على تخصيصها كما كان فى الماضى لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضى
سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ إلى أن يتم استهلاك هذين القرضين.
تستمر الحكومة المصرية أيضاً فى دفع المبالغ التى كان جارياً دفعها لسداد
فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون.

عندما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهى
مسئولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأى تعهد ناشئ عن الجزية التى كانت
تدفعها مصر لتركيا سابقاً.

١٩- للحكومة المصرية الحق فى أن تستغنى عن خدمة الموظفين البريطانيين
فى أى وقت كان بعد نفاذ هذه المعاهدة بشرط أن يُمنح هؤلاء الموظفون تعويضاً

ماليا - كما سيأتى بيانه - وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التى يستحقونها بمقتضى أحكام استخدامهم.

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشروط فى الاستعفاء من الخدمة فى أى وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة.

تسرى جميع هذه الأحكام على الموظفين الذين لهم الحق فى المعاش والذين ليس لهم الحق فى المعاش، وأيضاً على موظفى البلديات ومجالس المديريات والهيئات المحلية الأخرى.

٢٠- الموظفون المرفوتون أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تُعطى لهم زيادة على التعويض إعانة إياب لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومتاعه المنزلى إلى لوندرة.

٢١- تدفع التعويضات والمعاشات بالجنيه المصرى باعتبار سعر ثابت قدره ٩٧ قرش ونصف للجنيه الإنكليزى.

٢٢- يوضع جدول عن التعويضات:

(أ) للموظفين الدائمين

(ب) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين.

٢٣- تتعهد مصر بأن النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية، والا يتضارب معها أو يؤثر عليها أى قانون أو لائحة أو عمل رسمى، والا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمى.

٢٤- تتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لأرواحهم وحريتهم من غير تمييز بسبب مولدهم أو تبعيتهم الدولية أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم، ويكون لجمع سكان مصر الحق فى أن يقوموا بحرية تامة

علانية أو غير علانية بشعائر أية ملة أو عقيدة مادامت هذه الشعائر لا تتنافى النظام العام، أو الآداب العمومية.

٢٥- جميع الحائزين للرعاية المصرية يكونون متساوين أمام القانون، ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين.

اختلاف الأديان والعقائد والمذاهب لا يؤثر على أى شخص حائز للرعاية المصرية فى المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول فى الخدمات العمومية والتوظيف والحصول على القاب الشرف أو مزاولة المهن أو الصناعات.

لايسوغ فرض أى قيد على أى شخص متمتع بالرعاية المصرية فى حرية استعماله لأية لغة فى معاملاته الخصوصية أو التجارية أو فى الدين أو فى الصحف أو فى المطبوعات من أى نوع كانت أو فى الاجتماعات العمومية.

٢٦- الأشخاص الحائزون للرعاية المصرية التابعون للأقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق فى القانون وفى الواقع فى نفس المعاملة والضمانات التى يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعاية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحقوق الآخرين فى أن ينشئوا ويديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية، ويكون لهم الحق فى أن يستعملوا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها، أهـ

تبليغ إنكليزي جديد

وقد كان نصيب هذا المشروع الرفض من جانب الوفد الرسمي فقطع المفاوضات وعاد إلى القاهرة، ولم يكد يستقر به المقام حتى استقال رئيسه عدلى باشا من رئاسة الوزارة فازداد الموقف حرجاً. فأرسل اللورد اللنبي المندوب السامى تبليغا إلى عظمة السلطان فؤاد يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ هذا نصه:

ياصاحب العظمة

إنه بموجب التعليمات التى وصلتني من حكومة جلالة الملك لى الشرف أن أرفع إلى مقام عظمتكم البيان الآتى المتضمن آراء حكومة جلالته فيما يتعلق بالمفاوضات التى جرت حديثاً مع الوفد المرسل من قبل عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلى باشا.. إن حكومة جلالته قدمت إلى عدلى باشا مشروع اتفاق لعقد معاهدة بين الإمبراطورية البريطانية ومصر كانت حكومة جلالته على استعداد لأن توصى جلالة الملك ومجلس النواب بقبوله، ولكنها علمت بمزيد الأسف أن ذلك المشروع لم يحز قبولاً لديه.. ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه سخية فى جوهرها واسعة النطاق فى نتائجها، وأنها لايمكنها أن تبقى محلاً لأى أمل فى إعادة النظر فى المبدأ الذى بُنيت عليه تلك الاقتراحات.. لذلك كان من المستحسن أن تحيط حكومة جلالته علم عظمتكم إحاطة وافيه بالاعتبارات الرئيسية التى استرشدت بها وبالروح التى صدرت عنها تلك الاقتراحات.

إن هناك حقيقة جليلة سادت العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر مدة أربعين سنة، ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة هذه العلاقات على الدوام وهى التوفيق التام بين مصالح بريطانيا العظمى فى مصر، وبين مصالح مصر نفسها.

إن مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسى بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك فى الشرق، وجميع الأراضي المصرية هى فى الواقع ضرورة لهذه المواصلات لأن مصير مصر لا يمكن فصله عن سلامة منطقة قناة السويس.. لذلك فإن حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو فى الدرجة الأولى من الأهمية للهند وأستراليا ونيوزيلاندا ولجميع مستعمرات ولايات جلالته فى الشرق، ويؤثر فى سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليوناً من رعايا جلالته..

ثم إن نجاح مصر يهم هذه البلاد ليس لأن كلا من بريطانيا العظمى ومصر هى أفضل عميلة للأخرى فقط. بل لأن كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو إلى مداخله الدول الأخرى فيها ويهدد استقلالها.

تلك كانت البواعث الرئيسية للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهى لاتزال الآن على ماكانت عليه من القوة فى الماضى.

قد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء العهد السابق للحرب العظمى.. ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماماً فعلياً كان المصريون فريسة للاختلال المالى والفوضى الإدارية، وكانوا تحت رحمة أى قادم، ولم يكن فى طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الأجنبى. تلك الوسائل التى تستأصل من نفوس الأمة كرامتها وتمحو قواها الحيوية.. فإذا كانت الأمة المصرية الآن نشيطة ذات كرامة فإنها مدينة بهذه النهضة على الخصوص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها..

إن المصريين سلموا من المداخلات الأجنبية، وأعينوا على إنشاء نظام إدارى وافٍ وقد تدرب عدد كبير منهم على إدارة الأمور والحكم، واطرد نمو مقدراتهم ونجحت مآلاتهم نجاحاً فوق المنتظر. وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة.. وفى هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستغلال..

إن بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحاً مالياً أو امتيازاً تجارياً، والأمة المصرية قد جنت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها.

إن شبوب نار الحرب بين الدول الأوروبية العظمى سنة ١٩١٤ زاد بالضرورة عرى الائتلاف توثيقاً بين الإمبراطورية البريطانية ومصر.. ولما انضمت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب لم يكن أثر ذلك مقصوراً على تهديد المواصلات البريطانية وحدها، بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلاً.. فكان إعلان الحماية على مصر اعترافاً بهذه الحقيقة. وهى أنه لايمكن دفع الخطر عن الإمبراطورية البريطانية ومصر معاً إلا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة.. وكان اتساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب فى قتل وتشويه آلاف من رعايا جلالة الملك.. من الهند وأستراليا ونيوزيلاندا ومن رجال بريطانيا العظمى أيضاً، وقبورهم فى غاليبولى وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذى كابدته شعوب الامبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا.. قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسها ضرر بفضل جهود من بعثت بهم تلك الشعوب من الجنود.. فكانت خسائر مصر طفيفة ولم يزد دينها، وثروتها الآن أعظم مما كانت قبل الحرب فى حين أن الكساد الاقتصادى قد اشتدت وطأته على أكثر البلدان الأخرى. فليس من الحكمة أن الشعب المصرى يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى أنه هو مدين بذلك كله.. ولولا القوة التى أبدتها الإمبراطورية البريطانية فى الحرب لأصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتحاربة ولوطئت هذه القوات حقوق مصر بأقدامها وأفنت ثروتها، ولولا نصر الحلفاء لم تكن فى مصر.. أمة تطالب بحقوق السيادة الوطنية بدلاً من حماية أجنبية.. فالحرية التى تتمتع بها مصر الآن وماتتطلع إليه من حرية أوسع إنما هى مدينة بهما للسياسة البريطانية والقوة البريطانية.

إن حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام فى المصالح بين بريطانيا ومصر الذى جعل ائتلافهما نافعا لكلتيهما فى الماضى هو دعامة العلاقة التى

يجب على كليهما استمرار المحافظة عليها.. وعلى الإمبراطورية البريطانية الآن كما كان فى الماضى أن تحمل على عاتقها فى آخر الأمر مسئولية الدفاع عن أراضى عظمتكم ضد أى تهديد خارجى.. وكذلك عليها تقديم المعونة التى قد تطلبها فى أى وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم فى البلاد.. ثم إن حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق فى تقديم ماقد تحتاج حكومة عظمتكم من المشورة فى إدارة البلاد وتدبير مالىتها وترقية نظامها القضائى ومواصلة علاقاتها مع الحكومات الأجنبية.. على أن حكومة جلالته لا ترمى من وراء هذه المطالب إلى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها فى حكومة ذاتية وطنية بل هى ترمى بذلك إلى التمسك بها قبل الدول الأجنبية الأخرى، وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهى أن استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسى لسلامة الإمبراطورية البريطانية.

وحكومة جلالة الملك تأسف على أن مندوبى عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدماً يذكر فى سبيل الاعتراف بما للإمبراطورية البريطانية دون سواها من الأسباب الصحيحة للتمسك بهذه الحقوق والمسئوليات.

إن شروط المعاهدة التى تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسئوليات قد أدرجت فى مواد المشروع الذى سيرفعه إلى عظمتكم صاحب الولاية عدلى باشا.. وأهم هذه الشروط هو مايتعلق بالجنود البريطانية.. فإن حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية ببحث الأدلة التى قدمها الوفد المصرى فى هذا الشأن، ولكنها لم تستطع أن تقبلها.. لأن حالة العالم الحاضرة ومجرى الأحوال فى مصر منذ عقد الهدنة لايسمحان بأى تعديل كان فى توزيع القوات البريطانية فى الوقت الحاضر.. ومن الواجب إعادة القول بأن مصر هى جزء من المواصلات الإمبراطورية البريطانية. ولم يكد يمضى جيل على مصر منذ أنقضت من الفوضى. وهناك علامات على أنه لايبعد على المتطرفين فى الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية فى الهوة التى لم يطل العهد

على إنقاذها منها.. وقد زاد اهتمام حكومة جلالة الملك بهذا الشأن لما رأيته من عدم رغبة وفد عظمتكم فى الاعتراف بأن الإمبراطورية البريطانية يجب أن يكون عندها ضمان قوى ضد أى تهديد مثل هذا لصالحها، وإلى أن يحين الوقت الذى يكون فيه سلوك مصر مدعاة إلى الثقة بالضمانات التى تعطىها يكون من الواجب على الإمبراطورية البريطانية نفسها أن تستبقى ماتراه كافيا من الضمانات.

وأول هذه الضمانات ورأسها هو جنود بريطانية فى مصر، وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولأن ينقص منه.

على أنها تعيد القول وتؤكد أنه مطالبها فى هذا الصدد لا يقصد بها استمرار حماية لافعلا ولا حكاما، بل بالعكس. إن أمنيتها القلبية الخالصة هى أن تتمتع مصر بحقوق وطنية، ويكون لها بين الأمم مقام دولة متمتعة بحق السيادة. على أن تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإمبراطورية البريطانية بمعاهدة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركة.. ولهذه الغاية التى جعلتها حكومة جلالته نصب عينها اقترحت رفع الحماية فوراً والاعتراف بمصر (دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت إمرة ملوكية دستورية)، والاستعاضة عن العلاقة القائمة الآن بين الإمبراطورية البريطانية ومصر (بمعاهدة دائمة ورابطة سلامة ووداد وتحالف) وكانت حكومة جلالته تأمل أن مصر بإعادة وزارة الخارجية ترسل ممثليها فى الحال إلى الممالك الأجنبية كما أنها كانت على استعداد لتعزيد مصر فى انضمامها إلى جمعية الأمم إذا طلبت ذلك، وبذلك كان يتحقق لمصر فى الحال ما للدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات.

ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه الاقتراحات أوجد حالة جديدة، وهذه الحالة لا تؤثر فى مبدأ السياسة البريطانية، ولكنها بالضرورة تقلل من التدابير التى يمكن تنفيذها الآن.. ولذلك فإن حكومة جلالة الملك ترغب فى أن تبدى بوضوح حالة موقفها الآن..

ففيما يتعلق بالحاضر لا يمكن لحكومة جلالته تنفيذ اقتراحاتها بدون رضا الأمة المصرية واشتراكها، ولكن حكومة جلالته تحافظ على الرغبة التي كانت لديها على الدوام هي العمل على إنماء مواهب المصريين بزيادة عدد الموظفين منهم في كل فرع. ولاسيما في الفروع الإدارية العالية التي كثر فيها عدد الموظفين الأوروبيين.. وحكومة جلالته مستعدة لأن تواصل بمشاوره حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الأجنبية لأجل إلغاء الامتيازات لكي يكون الموقف الدولي جلياً عندما يحين وقت إصدار التشريع المصري الذي سيحل محل تلك الامتيازات.. وكذلك ترجو حكومة جلالته أن السلطة التي يباشرها الآن القائد العام تحت القانون العسكري تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضى القوانين المدنية المصرية وهي تسر برفع الأحكام العسكرية حالما يصدر (قانون التضمنيات) (Act of Indemnity) ويعمل به في كل المحاكم المدنية والجنائية في مصر.. وهو قانون لا بد منه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة البريطانية في مصر.

وأما من جهة المستقبل فإن حكومة جلالته الملك ترغب في أن توضح بعبارة جلية السياسة التي تنوى اتباعها.. فقد علمت أن المشروع الذي قدمه إلى وفد عظمتكم قد رفض بحجة أن الضمانات التي تضمنها المشروع لصيانة المصالح البريطانية والأجنبية تقضى على التمتع بالحكومة الذاتية تمتعا صحيحا، وهي تأسف غاية الأسف على أن استبقاء الجنود البريطانية في مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع وزارتي الحقانية والمالية يساء فهم المراد منهما إلى هذا الحد.

إذا كان الشعب المصري يستسلم إلى أمانيه الوطنية مهما كانت هذه الأمانى صحيحة ومشروعة في ذاتها دون أن يكثرث اكتراثاً كافياً للحقائق التي تستحكم في الحياة الدولية. فإن تقدمه في سبيل تحقيق مطمحه الأسمى لا يصيبه التأخر فقط. بل يتعرض للخطر تعرضاً تاماً. إذ ليس من فائدة ترجى من وراء التصغير

من شأن ما على الأمة من الواجبات وتعظيم مالها من الحقوق.. وإن الزعماء المتطرفين الذين يدعون إلى هذا لا يعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها.. وهم بما كان لهم من الأثر فى مجرى الحوادث قد تحدوا مرة بعد مرة الدول الأجنبية فى مصالحها وأثاروا مخاوفها.. وكذلك عملوا فى الأسابيع الأخيرة على التأثير على مصير المفاوضات بנדاءات مهيجة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم.. وإن حكومة جلالة الملك لا تعتبر أنها تخدم مصلحة مصر بتساهلها إزاء تهيج من هذا القبيل.. ولن يمكن مصر أن تسير فى سبيل الرقى إلا متى أظهر قادتها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قمع مثل هذا التهيج. لأن العالم يتألم الآن فى جهات عديدة من الاندفاع فى نوع من الوطنية المتعصبة المضطربة.. وحكومة جلالة الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة. سواء فى مصر أو فى غيرها.. وأن أولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات إنما يعملون على جعل القيود الأجنبية التى يطلبون الخلاص منها أشد لزوماً، وبذلك يطيلون أجلها.

وإذ الأمر كذلك فإن حكومة جلالة الملك مراعاة لمصلحة مصر ومصالحاتها أيضاً الخاصة ستستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كمرشدة لمصر وأمية على مصالحها. ولا يكتفى أن تعلم أن فى استطاعتها العودة إلى مصر إذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت إلى عهد التبذير والاضطراب الذى لازمها فى القرن الماضى.. فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذى بدئ به فى عهد اللورد كرومر لا أن تبدأ من جديد.. وهى لاتنوى أن تبقى مصر تحت وصايتها. بل بالعكس ترغب فى تقوية عناصر التعمير فى الوطنية المصرية وتوسيع مجال العمل أمامها، وتقريب الوقت الذى يمكن فيه تحقيق المطمح الوطنى تحقيقاً تاماً. ولكنها ترى من الواجب أن تصر على الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لأجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على

السوء، وذلك إلى أن يظهر الشعب المصرى أنه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلى وما يترتب عليه حتماً من تداخل الدول الأجنبية. وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصرى يقوم على تأزره مع الإمبراطورية البريطانية لا على تنافرها..

وحكومة جلالة الملك لرغبتها فى هذا التأزر مستعدة فيما يتعلق بها إلى البحث فى أية طريقة قد تعرض عليها لأجل تنفيذ اقتراحاتها فى جوهرها وذلك فى أى وقت تريده حكومة عظمتكم. على أنها مع هذا لا يسعها تعديل المبدأ الذى بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا إضعاف الضمانات الجوهرية التى تشتمل عليها.. وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر فى أيدي الشعب المصرى نفسه.. فكلما زاد اعتراف شعبكم بوحدة المصالح البريطانية ومصالحة كلما قلت الحاجة إلى هذه الضمانات.. وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم فى هذا العهد الثانى من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن يثبتوا بقبولهم النظام الوطنى المعروض عليهم الآن وبالتزام جانب الحكمة فى العمل به أن المصالح الحيوية للإمبراطورية البريطانية فى بلادهم يمكن أن توكل لعنايتهم بالتدريج».

النبى (فيلد مارشال)

تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

ثم شفع اللورد اللنبى هذا التبليغ بتبليغ جديد إلى حضرة صاحب الجلالة الملك يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ هذا نصه:

١- أشرف يا صاحب العظمة بأن أعرض لمقام عظمتكم أن الناس قد ذهبوا فى تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التى قدمتها لعظمتكم فى ٣ ديسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها وهو ماأسف له أشد الأسف.

٢- ولقد يخال للمرء مما نشر عن هذه المذكرة من التعليقات المتعددة أن كثيرا من المصريين ألقى فى روعهم أن بريطانيا العظمى توشك أن ترجع فى نواياها القائمة على التسامح والعطف على الأمانى المصرية، وأنها تنوى الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسى إدارى لايتفق والحرىات التى وعدت بها.

٣- غير أنه ليس شئ أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة. بل إن الأساس الذى بنيت عليه المذكرة التفسيرية هو أن الغاية من الضمانات التى تطلبها بريطانيا العظمى ليست إبقاء الحماية حقيقة أو حكما، وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة فى أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد المستقلة من ميزات أهلية ومن مركز دولى.

٤- وإذا كان المصريون قد رأوا فى هذه الضمانات أنها تجاوزت الحد الذى يلتئم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم أن إنجلترا إنما ألجأها إلى ذلك حرصها على سلامة نفسها تلقاء حالة تتطلب منها أشد الحذر. خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع القوات العسكرية، على أن الأحوال التى يمر بها العالم الآن لن تدوم ولايلبث كذلك أن يزول الاضطراب السائد فى مصر منذ الهدنة، والأمل وطيد فى أن الأحوال العالمية صائرة إلى التحسن.. هذا من جانب، ومن جانب آخر - فكما

قليل فى المذكرة - سيجىء وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة إلى الثقة بما تقدمه هى من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الأجنبية.

٥- أما أن تكون إنجلترا راغبة فى التدخل فى إدارة مصر الداخلية فذلك ماقلت فيه الحكومة البريطانية- ولاتزال تقول- إن أصدق رغباتها وأخلصها هو أن تترك للمصريين إدارة شئونهم.. ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذى عرضته بريطانيا العظمى عن هذا المعنى، وإذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين لوزارتى المالية والحقانية فإن الحكومة البريطانية لم ترم بذلك إلى استخدامهما للتدخل فى شئون مصر، وكل ماقصده هو أن تستبقى إدارة اتصال تستدعيها حماية المصالح الأجنبية.

٦- هذا هو كل مرمى الضمانات البريطانية، ولم تصدر هذه الضمانات قط عن رغبة فى الحيلولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة فى حكومة أهلية.

٧- فإذا كانت هذه هى نوايا إنجلترا فلا يمكن لأحد أن ينكر أن إنجلترا يعز عليها أن ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الأجل الذى يبلغون فيه مطمحاً ترغب فيه إنجلترا كما تتوق إليه مصر، أو أن ينكر أنها تكره أن ترى نفسها مضطرة إلى التدخل لرد الأمن إلى نصابه كلما أدركه اختلال يثير مخاوف الأجانب ويجعل مصالح الدول فى خطر.. وإنه ليكون مما يؤسف له أن يرى المصريون فى التدابير الاستثنائية التى اتخذت أخيراً أى أساس بمطمحهم الأسمى أو أية دلالة على تغيير القاعدة الأساسية التى سبق بيانها فإن الحكومة البريطانية لم يعد غرضها أن تضع حداً لتهيج ضار قد يكون لتوجيهه إلى أهواء العامة نتائج تذهب بثمره الجهود القومية المصرية ولذلك كان الذى روعى بوجه خاص فيما اتخذ من التدابير مصلحة القضية المصرية. التى تستفيد من أن البحث فيها يجرى فى جو قائم على الهدوء والمناقشة والإخلاص.

٨- والآن وقد بدت تعود السكينة إلى ماكانت عليه بفضل الحكمة التى هى

قوام الخلق المصرى، والتي تتغلب فى الساعات الحاسمة. فإننى لسعيد أن أنهى إلى عظمتكم أن حكومة جلاله الملك تنوى أن تشير على البرلمان بإقرار التصريح الملحق بهذا، وإننى لعلى يقين بأن هذا التصريح يوجد حالة تسود فيها الثقة المتبادلة ويضع الأساس لحل المسألة المصرية حلاً نهائياً مرضياً.

٩- وليس ثمة ما يمنع منذ الآن من إعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسى والقنصرى لمصر.

١٠- أما إنشاء برلمان يتمتع بحق الإشراف والرقابة على السياسة والإدارة فى حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية فالأمر فيه يرجع إلى عظمتكم وإلى الشعب المصرى.

وإذا أبطأ لأى سبب من الأسباب إنفاذ قانون التضمينات (إقرار الإجراءات التى اتخذت باسم السلطة العسكرية) السارى على جميع ساكنى مصر، والذى أشير إليه فى التصريح الملحق بهذا فإننى أود أن أحيط عظمتكم علماً بأننى - إلى أن يتم إلغاء الإعلان الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ - سأكون على استعداد لإيقاف تطبيق الأحكام العرفية فى جميع الأمور المتعلقة بحرية المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية.

١١- فالكلمة الآن لمصر، وإنه ليرجى أنها- وقد عرفت مبلغ حسن استعداد الحكومة البريطانية ونواياها- تسترشد فى أمرها بالعقل والروية لابعامل هؤلاء.

ولى مزيد الشرف الخ.

النجبى (فيلد مارشال)

تصريح لمصر

بما أن حكومة جلالة الملك عملاً بنواياها التي جاهرت بها ترغب في الحال في الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة.

وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهمية جوهرية للإمبراطورية البريطانية.

فبموجب هذا تعلن المبادئ الآتية :

١ - انتهت الحماية البريطانية على مصر. وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة.

٢ - حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمنيات (اقرار الإجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ الفعل على جميع ساكنى مصر تلغى الأحكام العرفية التي أعلنت في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤.

٣ - إلى أن يحين الوقت الذى يتسنى فيه إبرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالأمور الآتى بيانها، وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الأمور وهى :

(أ) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية فى مصر.

(ب) الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبى بالذات أو بالوساطة.

(ج) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات.

(د) السودان.

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الأمور على ما هى عليه الآن.

مشروع اتفاق ثروت - تشمبرلن

وفى شهر يوليو سنة ١٩٢٧ سافر المرحوم ثروت باشا إلى لندن وفأوض
السير أوتسن تشمبرلن وزير الخارجية البريطانية لحل القضية المصرية فاتفقا
مبدئياً على وضع المشروع الآتى نصه :

إن حضره صاحب الجلالة ملك مصر.

وحضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا والأراضى البريطانية
فيما وراء البحار وإمبراطور الهند.

رغبة فى توثيق عرى الصداقة وحرصاً على حسن العلاقات ودوامها بين
البلدين وبما أنه يقتضى تحقيقاً لهذه الرغبة، أن تعين العلاقات بين البلدين
تعييناً دقيقاً وذلك بأن تحل المسائل المعلقة وتحدد، وهى المسائل التى رأت حكومة
حضرة صاحب الجلالة البريطانية وجوب الاحتفاظ بها فى تصريح ٢٨ فبراير
سنة ١٩٢٢.

ورغبة فى قطع السبل دون إمكان التدخل فى إدارة مصر الداخلية ونظراً إلى
أن خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية هى عقد معاهدة صداقة وتحالف تسهل فى
مصلحة تلك الحكومتين المتعاقبتين تعاونهما الفعلى فى القيام بواجبهما
المشترك، واجب الدفاع عن مصر وتحقيق استقلالها.

قررا عقد معاهدة لهذا الغرض وعينا المفاوضين عنهما وهما... وبعد أن تبادلوا
أوراق التفويض الكامل وتبينت صحة هذه الأوراق قد اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى - تعقد بين الحكومتين المتعاقبتين محالفة تؤكد قيام الصداقة
والاتفاق الودى وحسن العلاقات بينهما.

المادة الثانية - يتعهد حضرة صاحب الجلالة ملك مصر بأن لايتخذ فى البلاد

الأجنبية موقفاً يتنافى مع المحالفة، أو موقفاً يجوز أن يفضى إلى إثارة صعوبات لحضرة صاحب الجلالة البريطانية كما يتعهد بأن لا يسلك فى البلاد الأجنبية مسلك المعارضة للسياسة التى يتبعها حضرة صاحب الجلالة البريطانية وأن لا يعقد مع الدول الأجنبية أى اتفاق يكون مضرًا بالمصالح البريطانية.

المادة الثالثة - إذا استهدف حضرة صاحب الجلالة ملك مصر لأية غارة أو اعتداء أيا كان نوعه أو أصبح فى حالة للدفاع عن أراضيه أو لحماية مصالح بلاده يقوم فى الحال حضرة صاحب الجلالة البريطانية لإنجاده بصفة محارب، وذلك مع عدم الإخلال بما نص عليه من الأحكام فى ميثاق جمعية الأمم.

المادة الرابعة - إذا حدثت ظروف من شأنها أن تجعل خطراً ما بين حضرة صاحب الجلالة ملك مصر وإحدى الدول الأجنبية فى حسن العلاقات، أو أن تهدد حياة الأجانب وأموالهم فى مصر يتشاور جلالته فى الحال مع حضرة صاحب الجلالة البريطانية لاتخاذ أنجع الوسائل لحل الإشكال.

المادة الخامسة - لأجل ضمان التعاون بين الجيشين المنصوص عليه فى المادة الثالثة تتعهد الحكومة المصرية أن يكون تعليم الجيش المصرى وتدريبه حسب الأساليب المتبعة فى الجيش الإنكليزى، وإذا رأت الحكومة المصرية ضرورة لاستخدام ضباط أو مدربين من الأجانب فتختارهم من الرعايا البريطانيين.

المادة السادسة - إذا تهدد حضرة صاحب الجلالة البريطانية وقوع حرب أو إذا وجد فى حالة حرب، ولو لم يكن يترتب على هذه الحرب أى مساس بحقوق مصر ومصالحها يبذل حضرة صاحب الجلالة ملك مصر لحضرة صاحب الجلالة البريطانية فى الأراضى المصرية كل ما فى وسعه من التسهيلات والمساعدة. بما فى ذلك استخدام موانئها ومطاراتها وجميع طرق المواصلات فيها.

المادة السابعة - تحقيقاً وتسهيلاً لقيام حضرة صاحب الجلالة البريطانية بحماية مواصلات الإمبراطورية البريطانية وريثما يحين الوقت لعقد اتفاق يعهد

بموجبه لحضرة صاحب الجلالة ملك مصر بمهمة تحقيق هذه الحماية، يرخص حضرة صاحب الجلالة ملك مصر لحضرة صاحب الجلالة البريطانية بأن يبقى فى الأراضى المصرية من القوات المسلحة ما ترى حكومة حضرة صاحب الجلالة ضرورة وجوده لهذا الغرض. ولا يكون لوجود هذه القوات مطلقاً صفة الاحتلال ولا يخل بوجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية.

وبعد انقضاء مدة عشر سنوات من تاريخ العمل بهذه المعاهدة تعيد الحكومتان المتعاقدتان النظر فى مسألة المكان الذى تستقر فيه تلك القوات مسترشدين فى ذلك بما قد تكونان أحرزتا من الخبرة فى تنفيذ أحكام هذه المعاهدة. وفى حالة عدم الاتفاق تعرض المسألة على جمعية الأمم. وإذا لم يكن قرار جمعية الأمم موافقاً الحكومة المصرية جاز بناء على طلبها وبالشروط نفسها إعادة النظر فى المسألة فى آخر كل خمس سنوات. ابتداء من صدور القرار المذكور.

المادة الثامنة - نظراً لما بين البلدين من روابط الصداقة ولما تنشئه هذه المعاهدة من التحالف تمنح الحكومة المصرية بوجه عام للرعايا البريطانيين الأفضلية على غيرهم فى حالة استخدام أجانب بصفة موظفين.

ولا يعين من رعايا الدول الأخرى إلا إذا لم يوجد من الرعايا البريطانيين من يكونون حائزين للمؤهلات والشروط المطلوبة.

المادة التاسعة - يبذل حضرة صاحب الجلالة البريطانية كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات فى مصر للحصول على تعديل نظام الامتيازات الجارى العمل به، وجعله أكثر ملاءمة لروح العصر والحالة الحاضرة فى مصر.

المادة العاشرة - يبذل حضرة صاحب الجلالة البريطانية وسلطته لقبول مصر فى جمعية الأمم ويعضد الطلب الذى تقدمه مصر لهذا الغرض وتصرح مصر من جانبها بأنها مستعدة لقبول الشروط المطلوبة للاندماج فى تلك الجمعية.

المادة الحادية عشرة - بالنظر إلى العلاقات الخاصة التى تنشئها المحالفة بين الحكومتين المتعاقبتين يمثل حضرة صاحب الجلالة البريطانية سفير فى بلاط حضرة صاحب الجلالة ملك مصر. يعتمد بحسب الأصول المرعية ويخوله حضرة صاحب الجلالة ملك مصر حق التقدم على أى ممثل أجنبى آخر.

المادة الثانية عشرة - لاتخل أحكام هذه المعاهدة بأى وجه من الوجوه بالحقوق والتعهدات التى تنجم أو يجوز أن تنجم لكل من الطرفين المتعاقدين عن ميثاق جمعية الأمم.

المادة الثالثة عشرة - الترتيبات التى يقتضيها تنفيذ بعض نصوص هذه المعاهدة واردة فى الملحق المرفق بها. ويكون للملحق ما للمعاهدة من حيث النفاذ وتكون مدته مدتها.

المادة الرابعة عشرة - إنه وإن تكن كلتا الحكومتين المتعاقبتين على يقين من أنه مع الإيضاحات السابق الإشارة إليها عن طبيعة العلاقات بين البلدين لا يحتمل وقوع أى سوء تفاهم بينهم إلا أنهما رغبة فى الحرص على حسن علاقاتهما قد اتفقتا على أن كل خلاف ينشأ عن تطبيق أو تفسير أى حكم من تلك الأحكام لم يتيسر حله بمفاوضات مباشرة يكون الفصل فيه طبقاً لأحكام ميثاق جمعية الأمم.

تعتمد هذه المعادة ويكون تبادل الاعتماد فى أقرب وقت.

بناء على ذلك وقع المفوضون هذه المعاهدة ووسموها بختم الفريقين

فى من نسختين بتاريخ.

ملحق - ١

١- ما لم يتفق مقدماً بين الحكومتين المتعاقبتين على العكس يحتفظ فى الجيش المصرى مدة العشر السنوات المشار إليها فى المادة السابعة من المعاهدة

بالموظفين البريطانيين فى الدرجات الموجودة الآن فى وظائفهم الحالية، وبالشروط المنصوص عليها فى العقود المعمول بها.

ب - لا تدرب الحكومة المصرية رجال الجيش المصرى فى الخارج إلا فى بريطانيا العظمى، وتتعهد حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية من جانبها بقبول كل بعثة توفدها الحكومة المصرية لهذا الغرض إلى بريطانيا العظمى.

ج - تكون أسلحة الجيش المصرى من نفس الطراز المستعمل فى الجيش البريطانى، وتبذل حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية وسلطانها إذا طلبتها الحكومة المصرية لتسهيل توريد تلك الأسلحة من بريطانيا العظمى.

د - تحتفظ القوات البريطانية فى مصر بما تتمتع به الآن من مزايا وامتيازات وتضع الحكومة المصرية مجاناً تحت تصرف تلك القوات الأراضى والمباني التى تشغلها الآن. وذلك إلى أن يعين المكان الذى تستقر فيه تلك القوات عملاً بالفقرة الثانية من المادة السابعة من المعاهدة. وعلى أثر هذا التغيير تعود الأراضى والمباني التى تجلو عنها القوات إلى حوزة الحكومة المصرية. على أن تضع الحكومة المصرية مجاناً تحت تصرف تلك القوات ما يعادلها من الأراضى والمباني فى الجهات التى تنقل إليها.

هـ - تحظر الحكومة المصرية الطيران فوق شقة من الأرض عرضها عشرون كيلو متراً عن كل من جانبى قناة السويس ما لم تقرر الحكومتان المتعاقدتان بالاتفاق بينهما ما يخالف ذلك، على أن هذا الحظر لا يسرى على قوات كل من الحكومتين المتعاقدتين، ولا على ما هو قائم الآن من خدمات الطيران المنظمة بناء على الترتيبات المعمول بها.

- ٢ -

أ - تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية مستشاراً مالياً تخوله فى الوقت الملائم السلطات التى يتولاها الآن

أعضاء صندوق الدين. ويحاط علماً بكل مشروع تشريعى مما يقتضى الآن مصادقة الدول ذوات الامتيازات ليكون نافذاً على الأجانب، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية فى غير ذلك من الشؤون التى ترى استشارته فيها.

ب - بالنظر إلى تعديل النظام القضائى المنصوص عليه فى المادة التاسعة من المعاهدة تعين الحكومة المصرية بالاتفاق أيضاً مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية مستشاراً قضائياً يحاط علماً بكل ما يمس أداء القضاء فيما يتعلق بالأجانب. ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية فى غير ذلك من الشؤون التى ترى استشارته فيها.

ج - إلى أن يجرى العمل بإصلاح نظام الامتيازات المنصوص عليه فى المادة التاسعة من هذه المعاهدة على أثر ما يعقد من الاتفاقات بين مصر والدول ذات الشأن لاتغير الحكومة المصرية فى عدد أو اختصاص الموظفين البريطانيين الذين يشغلون الآن بإدارة الأمن العام والبوليس إلا بعد الاتفاق على ذلك مع حكومة حضرة صاحب الجلالة الملك.

مشروع النحاس - هندرسن

وقد كان نصيب هذا المشروع الرفض من جانب جميع الهيئات السياسية لكونه لا يحقق رغائب البلاد. على أن الحكومة الإنكليزية عادت فى شهر يوليو سنة ١٩٢٩ فدعت الحكومة المصرية إلى الدخول فى مفاوضات جديدة لحل المشكلة المصرية. فتولاها محمد محمود باشا، وتسلم المشروع البريطانى المعروف باسم هندرسن، واضطر للاستقالة قبل البت فيه فخلفته وزارة برياسة مصطفى النحاس باشا، وقد سافر إلى لندن على رأس وفد فى شهر إبريل سنة

١٩٣٠ ففاوض المستر هندرسن، واتفقا على وضع المشروع الآتى. ثم انقطعت المفاوضات ليلة ٩ مايو بسبب النص الخاص بالسودان.

إن حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند.

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر

رغبة منهما فى تعزيز الصداقة وعلاقات حسن التفاهم بينهما، والتعاون على القيام بالتزاماتهما الدولية لحفظ سلام العالم.

واعتقاداً منهما بأن هذه الأغراض إنما يمكن تحقيقها على الوجه الأفضل بعقد معاهدة صداقة وتحالف تنص لمصلحتهما المشتركة على التعاون الفعال لحفظ السلام، وضمان الدفاع عن أراضيها وتنظم علاقاتهما المتبادلة فى المستقبل.

قد أئفقا على عقد معاهدة لهذه الغاية، وأنايا عنهما المفوضين الآتين :

حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند - عن بريطانيا وشمال إرلندا.

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر.

اللذين بعد أن تبادلوا وثائق تفويضهما التام التى وجدت صالحة ومستوفاة الشكل قد اتفقات على ما يأتى :

المادة الأولى - انتهى احتلال مصر عسكرياً بجيوش صاحب الجلالة البريطانية.

المادة الثانية - بما أن مصر تنوى أن تطلب الدخول فى عضوية جمعية الأمم فإن صاحب الجلالة البريطانية يعترف بحقها كدولة مستقلة ذات سيادة بأن تصبح عضواً بالعصبة عند قيامها بأحكام ميثاق العصبة.

المادة الثالثة - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بأن الحكومة المصرية هي وحدها المسئولة عن أرواح الأجانب وأموالهم في مصر، وهي التي تتولى تنفيذ واجباتها في هذا الصدد.

المادة الرابعة - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بأن نظام الامتيازات القائم في مصر الآن لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة.

ومن الآن يتعهد صاحب الجلالة البريطانية ببذل كل ما له من النفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات بقصد مساعدة مصر في الحصول - بالشروط التي تؤمن المصالح المشروعة للأجانب - على نقل اختصاص المحاكم القنصلية الحالية إلى المحاكم المختلطة، وتطبيق التشريع المصرى على الأجانب.

المادة الخامسة - تعقد محالفة بين الفريقين المتعاقدين لتعزيز الصداقة والتفاهم الودى وحسن العلاقات بينهما.

المادة السادسة - يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين أن لا يتخذ في البلاد الأجنبية موقفاً لا يتفق مع هذه المحالفة. وأن لا يعقد معاهدات سياسية تتعارض مع نصوص هذه المعاهدة.

المادة السابعة - إذا افضى خلاف قائم بين أحد الطرفين المتعاقدين ودولة أخرى إلى حالة فيها خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة فيتشاور الطرفان لتسوية ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقاً لأحكام ميثاق عصبة الأمم أو لأية التزامات دولية أخرى تكون منطبقة على الحالة القائمة.

المادة الثامنة - إذا اشتبك أحد الطرفين المتعاقدين في حرب - رغم أحكام المادة السابعة المتقدم ذكرها - فإن الفريق الآخر يقوم في الحال بإنجاده بصفته حليفاً وذلك مع مراعاة أحكام المادة الثانية عشرة التي ستذكر فيما بعد. وتكون مساعدة صاحب الجلالة ملك مصر في حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم منحصرة في أن يقدم إلى صاحب الجلالة البريطانية داخل حدود الأراضي

المصرية جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعه، ومن ضمنها استخدام موانئ ومطاراته وطرق مواصلاته. على أن يكون ذلك مطابقاً لنظام الإدارة والتشريع المصرى، وبناء على ذلك فالحكومة المصرية هى التى تتخذ جميع الوسائل الإدارية والتشريعية اللازمة لجعل هذه التسهيلات والمساعدات فعالة.

المادة التاسعة - بما أن قنال السويس، الذى هو جزء لا يتجزأ من مصر، هو فى الواقع طريق المواصلات العالمية. كما هو أيضاً طريق أساسى للمواصلات بين الأجزاء المختلفة للإمبراطورية البريطانية، فيألى أن يحين الوقت الذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل حرية الملاحة فى القنال وسلامة الدولة يرخص جلالة مصر لصاحب الجلالة البريطانية أن يضع بجوار الإسماعيلية فى المنطقة المحددة فى المذكرة المرفقة من القوات مالايزيد على العدد المحدد فى المذكرة المذكورة، وذلك للتعاون مع القوات المصرية فى الدفاع عن قنال السويس، ولهذا الغرض نفسه ينقل مستودع قوة الطيران الملكية من أبى قير إلى بور فؤاد. ولا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال مطلقاً، ولا يخل بأى وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية.

ومن المتفق عليه أنه عند نهاية مدة العشرين سنة المحددة فى المادة الرابعة عشرة - إذا كان قد قام خلاف بين الفريقين المتعاقدين - على ما إذا كان وجود القوة البريطانية لم تبق به ضرورة لأن القوات المصرية أصبحت تستطيع بمفردها المحافظة على حرية الملاحة وسلامتها التامة. فإن ذلك الخلاف يجوز عرضه على عصبة الأمم لتسويته بمعرفتها.

المادة العاشرة - يقوم بتمثيل صاحب الجلالة البريطانية لدى بلاط جلالة ملك مصر ويتمثل بجلالة مصر لدى بلاط سانت جيمس سفراء معتمدون بالطرق المرعية.

المادة ١١ - خاصة بالسودان لم يتفق عليها.

المادة ١٢ - هى نفس المادة ١٤ من المقترحات مع تغيير كلمة مقترحات بكلمة معاهدة.

المادة ١٣ - هى نفس المادة ١٥ مع تغيير كلمة مقترحات بكلمة معاهدة.

المادة ١٤ - فى أى وقت بعد انقضاء عشرين سنة من العمل بهذه المعاهدة يتفاوض الطرفان المتعاقدان بناء على طلب أحدهما لإعادة النظر بالاتفاق بينهما فى نصوص المعاهدة بحسب مايرى ملائماً فى الظروف التى تكون قائمة إذ ذاك. فإذا لم يتفقاً يعرض الخلاف على عصبة الأمم لتسويته.

ومع ذلك ففى أى وقت بعد انقضاء مدة عشر سنوات على العمل بهذه المعاهدة يمكن الدخول فى مفاوضات باتفاق الفريقين المتعاقدين لإعادة النظر فى المعاهدة كما ذكر أنفاً.

المادة ١٥ - تلغى المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات والوثائق الأخرى التى يتنافى بقاؤها مع نصوص هذه المعاهدة. ولكل من الطرفين المتعاقدين أن يطلب فى بحر ستة أشهر ابتداء من تاريخ تنفيذ المعاهدة الحالية قائمة ببيان تلك الاتفاقات والوثائق.

المادة ١٦ - يصدق على المعاهدة الحالية، ويتبادل التصديق عليها فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ويبدأ تنفيذها يوم تبادل التصديق عليها، ويسجل فى عصبة الأمم بالطرق المتبعة.

جلالة الملك والحركة الوطنية

ولانرى بدأ من التنويه بالموقف المشرب بالعطف الذى وقفه جلالته إزاء الحركة الوطنية. وقد وصف ذلك الدكتور مورتن هاول وزير أمريكا المفوض فى مصر سابقاً فى كتاب فقال :

وقد احتفظ جلالة الملك طول مدة الحركة الوطنية بفكره النير. فاستطاع بذلك أن يسدى إلى شعبه فى كل مناسبة النصائح التى كان يميلها عليه إخلاصه لبلاده، وحبه لأمتة، ولم يكد ولادة الأمور الإنكليز يقبضون على سعد زغلول وصحبه وينفونهم إلى مالطه حتى توسط جلالته لدى اللورد اللنبى فى شأنهم ونجح فى إقناع السلطات البريطانية فى إخلاء سبيلهم.

«ولقد عثرت فى خطاب أرسله اللورد اللنبى إلى جلالة الملك على العبارة الآتية وهى : «لم أتوان فى إبلاغ حكومتى الرأى الذى الذى أعربت لى عنه جلالتك عدة مرات وهو ضرورة أقدام الحكومة البريطانية على اتخاذ موقف حاسم فى شأن مقترحات اللورد ملنر بما يطابق أمانى مصر والمصريين، تلك الأمانى التى يعرف الناس مبلغ عطفكم عليها معرفة جيدة».

ولما تكلم الدكتور هاويل عن لجنة ملنر ومهمتها ومقاطعة الشعب المصرى لها قال «إن جلالته كان على رأس المصريين الذين قاطعوها، واستشهد على ذلك بعبارة وردت فى تقرير اللورد ملنر إلى حكومته وهى «وفى الواقع أننا ونحن فى مصر شعرنا بأن جميع المصريين بما فيهم السلطان والوزراء متفقون على المقاطعة».

ثم قال الدكتور «وكننت كلما فكرت فى الحكمة وقوة الشكيمة اللتين يعالج بهما جلالته المشكلات السياسية الكبرى التى ازداد عددها منذ إلغاء الحماية البريطانية وإعلان استقلال مصر. أذكر الرئيس روزفلت الذى كان مثله لا يكل ولا يمل». اهـ

نظام الحكم في مصر

كيف أنشئ النظام الدستوري؟

ظلت مصر حتى العهد الأخير محرومة من حكم برلمانى نيابى يشرك الأمة فى إدارة شؤونها. فلما نهضت نهضتها الأخيرة التى أدهشت العالم اتجهت الأنظار إلى إنشاء حكم نيابى ووضع دستور ينظمه ويصونه. فألفت لجنة خاصة لهذه الغاية، وفى يوم ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ نشر النظام الدستورى الجديد للمملكة المصرية. فكان أول ثمرة من ثمار جهادها الوطنى. وإليك صورة الكتاب الذى رفعه رئيس الوزراء يومئذ إلى جلالة الملك.

مولائى صاحب الجلالة :

إن ما فطرتم عليه من حب الخير لبلادكم وإسعاد أمتكم جعل نهوض شعبيكم الذى تعهدتموه على الدوام بالتشجيع والتأييد من أكبر أمانيتكم. فنال بذلك فى عهدكم السعيد حظاً وافراً من التقدم والارتقاء. وقد أردتم - حفظكم الله - أن تتوجوا أعمالكم الجليلة بأثر عظيم يسجله لكم التاريخ ويبقى ذكره خالداً على ممر العصور والأجيال. فأصدرتم لحكومتمكم أمراً كريماً فى أول مارس سنة ١٩٢٣ بإعداد مشروع لوضع نظام دستورى يحقق التعاون بين الأمة والحكومة فى إدارة شؤون البلاد. فصعدت بالأمر، وتعهدت بوضع مشروع مطابق لمبادئ القانون العام الحديث، ومقرر لمبدأ المسئولية الوزارية، ورأت أن تستعين فى القيام بهذه المهمة الخطيرة بأراء هيئة يكون أعضاؤها من ذوى الخبرة والصفة النيابية، فشكلت لجنة منهم عهدت إليها فى وضع مشروع للدستور تتحقق به المبادئ المذكورة على الوجه المتقدم. وقد قامت تلك اللجنة بما عهد إليها بعزيمة صادقة همة كبرى تستحق عليها الشكر والثناء، ورفعت مشروعها إلى الحكومة.

ثم قال :

«وانى وزملائى لنغبط بأن قدر إتمام هذا العمل الجليل على أيدينا. فأتشرف

برفع المشروع لاعتبات مولاي حتى إذا صادف قبولاً حسناً تفضل بتتويجه بأمره الكريم :

«وإنا نبتهل إلى الله جلت قدرته أن يحفظكم ذخراً للبلاد، وأن يجعل الحريات فى ظلكم مصونة، والحقوق فى جواركم مقدسة، وأن يجعل عهد هذا الدستور عهداً سعيداً حافلاً بالخير والبركات، وأن يوفق الأمة فى حياتها الدستورية المجيدة إلى سلوك سبيل الحكمة والرشاد».

فرد جلالة الملك بإصدار الأمر الملكى الآتى :

عزيزى :

أطلعنا على مشروع الدستور الذى عنيتم بتحضيره ورفعتموه إلينا، وإنا لشاكرون لكم ولزملائكم ما بذلتم من الهمة فى وضعه وما توخيتم فيه من مصلحة الأمة وفائدتها، وبما أنه وقع لدينا موقع القبول فقد اقتضت إرادتنا إصدار أمرنا به راجين أن يكون فاتحة خير لتقدم الأمة وارتقائها وعنواناً دائماً لمجدها وعظمتها.

والله المعين على ما فيه الخير والسداد.

ويقع الدستور فى ١٦٩ مادة. وقد جاء فى مادته الأولى ما نصه : مصر دولة ذات سيادة، وهى حرة مستقلة لايتجزأ ملكها ولاينزل عن شئ منه، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى.

وجاء فى المادة ٢٣ : أن جميع السلطات مصدرها الأمة واستعمالها يكون على الوجه المبين فى هذا الدستور. وجاء فى المادة ٢٤ : أن السلطة التشريعية يتولاها الملك بالاشتراك مع مجلس الشيوخ والنواب. ولايصدر قانون إلا إذا أقره البرلمان وصدق عليه الملك. وجاء فى المادة ٢٣ : عرش المملكة المصرية وراثى فى أسرة محمد على، وتكون وراثه العرش وفق النظام المقرر بالأمر الملكى الكريم الصادر فى ١٥ شعبان سنة ١٣٤٠هـ.

على أن هذا الدستور عدل بأمر ملكى رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠ بدستور أضيق اختصاصات من ذاك نشر يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠ وهو الدستور النافذ الآن.

علاقات مصر مع الدول الإسلامية والغربية

تم فى عهد جلالته تنظيم العلاقات السياسية بين مصر وإيران وأفغانستان والعراق بموجب معاهدات رسمية. ولاتزال المفاوضات مستمرة لتنظيمها مع تركيا والبلاد العربية السعودية.

واليك صورة المعاهدة المعقودة بين مصر وإيران :

حضرة صاحب الجلالة الأمبراطورية شاه الفرس.

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر.

نظراً لما لدى جلالتهما من خالص الرغبة فى زيادة توثيق عرى الصداقة الكائنة بين دولتيهما قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقتهما الودية وذلك إلى أن تعقد اتفاقات قنصلية وجمركية وتجارية.

وعينا مندوبيهما المفوضين لهذا الغرض :

من لدن حضرة صاحب الجلالة الإمبراطورية شاه الفرس حضرة صاحب السعادة فتح الله خان بكرفان القائم بإدارة وزارة خارجيته.

ومن لدن حضرة صاحب الجلالة ملك مصر صاحب السعادة حسن نشأت باشا مندوبه فوق العادة ووزيره المفوض بطهران. اللذين بعد أن تبادلوا وثائق تفويضهما وتبيننا صحتها ومطابقتها للأصول المرعية اتفقا على الأحكام الآتية :

المادة الأولى - يكون بين الإمبراطورية الفارسية والمملكة المصرية وبين رعاياهما سلام دائم وصداقة خالصة.

المادة الثانية - يتمتع الممثلون السياسيون لكل من الطرفين المتعاقدين وجميع أفراد بعثاتهم المعتبرين من هيئة التمثيل السياسى فى بلاد الطرف الآخر بنفس

الامتيازات والتعظيمات والحصانات التي يتمتع بها ممثلو الدول الأخرى ووكلاؤها السياسيون، وذلك على أساس التبادل.

المادة الثالثة : يجوز لكل من الطرفين المتعاقدين أن يعين لدى الدولة الأخرى قناصل من طائفة الموظفين يقيمون في العاصمة أو في المدن المهمة التي يسمح عادة للوكلاء الأجانب بالإقامة فيها.

ويجوز كذلك لكل من الطرفين المتعاقدين أن يعين بعد الحصول مقدماً على موافقة الدولة الأخرى قناصل ووكلاء قناصل ووكلاء قنصليين شرفيين من غير طائفة الموظفين يقيمون في المدن السابق ذكرها. إنما لايجوز بحال انتخابهم من بين رعايا الدولة التي يقيمون بها. ويتمتع أفراد الطائفتين بعد حصولهم على الأجازة اللازمة لقيامهم بأعمالهم بالامتيازات الشرفية والحصانات المتفق عليها لكل منهما في القانون الدولي العام، وذلك على أساس التبادل.

المادة الرابعة - يكون لرعايا كل من الطرفين المتعاقدين الحرية التامة في دخول بلاد الطرف الآخر والإقامة فيها. فلهم فيها حرية الذهاب والإياب والطواف والإقامة طبق اللوائح المعمول بها في البلاد، ويتمتعون مثلهم مثل الوطنيين بالحماية المستمرة التامة، وبالأمن بالنسبة لأشخاصهم وأموالهم وحقوقهم ومصالحهم طبقاً لقواعد القانون الدولي العام.

ولا تمنع هذه المادة من حق الإبعاد المستعجل في الحالات الفردية وفاقاً لما يجرى العمل عليه في القانون الدولي العام ولقواعد القانون المذكور.

المادة الخامسة - يجوز لرعايا الطرفين المتعاقدين أن يباشروا في بلاد الطرف الآخر كافة أنواع الصناعة والتجارة وكل حرفة أو مهنة مهما كانت إلا ما خصت منها بقوانين البلاد للوطنيين دون الأجانب، وما تحتكره الدولة أو تعطى امتيازاً باحتكاره.

ويكون لهم حق امتلاك وحياسة المنقولات والعقارات والتصرف فيها مع مراعاة

القوانين واللوائح المعمول بها في البلاد التي يقيمون فيها، وتكون حالهم في ذلك كله كحال أكثر الدول امتيازاً لديها، ولا يجوز أسوة بالوطنيين نزع أملاكهم ولا حرمانهم من الانتفاع بها ولو مؤقتاً إلا لسبب يعتبر قانوناً من المنافع العامة وفي مقابل تعويض.

المادة السادسة - رعايا كل طرف من الطرفين المتعاقدين في بلاد الطرف الآخر أسوة بالوطنيين في الخضوع للتشريع المحلي من قوانين ومراسيم وقرارات ولوائح في المسائل الجنائية والمدنية والتجارية والإدارية والمالية وغيرها كما يخضعون لجهات الاختصاص المخصصة للوطنيين.

وتطبق الجهات المختصة قانوناً في مسائل الأحوال الشخصية من جهات الاختصاص السابقة الذكر التشريع الأهلى الخاص بالمتقاضين طبقاً لقواعد القانون الدولى، وذلك في حالة التجاء أحد خصوم الدعوى إليها.

ولا تـخل الأحكام السابقة بالاختصاصات المعترف بها عموماً للقناصل بمقتضى العادات الدولية في مسائل الأحوال المدنية بحقهم في الاختصاص العرفى.

المادة السابعة - يعفى رعايا كل من الطرفين المتعاقدين في بلاد الطرف الآخر من جميع الالتزامات الشخصية أو السخرة أو المعونة ذات الصبغة العسكرية وكذلك يعفون من كل إعانة أهلية أو قرض جبرى أو ضريبة استثنائية فرضت لحاجات حربية.

المادة الثامنة - يوافق الطرفان المتعاقدان على أن يعقد بينهما فى أقرب فرصة اتفاقات قنصلية وجمركية وتجارية مبنية على المساواة التامة فى الحقوق بين الدولتين.

المادة التاسعة - يعمل بهذه المعاهدة لمدة خمس سنوات. فإذا لم يبطلها أحد الطرفين المتعاقدين فى ظرف ستة شهور سابقة على انتهاء السنوات الخمس

الأولى جاز إبطالها بعد مضى السنوات الخمس فى أى وقت بإخطار يسبق تاريخ الإبطال بستة شهور.

المادة العاشرة - يصدق على هذه المعاهدة ويتبادل التصديق فى طهران بأسرع ما يمكن.

المادة الحادية عشرة - يعمل بهذه المعاهدة ابتداء من تاريخ تبادل التصديق عليها.

المادة الثانية عشرة - وضعت هذه المعاهدة فى صورتين باللغات العربية والفارسية والفرنسوية وفى حالة حدوث خلاف يعتمد النص الفرنسوى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨.

معاهدة الصداقة بين مصر وأفغانستان

وفى يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٨ عقدت فى القاهرة معاهدة صداقة بين مصر وأفغانستان وهذا نصها :

نظراً لما بين مصر وأفغانستان من الصلات التاريخية والروابط الطبيعية وروغبة فى وثيق عرى المودة وإنماء علاقات الصداقة بين البلدين بعقد معاهدة مودة وصداقة بينهما، قد عين جالتهما مندوبيهما المفوضين الآتيين :

من لدن حضرة صاحب الجلالة ملك مصر حضرة صاحب المعالى واصف بطرس غالى باشا وزير الخارجية.

ومن لدن صاحب الجلالة ملك أفغانستان والأشبان جلالة مآب سردار على أحمد خان تاج أفغان والى ولاية كابول اللذين بعد أن تبادلوا وثائق تفويضهما وتبيننا صحتها ومطابقتها للأصول المرعية اتفقا على ما يأتى :

مادة ١ - يكون بين المملكتين المصرية والأفغانية وبين رعاياهما سلام لا ينقض وصدقة خالصة دائمة.

مادة ٢ - يوافق الطرفان على تأسيس العلاقات السياسية بين الدولتين وفقاً لمبادئ القانون الدولي ويوافقان على أن يلقي ممثلو وموظفو كل منهما السياسيون في بلد الآخر المعاملة المقررة بمقتضى المبادئ العامة للقانون الدولي العام، وذلك على أساس التبادل.

مادة ٣ - يوافق الطرفان على عقد معاهدات اقتصادية وتجارية بينهما في الوقت المناسب.

مادة ٤ - وضعت هذه المعاهدة باللغتين العربية والفارسية وكلاهما أصل معتمد ويصدق عليهما ويتبادل التصديق في كابل بأسرع ما يمكن ويعمل بهما بعد تبادل التصديق.

وتأييداً لما تقدم وقع المندوبان المفوضان هذه المعاهدة ووضعاً عليها ختميهما.

معاهدة مصر والعراق

وفى يوم الأربعاء ٢٢ إبريل سنة ١٩٣١ وقع في دار وزارة الخارجية المصرية على معاهدة صداقة وود وتبادل المجرمين العاديين بين مصر والعراق، وقد وقعها عن الأولى عبدالفتاح باشا يحيى وزير الخارجية. كما وقعها عن الثانية نوري باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية.

علاقات مصر واليمن

في شهر فبراير سنة ١٩٢٩ وصل القاهرة مندوب من قبل سيادة الإمام يحيى يحمل كتاباً خاصاً إلى جلالة الملك فؤاد كتب بلجهة ودية، وأعرب فيه

سيادة الإمام عن رغبته فى توطيد الصلات الودية والأخوية القائمة بين البلدين وتعزيزها فأرسل جلالة الملك كتاباً خاصاً لسيادته حملة الأستاذ حسن حسنى الموظف فى وزارة الخارجية المصرية رداً على كتابه، وقد كتب باللهجة نفسها.

ولما جاءت الأخبار فى شهر يوليو سنة ١٩٣٣ بمرض سيادة الإمام يحيى تفضل جلالة الملك فأمر بإرسال طبيبين من أطباء الحكومة المصرية إلى صنعاء لمعالجة سيادته. فسافرا وأديا هذه المهمة على الوجه الأكمل ثم عادا سالمين يحملان كتاب شكر إلى جلالته من الإمام.

الإصلاح بين نجد والحجاز

فى أثناء الحرب الحجازية النجدية أمر جلالة الملك فؤاد بإرسال وفد إلى مكة للتوفيق وإصلاح ذات البين. وقد تألف هذا الوفد من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى رئيس المحكمة الشرعية العليا يومئذ، وشيخ الأزهر بعد ذلك وعبد الوهاب بك طلعت من موظفى الديوان العالى، وسافر إلى جدة يوم ١٠ سبتمبر سنة ٩٢٥ ثم عاد إلى مصر يوم ٦ أكتوبر فقابل جلالته وبسط على مسامعه نتائج مهمة.

علاقات مصر مع الدول الأجنبية

وعلاقات مصر مع جميع الدول الأجنبية على أفضل مايرام من الود والصفاء وقد زار جلالة الملك فؤاد أوروبا مرتين. الأولى فى سنة ١٩٢٧ والثانية فى مصر ١٩٢٩ فلقى من ملوكها وأمرائها وشعوبها ورؤساء حكوماتها وعلمائها وأدبائها ورجالهم مزيد العناية والرعاية. وقد رد له زيارته جلالة ملك البلجيك ثم جلالة ملك إيطاليا، وقد زار مصر أخيراً فى شهر فبراير سنة ١٩٣٣.

العراق

العراق

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

العراق هو أحد الأقطار العربية التي انفصلت عن تركيا في ختام الحرب العظمى، وأنشأت دولة عربية مدنية اعترف العالم باستقلالها.

ويمتاز العراق في التاريخ الإسلامي بقيام الدولة العباسية، أعظم دول الإسلام شأنًا في ربوعه. فكانت عاصمتها بغداد محط رحال العلماء ومهبط الحكماء والشعراء. كما يمتاز في التاريخ الحديث بوجود منابع النفط في شماله ويخصب أراضيه وجودة إقليمه، ويعد من أعظم الأقطار الزراعية في العالم، ويرجى أن يكون له شأن كبير.

ومساحه العراق السطحية ١٤٢٢٥٠ ميلاً مربعاً، وطول حدوده البرية ٢٠٠٠ ميل وطول حدوده البحرية ٥٠ ميلاً. وعاصمته بغداد. ومن مدنه الكبرى الموصل والبصرة وكربلاء والنجف وكركوك والسليمانية والحلة.

وعدد نفوسه بموجب إحصاء سنة ١٩٢٠ - ٢٨٤٩٢٨٢ نسمة. ولاريب أنهم زادوا زيادة كبيرة في خلال هذه المدة منهم ٨٧٨٤٤ يهودياً و٧٨٧٩٢ مسيحياً والباقيون عرب مسلمون.

ويحد العراق من الشمال الترك، ومن الشرق الفرس، ومن الغرب الشام وشرقي الأردن، ومن الجنوب نجد.

ويبلغ عدد جيشه في الوقت الحاضر عشرة آلاف جندي، ولم تقرر الخدمة الإلزامية حتى الآن.

ونظام الحكم في العراق ملكي دستوري نيابي، وملكه اليوم هو جلالة الملك فيصل الأول ابن الحسين الهاشمي. وهذا رسمه :

جلالة الملك فيصل الأول



ملك العراق

جلالة الملك فيصل الأول

ملك العراق

مولده ونشأته

هو فيصل بن الحسين الهاشمي القرشي. ولد في مكة يوم ٢٠ مايو سنة ١٨٨٣ (١٣٠٢هـ) وأبوه الشريف حسين باشا بن علي بن محمد عون، أمير مكة ثم ملك الحجاز بعد ذلك. وأمه الشريفة عابدية كريمة الشريف عبدالله باشا بن محمد عون.

وهو ثالث أُنجال والديه، وأولهم الملك علي ملك الحجاز السابق، وآخرهم الأمير زيد، ويتصل نسبه من جهة والده والدة بالنبى محمد العربى العدنانى ﷺ.

نشأته : من القواعد التى اتبعها كبار الأشراف إبان حكمهم فى الحجاز أن يأتوا لأبنائهم وذرائعهم بمعلمين يقرئونهم القرآن، ويعلمونهم الكتابة والحساب والتاريخ والجغرافيا، ويؤدبونهم فى داخل قصورهم فلا يدخلون المدارس ولا ينتظمون فى صفوفها. ولعل منشأ ذلك قلة الموجود من هذه المدارس فى مكة وعدم استيفاء هذا القليل للشروط الصحية، وعقم الأساليب التى تتبع فى التعليم وفسادها، ولا يزال عدد المدارس قليلاً فى أم القرى حتى فى هذا العهد التى انتشرت فيه العلوم وراج سوقها، وأقبلت الشعوب على إنشاء المعاهد والصروح العلمية الفخمة. ولا تزال نظم التعليم هنالك متقهرة، منحلة.

وما كان أبناء الإشراف يجدون صعوبة فى تعلم اللغة التركية، وكانت منتشرة فى داخل قصورهم، فهى لغة مربياتهم وسرايهم وجواريهم، وكانوا يجيدونها كتابة وتكلما إلى جانب لغتهم العربية ويدرسون أديابها.

وكانوا يتعلمون أيضاً الفروسية وركوب الخيل من الصغر إلى جانب العلوم

الأخرى، ويتمرنون على إطلاق النار وضرب السيف فيشبون فرساناً يحسنون الكر والفر والرماية.

إلى رحاب : ولما بلغ فيصل السادسة من عمره أرسله والده إلى قرية رحاب، وهي بلدة محمد بن عون جد هذا الفرع من الأشراف، وقد اشتهر بانضمامه إلى المرحوم محمد على باشا حينما جاء الحجاز لمحاربة النجديين سنة ١٨١٢ فحفظ له الباشا هذه اليد وأقطعه خمسة آلاف فدان في مصر، ولا يزال ألفان منها وقفاً على سلالة يستغلونها. وتقلب بعد ذلك عدد من أمراء هذا البيت على إمارة مكة آخرهم الشريف حسين باشا والد الملك فيصل وقد ختمت شرافه مكة به.

وقضى فيصل ست سنوات في رحاب بين أبناء عمومته وأخواله يركب الخيل والإبل، ويكروفر، وينام في العراء وتحت الخيام، ويطوف البادية مشرقاً ومغرباً، ويضرب بالسيف ويطلق الرصاص، والغاية من ذلك تدريبه وإعدادة ليكون رجلاً، وطبعه بطابع البداوة وتخليقه بأخلاق أبنائها.

وأرسل إلى مكة وهو في الثانية عشرة وقد بلغ أشده، فجئ له بمؤدبين ومعلمين، ولم يطل به المقام بل غادر الحجاز إلى الأستانة مع أسرته عملاً بأمر السلطان عبدالحميد فنزلوا في قصر الدلى فؤاد باشا في أستانة وقد خصصه السلطان لهم، وعين والده عضواً في مجلس شورى الدولة سنة ١٨٩٦.

وعاش في تلك العاصمة نحو عشر سنوات، وفيها تزوج بابنه عمه ثم غادرها إلى مكة سنة ١٩٠٨ حينما عين والده شريفاً لمكة. وقد تركت إقامته الطويلة في ذلك المحيط الواسع أثراً لا يمحي في نفسه وأكسبه الاتصال برجال الدولة وترددهم على قصر والده واجتماعه بالعظماء والأدباء من مشاهير الترك خبرة واسعة.

فيصل في الحجاز : عاد فيصل إلى الحجاز وقد اكتملت رجولته وظهرت مواهبه، فأدناه والده منه وولاه قيادة السرايا التي كان يزجيتها لإخضاع القبائل

وتأديبها، وانتخب سنة ١٩٠٩ نائباً عن لواء جدة فى مجلس النواب العثمانى، فكان يذهب سنوياً إلى الآستانة فيشترك فى أعمال البرلمان ويعود بعد انقضاء دورته فينضم إلى والده ويساعده فى إدارة منصبه الخطير، وكثيراً ما كان يمر بالقاهرة فى زهابه وإيابه فيجتمع إلى رجالها وعظمائها ومفكرها.

ولما ثار السيد محمد على الإدريسى على الدولة العثمانية فى تهامة سنة ١٩١١ مغتنماً فرصة اشتباكها فى الحرب مع الطليان، وهم الذين ساعدوه ومدوه بالأسلحة اضطرب موقف الدولة فى اليمن فاستنجدت بالشريف حسين باشا أمير مكة طالبة مساعدته فى التنكيل بالإدريسى فلم يتردد فى تلبية الطلب وجند حملة بقيادة نجليه عبدالله وفيصل سارت من مكة حتى أبها (عاصمة عسير) فطردت أنصار الإدريسى وكانوا يحاصرونها وخضدت شوكته وأعادت تلك البلاد إلى الدولة. ويقول الذين شهدوا تلك الحملة أن فيصلاً أبلى فيها بلاء حسناً، وإنه كان يسير فى مقدمه الجيش ويشترك فى المعامع فأحبته القبائل لشجاعته والعرب يحبون الشجاع ويعجبون به.

زيارته لسورية : وللمرة الأولى زار سورية سنة ١٩١٣ فقد خاف ولاية الأمور الترك أن يهاجم البدو المحمل الشامى فى عودته من الحجاز إلى الشام فرافقه على رأس قوة من الجند لحمايته فلم يحدث له حادث، وأقام مدة فى دمشق فتعرف إلى رجالها ومفكرها ودعاة الجامعة العربية من أبنائها مما سهل له العمل بعد ذلك.

وجاءها ثانية فى سنة ١٩١٥ فى طريقة إلى الآستانة، وقد اختار السفر بهذه الطريق دون البحر. لأن الحلفاء ضربوا الحصار على موانى تركيا من ابتداء الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ومنعوا دخول البواخر إليها وخروجها منها لما أظهرته من ميل إلى الألمان، وقد دخلت الحرب إلى جانبهم بعد ذلك. وبعد ماختمت الدورة البرلمانية عاد ثانية إلى دمشق، وأقام ضيفاً عند آل البكرى الكرام. وقيل إن الترك

أرادوا من إقامته فى دمشق أن يكون إلى جانب أحمد جمال باشا القائد العام فى سورية يومئذ فيساعده فى حملته على مصر، وقيل إنهم أرادوا أن يكون رهينة لديهم فيأمنوا انتفاض والده. وأقبل رجال الشام ومفكروها وأعيانها عليه يدعونه إلى إقناع والده بإعلان الثورة على الاتحاديين وخلع طاعتهم وأنشاء دولة عربية لما ظهر من سوء نية هؤلاء وتعمدهم إذلال العرب بإعدام مفكريهم وأدبائهم والصفوة المختارة من رجالهم وبنفى كبار عائلاتهم إلى أقاصى الأناضول وإقطاعها الأراضى والدور مقابل نزع ممتلكاتها فى سورية، وقد صودرت لحساب الحكومة رغم ما أظهره العرب من إخلاص للدولة فى سنة الحرب الأولى وما بذلوه من تضحيات عظيمة تأييداً لها، فقد رسخ فى أذهانهم أن أقل حركة يتحركونها ضدها تغرى أعداءها بها وتعجل فى انهيارها، ولا مصلحة لهم فى ذلك. وهم لا يستعدوا الاستعداد الكافى ولم يتهيأوا لمثل هذا الحادث الخطير.

وتردد فيصل فى قبول القيام بهذه المهمة، ونصح رجال الجمعيات والأحزاب والمفكرين الذين حادثوه بالتأنى والتروى خوفاً وقوع الكارثة وخوفاً تمكين الأجانب من احتلال البلاد. كما سعى من جهة أخرى عند جمال باشا لإقناعه بالعدول عن سياسة الشدة والإرهاب واتباع خطة اللين والمسالة والقصد فى شنى المفكرين والعقلاء وفى نفى الأسر. فلم يزد ذلك إلا اندفاعاً فى خطته. وكان الاتحاديون يعتقدون أن فرصة الحرب من الفرص التى قد لايجود الدهر بمثلها فعليهم أن يغتنموها للقضاء على دعاة القومية العربية، وللفتك بزعماء العرب وكبارهم فيخلوا لهم الجو بعد الحرب ويحكمون كما يشاءون من دون أن يخشوا إنتفاضاً أو مقاومة يطبقون مايرونه صالحاً من الأنظمة، وقد كانوا يرمون إلى تتريك العرب وإدماجهم فى الجامعة الطورانية وحملهم على نسيان لغتهم وتقاليدهم.

وغادر فيصل دمشق فى النصف الأول من شهر مايو سنة ١٩١٦ قاصداً مكة بطريق المدينة للاجتماع بوالده وإطلاعه على رأى السوريين ووصف حالتهم

وإبلاغه ما يلاقونه من عنت وإرهاق، وما كان بغافل عما يجرى بل كانت المكاتبات مستمرة بينهما، وكان الترك يرجون أن يعود بسرعة على رأس جيش من عرب الحجاز يشترك فى الحملة الثانية، وكانوا يعدونها للزحف على قناة السويس، ومعنى ذلك أنه كان يرمى إلى غرضين متناقضين من رحلته: غرض رسمى ظاهر وهو العودة يجند للاشتراك فى الحملة التركية، وغرض خفى مضمّر وهو وصف حالة سورية لوالده وإبلاغه دعوة السوريين الموجه إليه لإعلان الثورة وإنقاذهم.

واجتمع فى المدينة المنورة بشقيقه على وعبدالله، وقضى الثلاثة أياماً يبحثون الحالة ثم سافروا إلى مكة، وأعلنت الثورة العربية بعد سفرهم (٩ شعبان سنة ١٣٣٥هـ و ١٠ يونيو سنة ١٩١٦) وغايتها إنقاذ الحجاز من المجاعة، وكانت تهدد سكانه بالفناء والانقراض بعدما ضرب الحلفاء الحصار على موانئه من أول الحرب ومنعوا دخول الحجاج، والحجاز واد غير ذى زرع يعمل سكانه فى معاشهم وكسب قوتهم على مايربحونه من وفود الحجاج سنوياً. فإذا ما انقطعوا وقعوا فى ضيق وكرب، ولدفع الأذى والحيث عن السوريين وإنقاذ البقية الباقية من مفكرهم ورجالهم، ولإنشاء دولة عربية تكون ملجأ للعرب وملأذاً إذا دارت الدائرة على حكومة الآستانة وأنشأ الحلفاء أظافرهم فيها. ولقد أدركت الغايتان الأولى والثانية. فجاءت وفود الحجاج إلى مكة ودارت حركة الأخذ والعطاء وانقشعت تلك الغمامة السوداء عن سماء الحجاز. كما أبدل الترك سياستهم فى سورية فاستدعوا جمال باشا إلى الآستانة وأطلقوا سراح المسجونين وأعادوا المنفيين والمبعدين.

ولم تدرك الغاية الثالثة كاملة وهى تحرير العرب وإنشاء دولة عربية كبيرة تضم شملهم وتحصى مفاخرهم وتحل محل دولة الترك فى الشرق وإنما أدرك بعضها، فنشأت دولة الحجاز وقامت دولة العراق ودولة اليمن ولا يزال العرب يواصلون الكفاح والنضال فى كل مكان لإنشاء الإمبراطورية العربية الكبرى.

قيادة الجيش الشمالى - وجهز الحسين بعد إعلان الثورة واستسلام حاميات مكة والطائف وجده، وحامية المدينة هى التى قاومت ولم تستلم إلا بعد الهدنة - جيشا سيره إلى شمال الحجاز لمنازلة الترك، وعهد بقيادته إلى نجله فيصل فاشتبك فى أول الأمر بمعارك مع الترك فى سواحل الحجاز الشمالية وكادوا يتغلبون على جيشه فى معركة دار بجوار ينبع لولا ثباته واستبساله فى النزال.

ووسع بعد الاستيلاء على ينبع وتلك الأنحاء نطاق أعماله العسكرية متجهاً نحو الشمال فاجتاز الوجه ثم نزل العقبة وتقدم متئداً نحو معان فحاصرها وقاتل الترك قتالاً شديداً فى صحراء الشام وساقهم أمامه مجتازاً حوران حتى أبواب دمشق فدخلها منصوراً وسلمت إلى رجاله يوم ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ فاستقبله أهلها استقبال المحرر المنقذ وأقاموا الزينات ابتهاجاً بوصوله، فانصرف إلى إنشاء دولته الجديدة فى ربوع الشام. وفى يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٨ غادر دمشق بطريق بيروت إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح وبسط قضية العرب على مسمع أقطاب الحلفاء فاستقبل استقبالاً ودياً فى عاصمة السين وبالغ الفرنسييس فى الحلفاوة به. وفى أواخر شهر ديسمبر من تلك السنة، دخل مؤتمر الصلح فى فرسايل وعرض مطالب العرب وهى :

الاعتراف لسورية بالاستقلال التام على أن تستعين بمستشارين أجانب تستخدمهم، وعلى أن تكون متصلة بحكومة الحجاز فى شؤونها الخارجية والاعتراف ببلاد العرب كلها وحدة إدارية جغرافية مستقلة برئاسة جلالة الحسين بن على. وتحقيق العهود المقطوعة للعرب بالحرية والاستقلال.

وعاد إلى سورية قبلغ بيروت يوم ٣٠ أبريل سنة ١٩١٩ فاستقبل استقبالاً شائقاً، وخطب خطباً كثيرة فى دمشق وبيروت ألهم بها الشعور الوطنى منادياً أن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى، وأن حرية الأمة بيدها.

ملكية سورية - وفى يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٠ نادى به المؤتمر السوري ملكاً على سورية. وهذه خلاصة القرار الصادر بهذا الشأن :

«إن المؤتمر السوري الممثل لسورية بأقطارها الثلاث يعلن استقلال البلاد بحدودها الطبيعية استقلالاً لاشائبه فيه. على أن تراعى أمانة اللبنانيين الوطنية فى كيفية إدارة مقاطعتهم (لبنان) ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب بشرط أن يكون بمعزل عن كل تدخل أجنبى، ورفض الهجرة الصهيونية. وقد اختار سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على سورية بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول، وأعلن إنتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية فى المناطق الثلاث على أن تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسئولة إزاء هذا المجلس فى كل ما يتعلق باستقلال البلاد الشامية إلى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابى على أن تدار هذه البلاد على طريق اللامركزية، وناط بالحكومات السورية التى تتألف استناداً على هذا الأساس تنفيذ قراره».

ونص فى هذا القرار أيضاً على إنشاء علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية مع الأقطار العربية المجاورة تمهيداً للوحدة العربية الكبرى. واتخذ السوريون هذا اليوم عيداً وطنياً يحتفلون بحلوله كل سنة فى دمشق والقاهرة والقدس.

إنذار فرنسوى - ولم يرق لولاة الأمور الفرنسيين فى بيروت هذا العمل وخافوا أن تفسد عليهم الدولة الجديدة خططهم فى سورية. فأرادوا أن يتخلصوا منها قبل أن تشب عن الطوق ويشتد ساعدها، وكانت تعمل لإنشاء جيش وطنى قوى وتعد المعدات للدفاع - فأرسل الجنرال غورو القائد العام للجيش الفرنسوى فى الشرق إنذاراً نهائياً إلى الملك فيصل يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٢٠ هذه خلاصته :

١ - إلغاء الخدمة العسكرية الإجبارية فى حكومة دمشق وتسريح الجيش الوطنى.

٢ - قبول انتداب فرنسا لسورية والاعتراف به عملاً بقرار مؤتمر سان ريمو.

٣ - قبول التعامل بالنقد السوري.

٤ - وضع سكة الحديد بين رياق - حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي
للتقليات العسكرية إلى حدود تركيا - وكانت في حرب مع الفرنسيين -
واحتلال مدينة حلب.

٥ - معاقبة المجرمين من أعداء فرنسا

ودعى المؤتمر السوري للإجتماع وإبداء رأيه في هذا الإنذار فأصدر باسم
الشعب السوري القرار الآتي :

إن المؤتمر السوري الممثل للأمة السورية في مناطقها الثلاث يعتبر قراره
التاريخي بمواده الثلاث التي هي :

أولاً - الاستقلال التام والوحدة ورفض الهجرة الصهيونية.

ثانياً - ملكية جلالة الملك فيصل بن الحسين على الأساس النيابي الدستوري.

ثالثاً - بقاء المؤتمر منعقدًا يراقب أعمال الحكومة المسئولة أمامه إلى أن يجتمع
مجلس النواب بموجب القانون الأساسي، قراراً واحداً لا يقبل التجزئة، وأن نقض
شيء منه يعتبره المؤتمر نقضاً للقرار بحذافيره، وأن المؤتمر السوري لا يعترف
باسم الأمة السورية بأية معاهدة واتفاقية أوبرتوكول يتعلق بمصير البلاد مالم
يصادق المؤتمر نفسه عليها.

ورأت الحكومة الوطنية في دمشق - رغم صدور هذا القرار وحباً في السلام -
أن تتساهل فأبلغت القائد الفرنسي العام في بيروت (الجنرال غورو) قبولها
بعض شروطه وطلبت فتح باب المفاوضات في الشروط الأخرى ووقف زحف
الجيش الفرنسي فأبى عليها ذلك. فواصل الجيش الفرنسي زحفه فدخل
دمشق ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ بعد معركة دامية دارت في ميسلون غربى دمشق -

وتبعد عنها ٢٨ كيلومتراً - بينه وبين المتطوعين السوريين وبقيّة الجيش السوري، وقد سرح قبل ذلك بيومين رغبة في الاتفاق - واستشهد في هذه المعركة المرحوم يوسف بك العظمة وزير حربية سورية. وزحفت في الوقت نفسه جيوش الفرنسيين على حلب وحمص وحمّاه فاحتلتها وأخضعت سورية كلها لسلطانها. وكان أول ما عمله الفرنسيون بعد ذلك إلغاء الحكم الوطني وتجزئه البلاد السورية إلى خمس دول هي : دولة دمشق ودولة لبنان ودولة حلب ودولة العلويين ودولة جبل الدروز.

سفره - وقصد الملك الكسوة^(١) بعد معركة ميسيلون مع بعض خاصته وعاد بعضهم إلى دمشق في الغداة فقابلوا ولاة الأمور الفرنسيين ثم عاد الملك في المساء إلى قصره فأبلغ وجوب مغادرة سورية. فغادر دمشق صباح ٢٧ يوليو بقطار خاص إلى درعا (عاصمة لواء حوران) وكان لخروجه أسوأ وقع في النفوس ولم يطل المقام بل قصد حيفا ومنها إلى بورسعيد ثم ركب البحر إلى إيطاليا فأقام فيها حتى دعى إلى زيارة لندرة فزارها وقابل رجالها وأقطابها وتم الاتفاق في خلال تلك الزيارة على ترشيحه لعرش العراق مقابل شروط تذكرها فيما يلي :

ثم غادر لندن فجاء القاهرة ومنها سافر إلى الحجاز فدخل مكة لأول مرة بعد خروجه منها في سنة ١٩١٦ على رأس الجيش الشمالي. وبعد ما أقام أياماً ركب باخرة خاصة أقلعت به إلى البصرة فبلغها يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٢١ فاستقبل استقبالاً رسمياً، ثم قصد بغداد فاحتفل به سكانها، وفي يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ نودي به ملكاً للدولة العراقية الجديدة.

(١) واقعة في ضاحية دمشق إلى الجنوب على طريق حوران والحجاز.

كيف يقضي يومه؟

يستيقظ جلالته من النوم عادة في الساعة الخامسة صباحاً فيستحم ويتزين ويتناول فطوره ويتألف من شاي وزبد وجبن، ثم يغادر قصره الواقع على شاطئ دجلة الغربية إلى البلاط الملكي فيصله في الساعة السابعة قبل جميع الموظفين فيبدأ على الفور بدرس ملفات الأوراق والتقارير الرسمية التي ترفع إليه وينظر فيها بدقة وعناية. ثم يقرأ الصحف ويطلع على جميع مائكتبه العربية منها، وخصوصاً صحف مصر، عن العراق وبلاد العرب، فلايكاد يفوته شيء منها، كما ترفع إليه قصاصات من الصحف الأوربية.

وجلالته ولوع بالألعاب الرياضية، وهو يلعب التنس كل يوم بعد الظهر ويقود في أحيان كثيرة سيارته الخاصة ويسوقها بمعدل مائة كيلومتر في الساعة. وهو الوحيد بين ملوك الشرق الذين يعولون على الطائرة في أسفارهم وتنقلاتهم منذ الحرب العظمى.

ويكره المظاهر الرسمية، ولايميل إلى التقيد بها مفضلاً البساطة في كل شيء. على أنهم أدخلوا أخيراً إلى بلاطه نظام البروتوكول المتبع في قصور ملوك أوربا فصار نافذاً واجب الاتباع.

ويبدأ من الساعة العاشرة في استقبال زائريه ويدخلهم رئيس التشريعات عليه ويكون واقفاً فيأمرهم بالجلوس إلى جانب مكتبه، وهو الذي يبدأ الحديث ويختمه، وذلك بأن ينظر في ساعته فيدرك الجليس أن الحديث انتهى فيستأذن ويخرج. وقد خصص يومين لاستقبال الزوار على اختلاف الطبقات. أما في غير هذين اليومين فلا بد من الاستئذان وتحديد الموعد. ويدخل عليه الوزراء ورجال الدولة كل يوم وفي أي وقت كان فيطلبونه على شؤون البلاد، ولا يتم شيء دون موافقته ورأيه.

ويتغدى فى الساعة الواحدة والنصف فى قصر الحارثية «وهو قصر أنشأه حديثاً فى داخل مزرعة تسمى بهذا الاسم» قرب بغداد لتكون نموذجاً للزراعة الحديثة، ويقصدها بلا انقطاع ويمضى فيها أوقات العطلة (١). وطعامه بسيط وهو يسير على نظام صحى منذ سنة ١٩٢٢ فقد أجريت له فى تلك السنة عملية الزائدة الدودية أمسك بعدها عن تناول المغلطات. ويدخن قليلاً.

ويغادر قصر الحارثية فى الساعة السابعة مساءً إلى قصر أخيه الملك على فيتعيشى عنده عشاء خفيفاً، وفى الساعة التاسعة والنصف يصل إلى قصره الخاص فإذا كان متعباً نام حالاً، وإذا كان مرتاحاً لعب بالنرد (الطولة) وأحياناً ينظر فى ملفات الأوراق المعروضة عليه فيعلق على كل منها بما يبدوله. ويأخذ بعضها لديه ريثما يحقق عن شبهات لاحت له. وفى الصباح يستدعى الموظف المختص فيسأله ويناقشه ثم يتخذ قراراً حاسماً.

ويحيط جلالته بالصغيرة والكبيرة من شؤون الدولة والبلاد فلا يفوته شئ منها. ولا يتم مشروع ولا يوضع قانون إلا إذا وافق عليه مقدماً وأشار بوضعه.

ملابسه : اعتاد مذكاً شاباً فى الحجاز والأستانة على لبس الجبة السوداء ووضع (الألفية) «هى لباس الرأس فى الحجاز» وفوقها العمامة. ولا يزال هذا لباس الأشراف الحجازيين الرسمى، وقد يبدلون الجبة بالعباءة والألفية بالعقال المقصب والكوفية وهذا لباس الأسفار والغزوات.

وقد بدأ جلالته منذ دخوله سورية سنة ١٩١٨ بلبس الملابس الأفرنجية يضع فوقها العباءة ويعتمر بالكوفية والعقال. ثم استحدثوا يومئذ غطاء للرأس سموه الفيصلية، ثم استبدلوه أخيراً بالسدارة العراقية وهى لباس جلالته وعنه أخذه الناس، وقد شاع لبسها فى العراق بلا عناء كما شاع فى الشام وشرقى الأردن.

(١) قرأنا أخيراً أن جلالته أمر بإنشاء مدرسة ابتدائية فى المزرعة الملكية بخانقين على حساب جلالته لتعليم أبناء القرويين العلوم.

ويلبس فى التشريفات الرسمية حلة مشير (مارشال) فى الجيش العراقى وقد وضعت هذه الحلة بمناسبة زيارته لملك الإنكليز فى شهر يونيو سنة ١٩٣٣ ويفضل اللون الأبيض فى الصيف ويختار الألوان القاتمة فى الشتاء مع مراعاة البساطة التامة.

أوصافه : هو طويل القامة منتصبها حنطى اللون، أشهل العينين براقهما، جذاب الملامح، طويل الوجه، ذو لحية صغيرة وخطها الشيب.

أخلاقه : يغلب عليه التواضع وتزينه المهابة والوقار، وقد امتاز بالرزانة منذ صغره والابتعاد عن السفاسف، والنفور من الذل والترفع عن الصغائر، وهو جم النشاط، واسع الصدر، يفضل اللين على الشدة ويحرص على إستمالة خصومة ويأبى أخذهم بالقسوة، ويميل إلى الصبر والروية فى جميع أموره. ميال إلى الديمقراطية ومغرق فيها.

وهو كثير البر بأهله وذويه ولايزال يعامل شقيقة الملك على ضيفه اليوم فى العراق نفس المعاملة التى كان يعامله بها حينما كانا فى الحجاز فلايتقدم عليه. ولمازار المرحوم والده فى قبرص سنة ١٩٢٧ جلس متأدباً بين يديه كما كان يجلس وهو فتى. ويمثل هذا يعامل أيضاً شيوخ أسرته وكبارهم فهو يراعيهم ويبرهم، وقد خصص للمحتاجين منهم الرواتب الكافية.

ولجلالته جاذبية مغناطيسية شديدة وهو يخلب لب محدثة بليته وتواضعه وإقباله عليه وقد شبهه بعض كتاب الفرنجة بالسيد المسيح.

علومه : لم يدخل مدارس عالية بل درس على المنوال الذى بسطناه آنفاً. على أنه شعر بعد فتح الشام وسفره إلى أوربا بشده الحاجة إلى إتقان لغة أجنبية فانكب على دراسة اللغة الفرنسية فحضر فيها بسهم وافر، وهو يحدث فيها بطلاقة ومن دون حاجة إلى ترجمان، وكذلك انصرف إلى دراسة اللغة الإنكليزية فى بغداد فتقدم تقدماً يذكر، ولجلالته ميل خاص إلى دراسة التاريخ. وخصوصاً

تاريخ العرب، وقد ظهر هذا الميل عليه منذ نشأته الأولى فكان يقتنى كتب التاريخ ويطالعها بدقة وعناية. كما ألع من صغره بمطالعة الصحف عربية وتركية فكان يجمعها ويقرأ منها كل ما يصل إلى يده سواء فى أم القرى أم فى الأستانة.

خطبه : هو خطيب من الطراز الأول يعرف كيف يؤثر فى الجماهير ويستفزها، ولما دخل دمشق فاتحاً فى سنة ١٩١٨ أقيمت له حفلات عديدة فكان يرتجل فى كل حفلة من هذه الحفلات خطبة فياضة الشعور تضرم الحماسة فى الصدور. وتعد خطبه فى سورية بالعشرات وتناول شتى الأغراض ومختلفها، ونحن نورد فقرات من بعضها :

جاء فى خطبة له فى بيروت يوم عاد من أوروبا للمرة الأولى فى سنة ١٩١٩ «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى. حرية الأمة بيدها. لنسع متحدين فنحيا حياة عزيزة. الاستقلال التام فى الاتحاد التام. نحن عرب قبل أن نكون مسلمين. كان محمد عربياً قبل أن يكون نبياً».

وقال من خطبة له فى دمشق يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٢٠ فى دار النادى العربى: «أنا والله لا تخيفنى قوة الحكومة ولا قوة الجمعيات، وإنما أخاف التاريخ والمستقبل، وأن يقال إن فلاناً عمل عملاً لا يليق بأبائه وأجداده، أنا عامل بما هدانى الله إليه لاستقلال بلادى وإرجاع مجدنا الغابر».

«لنا سنة ونصف ونحن نقول، كفانا خطباً، كفانا قولاً، نحن فى أيام العمل لافى أيام القول».

وخطب يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠ أعضاء المؤتمر السورى حين افتتاحه فقال: «لانطلب من أوروبا أن تمنحنا مالىس لنا به حق بل نطلب منها أن تصدق على حقنا الصريح الذى اعترفت لنا به كامه حية تريد حياة حرة واستقلالاً تاماً».

وخطب جمهوراً كبيراً زاروا قصره يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢٠ فقال : «إن كلمة الانتداب لاحد لها ولا معنى تحدد به، وقد رفضت الأمة الانتداب رفضاً باتاً

ولا يقبله أحد يريد الحياه وقبوله عار لايمحى. ومن اخترتموه ملكاً أو رئيساً لا يقبل ما رفضتموه» :

وخطبه عديدة كثيرة فى العراق، وهو يرسل الكلام إرسالاً غير متأنق ولا متكلف.

أراؤه - لجلالته أراء اجتماعية قيمة فى المرأة والمنزل والتربية تدل على طول باعه فى هذه الشؤون، فقد خطب وفد المعلمين مرة فقال: «لو لم أكن ملكاً لما كانت إلا معلماً» وقال مرة أخرى حينما سئل عن رأيه فى تعليم المرأة «لاتنشد المرأة السعادة إذا عملت خارج البيت بل تنشد المعيشة».

ومن رأيه أنه كلما ازدادت المرأة ثقافة وعلماً ازدادت قدرة على إسعاد الرجل.

قال : «وليس فى العراق الآن محاميات أو صاحبات مهن أخرى فنحن لانريد المرأة لذلك، وإنما نريدها لواجبات أعظم من الحقوق والاقتصاد. نريدها للعمل فى الميدان النسوى وفى التعليم وتدبير المنزل والتمريض وشؤون الصحة وبقية الأمور البيتية الضرورية».

وقال مرة أخرى : «ونحن نعننى فى العراق بشؤون التعليم والصحة فى القرى عنايتنا بهما فى المدن فلا تكون المدن نظيفة ومتقدمة والقرى قذرة مهملة».

وقال : عن المحسوبية إنها داء الشرق العضال وإنه ينوى أن يحاربها بإنشاء مدرسة للموظفين تدريب الشبان على الأعمال الحكومية فلا يعين فى المستقبل موظف إلا إذا كان من خريجى هذه المدرسة، فلا يستطيع صاحب نفوذ أن يوزع محاسيبه على دور الحكومة كيفما يشاء.

ميله إلى العلم : له ميل عظيم إلى العلم وولع زائد بنشره لاعتقاده أن نجاح العرب لا يتم إلا بالعلم، ولذلك لم يكذب يستقر به المقام فى دمشق حتى أنشأ مدرسة للحقوق وأخرى للطب وثالثة للحربية ورابعة للزراعة فى سلمية

(سورية) وكانت المعدات تعد لإنشاء مدرسة عالية للهندسة حينما غادرها، كما أنشأ مدرسة عالية لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية (مدرسة الشميمصاتية) وذلك كله فى خلال سنة ونصف بقطع النظر عن مساعدة الأندية العديدة والصحف، وقد سار فى العراق على نفس هذه الخطة كما سيأتى.

راتبه : يبلغ راتبه السنوى ٥٢ ألف دينار أرصد جزءاً كبيراً منه لنشر العلم فى بلاده ومساعدة دوره والمشتغلين فيه. وكذلك فقد خصص راتباً مناسباً لشقيقه الملك على وشقيقاته وأبناء وبنات أعمامه من ساكنى العراق ومصر. ولا يخفى أنهم اضطروا إلى الجلاء عن بلادهم أبان الاحتلال السعودى فجاءوا بغداد ونزلوا فيها على الرحب والسعة، وهو يعاملهم كما كان يعاملهم فى الحجاز ويواسيهم ويعطف عليهم ويقول إنه لن ينسأهم.

وقد أدى استملاكه أراضى الحارثية وجعلها حقول تجارب، ومزرعة خانقين إلى نفاد راتبه فاستدان، ويقولون أنه مديون بمبلغ كبير يرجو وفاءه فى المستقبل حينما تتحسن حالة زراعته.

ومن أظهر مزاياه الجود والكرم، وحسبك أنه أنفق جميع ما دخل عليه من أموال إبان الثورة العربية حين قيادته الجيش الشمالى وحين رياسته دولة سورية وتقدر بملايين من الجنيهات ولم يدخر منها شيئاً. ولما غادر دمشق فى شهر يوليو سنة ١٩٢٠ مضطراً لم يكن يملك من المال ما يكفيه للسفر إلى أوروبا فارسل إلى والده فحول له ١٥٠٠ جنيه تسلمها فى بورسعيد وهو مسافر إلى إيطاليا.

رحلاته : هو كثير الحركة محب للأسفار والانتقال لا يكاد يعود من سفر حتى يستعد لآخر. وقد زار أوروبا فى خلال هذه السنوات بضع مرات : فزارها للمرة الأولى فى سنة ١٩١٨ ثم فى سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ و ١٩٢٥ و ١٩٢٧ و ١٩٢٩ و ١٩٣١ و ١٩٣٣ وزار أنقرة وحل ضيفاً على الغازى مصطفى كمال باشا

فى سنة ١٩٣١ وزار طهران وحل ضيفاً على الشاه رضا خان بهلوى فى سنة ١٩٣٢ ورحلاته إلى شرقى الأردن وفلسطين ومصر عديدة. وتراه فى العراق ينتقل بلا انقطاع من بلد إلى بلد باحثاً منقباً ودارساً متطلعاً.

ويغتنم فرصه هذه الرحلات والزيارات إلى أوروبا فيجتمع إلى أقطابها وعظمائها ومفكرها عاملاً على حل المشاكل الخاصة ببلاده وساعياً للأخذ بالأصلح والأنفع من العادات الأوربية لتطبيقها ودراسة النظم الاجتماعية. وهو معجب بما فى المدينة من محاسن ومزايا، ويرى أنه لانجاح للعرب إلا إذا اقتبسوا النافع والمفيد منها وعملوا على الاقتداء بالأوربيين فى نهضتهم.

وقد نمت المعارف فى عهده نمواً محسوساً وتقدمت تقدماً يذكر: فانشئت المدارس والكليات وأرسلت البعثات العلمية الكثيرة إلى بيروت ودمشق ومصر وأوروبا، ولا يقل عدد الشبان العراقيين الذين يطلبون العلم فى الغرب اليوم عن ٣٠٠ طالب، ويزداد عددهم سنوياً.

وفى بغداد اليوم كلية للطب وأخرى للحقوق وثالثة للعلوم العسكرية. ويعمل جلالته على نشر التعليم الأولى.

زواجته وأنجاله - اقترن وهو فى الأستاذة بابنه عمه الشريفة حزيمة كريمة عمه الشريف ناصر باشا، وكانت فى مكة فارسلت إلى فروق وهنالك بنى بها. وقد ولدت له الأمير غازى وهو بكره وولى عهده والذكر الوحيد من ذريته، وثلاث بنات: عزه، ورحمة، ورفيعة.

ولم يقترن جلالته بغيرها.

ثمن رأس فيصل - وقبل أن نختم هذا الفصل لابد لنا من الإشارة إلى البلاغ الذى نشرته قيادة الجيش التركى فى سورية إبان الحرب العظمى، فقد وضعت مكافأة قدرها أربعة آلاف ليره عثمانية ذهباً لكل من يأتيها براسه مع ضمان راتب كاف لأسرته.

عنه

ظل العراق حتى إعلان الحرب العظمى جزءاً متمماً للسلطنة العثمانية تحكمه حكماً مباشراً، وترسل إليه الولاة والحكام فيعيثون فساداً في أرضه ودياره، ويمضون في ظلم أبنائه وإرهاقهم وفي ابتزاز الأموال وسلبها.

وهبت على العراق كما هبت على الأقطار العربية بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ نفحة أيقظت سكانه وبعثت فيهم روحاً جديدة فنهضوا يعملون على نشر ما انطوى من مفاخرهم وإحياء قوميتهم ومجدهم.

وأعلنت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ وخاض الترك غمرتها مع الخاضعين وانضموا إلى جانب ألمانيا وحلفائها مجازفين بمستقبل بلادهم وإمبراطوريتهم فاغتنم الإنكليز الفرصة - وللإنكليز مطامع قديمة في العراق نشأت من مجاورته للهند، ولما فيه من كنوز ثمينة مدفونه في تربته ووفره زيتة وجودة أرضه وخطوره مركزه الجغرافي، ووقوعه في نقطة متوسطة بين وسط آسيا وغربها - وسير الإنكليز الجيوش على العراق غداة دخول تركيا الحرب في جانب الألمان فاحتلوا البصرة بدون مقاومة تذكر وأنزلوا فيها جنودهم بحماية أسطولهم، وصدّمهم الترك والعرب العراقيون صدمة شديدة حينما تقدموا وقاتلوهم قتال الأبطال فزلزلوا زلزالاً شديداً، وحوصرت جيوشهم في كوت الإمارة ولم يوفقوا إلى إنقاذها - على ما بذلوه من جهود - فاضطرت إلى الاستسلام مع قائدها فأرسله الترك إلى الآستانة حيث ظل أسيراً إلى ما بعد الحرب.

وأدرك الإنكليز أنه لا سبيل لهم إلى الفوز إلا باستمالة العرب وفصلهم عن الترك فأذاعوا في طول البلاد وعرضها أنهم ماجأوا فاتحين ولا مستعمرين بل جاءوا منقذين ومحررين، وأنهم إنما يحاربون باسم حليفهم وصديقهم شريف مكة، فأقبل الناس عليهم وانقادوا إليهم. وننشر هنا نص بلاغ أذاعه الجنرال مود

القائد العام للجيش الإنكليزي على أثر دخوله بغداد يوم ٩ مارس سنة ١٩١٧ قال:

إلى سكان ولاية بغداد

هذا بلاغى إليكم : باسم مليكى والشعوب التى يحكمها :

إن الغرض من حركاتنا العسكرية أن نظهر على العدو فنجليه عن هذه الأرض، ومن أجل ذلك فوض إلى أمر مراقبة الجيوش البريطانية التى تحارب فى هذه المناطق مراقبة مطلقة عليا، ولا يحسبن أحدكم أن جيوشنا تدخل مدنكم وبقاعكم دخلة الفاتح أو العدو، ولكن دخلة المحرر.

لقد أصبحت مدينتكم بغداد من يوم (هولاكو) هدفاً لمظالم الأغيار فتساقطت قصوركم خرائب، وتصوحت رياضكم، ورزح أبائكم كما رزحتم أنتم تحت نير العبودية، واستيق أبناؤكم إلى مواطن القتال فى حروب لاعلاقة لكم بها، وابتز أموالكم قوم غاشمون ليبذروها فى بلاد غير بلادكم.

لقد بدأ الترك يتحدثون بالإصلاح منذ أيام (مدحت) ولكن هذه البلاد الخراب القفاز شاهد على بطلان تلك الوعود، فأمنية مولاي الملك وشعوبه جميعاً وأمنية حلفائنا العظام أيضاً أن ترجع بلادكم سيرتها الأولى يوم كانت مثلاً شروداً بخصبها وإذا كان أجدادكم يلقون على العالم كله دروساً فى الآداب والعلوم والفنون ويوم كانت بغداد (مدينتكم هذه) إحدى عجائب الزمان.

أن بين شعوبكم وبين ممالك مولاي الملك صلات من المنافع مستحكمة، ولقد كانت متبادلة خلال مائتى سنة بين تجار بغداد وتجار بريطانيا العظمى، وكان الأمر على خير ما يكون من الصداقة - ذلك على حين كان الألمان والأتراك يبتزون خيراتكم ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد بل جعلوا بغداد منذ عشرين سنة محتشداً يجمعون فيه جنودهم ليقمعوا بإنكلترا وحلفائها فى العجم وبلاد العرب، وهذا ما حمل إنكلترا على أن لاتعتزل مايجرى فى بلادكم من الحوادث فى يومنا هذا وفى المستقبل لأنها ترى فرضاً عليها أن تدافع عن مصالح شعبها

وأحلافها وأن لا تترك للترك والألمان فى بغداد مجالاً يجددون فيه فى مستقبل الأيام ما كان منهم أيام الحرب.

يا أهالى بغداد: إن الحكومة البريطانية جاعلة نصب عينيها أن تسعدكم فى تجارتكم وأن تؤمنكم فى سريكم بحيث لاتنالكم مظلمة ولا ترقى إليكم همة الفتح، ولا مطمع لهذه الحكومة فى أن تنزلكم على حكم أجنبى بل غرضها أن تحقق متمنيات فلاسفتكم وكتبتكم فيسرتجع البغداديون سابق تراثهم ويتمتعون بباسق ثرائهم ويكون لكم من الأنظمة ما يوافق روح شرائعكم ومنية عنصركم الكريم. إلى أن قال :

(إن غاية إنكلترا وحلفائها أن لاتذهب دماء هؤلاء العرب وجهادهم باطلاً. بل إن الحلفاء كافة يتمنون للعنصر العربى أن يستعيد ما كان من المجد والشهرة بين أمم الأرض. وهو ولا ريب منضم من أجل هذه الغاية إلى دول التحالف.

ولا يذهبن عن بالكم يا أهل بغداد ما كان من مظالم الغرباء فيكم خلال ستة وعشرين بطلاً فضيتموها بالإرهاق والتحرش بين بيوتاتكم حتى إذا انشق بعضكم على بعض وذهبت ربحكم نال الترك منكم ما يريدون - تلك سياسة سافلة تمقتها إنكلترا وحلفاؤها كل المقت لأنه لا يمكن أن يكون سلام ولا فلاح حيث تكون الشحناء وتصول الحكومة الغاشمة، وإنى موكل بأن أدعوكم بواسطة زعمائكم وكبراءكم ومن ينوب عنكم إلى مشاركة معتمدى بريطانيا السياسيين الذين يرافقون الجيش فى إدارة أموركم المدنية بحيث تتحدثون وإخوانكم فى الشمال والشرق والجنوب والغرب فتحققون تلك الأمنى التى تحوكم فى صدر عنصركم) انتهى.

واستأنف الإنكليز الزحف نحو الشمال قاصدين الموصل بعدما وطدوا أقدامهم فى بغداد فبلغوا شرقا عند عقد الهدنة وهى تبعد نحو ١٣٥ كيلو متراً عن الحدياء.

ولما كانت معاهدة الهدنة التي عقدها الأميرال كالتورب الإنكليزي مع الترك في موندروس يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ تخول الحلفاء حق احتلال أى بلد من بلدان الإمبراطورية العثمانية دخل الجيش الإنكليزي الموصل سلباً وحط فيها الرحال بلا صعوبة وعناء.

الثورة العراقية

ونسى الإنكليز عهودهم للعرب حينما استتب لهم الأمر ودانت لهم البلاد فأنشأوا نظام حكم شاذ يقضى بإلحاق العراق بحكومة الهند يستمد منها النفوذ والسلطان. ومعنى ذلك أن يكون مستعمرة لمستعمرة. فكبر ذلك على العراقيين الذين قاتلوا في جانب الإنكليز وأيدوهم وناصروهم رجاء الحصول على استقلالهم التام لا لتكون بلادهم مستعمرة للهند.

ونشطت الجمعيات الوطنية في العراق للعمل، وأخذ الضباط العراقيون الذين كانوا في دمشق وهم ممن اشترك في الثورة العربية وقاتل الترك في سبيل استقلال بلاد العرب يعدون المعدات سرّاً لإضرام نار ثورة تحمل الإنكليز على تغيير سياستهم وتبديل خططهم وتبعثهم على إنصاف العراق والتسليم بحقوقه.

وبدأت الثورة العراقية يوم ٣٠ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٠ أى قبل معركة ميسيلون بخمسة وعشرين يوماً. فأطلقت الرصاصة الأولى في الرميثة على الفرات، وما لبثت أن اتسع نطاقها فعمت جميع أجزاء البلاد ودارت معارك شديدة بين الثوار والجيش الإنكليزي أبلى فيها هؤلاء بلاء جسنأ، وشعر الإنكليز بقوة العراقيين وصدق أيمانهم فقامت صحف لندن وفي مقدمتها جريدة التيمس تطالب الحكومة بالجلء عن العراق وإنصاف العراقيين، وتقول: إنه ليس من

الحزم الإيغال فى العداء وأنه وقد كان العراق مقبرة للإمبراطوريات فى القديم فلا نريد أن يكون مقبرة للإمبراطورية البريطانية فى الحديث.

وبعد كفاح ونضال امتد نحو خمسة أشهر تم للبريطانيين إخماد الثورة وإنقاذ حامياتهم المحصورة بما استقدموه من نجدات عظيمة قطعت الماء عن بعض المدن فاضطرت إلى الاستسلام عطشاً. ويقول كاتب إنكليزى إن العرب خسروا فى تلك الحوادث ٨٤٥٠ قتيلًا وجريحاً وأن خسائر الإنكليز أقل من ذلك.

وأدرك ولادة الأمور البريطانية أنه ليس من سداد الرأى التمسك بالنظام القديم، وإن الأفضل هو التفاهم مع العرب والتسليم بمطالبهم. وجاء المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومئذ إلى الشرق فنزل القاهرة فى شهر مارس سنة ١٩٢١ وفيها استقبل وفداً من رجال العراق مع كبار الموظفين الإنكليز هنالك، وبعد البحث والدرس تم الاتفاق على إنشاء حكومة عربية وطنية برئاسة جلالة الملك فيصل.

ولما عاد المستر تشرشل إلى لندن وجه دعوة إلى جلالة الملك فيصل وكان فى إيطاليا فوافاه. فاجتمعا فعرض الوزير على الملك عرش العراق فاشتراط لقبوله الشرطين الآتيين :

١ - أن تعترف الحكومة الإنكليزية باستقلال العراق وأن تساعد العراقيين على إنشاء حكومة وطنية مستقلة ذات سيادة.

٢ - أن يلغى الانتداب عن العراق. وكان مفروضاً عليه بقرار مؤتمر الحلفاء فى سان ريمو.

فقبل المستر تشرشل هذين الشرطين باسم الحكومة البريطانية وتعهد بتنفيذهما. وعلى أثر ذلك غادر الملك لندن فمر بمصر ومكة ومنها قصد البصرة فبلغها فى أواخر شهر يونيو.

وفى يوم ١١ يوليو سنة ١٩٢١ قرر مجلس الشورى العراقى تقديم عرش العراق إلى جلالته فقبله ثم جرى استفتاء الأمة فنال ٩٦ فى المائة من مجموع أصواتها فنودى به يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ ملكاً على العراق.

أول وزارة عراقية

وفى اليوم التالى تألفت أول وزارة عراقية برئاسة المرحوم السيد عبدالرحمن الجيلانى نقيب أشرف بغداد. فبدأت بمفاوضة المندوب السامى لعقد معاهدة تحدد العلاقات بين إنكلترا والعراق.

وأصر الإنكليز فى خلال المفاوضات على وجوب اعتراف العراق بالانتداب خلافاً لما تعهد به المستر تشرشل للملك.

أول معاهدة بين بريطانيا والعراق

وفى يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ وقع على أول معاهدة ومدتها عشرون سنة وهى :

جلالة ملك بريطانيا من الجهة الواحدة

وجلالة ملك العراق من جهة أخرى

بما أن جلالة ملك بريطانيا قد اعترف بفيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على العراق. وبما أن جلالة ملك العراق يرى من مصلحة العراق ومما يؤول إلى تأمين سرعة تقدمه أن يعقد مع جلالة ملك بريطانيا معاهدة على أسس التحالف. وبما

أن جلالة ملك بريطانيا قد اقتنع بأن العلاقات بينه وبين جلالة ملك العراق يمكن تحديدها بأحسن وجه وهو عقد معاهدة تحالفية كهذه تفضيلاً لها على أية وسيلة أخرى. فبناء على ذلك قد عين المتعاقدان الساميان وكيلين لهما مفوضين لأجل القيام بهذا الغرض وهما: من قبل جلالة ملك المملكة المتحدة البريطانية العظمى وإيرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند السبربرسي زكريا كوكس المعتمد السامى والقنصل الجنرال لجلالة ملك بريطانيا فى العراق، ومن قبل جلالة ملك العراق صاحب السماحة والفقامة السر السيد عبدالرحمن أفندى رئيس الوزراء ونقيب أشرف بغداد اللذان بعد أن أطلع كل منهما على أوراق اعتماد الآخر ووجدها طبقاً للأصول الصحيحة المرعية قد اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى - بناء على طلب جلالة ملك العراق يتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يقوم - فى أثناء مدة المعاهدة مع التزام نصوصها - بما يقتضى لدولة العراق من المشورة والمساعدة بدون أن يمس ذلك بسياستها الوطنية.

المادة الثانية - يتعهد جلالة ملك العراق بأن لايعين مدة هذه المعاهدة موظفاً أجنبياً ما من تابعة غير عراقية فى الوظائف التى تقتضى إرادة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا، وستعقد اتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه فى الحكومة العراقية.

المادة الثالثة - يوافق جلالة ملك العراق على أن ينظم قانوناً أساسياً ليعرض على المجلس التأسيسى العراقى، ويكفل تنفيذ هذا القانون الذى يجب أن لا يحتوى على ما يخالف نصوص هذه المعاهدة، وأن يؤخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين فى العراق، ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة وحرية ممارسة جميع اشكال العبادة بشرط أن لا تكون مخلة بالآداب والنظام العموميين، وكذلك يكفل أن لا يكون أدنى تمييز بين سكان العراق لسبب قومية أو دين أو لغة، ويؤمن لجميع الطوائف عدم نكران أو مساس حقها بالاحتفاظ بمدارسها لتعلم أعضائها بلغاتها الخاصة. على أن يكون ذلك

موافقاً لمقتضيات التعليم العامة التى تفرضها حكومة العراق، ويجب أن يعين هذا القانون الأساسى الأصول الدستورية، تشريعية كانت أو تنفيذية التى ستتبع فى اتخاذ القرارات فى جميع الشؤون المهمة بما فيها الشؤون المرتبطة بمسائل الخطط المالية والنقدية والعسكرية.

المادة الرابعة - يوافق جلالة ملك العراق (وذلك من غير مساس بالمادة ١٧ و ١٨ من هذه المعاهدة) على أن يستدل بما يقدمه جلالة ملك بريطانيا من المشورة بواسطة المعتمد السامى فى جميع الشؤون المهمة التى تمس بتعهدات ومصالح جلالة ملك بريطانيا الدولية والمالية، وذلك طول مدة هذه المعاهدة، ويستشير جلالة ملك العراق المعتمد السامى الاستشارات التامة فى ما يؤدى إلى سياسة مالية ونقدية وسياسية، ويؤمن ثبات وحسن انتظام مالية حكومة العراق مادامت تلك الحكومة مدينة لحكومة جلالة ملك بريطانيا.

المادة الخامسة - لجلالة ملك العراق حق التمثيل السياسى فى لندن وغيرها من العواصم والأماكن الأخرى مما يتم عليه الاتفاق بين الفريقين الساميين المتعاقدين. وفى الأماكن التى لا ممثل فيها لجلالة ملك العراق يوافق جلالة ملك العراق على أن يعهد إلى جلالة ملك بريطانيا بحماية الرعايا العراقيين فيها.

المادة السادسة - يتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يسعى بإدخال العراق فى عضوية جمعية الأمم فى أقرب ما يمكن.

المادة السابعة - يتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يقدم من الإمداد والمساعدة لقوات جلالة ملك العراق المسلحة ما يتفق عليه من وقت إلى آخر الفريقان المتعاقدان الساميان، ويعقد بينهما اتفاق منفرد لتعيين مقدار هذا الإمداد وهذه المساعدة وشروطها، ويبلغ هذا الاتفاق إلى مجلس جمعية الأمم.

المادة الثامنة - لا يتنازل عن أراض مافى العراق ولا تؤجر إلى أية دولة أجنبية وأن توضع تحت سلطتها بأية طريقة كانت. إلا أن هذا لا يمنع جلالة ملك العراق

من أن يتخذ مايلزم من التدابير لإقامة الممثلين السياسيين الأجبيين ولأجل القيام بمقتضى المادة السابعة.

المادة التاسعة - يتعهد جلالة ملك العراق بقبول الخطة الملائمة التى يشير بها جلالة ملك بريطانيا، ويكفل تنفيذها فى أمور العدلية لتأمين مصالح الأجانب بسبب عدم تطبيق الامتيازات والبيانات التى كان يتمتع بها هؤلاء بموجب الامتيازات الأجنبية، ويجب أن توضع نصوص هذه الخطة باتفاقية منفردة وتبلغ إلى مجلس جمعية الأمم.

المادة العاشرة - يوافق الفريقان الساميان المتعاقدان على عقد اتفاقات منفردة لتأمين تنفيذ المعاهدات والاتفاقات أو التعهدات التى قد تعهد جلالة ملك بريطانيا بأن تكون نافذة فى مايتعلق بالعراق، وجلالة ملك العراق يتعهد بأن يهئ المواد التشريعية اللازمة لتنفيذها، وتبلغ هذه الاتفاقات إلى مجلس جمعية الأمم.

المادة الحادية عشرة - يجب أن لاتكون ميزة ما فى العراق للرعايا البريطانيين أو لغيرهم من رعايا الدول الأجنبية الأخرى على رعايا أية دولة هى عضو فى جمعية الأمم أو رعايا أية دولة مما قد وافق جلالة ملك بريطانيا بموجب معاهدة على أن يضمن لها عين الحقوق التى تتمتع بها فيما لو كانت من ضمن أعضاء المذكرة (وتشمل كلمة رعايا الدولة الشركات المؤلفة بموجب قوانين تلك الدولة) فى الأمور المتعلقة بالضرائب والتجارة والملاحة أو ممارسة الصنائع والمهن أو معاملة السفن التجارية الهوائية الملكية، وكذلك يجب أن لا تكون ميزة مافى العراق لدولة ما من الدول المذكورة على الأخرى فيما يتعلق بمعاملة البضائع الصادرة منها والواردة إليها، ويجب أن تطلق حرية مرور البضائع وسط أراضي العراق بشروط عادلة.

المادة الثانية عشرة - لاتتخذ وسيلة مافى العراق لمنع أعمال التبشير أو المداخلة فيها أو التمييز بتبشير على غيره لسبب الاعتقاد الدينى أو الجنسية. على أن لاتخل الأعمال بالنظام العام وحسن إدارة الحكومة.

المادة الثالثة عشرة - يتعهد جلالة ملك العراق بأن يساعد بقدر ما تسمح له الأحوال الاجتماعية والدينية وغيرها على تنفيذ كل خطة عامة تتخذها جمعية الأمم لمنع الأمراض ومقاومتها ويدخل فى ذلك أمراض النبات والحيوان.

المادة الرابعة عشرة - يتعهد جلالة ملك العراق بأن يسن فى خلال ١٢ شهراً من تاريخ العمل بهذه المعاهدة نظاماً للآثار القديمة ويكفل تنفيذه، ويكون هذا النظام مؤسساً على محتويات المادة (٤٢١) من الفصل الثالث عشر من معاهدة الصلح مع تركيا. فيقوم مقام النظام العثمانى السابق للآثار القديمة، ويضمن المساواة بين رعايا جميع الدول من أعضاء جميع الأمم فى مسائل تحرى الآثار القديمة.

المادة الخامسة عشرة - يعقد اتفاق منفرد لتسوية العلاقات المالية بين الفريقين المتعاقدين الساميين ينص فيه من جهة على تسليم حكومة جلالة ملك بريطانيا إلى حكومة العراق ما يتفق عليه من المرافق العمومية، وعلى تقديم حكومة جلالة ملك بريطانيا مساعدة مالية حسب ما تقتضيه الحاجة فى العراق من وقت لآخر. وينص فيه من جهة أخرى على تصفية حكومة العراق تدريجاً جميع الديون المتكبدة فى هذا السبيل، ويبلغ هذا الاتفاق إلى مجلس جمعية الأمم.

المادة السادسة عشرة - يتعهد جلالة ملك بريطانيا على قدر ما تسمح له التعهدات الدولية بأن لا يضع عقبة فى سبيل ارتباط دولة العراق لمقاصد جمركية أو غيرها مع من يرغب فى ذلك من الدول العربية المجاورة.

المادة السابعة عشرة - فى حالة وقوع خلاف ما بين الفريقين المتعاقدين الساميين فى ما يتعلق بتغيير نصوص هذه المعاهدة يعرض الأمر على محكمة العدل الدولية الدائمة المنصوص عليها فى المادة ١٤ من عهد جمعية الأمم، وإذا وجد فى حالة كهذه أن هنالك تناقضاً فى المعاهدة بين النص الإنكليزى والنص العربى يعتبر النص الانكليزى النص المعمول به.

المادة الثامنة عشرة - تصبح هذه المعاهدة نافذة العمل حالاً تصدق من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين بعد قبولها من المجلس التأسيسي وتظل معمولاً بها لمدة عشرين سنة، وعند انتهاء هذه المدة تفضى الحالة. فإذا ارتأى الفريقان الساميان المتعاقدان أنه لم يبق من حاجة إليها يصير إنهاؤها ويبلغ قرارهما إلى مجلس جمعية الأمم، ولأمانع للفريقين الساميين المتعاقدين من إعادة النظر من وقت إلى آخر في شروط هذه المعاهدة وشروط الاتفاقات المنفردة الناشئة عن المواد ٧ و ١٠ و ١٥ بغية إدخال مايرىان مناسبتها من التعديلات حسبما تقتضيه الظروف الراهنة، أنئذ، وكل تعديل يتفق عليه الفريقان الساميان المتعاقدان يجب أن يبلغ إلى مجلس جميع الأمم - انتهى.

وانتد آثار توقيع المعاهدة على هذا المنوال ضجة عنيفة مادت لها البلاد العراقية من أقصاها إلى أقصاها. فعقدت الاجتماعات وكثرت الاحتجاجات فلم تر الوزارة التي وقعتها بدأ من الاستقالة فاستقالت، فخلفتها وزارة انصرفت إلى إجراء انتخابات لجمعية تأسيسية تقرر المعاهدة ليتسنى إبرامها وتنفيذها وتضع دستور البلاد وقانون الانتخابات ليتم إنشاء الدولة الجديدة، فلاقت صعوبة وعناء إذ قاطع الشعب الانتخابات بتأثير المجتهدين الذين أصدروا الفتاوى بتكفير كل مسلم يشترك فيها، ويعدم جواز دفنه في مقابر المسلمين.

وكانت حالة الحكومة العراقية في تلك الأيام لاتدعو إلى الغبطة ولا تبعث على التفاؤل والارتياح. فالزعماء الوطنيون في الداخل يرون في المعاهدة الجديدة غبناً، والشعب ناظم على الإنكليز وعلى كل من يواليهم لعدم برهم بالعهود التي قطعوها للعراق باستقلاله، والترك واقفون على الحدود الشمالية وقد أسكرهم انتصارهم في الأناضول على اليونانيين وهم ينادون بأن الموصل تركية وأنه لا بد لهم من إعادتهم إلى ملكهم مهما كلفهم ذلك، أضف إلى هذا سوء الحال الاقتصادية واضطرابها؛ وقد نجمتا عن تأثير الحرب العظمى والثورة الوطنية. وكل عامل من هذه العوامل كفيل بالقاء الذعر وإضعاف القوى الأدبية. بيد أنهم

استطاعوا تذليل هذه العقبات الواحدة بعد الأخرى تدريجاً بقوة الإرادة ومضاء العزيمة.

فقد تم لهم بادئ ذي بدئ تعديل المعاهدة. فبعدما كانت مدتها ٢٠ عشرين سنة طبقاً لما جاء فى المادة ١٨ خفضت بموجب بروتوكول ٣٠ ابريل سنة ٩٢٣ إلى أربع سنوات وهذا نصه :

تعديل المعاهدة

«قد تم التفاهم بين الفريقين الساميين المتعاقدين على أنه مع وجود نصوص المادة ١٨ يجب أن تنتهى المعاهدة الحالية عند دخول العراق عضواً فى جمعية الأمم. وعلى كل حال يجب أن لايتأخر انتهاءها عن أربع سنوات من تاريخ عقد الصلح مع تركيا. وليس فى هذا الاتفاق مايمنع عقد اتفاق آخر ينظم مايكون بعد ذلك من العلاقات بين الفريقين الساميين المتعاقدين. ويجب الدخول فى المفاوضات بينهما لأجل ذلك الغرض قبل انتهاء المعاهدة المذكورة».

منشور الملك

وعلى أثر ذلك أذاع جلالة الملك بياناً بتوقيعه افتتحه بقوله :

«بعناية الله جل وعلا وبروحانية نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

«تمكنت حكومتنا أن تخطو خطوة كبيرة أخرى فى سبيل تحقيق أمانى العراق، وذلك بعقدها الملحق الجديد للمعاهدة العراقية - الإنكليزية يوم ٣ أيار (مايو) سنة ١٩٢٣ وكان من جملة الأسباب الرئيسية المبني عليها الملحق هى الخطوة السريعة التى خطتها حكومتنا فى سبيل التقدم والاستقلال الخ».

وكذلك حلت مشكلة الانتخابات فقد تم للحكومة إجراؤها فاجتمعت

الجمعية التأسيسية وأقرت المعاهدة يوم ١١ يونيو سنة ١٩٢٤ وأبرمت على أثر ذلك.

وكذلك حلت مشكلة الموصل بما يحقق آمال العراق فأصدرت جمعية الأمم - وكان الفريقان قد حكماها - قرارها يوم ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بوجوب بقاء الموصل عراقية، وأقر الترك هذا الحكم بمعاهدة وقعوها في أنقره يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٦ مقابل حصولهم على عشر إيرادات حكومة العراق من النفط.

معاهدة ثانية

ولما كانت جمعية الأمم قد اشترطت في قرارها ذاك وجوب بقاء العراق تحت الانتداب البريطاني مقابل الموصل فقد عقدت الحكومة العراقية معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية لتنظيم علاقاتهما السياسية يوم ١٣ يناير سنة ١٩٢٦ هذا نصها :

«حيث كان جلالة ملك المملكة المتحدة بريطانيا العظمى وأيرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند فريقاً أول وجلالة ملك العراق فريقاً ثانياً يرغبان في أن تكون الوثائق المبينة في قرار مجلس جمعية الأمم المؤرخ في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ مرعية الإجراء وفيها تعين الحدود بين تركيا والعراق بموجب المادة الثالثة من معاهدة الصلح الموقعة في لوزان في ٢٣ يوليو سنة ١٩٢٣ والقاضية بأن تكون العلاقات بين الفريقين المتعاقدين المعينة في وثيقة التحالف وتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية وقد وافق عليها مجلس جمعية الأمم في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤ محافظاً عليها مادام العراق - وفقاً للمادة الأولى من عهد جمعية الأمم - لا يقبل عضواً في جمعية الأمم قبل انقضاء هذه المدة.

وحيث كان المتعاقدان الساميان قد أبدى كل منهما رغبته في البروتوكول المؤرخ في ٣ أبريل ١٩٢٣ في عقد اتفاق تنظم بموجبه علاقاتهما في المستقبل فقد

قررا بأن يضمما بصورة قانونية إجراء الوثائق المذكورة بعقد معاهدة جديدة وقد عينا لهذا الغاية وكيلين مفوضين. فإن جلالة ملك المملكة المتحدة بريطانيا العظمى وإرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند عين برنارد بورديلون مفوضاً سامياً بالوكالة عن جلالتة في العراق، وعين جلالة ملك العراق عبدالمحسن بك السعدون رئيس وزراء الحكومة العراقية ووزير خارجيتها مندوباً من لدنه.

وبعد ماتبادلا التفويض التام الذى يحمله كل منهما من مليكه وتحقق صحته وقانونيته اتفقا على النص الآتى بيانه :

المادة الأولى - ألغى نص المادة الثانية عشرة من المعاهدة المعقودة بين المتعاقدين الساميين والموقعة في بغداد في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ (موافق ١٩ صفر سنة ١٣٤٠هـ) والبروتوكول المؤرخ ٣٠ أبريل سنة ١٩٢٣ (١٤ رمضان سنة ١٣٤١) من حيث اعتبار هذا النص قانونياً من جهة مدة المعاهدة المذكورة وستظل هذه المعاهدة مرعية الإجراء مدة ٢٥ سنة من ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ مالم ينتظم العراق في سلك جمعية الأمم قبل انقضاء المدة المذكورة.

إن جميع الاتفاقات المعقودة بين الفريقين المتعاقدين الساميين بشكل مؤيد للمعاهدة المؤرخة في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ تظل مرعية الإجراء أيضاً في خلال المدة المعينة في هذه المعاهدة باعتبار مدة قانونيتها متعلقة بمدة قانونية. هذه المعاهدة من دون أن يغير شئ من نصها.

المادة الثانية - يتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على إعادة النظر بعد مصادقة وموافقة مجلس جمعية الأمم على هذه المعاهدة في القضايا التي دار عليها الجدل بينهما فيما يتعلق بمراجعة الاتفاقات المتسلسلة عن المادتين السابعة والخامسة عشرة من معاهدة ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢.

المادة الثالثة - أنه من دون أن يمس نص المادة السادسة من معاهدة ١٠ أكتوبر

سنة ١٩٢٢ المتعلق بقبول العراق فى جمعية الأمم، أو نص المادة الثانية عشرة من المعاهدة المذكورة وفحواها أنه يجوز فى أى وقت كان أن يعاد النظر فى مجلس جمعية الأمم فى نص هذه المعاهدة أو نص الاتفاقيات المؤيدة لها. يتعهد جلالة ملك بريطانيا أن يعيد النظر فى القضيتين الآتيتين حينما تصبح معاهدة ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ قديمة بالنسبة إلى بروتوكول ٣٠ أبريل سنة ١٩٢٣ وفيما بعد إلى مدد متوالية تعد أربع سنين فأربع سنين ريثما تنقضى مدة الخمس والعشرين سنة المذكورة فى المعاهدة الحالية، أو ريثما ينتظم العراق فى سلك جمعية الأمم. وهاتان هما القضيتان المذكورتان.

١ - إذا كان ممكناً أن يوصى بقبول العراق فى جمعية الأمم.

٢ - إذا لم يكن ذلك ينظر فى إمكان تعديل الاتفاقات المذكورة فى المادة الثامنة عشرة من معاهدة ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ وذلك مراعاة لتقدم مملكة العراق أو لعلّة أخرى من العلل.

إن هذه المعاهدة نظمت باللغتين الإنكليزية والعربية، ويعول على النص الإنكليزى عند وقوع خلاف. يصادق عليها ويتم تبادل المصادقة بأسرع مايمكن. وإشعاراً بذلك وقع المفاوضات المذكوران أنفا المعاهدة وختمها بختميهما.

١٣ يناير سنة ١٩٢٦ و ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤

ب . هـ . بورديلون عبدالمحسن السعدون

معاهدة ثالثة

وفى يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧ وقع فى لندن على معاهدة ثالثة بين العراق وإنكلترا نسخت أحكامها أحكام المعاهدات السابقة وهذا نصها :

بين صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند طرف أول.

وصاحب الجلالة ملك العراق طرف ثان.

لما كانت رغبة الطرفين توطيد الصداقة بينهما والمحافظة على علاقات حسن التفاهم بين بلديهما، ولما لاحظاه من أن نصوص معاهدتي التحالف اللتين عقدتا في بغداد بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ و ١٣ يناير سنة ١٩٢٦ لم تتفق مع ما حصل في العراق من التطور والتقدم، وأنهما في حاجة إلى إعادة النظر فيهما.

ونظراً إلى أن إعادة النظر في نصوص المعاهدتين الأنفتى الذكر يمكن تحقيقه على وجه أكمل بعقد معاهدة تحالف وصداقة جديدة فقد تم الاتفاق بين الطرفين على عقد معاهدة جديدة أساسها المساواة، وعينا لهذا الغرض الديت أونورابل وليم جورج آرثر أورمسبى جور المساعد البرلمانى فى وزارة المستعمرات مفوضاً عن بريطانيا العظمى، وجعفر باشا العسكرى رئيس وزراء العراق ووزير خارجيته مفوضاً عن مملكة العراق.

وبعد أن أبلغ المفوضان كل منهما الآخر صيغة التفويض الممنوح لكل منهما وتحققا أن التفويضين قانونيان وقع الاتفاق بينهما على ما يأتى :

المادة الأولى - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بمملكة العراق كدولة مستقلة ذات سيادة.

المادة الثانية - يبقى السلم والصداقة مرفوعى اللواء بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك العراق، ويتعهد الطرفان المتعاقدان أن يحتفظا بالعلاقات الودية، وأن يبذل كل منهما جهده ليحول فى بلاده دون كل عمل غير مشروع من شأنه أن يؤثر فى السلم والأمن فى بلاد الطرف الآخر.

المادة الثالثة - يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق أن يضمن تنفيذ جميع التعهدات الدولية التى تعهد صاحب الجلالة البريطانية بتنفيذها فيما يتعلق بمملكة العراق. وكذلك يتعهد جلاله ملك العراق بأن لايدخل فى الدستور العراقى

أى تعديل من شأنه غمط الحقوق والمصالح الأجنبية، أو إيجاد تمييز بين العراقيين أمام القانون أياً كانت جنسيتهم أو دينهم أو لغتهم.

المادة الرابعة - يجب أن تجرى مفاوضات تامة وصريحة بين الطرفين المتعاقدين فى جميع المسائل السياسية الخارجية التى من شأنها أن يكون لها تأثير فى مصالحهما المشتركة.

المادة الخامسة - يوافق جلالة ملك العراق على وضع المندوب السامى البريطانى فى مركز يستطيع معه أن يسدى لجلالته النصيح فيما يختص بازدياد الرخاء فى العراق وفى المشروعات واقتراحات الحكومة العراقية، كما أن المندوب السامى يبلغ جلالة ملك العراق جميع المسائل التى يرى صاحب الجلالة البريطانية أنها قد يكون لها تأثير ضار بمصلحة العراق أو مخالفة للتعهدات المضمونة بهذه المعاهدة.

المادة السادسة - يتعهد جلالة ملك العراق أن ينضم - عندما تسمح الحالة فى العراق بذلك - إلى جميع الاتفاقات الدولية الموجودة، أو التى قد تعقد فى المستقبل بموافقة جمعية الأمم فيما يتعلق بمسائل النخاسة وتجارة المخدرات وتجارة السلاح والذخيرة والرقيق الأبيض والاتجار بالأولاد والمساواة فى التجارة وحرية المرور والملاحة والبريد والتلغراف السلكى واللاسلكى والطيران والتدابير لحماية التآليف والصناعات. ويتعهد جلالة ملكه فضلاً عن ذلك بتنفيذ نصوص الوثائق الآتية فيما يختص بعلاقتها بالدولة العراقية وهى :

عصبة الأمم ومعاهدة لوزان والاتفاق الفرنسى - الإنكليزى الخاص بالحدود واتفاق سان ريمو الخاص بالبترول.

المادة السابعة - يتعهد جلالة ملك العراق بقدر ما تسمح به الأحوال الاجتماعية والدينية وغيرها أن يشترك فى تنفيذ جميع التدابير العامة التى تتخذها جمعية الأمم لمنع ومكافحة الأمراض بما فى ذلك الأمراض النباتية والحيوانية.

المادة الثامنة - يؤيد صاحب الجلالة البريطانية ترشيح العراق لدخول جمعية الأمم فى سنة ١٩٣٢ بشرط أن يستمر الرقى الحالى فى العراق، وأن تبقى الأحوال مستقرة فى هذه الفترة.

المادة التاسعة - يجب أن لا يكون فى العراق أى تفضيل على الأشخاص التابعين لأى دولة من الدول الداخلة فى جمعية الأمم، أو أى دولة يكون جلاله ملك العراق قد وافق بمعاهدة أن يضمن لها جميع الحقوق التى كانت تتمتع بها هذه الدولة لو كانت عضواً فى جمعية الأمم. ويدخل تحت ذلك الشركات المؤلفة طبقاً لقانون هذه الدول. كما يشمل المسائل المتعلقة بالتجارة والملاحة والضرائب والاشتغال بالحرف والصناعات ومعاملة المراكب والطائرات. وكذلك يجب أن لا يكون فى العراق أى تفضيل بين البضائع الصادرة أو الواردة من أو إلى أى دولة من الدول الآتفة الذكر.

المادة العاشرة - يتعهد صاحب الجلالة البريطانية طبقاً لرغبة جلاله ملك العراق أن يواصل حماية العراقيين فى البلاد الأجنبية التى لا يكون لجلاله ملك العراق ممثل فيها.

المادة الحادية عشرة - لا يوجد فى هذه المعاهدة ما يمس صحة العقود المحررة والموجودة بين الحكومة العراقية والموظفين البريطانيين. ويجب على كل حال أن تعتبر هذه العقود كما لو كان الاتفاق الخاص بالموظفين البريطانيين المعقود فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ لا يزال باقياً.

المادة الثانية عشرة - يعقد اتفاق على حدة بين الطرفين المتعاقدين لتسوية العلاقات المالية بينهما، وهذا الاتفاق الجديد يحل محل الاتفاق المالى الذى عقد فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ والذى ينتهى العمل به عند ذلك.

المادة الثالثة عشرة - يعقد اتفاق على حدة بين الطرفين المتعاقدين لتسوية المسائل الحربية بينهما. وهذا الاتفاق يحل محل الاتفاق الحربى المعقود فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤.

المادة الرابعة عشرة - يتعهد جلالة ملك العراق بتنفيذ الاتفاق القضائي المعقود في ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤.

المادة الخامسة عشرة - كل اختلاف يطرأ بين الطرفين المتعاقدين على تفسير مواد المعاهدة الحالية يعرض على محكمة العدل الدولية طبقاً للمادة الرابعة عشرة من صك جمعية الأمم. فإذا وجد في هذه الحالة تناقض بين النسخة الإنكليزية والنسخة العربية من المعاهدة فإنه يعمل حينئذ بنص النسخة الإنكليزية.

المادة السادسة عشرة - تصبح المعاهدة الحالية نافذة المفعول حالما يوقع عليها وبعد تبادل التواقيع طبقاً للتقاليد الدستورية المعمول بها في المملكتين يعاد درسها من جديد بقصد تنقيحها إذا اقتضت الأحوال ذلك عند ما يدخل العراق جمعية الأمم طبقاً للمادة الثانية من المعاهدة الحالية. وتحل محل معاهدتي التحالف اللتين أمضيتا في بغداد في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ و ١٣ يناير سنة ١٩٢٦ واللتين تصحبان ملغيتين حال تنفيذ هذه المعاهدة. وبناء عليه أمضى المفاوضات المعاهدة ووقعها عليها بختميهما.

حرر في لندن نسختان من هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧.

جعفر العسكري
ارمسيب جور

المعاهدة الرابعة والأخيرة

وفي يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وقع في بغداد على معاهدة رابعة بين الحكومتين وهذا نصها :

صاحب الجلالة ملك العراق

وصاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند.

لما كانا راغبين فى توثيق أواصر الصداقة والاحتفاظ بصلات حسن التفاهم وأدامتها ما بين بلديهما.

ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد تعهد فى معاهدة التحالف الموقع عليها فى بغداد فى اليوم الثالث عشر من شهر يناير سنة ست وعشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية الموافق ليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة بعد الألف الهجرية بأن ينظر نظراً فعلياً فى فترات متتالية مدة كل منها أربع سنوات فى هل فى استطاعته الإلحاح على إدخال العراق فى جمعية الأمم.

ولما كانت حكومة جلالته فى بريطانيا العظمى وأيرلندة الشمالية قد أعلمت الحكومة العراقية بلا قيد ولا شرط فى اليوم الرابع عشر من شهر سبتمبر سنة تسع وعشرين وتسعمائة بعد الألف أنها مستعدة لتعزيد ترشيح العراق لدخول عصبة الأمم سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة بعد الألف، وأعلنت لمجلس العصبة فى اليوم الرابع عشر من شهر ديسمبر سنة تسع وعشرين وتسعمائة بعد الألف أن هذه هى نيتها.

ولما كانت المسؤوليات الانتدابية التى قبلها صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق ستنتهى من تلقاء نفسها عند إدخال العراق عصبة الأمم، ولما كان صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة البريطانية يريان أن الصلات التى ستقوم بينهما بصفة كونهما ملكين مستقبليين ينبغى تحديدها بعقد معاهدة تحالف وصداقة.

فقد اتفقا على عقد معاهدة جديدة لبلوغ هذه الغاية على قواعد الحرية والمساواة التامتين والاستقلال التام، تصبح نافذة عند دخول العراق عصبة الأمم وقد عينا عنهما مندوبين مفوضين وهما :

عن جلالة ملك العراق :

نورى باشا السعيد

عن جلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندة والممتلكات البريطانية وراء البحار
وإمبراطور الهند :

اللفتنت كرنكل السرفرنسيس هنرى همفريز.

المعتمد السامى لصاحب الجلالة البريطانية فى العراق.

اللذان بعد أن تبادلوا وثائق تفويضهما فوجدها صحيحة قد أئفقا على ما يلى.

المادة الأولى - يسود سلم وصداقة دائمان بين صاحب الجلالة ملك العراق
وبين صاحب الجلالة البريطانية، ويؤسس بين الفريقين الساميين المتعاقدين
تحالف وثيق توطيداً لصداقتهم وتفاهمهما الودى وصلاتهما الحسنة. وتجرى
بينهما مشاورة تامة وصريحة فى جميع شؤون السياسة الخارجية مما قد يكون
له مساس بمصالحهما المشتركة.

ويتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن لايقف فى البلاد الأجنبية
موقفاً لايتفق وهذا التحالف أو قد يخلق مصاعب للفريق الآخر.

المادة الثانية - يمثل كلا من الفريقين المتعاقدين لدى بلاط الفريق السامى
المتعاهد الآخر ممثل سياسى (ديپلوماتيكى) يعتمد وفقاً للأصول المرعية.

المادة الثالثة - إذا أدى أى نزاع بين العراق وبين دولة ثالثة إلى حالة يترتب
عليها خطر قطع العلاقات بتلك الدولة يوحد حينئذ الفريقان الساميان المتعاهدان
مساعيهم لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وفقاً لأحكام ميثاق عصبة الأمم
ووفقاً لأى تعهدات دولية أخرى يمكن تطبيقها على تلك الحالة.

المادة الرابعة - إذا اشتبك أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى حرب رغم
أحكام المادة الثالثة أعلاه يبادر حينئذ الفريق السامى المتعاهد الآخر فوراً إلى
معونته بصفة كونه حليفاً، وذلك دائماً وفق أحكام المادة التاسعة أدناه.

وفى حالة خطر حرب محقق يبادر الفريقان الساميان المتعاقدان فوراً إلى تحديد المساعى فى اتخاذ تدابير الدفاع المقتضية.

أن معونة صاحب الجلالة ملك العراق فى حالة حرب أو خطر حرب محقق تنحصر فى أن يقدم إلى صاحب الجلالة البريطانية فى الأراضى العراقية جميع ما فى وسعه أن يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والأنهر والموانى والمطارات ووسائل المواصلات.

المادة الخامسة - من المفهوم بين الفريقين الساميين المتعاقدين أن مسئولية حفظ الأمن الداخلى فى العراق وأيضاً - بشرط مراعاة أحكام المادة الرابعة أعلاه - مسئولية الدفاع عن العراق ازاء الاعتداء الخارجى تنحصران فى صاحب الجلالة ملك العراق.

مع ذلك يعترف جلالة ملك العراق بأن حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الأساسية بصورة دائمة فى جميع الأحوال هما من صالح الفريقين الساميين المتعاقدين المشترك.

فمن أجل ذلك وتسهيلاً للقيام بتعهدات صاحب الجلالة البريطانية وفقاً للمادة الرابعة أعلاه يتعهد جلالة ملك العراق بأن يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية فى البصرة أو فى جوارها وموقعاً واحداً لقاعدة جوية ينتقيه صاحب الجلالة البريطانية فى غرب نهر الفرات.

وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية فى أن يقيم قوات فى الأراضى العراقية فى الأماكن الآتفة الذكر وفقاً لأحكام ملحق هذه المعاهدة على أن يكون مفهوماً أن وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالاً ولا يمس على الإطلاق حقوق سيادة العراق.

المادة السادسة - يعتبر ملحق هذه المعاهدة جزءاً لا يتجزأ منها.

المادة السابعة - تحل هذه المعاهدة محل معاهدتي التحالف الموقع عليهما في بغداد في اليوم العاشر من شهر أكتوبر لسنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر لسنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بعد الألف الهجرية، وفي اليوم الثالث عشر من شهر يناير لسنة ست وعشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية الموافق لليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخرة لسنة أربع وأربعين وثلاثمائة بعد الألف الهجرية مع الاتفاقات الفرعية الملحق بهما التي تسمى ملغاة عند دخول هذه المعاهدة في حيز التنفيذ. وتوضع هذه المعاهدة في نسختين بكل من اللغتين العربية والإنكليزية ويعتبر النص الأخير النص المعول عليه.

المادة الثامنة - يعترف الفريقان الساميان المتعاقدان بأنه عند الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة تنتهي من تلقاء نفسها وبصورة نهائية جميع المسؤوليات المترتبة على صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق وفقاً للمعاهدات والاتفاقات المشار إليها في المادة السابعة من هذه المعاهدة وذلك فيما يختص بجلالته البريطانية، وبأنه إذا بقى شيء من هذه المسؤوليات فيترتب على صاحب الجلالة ملك العراق وحده.

ومن المعترف به أيضاً أن كل ما يبقى من المسؤوليات المترتبة على صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق وفقاً لأي وثيقة دولية أخرى ينبغي أن يترتب كذلك على جلالة ملك العراق وحده وعلى الفريقين الساميين المتعاقدين أن يبادرا فوراً إلى اتخاذ الوسائل المقتضية لتأمين نقل هذه المسؤوليات إلى صاحب الجلالة ملك العراق.

المادة التاسعة - ليس في هذه المعاهدة ما يرمى بوجه من الوجوه إلى الإخلال أو يخل بالحقوق والتعهدات المترتبة أو التي قد تترتب لأحد الفريقين الساميين المتعاقدين أو عليه وفقاً لميثاق عصبة الأمم أو معاهدة تحريم الحرب الموقع عليها

فى باريس فى اليوم السابع والعشرين من شهر أغسطس لسنة ثمان وعشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية.

المادة العاشرة - إذا نشأ خلاف ما يتعلق بتطبيق هذه المعاهدة أو بتفسيرها فلم يوفق الفريقان الساميان المتعاقدان إلى الفصل فيه بالمفاوضة رأساً بينهما يعالج الخلاف حينئذ وفقاً لأحكام ميثاق عصبة الأمم.

المادة الحادية عشرة - تبرم هذه المعاهدة ويتم تبادل الإبرام بأسرع ما يمكن ثم يجرى تنفيذها عند قبول العراق عضواً فى عصبة الأمم. وتظل هذه المعاهدة نافذة مدة خمس وعشرين سنة ابتداء من تاريخ تنفيذها. وفى أى وقت كان بعد عشرين سنة من تاريخ الشروع فى تنفيذ هذه المعاهدة على الفريقين الساميين المتعاقدين أن يقوموا بناء على طلب أحدهما بعقد معاهدة جديدة ينص فيها على الاستمرار على حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الأساسية فى جميع الأحوال. وعند الخلاف فى هذا الشأن يعرض ذلك الخلاف على مجلس عصبة الأمم.

وإقراراً لما تقدم قد وقع كل من المندوبين المفوضين على هذه المعاهدة وختمها بختمه.

كتبت فى بغداد فى نسختين فى اليوم الثلاثين من شهر يونيو لسنة ثلاثين وتسعمائة بعد الألف الميلادية الموافق لليوم الثانى من شهر صفر لسنة تسع وأربعين وثلاثمائة بعد الألف الهجرية.

نورى السعيد ف. هـ همفريز

ملحق - ١

يبين صاحب الجلالة البريطانية من حين إلى آخر مقدار القوات التى يقيمها جلالته فى العراق وفقاً لأحكام المادة الخامسة من هذه المعاهدة وذلك بعد مشاورة صاحب الجلالة ملك العراق فى الأمر.

ويقيم صاحب الجلالة البريطانية قوات فى الهندى لمدة خمس سنوات بعد الشروع فى تنفيذ هذه المعاهدة، وذلك لكى يتمكن صاحب الجلالة ملك العراق من تنظيم القوات المقتضية للحلول محل تلك القوات، وعند انقضاء تلك المدة تكون قوات صاحب الجلالة البريطانية قد انسحبت من الهندى. ولصاحب الجلالة البريطانية أيضاً أن يقيم قوات فى الموصل لمدة حدها الأعظم خمس سنوات تبتدى من تاريخ الشروع فى تنفيذ هذه المعاهدة، وبعد ذلك لصاحب الجلالة البريطانية أن يضع قواته فى الأماكن المذكورة فى المادة الخامسة من هذه المعاهدة. ويؤجر صاحب الجلالة ملك العراق مدة هذا التحالف صاحب الجلالة البريطانية المواقع المقتضية لإسكان قوات صاحب الجلالة البريطانية فى تلك الأماكن.

- ٢ -

بشرط مراعاة أى تعديلات قد يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على إحداثها فى المستقبل تظل الحصانات والامتيازات فى شؤون القضاء والعائلات الأميرية (وفى ذلك الإعفاء من الضرائب) التى تتمتع بها القوات البريطانية فى العراق شاملة القوات المشار إليها فى الفقرة الأولى أعلاه، وتشمل أيضاً قوات صاحب الجلالة البريطانية من جميع الصنوف، وهى القوات التى يحتمل وجودها فى العراق عملاً بأحكام هذه المعاهدة وملحقها أو وفقاً لإتفاق يتم عقده بين الفريقين الساميين المتعاقدين وأيضاً يوصل العمل بأحكام أى تشريع محلى له مساس بقوات صاحب الجلالة البريطانية المسلحة. وتتخذ الحكومة العراقية التدابير المقتضية للتثبت من كون الشروط المتبادلة لاتجعل موقف القوات البريطانية فيما يتعلق بالحصانات والامتيازات أقل ملاءمة بوجه من الوجه من الموقف الذى تتمتع به هذه القوات فى تاريخ الشروع فى تنفيذ هذه المعاهدة.

- ٣ -

يوافق جلالة ملك العراق على القيام بجميع التسهيلات الممكنة لتنقل القوات المذكورة فى الفقرة الأولى من هذا الملحق وتدريبها وإعانتها وعلى منحها عين تسهيلات استعمال التلغراف اللاسلكى التى تتمتع بها عند الشروع فى تنفيذ هذه المعاهدة.

- ٤ -

يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق بأن يقدم بناء على طلب صاحب الجلالة البريطانية وعلى نفقة صاحب الجلالة البريطانية ووفقاً للشروط التى يتفق عليها الفريقان الساميان المتعاقدان حرساً خاصاً من قوات صاحب الجلالة ملك العراق لحماية القواعد الجوية مما قد تشغله قوات جلالتة البريطانية وفقاً لأحكام هذه المعاهدة، وأن يؤمن سن القوانين التشريعية التى قد يقتضيها تنفيذ الشروط الأنفة الذكر.

- ٥ -

يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن يقوم عند كل طلب يطلبه صاحب الجلالة ملك العراق بجميع التسهيلات الممكنة فى الأمور التالية وذلك على نفقة جلالة ملك العراق وهى :

١ - تعليم الضباط العراقيين الفنون البحرية والعسكرية والجوية فى المملكة المتحدة.

٢ - تقديم الأسلحة والعتاد والتجهيزات والسفن والطائرات من أحدث طراز متيسر إلى قوات جلالة ملك العراق.

٣ - تقديم ضباط بريطانيين بحريين وعسكريين وجويين للخدمة بصفة استشارية فى قوات جلالة ملك العراق.

- ٦ -

لما كان من المرغوب فيه توحيد التدريب والأساليب فى الجيشين العراقى والبريطانى يتعهد جلالة ملك العراق بأنه إذا رأى ضرورة الالتجاء إلى مدربين عسكريين أجانب فإنهم يختارون من الرعايا البريطانيين.

ويتعهد أيضاً بأن أى أشخاص من قواته من الذين قد يوفدون إلى الخارج للتدريب العسكرى يرسلون إلى مدارس وكليات ودور تدريب عسكرية فى بلاد جلالته البريطانية بشرط أن لا يمنع ذلك صاحب الجلالة ملك العراق من إرسال الأشخاص الذين لا يمكن قبولهم فى المعاهد ودور التدريب المذكورة إلى أى قطر آخر كان.

ويتعهد أيضاً بأن التجهيزات الأساسية لقوات جلالته وأسلحتها لا تختلف فى نوعها عن أسلحة قوات صاحب الجلالة البريطانية وتجهيزاتها.

- ٧ -

يوافق جلالة ملك العراق على أن يقوم عند طلب صاحب الجلالة البريطانية بجميع التسهيلات لمرور قوات صاحب الجلالة البريطانية من جميع الصنوف العسكرية عبر العراق ولنقل وخزن جميع المؤن والتجهيزات التى قد تحتاج إليها هذه القوات فى أثناء مرورها فى العراق. وتتناول هذه التسهيلات استخدام طرق العراق وسككه الحديدية وطرقه المائية وموانئه ومطاراته. ويؤذن لسفن صاحب الجلالة البريطانية إذنأ عاماً فى زيارة شط العرب بشرط إعلام جلالة ملك العراق قبل القيام بتلك الزيارات للموانئ العراقية.

ف . هـ . هـ . ن . س

العراق في جمعية الأمم

وعملاً بما جاء في مقدمة المعاهدة الأخيرة رشحت إنكلترا العراق لدخول
جمعة الأمم اعترافاً ببلوغه درجة من الرقى تخوله حكم نفسه بنفسه، وفي يوم ٣
أكتوبر سنة ١٩٣٢ أصدر مجلس جمعية الأمم قراراً بإلغاء الانتداب على العراق
والاعتراف به دولة مستقلة. وإليك نص البلاغ الرسمى الذى أذاعته سكرتارية
جمعية الأمم بهذه المناسبة :

قبل العراق فى جامعة الأمم بإجماع الاثنتين والخمسين دولة التى مثلت فى
اجتماعها الذى عقدته فى ٣ أكتوبر الماضى فصار عضواً جديداً فى أسرة الأمم.

لقد خرجت مملكة العراق العربية من الحرب العالمية أرضاً من النوع الموصوف
بانتداب أى أمة بلغت من الرقى حالة يمكن «الاعتراف وقتياً بوجودها كأمة
مستقلة بشرط أن تستمد المشورة الإدارية والمساعدة من دولة منتدبة إلى الوقت
الذى تستطيع فيه الوقوف وحدها».

وقد قدمت المملكة المتحدة (أى بريطانيا) هذه المشورة وهذه المساعدة فكان
قبول العراق فى الجامعة المرحلة الأخيرة لعمل اختتم به نظام الانتداب، واعتراف
العالم بأن مملكة العراق تستطيع الوقوف وحدها.

وقال بضعة من المندوبين فى خطبهم إن «الوقوف وحدها» تعبير نسبى فى
العالم الحديث الذى تجد الأمم كلها فيه شديدة العلاقة بعضها ببعض ومقيدة
بقيود من الحاجات والتعهدات هى كالشبكة فى مداها.

ومن الذين خطبوا المسيو يفتتش اليوغوسلافى مقرر اللجنة التى أشارت
بقبول العراق فى الجامعة فقابل التأثير العظيم الذى للمعاهدات الدولية فى الحياة
الدولية الآن بمثله فى الزمان الذى كانت بلاده تبذل جهودها لتحرر (من النير
العثمانى).

وأعقبه المسيو بوليتس اليونانى رئيس الاجتماع فأفاض فى الكلام عن تقاليد الحضارة العربية السامية ومآلها من الفضل على العالمين، وقال إن الجامعة رحبت فى العام الماضى بالمكسيك فتركيا. والآن ترحب بالعراق العضو السادس والخمسين فيها، وقد دل مثل العراق على أن نظام الانتداب ليس ثوباً من الرياء يستتر الضم تحته كما ظن وكما قيل. بل إن فى وسع الجامعة أن تدخل على الحالة الدولية الحاضرة التغييرات التى توجبها حياة الأمم.

وأطرى الرئيس وبعض الأعضاء إنكلترا على نجاحها فى إنجاز مهمة الانتداب وما أبدت فيه من روح الأيثار والبعد عن المصلحة النفسية.

وشكر نورى باشا السعيد الحاضرين فى الاجتماع بالنيابة عن حكومته وأعرب عن شكر بلاده لإنكلترا وعن رجائه فى أن يقبل قريباً فى عضوية الجامعة إخوة العراق الذين لم يتقرر مصيرهم بعد.

وختمت الجلسة بشكر السرجون سيمون بالنيابة عن الحكومة البريطانية لرئيس الاجتماع ورئيس وزارة العراق على المدح الذى كاله لبلاده ورحب أحسن ترحيب بدخول العراق جامعة الأمم وقال عنه إنه أحدث الحكومات ولكنه أقدم البلدان التى كانت مبعث الدين ومصدر المدنية لنصف العالم.

نداء الملك فيصل

وعلى أثر ذلك أذاع جلالة الملك فيصل نداء على شعبه هذا نصه :

«أشكر الله وأهنئ نفسى وشعبى على هذا اليوم الذى فزنا فيه بعد جدال سياسى دام إحدى عشرة سنة بإحدى الأمنى الكبرى التى كنا نصبوا إليها وهى إلغاء الانتداب واعتراف الأمم بنا وبأننا أمة حرة ذات سيادة تامة، وأرى نفسى

سعيداً بأن أصرح بأن هذا الفوز لم يكن ثمرة جهد شخص أو أشخاص. بل هو محصول سعى الأمة بأجمعها. حيث كانت فى أثناء هذا الجهد مثالاً للصبر والحكمة وطول الأناة، ولم أر منها طول مدة هذا الكفاح سوى المعاضدة والتباعد عن وضع حجر عثرة فى السبيل الذى سرت عليه للوصول إلى هذا اليوم السعيد. هذا اليوم الذى أخذنا فيه مقعدنا بين الأمم.

فلقد كان أفراد الشعب على اختلاف أحزابهم وعقائدهم يشدون أزرى بجميع مآلديهم من قوة، وكنت أرى من يتقلد زمام الأمر يكذب فى الكفاح تحت ضغط المسؤولين بكل إخلاص وأمانة.

وأما من يقف موقف المعارض فقد كان لا يبتغى من وراء موقفه إلا التشجيع والعمل لخير البلاد.

وأما الشعب فقد كان منتبهاً يلقي وراء المسئول والمعارض نظرات التنقيد على من يحيد منهم عن الطريق السوى، ففطنة الشعب وإخلاص رجاله وتضافرهم فيما فيه نجاح البلاد. كل ذلك مما جعلنا ولله الحمد نصل إلى ما وصلنا إليه الآن من تبوؤنا مقعداً فى جمعية الأمم يخفق علمنا هذا المحبوب مع أعلامها جنباً لجنب.

أعزائي: لقد قطعنا هذه المرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر، وها نحن الآن على أبواب عهد جديد تتولى فيها بلادى المسؤولية التامة عن تدبير شؤونها وإدارة مقدراتها.

فإذا كان فى مقدور البعض أن يتخذ من الوضع عذراً فى الماضى عندما يتأخر عن القيام بالواجب، فقد أصبحنا اليوم أحراراً طليقيين. وقد أصبح مجال العمل فسيحاً أمام الجميع. فمن تقاعد فلا عذر له بعد اليوم.

وليعلم جميع أفراد الشعب بأن مستقبل الأجيال القادمة وكرامتها منوطان بما نقوم به فى السنوات القادمة من الأعمال. وليعلموا أيضاً بأن الأمم التى دخلنا فى

مصافها سوف ترقب أعمالنا. فإما أن تحكم علينا بأننا غير صالحين لنكون أقراناً لها، أو أن يتحقق حسن ظنها بأننا أحفاد أولئك الأمجاد الذين أقاموا مدنية استنار العالم بضوئها المنير إلى هذا اليوم.

فالى التسابق فى مضمار الترقى والتقدم أدعو جميع أبناء شعبي. وليس ذلك على ما هو مشتهر عنهم من النباهة والذكاء بعسير.

بنى وطنى: علينا أن نضاعف الجهود فى كافة أعمالنا. وأن نتذكر دائماً أن أمامنا وجائب خطيرة لم تنل بعد قسطها الوافر من العناية، فيجب أن تتوجه مساعى الجميع إلى ما يحقق القيام بتلك الوجائب، وفى مقدمتها إعداد قوة تحمى ذمارنا وتجعل أمتنا موفورة الكرامة محترمة الجانب. ثم القيام بمشاريع عظيمة للرعى وإنشاء ما تحتاجه البلاد من خطوط حديدية وطرق مواصلات أخرى. ونشر المعارف بين عموم أفراد الأمة، وتوسيع المؤسسات الصحية فى جميع أنحاء القطر، إذ لا استقلال بدون قوة وعلم وصحة وثروة. وسيكون كل ذلك بحوله تعالى وبتكاتف أفراد الأمة واتحادهم ونبذهم كل حزازة أو أنانية شخصية وبتوجيه وجهة كل منهم نحو غاية مشتركة ومقدسة وهى خدمة الوطن.

فعلى كل فرد من أفراد الشعب أن يسعى جهده لتحقيق تلك الغاية السامية. ومن تخلف عن تلبية هذا النداء فلا وطنية صحيحة له.

أعزائى: ستروننى كما كنت سائراً بعون الله وتوفيقه بدون وجل أو تردد مستهدفاً تلك الغاية وطالباً من كل فرد من أبناء شعبي القيام بما يترتب عليه للوصول إليها. وإنى لعلى ثقة تامة بأنهم سيعاضدوننى بكل إخلاص وستتضاعف همهم وجهودهم فى سبيل رقينا أن شاء الله إلى أبعد مدى من العمران والحضارة والله ولى التوفيق.

وقيل أن أختتم كلمتى هذه أرى من واجب الاعتراف بالجميل أن أعلن للملأ

أبتهاجى وأمتنانى العظيمين للمعاونات الثمينة التى نلتها من جانب صاحب
الجلالة الإمبراطورية الملك جورج وحكومته وشعبه العظيم، وممن وجد فى هذه
المملكة فى الحاضر والماضى من رجاله، تلك المعاونات التى أوّمل أن تدوم فى
المستقبل بإخلاص متقابل. كما أننى أعلن شكرى للأمم المجاورة لنا ولحكوماتها
على ما أظهرت نحونا من نوايا حميدة وولاء قويم. وأوّمل أكيداً بأننا سنبقى
واياهم جييراناً أصدقاء. وبالنهاية أشكر رجال جميع الدول الممثلة فى عصابة الأمم
والتي رحبت بنا وأدخلتنا فى حظيرتها، وأؤكد للعالم بأنه لا هدف لنا إلا السلم
والخدمة البشرية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهكذا قطع العراق خلال ثلاث عشرة سنة مراحل شاقة. فانتقل من
الاستعمار إلى الانتداب فالاستقلال، وتم له إنشاء دولة دستورية مدنية فى وسط
الزعازع والعواصف اعترفت أوربا بها، كما صان وحدته القومية بالاحتفاظ
بالموصل وبالقضاء على النزعات الأجنبية، وهو يعمل على إصلاح شؤون
وترقية موارده وتحسين شؤون الاقتصادية.

نظام الحكم فى العراق

دستور سنة ١٩٢٤

نظام الحكم فى العراق دستورى ملكى نيابى نظمه دستور نوفمبر سنة
١٩٢٤. وقد جاء فى المادة الأولى منه: يسمى هذا القانون «القانون الأساسى»
وتسرى أحكامه على جميع القطر العراقى. وجاء فى الثانية: العراق دولة ذات
سيادة مستقلة حرة. ملكها لا يتجزأ ولا يتنازل عن شئ منه. وحكومتها ملكية.
وجاء فى المادة الرابعة: عرش المملكة العراقية الدستورية وديعة الشعب للملك
فيصل بن الحسين ثم لورثته من بعده وولاية العهد لأكبر أبناء الملك سنأ على
خط عمودى.

وجاء فى المادة السادسة والعشرين : أن السلطة التشريعية منوطة بمجلس الأمة، وهو يتألف من الملك ومجلس الأعيان ومجلس النواب، وللمجلس الأمة حق وضع القوانين وتعديلها وإلغائها مع مراعاة أحكام هذا القانون.

علاقاته الدولية والسياسية ومعاهداته

نظمت الحكومة العراقية الجديدة علاقاتها السياسية مع معظم دول الشرق والغرب على أفضل منوال وتبادلت معها القناصل والمعتدين والسفراء. وبدأ هنا بنشر المعاهدات التى عقدتها مع الدول :

صلاته مع تركيا - اعترف الترك رسمياً بالحكومة العراقية فى معاهدة أنقرة يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٦ ولما زار جلالة الملك فيصل أنقره فى شهر يوليو سنة ١٩٣١ وضعت القواعد لعقد سلسلة معاهدات بين هاتين الحكومتين هى :

أ - معاهدة تسليم المجرمين.

ب - اتفاق إقامة.

ج - معاهدة تجارة.

وقد وقع على هذه المعاهدات فى أنقره يوم ١٠ يناير سنة ١٩٣٢ ومثل العراق فى عقدها نورى باشا السعيد رئيس حكومته، ومثل تركيا مصطفى شرف بك وزير الاقتصاد فى الحكومة التركية.

علاقاته مع الحكومة السعودية - ظلت صلات حكومتى بغداد ومكة بين جزر ومد حتى زار الحجاز نورى باشا السعيد رئيس الحكومة العراقية فى شهر ابريل سنة ١٩٣١ فنظم علاقات الحكومتين وعقد سلسلة من المعاهدات هذا بيانها :

أ - معاهدة صداقة وحسن جوار.

ب - بروتوكول تحكيم.

ج - معاهدة تبادل المجرمين.

وننشر هنا نص بروتوكول التحكيم لأهميته :

بسم الله الرحمن الرحيم

بناء على الرغبة التى أظهرها الفريقان الساميان المتعاقدان فى المادة الخامسة عشرة من معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٩ (الموافق ٧ نيسان سنة ١٩٣١) بين المملكة العراقية وبين المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها بشأن حل الاختلافات الناشئة عن أحكام المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بينهما، والتى لا يمكن حلها بالطرق السياسية.

نحن الموقعين أدناه المفوضين من قبل صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها قد اجتمعنا فى اليوم الواقع فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٩ هـ (الموافق ٧ نيسان سنة ١٩٣١) بعد أن فوضنا وفقاً للأصول للتوقيع على بروتوكول التحكيم الملحق بمعاهدة الصداقة وحسن الجوار الآتفة الذكر وقعنا على ما يأتى :

المادة الأولى - يجرى التحكيم بواسطة محكمين لايتجاوز عددهم الستة ينتخبون بالتساوى من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين برياسة شخص يتفق الفريقان المذكوران على انتخابه من وقت لآخر.

المادة الثانية - إذا رغب أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى أن يحيل للتحكيم أية قضية من القضايا التى يجب إحالتها وفق أحكام هذا البروتوكول عليه أن يعلن رغبته حينئذ إلى الفريق الآخر مع بيان أسماء محكميه، وعلى

الفريق الثانى أن يبين للأول أسماء محكميه أيضاً. على أن يتم الاجتماع خلال ستة أشهر من تاريخ إعلان رغبة الفريق الأول فى إجراء التحكيم.

'المادة الثالثة - يجرى تعيين رئيس هيئة التحكيم بالاتفاق بين الفريقين فى خلال المدة المذكورة فى المادة الثانية من هذا البروتوكول.

المادة الرابعة - على كل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يرسل إلى الفريق الآخر وإلى رئيس هيئة التحكيم مذكرة يوضح فيها قضيته والحجج التى تستند إليها، وللفريق المرسل إليه المذكرة أن يجيب عليها بشرط أن يكون ذلك خلال الستة الأشهر المنصوص عليها فى المادة الثانية أعلاه.

المادة الخامسة - يجتمع المحكمون فى المحل الذى يتم الاتفاق عليه بين الحكومتين، وعلى هيئة التحكيم أن تصدر قرارها خلال ثلاثة أشهر.

المادة السادسة - يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يقدموا إلى هيئة التحكيم جميع التسهيلات والمساعدات التى تطلبها للقيام بمهمتها.

المادة السابعة - لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين شخصاً أو أكثر لبسط نقطة نظره أمام هيئة التحكيم فى المسألة المختلف عليها.

المادة الثامنة - يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان تعهداً قطعياً بقبول وتنفيذ القرار الذى يصدره المحكمون فى المسألة المرفوعة إليهم. وللمحكمين إذا اقتضى الأمر أن يصدروا قرارهم بالأكثرية.

المادة التاسعة - تدفع كل من الحكومتين رواتب ونفقات المحكمين المعيّنين من قبلها، ونصف رواتب ونفقات الرئيس وكتبة الأسرار وغيره ممن يحتاج المحكمون إلى مساعدتهم.

المادة العاشرة - يصبح هذا البروتوكول نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ تبادل النسخة المبرمة من قبل الطرفين.

كتب في مكة المكرمة في ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٩ هجرية الموافق ٧ نيسان
سنة ١٩٣١ ميلادية.

رئيس وزراء الحكومة العراقية

نورى باشا السعيد

النائب العام لجلالة ملك الحجاز ونجد

وملحقاتها ووزير الخارجية

فيصل عبدالعزيز

علاقاته مع اليمن - وفي شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٩ زار صنعاء طه بك
الهاشمى مندوباً عن حكومة العراق لتنظيم العلاقات السياسية بين الحكومتين
فعقد المعاهدة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

رغبة في تأسيس علاقات صداقة ووداد بين مملكتى اليمن والعراق العربيتين
وتمهيداً لتنفيذ سعى وأمنية زعماء الأمة الإسلامية لتوحيد كلمة الأمة العربية
قرر كل من صاحبى الجلالة ملك العراق فيصل الأول ابن الملك حسين، وملك
اليمن الإمام يحيى بن حميد الدين إجراء معاهدة. وعينا مفوضين عنهما لعقدها
هما :

عن صاحب الجلالة ملك العراق

صاحب السعادة طه الهاشمى

وعن صاحب الجلالة ملك اليمن

صاحب الفضيلة القاضى عبدالله العمرى

اللذان بعد أن اطلعا على وثائق تفويضهما اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى - يعترف صاحب الجلالة ملك اليمن بالمملكة العراقية ويعترف صاحب الجلالة ملك العراق بالمملكة اليمنية.

المادة الثانية - حررت هذه المعاهدة بنسختين باللغة العربية وتصير نافذة من تاريخ تبادلها بعد إبرامها من قبل الملكين المتعاقدين، ويجرى التبادل فى المحل الذى يتفق عليه الفريقان.

حررت فى صنعاء فى ٢٣ ذى الحجة الحرام سنة ١٣٤٩هـ تسع وأربعين بعد الثلاثمائة والألف هجرية.

طه الهاشمى عبدالله العمرى

علاقاته مع الأفغان - وفى يوم ٢٠ ديسمبر سنة ٩٣٢ وقع فى طهران على معاهدة الصداقة الآتية بين العراق وأفغانستان وهى :

لما كان كل من صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة ملك أفغانستان راغبين فى تأسيس أوأصر الصداقة وحسن التفاهم بين بلديهما فقد عينا لهذا الغرض مندوبين عنهما وهما :-

عن جلالة ملك العراق :-

توفيق بك السويدي الوزير المفوض والمندوب فوق العادة للعراق فى إيران (طهران).

وعن جلالة ملك أفغانستان :-

السردارشير أحمد خان سفير أفغانستان فى إيران (طهران) اللذان بعد أن أبلغ كل منهما الآخر أوراق تفويضه فوجدت صحيحة وطبق الأصول قد اتفقا على ما يأتى :

المادة الأولى - يعترف كل من الفريقين المتعاقدين الساميين باستقلال الفريق الآخر، ويصرح بعزمه على إقامة سلم دائم وصداقة أبدية بين المملكتين.

المادة الثانية - يتفق الفريقان المتعاقدان الساميان على تأسيس علاقاتهما الدبلوماسية والقنصلية على أساس القانون الدولي العام. ويتفقان على أن يتمتع الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لكل منهما في أراضى الآخر بالمعاملة المقررة بمبادئ وتعامل القانون الدولي العام.

المادة الثالثة - تبرم هذه المعاهدة ويجرى تبادل وثائق الإبرام بأسرع ما يمكن في طهران. وتصديقاً لذلك أمضى المفوضان هذه المعاهدة وأثبتا ختميهما عليها.

كتبت بالفرنسية عن نسختين في طهران في ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٣٢

شير أحمد توفيق السويدي

علاقاته مع إيران - ظلت علاقات إيران مع جاراتها العراق سنوات عديدة بغير تنظيم، وقد أبت الحكومة الفارسية في أول الأمر أن تعترف بحكومة بغداد إلا إذا منحت الرعايا الإيرانيين في العراق امتيازات كامتيازات الأجانب - مع أنها الغيت بالنسبة لهؤلاء.

ولئن لم تنظم العلاقات حتى الآن بين هاتين الحكومتين تنظيماً نهائياً فهي في حال ودية، وقد زار جلالة الملك فيصل إيران في شهر إبريل سنة ١٩٣٢ وحل ضيفاً كريماً على جلالة الشاه رضا بهلوى فحفى به الفرس حفاوة زائدة، وإليك نص الخطب التي تبادلها الملكان في المأدبة الرسمية التي أدبت لملك العراق :

خطبة رضا شاه

يا صاحب الجلالة :

إننى لمسرور جداً بتوفيقى إلى مشاهدة الأخ العزيز، وبذلك قد تحققت نياتى السابقة. والآن أرحب بكمال السرور بوصول جلالتكم إلى إيران.

لا حاجة إلى التنويه بروابط بلادينا العديدة والمنافع المشتركة السائدة بيننا خاصة بعد ما أخذت تزداد يوماً فيوماً، وكانت دعامة هذا البنيان الرصين الذى شيدت عليه روابط الود والصداقة بين إيران والعراق.

إن تشريف جلالتكم إيران وفوزى بملاقاة جلالتكم يعبر عن روح الصداقة الصميمة الكامنة بيننا والعلائق الودية بين بلادينا، وسيكون لتشريف جلالتكم عامل مؤثر فى توثيق الروابط الودية بين المملكتين. لذلك إننى أشرب نخب صحة جلالتكم، ونجاح الأخ المحترم، وسعادة الشعب العراقى، وتقدم العراق المستمر.

خطاب الملك فيصل

يا صاحب الجلالة :

أعد نفسى سعيداً جداً لتمتعى بمشاهدة الأخ العزيز. الذى كان شوقى لرؤياه من أعظم الأمنى لدى، وأشكر جلالتكم شكراً عظيماً على الحفاوة التى لقيتها من لدن جلالتكم وعلى ما ورد فى خطابكم من عبارات الترحيب.

إن أعظم ما أشعر به من اغتباط وسرور هو أن أسمع من جلاتكم ما يؤيد تلك

الروابط العديدة والأخوة القديمة والمنافع المشتركة السائدة بين بلدينا، والتي هي الأساس القويم لرسوخ بنيان الود والصداقة الذى شيد بمؤازرة جلالتهكم.

إن تشرفى بزيارة جلالتهكم وبلادكم الجميلة يرمى أيضاً إلى إظهار الصداقة الصميمة الكامنة فى قلبينا. وإلى إعلان النيات الثابتة لتأييد الأخوة والصلوات الحسنة التى كانت ولم تنزل تربط شعبينا وبلادينا معاً منذ العصور.

وعليه فإننى أشرب نخب صحة جلالتهكم، وأتمنى لأخى العظيم وحكومته وشعبه النبيل السعادة والتقدم المطرد والتوفيق فى جميع الأعمال.

وبين هاتين الحكومتين اتفاق تجارى واتفاق مؤقت لصيانة مناطق الحدود من الأشقياء والعصابات. وقد وقع عليه فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣٢ وتدور المفاوضات لعقد سلسلة من المعاهدات والاتفاقات بينهما هذا بيانها :

١ - معاهدة حياد وعدم اعتداء.

٢ - معاهدة تسليم المجرمين.

٣ - معاهدة صداقة.

٤ - معاهدة إقامة.

٥ - معاهدة تجارة.

٦ - معاهدة تنقل سكان الحدود.

٧ - معاهدة حل اختلافات الحدود.

٨ - معاهدة التعاون القضائى.

٩ - معاهدة الجنسية.

وقد أتموا وضع مشروعاتها، وقد يوقع عليها فى زمن عبر بعيد.

أما علاقاته مع إنكلترا فهى منظمة بموجب معاهدة ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٠ وقد نشرنا نصها. ولم يعترف العراقيون بالوضع القائم فى سورية، وإن كانوا عقدوا سلسلة معاهدات مؤقتة مع الفرنسيين لمعالجة أحوال طارئة.

بلاد العرب السعودية

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

أكبر بلاد العرب مساحة، وأوسعها رقعة، وأقلها سكاناً، تقع في قلب الجزيرة وتمتد من الخليج الفارسي حتى البحر الأحمر، ومن حدود الشام حتى مشارف اليمن. ولا يوجد إحصاء رسمي لعدد نفوسها، فيقول بعضهم إنهم يبلغون خمسة ملايين. ويقول آخرون إنهم أقل من ذلك، ويبالغ آخرون فيجعلونهم ثمانية. وكذلك فليس بمستطاع معرفة حقيقة مساحتها السطحية وتقدر بستمائة ألف ميل مربع.

وتتألف من عدة مقاطعات وإمارات. وأشهر مدنها مكة والمدينة المنورة وجده والطائف وينبع في الحجاز، وابها ومحائل وصبيا وجيزان وأبى عريش في عسير. والرياض وحائل والتقطيف وجبل وعنيزة وبريدة في نجد. وهي مجموعة حكومات وإمارات عديدة اندمج بعضها في بعض خلال السنوات الأخيرة وأطلقوا عليها يوم ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ اسم «المملكة العربية السعودية».

وسكانها عرب مسلمون يتدين النجديون منهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ويتدين أهل الحجاز وعسير على مذهب الإمام الشافعي. وهناك عدد قليل لا يذكر من الأجانب يقيمون في جده ولايزيدون عن ٦٠ نسمة. وفي نجد بعض الشيعة ينزلون مقاطعة الأحساء.

وتحكم هذه البلاد بموجب الشريعة الإسلامية وتطبق في محاكمها. فتقطع يد السارق ويرجم الزاني ويقتل القاتل وتجبى الزكاة، ويقيم الإمام الحدود الشرعية. وهنالك هيئات رسمية اسمها «جماعة الأمر بالمعروف» مهمتها الطواف في الأسواق عند حلول أوقات الصلاة تدعو المؤمنين إلى أدائها في أوقاتها.

والزراعة هي المورد الأساسي لبعض مقاطعات هذه المملكة ويشغل بعضها بالتجارة، وأن كان الحجاز لا يخلو من بعض مظاهر المدنية الحديثة. وليس لها جيش نظامي بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة، وهم يدعون عند الحاجة جميع أبنائها إلى حمل السلاح فيلبون. ولا تزال البداوة غالبية على بعض سكانها. ويحدها البحر الأحمر غرباً والخليج الفارسي شرقاً، واليمن جنوباً والعراق والكويت وشرق الأردن شمالاً.

ومنشئ هذه الدولة هو الملك عبدالعزيز آل سعود. وعاصمتها الجديدة مكة، وعاصمتها القديمة الرياض في نجد. وهذا رسم جلالته :

جلالة الملك عبد العزيز آل سعود



ملك المملكة العربية السعودية

جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

مولده ونشأته

ولد في الرياض في قصر والده المرحوم عبدالرحمن الفيصل السعود أمير الرياض يوم ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٩٧ (ديسمبر سنة ١٨٨٠) ونشأ إلى جانب أبيه وإخوته فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة القرآن. وتمرن على ركوب الخيل وضرب السيف والرماية وألعاب الفروسية. وشب كما يشب أمثاله من أبناء الأمراء في ذلك الجيل. فقد كانوا يكتفون بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة البسيطة ويهملون ما عدا ذلك.

وكانت إمارة الرياض إبان نشأته في حروب مستمرة مع آل الرشيد في حائل وقد انتهت بانتصار هؤلاء فغادر والده الرياض ومعه أسرته وحاشيته وبينهم عبدالعزيز، وكان في الحادية عشرة فقصد الكويت ونزل ضيفاً على شيخها مبارك الصباح، وذلك سنة ١٨٢٩.

ونشبت خلال تديرهم الكويت حروب ومعارك بين مضيفهم الشيخ مبارك وبين عبدالعزيز الرشيد أمير حائل. فانضم عبدالرحمن وأولاده إلى مضيفهم من عدوهم، وقاد الفتى عبدالعزيز جيشاً وهو لم يبلغ الخامسة عشرة فانهزم كما انهزم الشيخ مبارك نفسه في معركة الصريف سنة ١٩٠٠ ودارت الدائرة على جيشه، وكان فيه الإمام عبدالرحمن وأولاده.

ونفخت هذه الحروب والمعامع يخوضها الفتى عبدالعزيز - ولم يطر عارضاه - روحاً من الجرأة والإقدام في صدره وصهرته صهراً فغامر مغامرة جديدة تنطوى على كثير من الجرأة والشجاعة، وإلى فوزه فيها يعود الفضل في إحياء إمارة آل السعود في نجد ثم إلى افتتاح هذه الأقطار وإنشاء هذه الملك الضخم.

وبيان ذلك أنه اختار على أثر معركة الصريف نخبه من رجال نجد الأشداء الذين لحقوا بهم في هجرتهم، وأبوا الإقامة في ظل آل الرشيد وكلهم فارس مجرب ألف الأخطار، فقصدهم جبرين على حدود الربع الخالي وقرر اتخاذها لأعماله بعد ماسدت في وجهه جميع الأبواب.

وفي يوم ٥ رمضان سنة ١٣١٩ سار من جبرين على رأس جيشه الصغير قاصداً الرياض (عاصمة إمارتهم) مصمماً على الموت أو يفوز بافتتاحها قبلها يوم ٤ شوال أي بعد مسيرة شهر فنزل بجيشه الصغير على بعد ١٠ كيلو مترات منها في مكان لا ترمقه الأنظار. وبعد ما استراح قليلاً ترك ٢٠ فارساً ممن معه وأمرهم بأن يلزموا مكانهم كاحتياطي له يستعين بهم عند الحاجة.

ولما بلغ البلدة أمر ٣٠ بالتوقف انتظاراً لتعليماته وولى عليهم شقيقه الأمير محمداً ثم تقدم لاختراق السور الخارجي مع ١٠ فقط وكان بابه مغلقاً والدخول إلى المدينة ليس بالسهل.

وعمد إلى الحيلة في تنفيذ خطته - والحرب خدعه - وكان يعرف أن فلاحاً يتجر بالبقر يسكن قرب السور فقصده بيته وطرق الباب فصاحت زوجة الفلاح من الداخل، من الطارق ؟

- أحد رجال الأمير عجلان - حاكم الرياض من قبل ابن رشيد - أريد من رجلك أن يشتري لنا بقرأ صباح الغد،

- خسئت يا شبه الرجال ما جئت تبغى البقر يا فاجر بل جئت تبغى الفساد.

- لا والله. ليس هذا مأربى. بل أبغى صاحب البيت فإذا لم يخرج الآن فالأمير يقتله في صباح الغد.

وخافت المرأة التهديد، ففتحت الباب وكان زوجها في الداخل، ويعرفه عبدالعزيز شخصياً، ويعرف زوجته وأولاده ومنهم من كان في خدمة آل سعود.

فلما رأواه صاحوا عمنا عبدالعزيز (ويكنى الخادم فى بلاد العرب عن مخدمه بلقب عمه) فقال لهم لا بأس عليكم إذا سكتم. ثم أدخلهم غرفة وأقفل عليهم الباب ووضع المفتاح فى جيبه ومضى فى تنفيذ خطته.

وتسلك جدار بيت مجاور عند الحصن فألقى اثنين نائمين فى فراش واحد فلفهما وحملهما إلى غرفة صغيرة وأقفل عليهما. ولما وثق من النجاح وعرف أن كل شئ يسير طبق المرام انطلق فجاء بالثلاثين الواقفين قرب السور فاجتمعوا فى البيت الثانى من دون أن يشعر بهم أحد.

ثم قصد بيتاً هنالك للأمير عجلان أقام فيه إحدى نسائه وكان يتردد عليها فدخله ومعه عشرة من رجاله فطافوا غرفه، وكان فى إحداها شخصان نائمان توهم أنهما الأمير وزوجة فدخل الغرفة وجاء بسراج عرف على نوره بعد إيقاظهما انهما امرأة الأمير وزوجة أخيه.

وعرفته المرأة فقالت له :

- أنت عبدالعزيز

- نعم

- ومن تبغى

- زوجك

- والله أحب أن تقتل كل من فى البلد من شمر إلا زوجى. ولكنى أخشى عليك منهم. أخشى أن يقتلوك يا عبدالعزيز.

- ما سألك عن هذا. إنما نريد أن نعلم متى خرج عجلان من الحصن الداخلى.

- بعد طلوع الشمس بساعة.

- هذا كل ما نبغيه ولا بأس عليك إذا سكتن.

ثم جمع النساء والخدم وكل من فى القصر ووضعهن فى غرفة وأقفل بابها. وبعد أن أتم ذلك وكان الوقت نحو الساعة الثالثة بعد نصف الليل جلس مع رجاله فأكلوا وشربوا القهوة انتظاراً لطلوع الشمس، وهو فى خلال ذلك يفكر فى تنفيذ الجزء الباقى من خطته.

وفتح باب الحصن الداخلى فى الصباح وخرج العبيد بالخيال فأسرع عبدالعزيز يعدو حتى دخل الباب ومعه خمسة عشر من رجاله وصادف خروج الأمير عجلان فى تلك الدقيقة فلما رأى عبدالعزيز ورجاله ارتد إلى الداخل يريد الفرار، وكان الباب الكبير قد أقفل ولم تبق سوى (الخوذة الصغيرة) وفيما كان يهم بدخولها رماه عبدالعزيز برصاصة فجرحته ولم تقتله ثم أسرع فأدركه وكان نصفه داخل الباب فجذبه إلى الخارج فتماسكا وتصارعا وكل منهما يحاول الفتك بخصمه.

وأفاق رجال الحصن على الجلبة فرموا برصاصهم عبدالعزيز ومن معه فقتلوا اثنين وجرحوا أربعة فلم يثن ذلك المهاجمين بل استمروا فى هجومهم وكان عبدالله بن أجلوى أول داخل فعدا وراء عجلان، وكان قد أفلت من يد عبدالعزيز فرماه برصاصة فخر صريعاً، وبذلك دان لهم الحصن واستسلم رجاله بعد ما أمّنوهم. ثم أرسل المنادى ينادى فى الأسواق بدخول المدينة فى طاعته. فأقبل الناس يهتفون أميرهم القديم، ويعلنون اغتباطهم بفوزه ورجوعه إليهم. ومنذ ذلك اليوم أصبح سيد نجد وحاكمها.

ولقى ابن السعود الأهوال فى ابتداء الأمر. فقد حاربه ابن الرشيد حروباً كثيرة بعد استيلائه على الرياض محاولاً إخراجه منها فلم يفلح. ولما وثق عبدالعزيز من قوته، وأشدت ساعده بدأ بمهاجمة مقاطعات نجد فاحتلها الواحدة بعد الأخرى تدريجاً، وكانت مقاطعة الأحساء - وهى ساحل نجد على الخليج

الفارسي - آخر ما أحته، فقد استولى عليها الترك فى أواخر القرن الماضى
مغتتمين فرصة الاضطرابات الداخلية فى نجد ووقوع الحرب بين أمرائها. ورأى
الترك بعد دخول الإحساء فى طاعته أنه ليس من مصلحتهم الاشتباك معه فى
حرب جديدة فصالحوه وعينوه والياً عليها ومنحوه رتبة باشا سنة ١٩١٣ وبذلك
اعترفوا عملياً بدخولها فى سلطته، وأن لم يعترفوا رسمياً.

على أن نجم ابن السعود لم يشرق ويتألق إلا بعد الحرب العظمى، وقد انتهت
بجلاء الترك عن بلاد العرب وتفرد الإنكليز بالنفوذ فيها، وهم أصدقاء بيت
سعود القدماء، فقد اغتنم الفرصة السانحة وهاجم حائل (مقر إمارة آل الرشيد)
فتغلب عليها لزوال القوة التى كانت تسندها - أى قوة الترك - وبعد حصار
طويل استسلمت إليه فى سنة ١٩٢٠ فألحقها ببلاده، وعين أميراً لها يديرها
بأسمه.

وسير الملك الحسين فى سنة ١٩٢٠ حملة كبيرة على شرقى الحجاز عقد
لواءها لنجدة الثانى الأمير عبدالله. مهمتها الظاهرة إخضاع قبائل طربة والخزعة
التي شقت عصا الطاعة بقيادة خالد بن لؤى (أمير طربة) وانضمت إلى
الوهابيين، ومهمتها المضمرة الزحف على الرياض وضرب ابن السعود ضربة
قاضية وضم بلاده إلى الحجاز. وقد وضع النجديون وأنصارهم السيف فى رقاب
رجالهم فأفنوها، ولم تقم للحكومة الهاشمية بعدها قائمة فى الحجاز. وسيأتى
وصف مطول لهذه الحملة عند الكلام على سيرة الأمير عبدالله. ولولا تدخل
الإنكليز وحملهم ابن السعود على الرجوع إلى بلاده مقابل وعد له بحل المشاكل
القائمة بينه وبين حكومة الحجاز على منوال يرضيه لثم له دخول مكة على أهون
سبيل.

وسير الحسين فى السنة التالية سنة ١٩٢١ الرسل والدعاة إلى عسير يدعون
سكانها إلى الانتفاض على أميرهم الإدريسي، فلقبت دعوته أذاناً صاغية ورفع

أمراء آل عايض راية العصيان. فخاف السيد ابن إدريس العاقبة، وأدرك أنه لا قبل له بقمع هذه الفتنة وقطع دابرها. فضرب اخماساً لأسداس فرأى أن النجاء هي في الالتجاء إلى صاحب نجد، عدو الحسين الألد، فكاتبه وعقد معه معاهدة سير على أثرها القوات إلى عسير فقمعت الفتنة واستولت على البلاد الثائرة (أبها ومحail وبنى شهر) وألحقتها بنجد وضربت العائضيين وقبيلهم ضربة شديدة ونكلت بهم تنكيلاً.

وفى يوم أول صفر سنة ١٣٤٣ هاجم بعض رجاله المخافر الحجازية الواقعة على حدود نجد ففر الجند الهاشمى من أمامهم فبلغوا الطائف واستولوا عليها يوم ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٤ (٦ صفر سنة ١٣٤٣) بعد مذبحة سيأتى وصفها بإيجاز وواصلوا تقدمهم. فدخلوا مكة بلا حرب يوم ١٨ أكتوبر فى تلك السنة. وعلى أثر ذلك جاء ابن السعود إلى الحجاز وتولى بنفسه مواصلة الحرب حول جدة فسلمت إليه فى يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بموجب شروط سيرد ذكرها. وبذلك دخل الحجاز كله فى طاعته، وفى يوم ١٢ يناير سنة ١٩٢٦ بايعه الحجازيون المجتمعون فى مكة ملكاً عليهم. فاتخذ لنفسه لقباً هو (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) ثم أبدل بلقب «ملك البلاد العربية السعودية» على ما مر بك آنفاً.

كيفية يقضي يومه؟

يختلف الملك عبدالعزيز في عاداته وأطواره عن معظم الملوك والأمراء الذين نتلو سيرهم، ونقرأ في الصحف أخبارهم. فعاداته مخالفة لعاداتهم. وتقاليده لا تتفق وتقاليدهم، والظاهر أن للوسط الذي نشأ فيه دخلاً في تكييف عاداته، خصوصاً وهو لم يغادر بلاد العرب في حياته كلها، ولم يزر الأقطار التي اعتدنا أن نسميها متمدنة ولم يختلط بسكانها، ولم يقرأ كتب الأوربيين ولا مؤلفاتهم، ولم يطلع على أخلاقهم وعاداتهم، فقد قضى صباه شريداً طريداً، ولما بلغ أشده تقلد السيف ولم يضعه من يده حتى الآن فهو لا يزال في كفاح ونضال مستمرين. ومما يؤثر عنه قوله : إنه لا يوجد في داخل جزيرة العرب شبر أرض لم يقاتل عليه.

والبلاد التي زارها أو رحل إليها هي الكويت والبصرة والحجاز، ولم يركب البحر في أسفاره إلا داخل الخليج الفارسي، ولم يعرف سكة الحديد إلا حينما رآها في المدينة، على أنه أقبل منذ اختراع السيارة على اقتنائها لما أدركه من فوائدها، ولديه عدد غير قليل منها. وهو يعتمد عليها في أسفاره وتنقلاته، بدلاً من الذلول والخيل. كما أقبل على استعمال التليفون السلكي واللاسلكي والبرق اللاسلكي في بلاده، فعنده مراکز كثيرة في جميع الأنحاء، ويعول عليها في تخاطبه مع عماله وأمرائه في ممالكه الواسعة.

يستيقظ ابن السعود مبكراً بين الساعة ٣ - ٤ صباحاً فيتوضأ ويصلي الصبح ثم يبدأ بتلاوة القرآن. سواء كان في الرياض أو مكة فيقرأ جانباً كبيراً منه. ويظل في اعتكافه وتهجده حتى قرب شروق الشمس ثم ينام عند الساعة الخامسة ويستيقظ نحو الساعة الثامنة فيلبس ثيابه ويشرب القهوة ويجرع كمية من لبن

الإبل. ثم يخرج إلى الديوان فينظر في الشؤون المعروضة عليه. ويوافيه عامل اللاسلكى كل صباح بتقارير عماله وأمرائه. وكل حاكم مدينة عندهم يسمى أميراً وجميعهم يتصلون اتصالاً مباشراً بالملك فيوافيه كل منهم بتقرير مفصل عن الحالة في منطقته فلايكاد يفوته شئ مما يقع.

ثم يأخذ في استقبال زائريه وقاصديه، وعماله ورجاله، فيجلس معهم متربعاً على سجادة مفروشة على الأرض ويحادثهم ويناقشهم ويشرب القهوة مع كل زائر، ويظل على ذلك حتى الساعة ١١ قبل الظهر، ويكون الطهارة قد انتهوا من أعداد الطعام وتهيئته، فيجلس إلى مائدة مدت على الأرض وحوله ضيوفه ويأكل بيده إذا كانوا من أهل نجد والحجاز، أما إذا كان هنالك رسميون، فيأكل بالملعقة، ويجلس إلى موائد نظمت على الطراز الحديث. ولديه غرفه فخمة للطعام فى القصر العالى بمكة أعدت إعداداً مناسباً. وكذلك فقد أعد القصر الأخضر فى جده على نمط حديث. وبعد الفراغ من الأكل تدار القهوة العربية، ثم يصلى الظهر ويدخل الجناح الخاص بالنساء فينام ثم ينهض عند الساعة الثالثة فيستحم ويبدل ثيابه ويتطيب وينتقل إلى الديوان فيصلى العصر جماعة ثم يجلس لاستقبال الزائرين والنظر فى الشؤون المعروضة عليه والفصل فى الخصومات حتى أذان المغرب فيصلى جماعة مع الموجودين. ثم يبدأ أحد العلماء بإلقاء درس فى الفقه بحضور الملك وأنجاله وأمرائه وغيرهم من الذين يودون الاستفادة ويستمر فى إلقائه حتى دخول وقت العشاء فيصلون ثم يلقي عالم آخر درساً فى التفسير والحديث يستغرق ساعة وفى ختامة يتفرق الناس للنوم فيقصد جلالته مخدعه فينام ويستيقظ عند الفجر فيصلى ويتلو القرآن على المنوال الذى بسطناه آنفاً.

هذا هو برنامج اليومى فى الأوقات العادية حينما يكون مستقراً فى نجد أو فى الحجاز. أما فى الأسفار أو فى أيام الحروب والغزوات فيختلف برنامج عن ذلك، فقد تمر به ليال لاينام فى خلالها إلا غراراً على ظهور الإبل أو الخيل

مواصلًا سرى الليل بسير النهار لا ياكل إلا قليلاً، ولا يشرب إلا نادراً إذا وجد ماء. ومما يروى عنه أنه اضطر فى بعض غزواته إلى شق بطون النياق لاستخراج مافيه من ماء وشربه لندرة الماء، وكثيراً ما قضى الأيام والليالى طاوياً لعدم وجود ما يأكله.

وطعامه اليومى المعتاد هو الأرز واللحم المسلوق واللبن الرائب ولبن الأبل والخبز، ويأكل الفواكه إذا وجدت. وهى قليلة فى نجد والحجاز قلة الخضار، وترسل من السويس إلى مكة فيأكلها إبان إقامته فيها. والأرز واللحم هما عنصرا الغذاء فى نجد والحجاز.

لباسه - يضع ابن السعود الكوفيه والعقال على رأسه ويلبس قميصاً أبيض طويلاً فوق جسمه وتحت سراويل واسعة ويضع فوقه ثوباً وفوق «الثوب» عباءة، ويكون الثوب من الجوخ فى الشتاء ومن القماش الأبيض فى الصيف، وألبسته غالباً تنسج وتخاط فى دمشق وترسل إليه. وليس فيها ما يفضل أو يميزه على أحد عماله أو رجاله الآخرين. ولا يلبس (جوارب) قط. مكتف بالخف يلبسه فى رجله على طريقه أهل الحجاز ونجد، وقد ينزعه عند ركوبه الخيل. وشعاره البساطة التامة فى كل شئ.

ويحب المباشطة على المائدة خلال تناول الطعام، ويمازح جلساءه ورجال خاصته ويحادثهم أحاديث طلبية لا أثر فيها للكلفة ويعاملهم معاملة الصديق للصديق والند للند، وهم يحبونه حباً جماً ويتفانون فى سبيله. على أنه لا يتأخر عند الحاجة عن تأديب بعض من يذنب منهم بيده. وهو مشهور بالإفاضة فى الحديث، فإذا بدأ بموضوع لا يتركه قبل أن يلم به من جميع نواحيه ولا يدع زيادة لمستزيد. فإذا قاطعه جليسه أو محدثه مستدركاً على شئ أو مبدياً رأياً لاح له، أو فكرة مرت بخاطره قال له «أسمع أنا أعلمك» أى أخبرك أو «أسمع، أسمع الله يهديك» أو «ماتسمع الله يسلمك» ويردد هذه الجمل كثيراً فى محادثاته اليومية.

ومن مزاياه الحميدة اعترافه بأنه لم يتعلم العلوم ولم يرزق حظ الإحاطة بها، وهو يكرر ذلك فى معظم المناسبات ويقول «حنا» أى نحن ما تعلمنا فيجب على الذين تعلموا أن يساعدونا ويرشدونا.

خطبه - خطبه كثيرة متداولة وهو يخطب فى كل مناسبة تقريباً ومن عاداته أنه يخطب وهو جالس ويشير بسبابته اليمنى ويستعين بها أو (بقضيب) صغير يحمله فى يده - على أداء ما فى فكرة . وهو يرسل الكلام إرسالاً من دون أن يتقيد بأساليب البلغاء أو بقواعد اللغة بل يخطب بلهجة أهل نجد، وتغلب على خطبة المسحة الدينية، وكثيراً ما يستشهد بأحاديث نبوية وآيات قرآنية فى خلالها.

أخلاقه - تغلب عليه الوداعة والمرونة مع شدة وقسوة عند الحاجة، فهو يعرف كيف يضع السيف كما يعرف كيف يضع الندى، وهو متسامح مع خصومة وأعدائه واسع الصدر، كريم اليد، فإذا جاءوا تائبين أو نادمين عفا عنهم ورحب بهم وأجزل لهم العطايا وأنزلهم أحسن المنازل. ويكون انتقامه شديداً ممن ينتقض عليه أو يحاربه بعد أن يكون دخل فى طاعته.

وقد تم له بفضل سياسة الحزم والعزم والشدة التى يسير عليها فى إدارة بلاده وأقطاره الواسعة إقرار الأمن على منوال غير معروف فى أعظم البلاد رقياً وحضارة، فأطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم فى غدوهم ورواحهم حتى ندر وقوع الحوادث العادية. والفضل فى ذلك إلى يقظته الزائدة وأخذه بالشدة المجرمين وقاطعى الطريق والعاثين بالأمن العام فلا يرحمهم ولا يشفق عليهم ولا تنفع عنده فيهم شفاعاة.

راتبه - ليس لجلالته راتب معين يتناوله من بيت المال. بل هو يأخذ ما هو فى حاجة إليه لإنفاقه على ضيوفه وزواره. ولا توجد فى الحكومة العربية السعودية ميزانية مرتبة مبنوية كما هو الحال فى الممالك الأخرى بل كل شئ

رهن إرادة الملك. وتقصدته وفود العربان حينما يكون فى نجد فيصاحبه كل يوم عدد منها فينزلون فى دار الضيافة، ولكل أمير من أمراء ابن السعود فى نجد والحجاز دار للضيافة ينزلها المسافرون، ويعد أن يقضى القادمون أيام الضيافة وهى ثلاثة فى الغالب يرفع وكيل بيت المال إلى الملك كشفا بأسمائهم ليأمر لهم بأعطياتهم فيكتب إلى جانب اسم كل واحد منهم المبلغ الذى يعطى له مراعيأ حالته ومقامه. فهذا يأخذ ١٠ ريالاً، وهذا ٥٠ وهذا ٣٠٠ مثلاً، وهذا ٧٥ وهذا يأمر له بعشر نياق، وذاك بخمسة أكياس من الأرز. ومن تقاليدهم أن يمنحوا كل زائر كسوة - عدا العطاء - والكسوة عبارة عن عباءة وثوب. والعبي عندهم درجات مثل الأثواب. فقد تكون من الحرير وقد تكون من الوبر أو من القماش العادى ويسمونها «بشت» فما يعطى للأمير أو لشيخ القبيلة لا يعطى للزائر العادى أو لغيره. ويمنح كبار الضيوف وعظمائهم السيوف المذهبة أو الخناجر المطعمة أو الساعات الثمينة، كل برتبة ودرجته، ولا يغادر قصره زائر من دون هدية.

وقد يغتنم البدو فرصة خروجه من مكان إلى آخر فيلحقون به فيدنوا أحدهم منه ويهمس فى أذنه من وراء أنه فى حاجة إلى مال ليتزوج فيقول لمن يكون وراءه من رجاله أعطوه ١٠ ريالاً مثلاً - وهى كافية للزواج - ثم يأتى غيره ويقول له «يا طويل العمر» وهى كلمة دعاء فى نجد، أنا فى حاجة إلى «بشت» فيأمر له به أو يقصدته من يطلب ناقة فيأخذها.

وبابه مفتوح للضيف والمظلوم، وكيسه مفتوح للبذل والعطاء كما أن سيفه مسلول للبطش والتأديب. وقد ساد قومه بهذه المزايا الثلاث : العدل والكرم والشجاعة ونال مالم ينله غيره من آل سعود.

زوجاته - لا يوجد أحصاء حقيقى لعدد النساء اللواتى تزوجهن حتى الآن. بيد أن بعض العارفين يقول أن عددهم يزيد عن المائة فقل أن توجد قبيلة أو مدينة فى نجد لم يتزوج بنتا من بناتها تقريباً إليها واستمالة لها.

وهو متمسك بما قرره الدين من جهة العدد - رغم تعدد زوجاته وكثرتهم. ومعنى ذلك أن عدد الزوجات الشرعيات لا يتجاوز الأربع بوجه من الوجوه، فإذا أراد الزواج طلق واحدة من الموجودات ثم عقد على التى وقع اختياره عليها وبنى بها.

ومطلقاته يقسمن إلى قسمين : فاللواتى يحبلن أو يلدن يبقين داخل قصر الرياض ويقمن منفردات - كل واحدة فى مكان يخصص لها ريثما تضع حملها، فإذا كان حيا عنيت به وقامت على تربيته ولها مال للزوجات الباقيات من المأكل والملبس. وأما اللواتى لم يلدن فيرجعن إلى أهلهن مع جهازهن والبستهن وما يكون الملك قد أجراه لهن مدة وجودهن فى قصرة. وبينهن من يلزمن بيوتهن ولا يقبلن الزواج بغيره. وبينهن من يتزوجن بعد انقضاء العدة الشرعية ولا يجدن فى ذلك أقل بأس.

وتعدد الزوجات شائع فى نجد، وقل أن تجد رجلاً لم يتزوج مرات كما قل أن تجد امرأة لم تتزوج أكثر من رجل. ولا يجدن فى ذلك - نساء ورجالاً - غضاضة.

وفى القصر الملكى عدا النساء الشرعيات طائفة من الجوارى السود اللواتى يدخلن فى آية «وما ملكت أيمانكم» يفترشهن الملك وكذلك، فهناك طائفة غير قليلة من السراى ويسمونهن (كجريات)^(١) وقد حملن إلى نجد فى زمن الحرب العظمى فاشتراهن الملك وتسراهن وهو يستمتع بهن، وبينهن واحدة ولدت له أولاداً وهى تقيم فى القصر محترمة مكرمة، تعنى بملابسه الخاصة وتسهر على ترتيبها ونظافتها. والملك مشهور بميله إلى النساء وعطفه عليهن وهن سلوته الوحيدة.

أولاده - لا يقل عدد أولاده ذكوراً وإناثاً عن أربعين ونحن نكتفى بإيراد ما تعرفه من أسماء الذكور - أما الإناث فلا يعرف أسماءهن إلا القليلون :

(١) نسبة إلى بلاد الكورج أو جورجيا فى القوقاس وقد اشتهرت هذه البلاد بجمال نسائها.

سعود، وفيصل، ومحمد، وخالد، وناصر، وسعد، ومنصور، وفهد، وبندر، ومساعد، وعبدالمحسن، ومشعل، وعبدالله، وسلطان، وعبدالرحمن، ومتعب، وطلال، وتركي، ونواف. ولئن كانوا الأمير سعود أكبر أنجاله في الوقت الحاضر فاسم بكره تركي وقد توفي سنة ١٩١٩ بالوفاة الأسبانيولية ولا يزال يكنى حتى الآن به فيقولون أبو تركي لا أبو السعود.

وقد اعتاد أن يأتي معه بجانب من نسائه حين قدومه إلى الحجاز سنوياً ويبقى الجانب الأكبر في نجد ويأخذهن معه في رجوعه إليها.

أوصافه - طويل القامة، ضخم الجثة. واسع الفم إذا تكلم وهو غاضب ظننت أنه الجمل يهدر، ذو وجه مدور لوحته الشمس أسمر البشرة طويل القامة ندر أن يوجد بين رجال نجد من يدانيه في الطول فكأنه المفرد العلم إذا وقف بينهم. له لحية صغيرة، أصيب برمد في عينيه ولذلك يضع نظارة يستعين بها في القراءة. وأحياناً يدنى الورقة أو الكتاب من عينيه ليتبينه جيداً، ويوقع بيديه على أوراق الحكومة ويعرضها عليه رئيس ديوانه الخاص. وخطه يقرأ بصعوبة زائدة، وفي جسمه كثير من الجروح التي أصيب بها في المعارك وإحدى أصابعه مشلولة.

ولابن السعود عناية عظيمة بالصحف العربية وخصوصاً الصحافة المصرية ويقرا ما تكتبه عن بلاده بإمعان، وهو مشترك في معظم الصحف العربية مصرية وسورية وعراقية وتقرأ في ديوانه وترفع إليه قصاصات منها عن الحالة في بلاد العرب.

وكذلك فهو مشترك في جريدتي التيمس والنيريسست الإنكليزية ويتولى قلم الترجمة في ديوانه ترجمة المقالات الخاصة ببلاد العرب ويرفعها إلى جلالته. وهناك مترجمون أيضاً لترجمة ما يكتب في الصحف الهندية عن الحجاز.

عادته في رحلاته - ومن عادته في رحلاته أن يقف اثنان من رجاله ويبد كل واحد منهما بندقية على درجة سيارته هذا من اليمين وذاك من الشمال خوف

وقوع حادث مفاجئ. وتكون إلى جانبه فى السيارة بندقية خاصة به. ويضع سائق سيارته الخاص وهو هندى مضى على وجوده عنده سنوات عديدة بندقية فى جانبه.

ويسير وراءه حيثما سار شاب أسود اللون تسليح بالبندقية والمسدس والجنبية والخنجر، فيرافقه فى زيارته وفى زهابه إلى الولايم الخاصة وإلى المسجد وإلى كل مكان ولا يتركه إلا بعد دخوله غرفته الخاصة فى القصر، وهذه العادة متوارثة انتقلت إليه من أمراء آل السعود السابقين، ومنشؤها أن إيرانياً باغت سعود الكبير وهو يصلى فى النجف سنة ١٢١٨ فاعمد خنجره فى ظهره فقتله وهو ساجد. فأعد خلفه أحد رجاله وسلحه وأمره بأن يتبعه أينما سار ويقف وراءه فى صلاته ولا يصلى هذا التابع حينما تقام الصلاة بل ينتظر ختامها ليصلى فلا يباغت الأمير فى صلاته.

عنايته بنشر العلم - ومما يستحق الذكر من أخباره عنايته الزائدة بنشر العلم، فقد طبع آلافاً من كتب الفقه والحديث وخصوصاً ما كان منها مطابقاً لمذهب السلف، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ووزعها مجاناً فى أنحاء مملكته خدمة للعلم ونشراً له.

وفى عهده أنشئ أول مستوصف فى الرياض وعين له طبيب خاص يعنى بصحة السكان ويداوى مرضاهم ويوزع عليهم الأدوية مجاناً، وفى عهده أيضاً أرسلت أول بعثة من شبان نجد والحجاز إلى مصر وأوربا لتتلقى العلوم والصناعات وذلك فى سنة ١٩٢٧ وعددها ١٦ شاباً ثم حال الضيق الاقتصادى دون متابعة إرسال البعثة. وفى عهده أيضاً أجاز ركوب السيارات فى الحجاز وكان استعمالها ممنوعاً فى العهد السابق، وأدخلت الآلات الزراعية الحديثة لاستعمالها فى نجد والحجاز، وانتشرت ماكينات اللاسلكى وغيرها من أدوات الحضارة الحديثة إلخ.

استخباراته - ويجب علينا أن نسجل عناية ابن السعود بتسقط أخبار البلاد المجاورة له. فلديه مصلحة استخبارات منظمة تنقل إليه جميع ما يحدث بالضبط والتفصيل فلا يكاد يفوته شيء مما يقع تقريباً ويوافيه عماله برقياً بأخبار الحوادث الهامة عند وقوعها. كما يوافونه بتقارير سرية هامة. ومما عرفه كاتب هذه السطور بنفسه أنه دخل على جلالته - وكان في مكة في شهر مايو من شهور سنة ١٩٣٠ فبادره بقوله : اليوم انقطعت المفاوضات بين النحاس باشا والمستر هندرسن وغادر الوفد المصرى لندره من دون وصول إلى اتفاق، ودخل عليه بعد ذلك فقال له : لقد أعلن المسيو بونسو الدساتير فى سورية. وهكذا كان يقف من جلالته على أخبار البلاد العربية بالتفصيل يومياً وهى مما لا يعرفه أحد فى الحجاز.

الفتن فى عهد - اشتعلت ثلاث فتن خطيرة فى العهد الأخير داخل بلاده : فتنة الدويش فى نجد سنة ١٩٢٩ ، وفتنة ابن رفاده فى الوجه (الحجاز) سنة ١٩٣١ ، وفتنة الأدارسة فى عسير سنة ١٩٣٢ ، ولقد لقى نصباً فى إخمادها ولكنه قضى عليها ونكل بدعاتها وموقديها.

عقده

نشأت إمارة آل سعود في نجد خلال القرن الثامن عشر. ومؤسسها هو محمد بن سعود، وقد اشتهر بتأييده لحركة محمد بن عبدالوهاب الداعية الديني في نجد، وكانت الدرعية عاصمة هذه الإمارة في ابتداء أمرها ثم انتقلت إلى الرياض. وخلفه نجله عبدالعزيز بن محمد، فسعود ابن عبدالعزيز ويلقبونه بالكبير، وهو الذي غزا الحجاز واليمن والشام واحتل المدن والعواصم واغتاله أحد الشيعة وهو يصلى كما مر بك. فخلفه ولده عبدالله وقد أعدم شنقاً في الآستانة، فخلفه مشاري وقد قتل أيضاً، فخلفه تركي عبدالله، ففيصل بن تركي، ثم عبدالله بن فيصل، ثم عبدالرحمن الفيصل، ثم عبدالعزيز الحالي وهو العاشر من آل السعود.

ولم تكن إمارة الرياض تشمل يوم درج على أديم هذا الوجود سوى جزء صغير من أجزاء نجد لم يلبث أن سقط في قبضة آل الرشيد منافسى آل السعود وخصوصهم فغادره أميره عبدالرحمن الفيصل لاجئاً إلى الكويت بأولاده وحاشيته والمترجم له في جملتهم، وكان في العاشرة من سنة فونزل ضيفاً على شيخها.

ولم يخلد عبدالعزيز إلى الدعة والسكينة منذ ما أصبح قادراً على تقلد الحسام وامتناء الجواد. بل واصل الحرب والقتال مدة ثلاثين سنة كاملة ثم له في خلالها إنشاء هذا الملك الضخم وقد قاتل على كل شبر أرض منه كان يقول عن نفسه.

ولم يشرق نجمه ويتلألأ كوكب مجده إلا بعد الانتصارين العظيمين اللذين أدركهما في وقت يكاد يكون واحداً، فقد قضى في طريقه، على جيش الملك حسين فأصبح بذلك يمتلك أكبر قوة عسكرية في شمال الجزيرة، كما أن فوزه الحاسم

يوم حایل وتقويضه إمارة آل الرشيد جعله سيد نجد غير مدافع وصاحب الكلمة العليا فيها، فأنصرف إلى تعزيز نفوذه فى خارجها فاحتل جانباً من عسير بلا عناء، وحالف الأدارسة فى تهامة كما وسع حدوده من جهة الشرق وأقام ينتظر الفرص ليضرب ضربته الكبرى وليبسط نفوذه على الجزيرة كلها ويدخلها فى طاعته وهو الحلم الجميل الذى يحلم به ويطمع أن يوفق إلى تحقيقه.

على أنه لابد لنا من الاعتراف بأنه كان للصدف والحظ - وابن السعود محظوظ كما يقول عن نفسه - نصيب فى ماناله من نصر وتمكين فى الحجاز، وحسبك أنه لما بشر باحتلال أنصاره للطائف لم يصدق الخبر بل أعاد الكرة مستفهماً ومتثبثاً فأيدوه له. فظل على تردده حتى جاءه من مصدر ثالث ورابع فأزعم الرحيل على الفور إلى مكة ليتولى بنفسه قيادة الجيش الذى يدخلها، ولكنه لم يصل إلا بعد فوات الوقت وبعد انقضاء أسابيع على دخول البلد الحرام. وزيادة فى البيان نقتطف هنا جملاً من تقرير شبه رسمى أذاعته حكومة مكة بعد احتلال الطائف قالت :

«لقد صدرت الأوامر من الرياض لفريق من جند الإخوان بمهاجمة حدود الحجاز على أثر اعتداء حكومة الحسين على الحدود النجدية ووقوفها ذلك الموقف فى مؤتمر الكويت^(١) وكانت تلك القوة شرذمة قليلة من سكان البادية لا يتجاوز عددها الألف من المقاتلين. ومنتهى ما كان يظن أنها تفعله هو طرد قوى الشريف من القرى المجاورة للطائف ثم ترجع عنها أو تثبت أمامها.

ولم يكن يقدر لها مالمقيته من النصر والظفر، ولذلك لم تتزود بشئ كثير من

(١) اجتمع مؤتمر الكويت مرتين: الأولى يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ التسوية الخلافات بين نجد والعراق من جهة، وبين نجد وشرقى الاردن من جهة أخرى. فعقد ثلاث عشرة جلسة وفى يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٢٤ تقرر تأجيله إلى أواخر شهر فبراير، وفى يوم ٢٥ مارس اجتمع ثانية فعقد ثلاث جلسات ثم انفض يوم ٩ إبريل من دون أن يصل إلى نتيجته بسبب تشدد كل فريق من الفريقين.

الزاد بل كان ما حملته منه لا يكفيها إلى أكثر من شهر. كما أن حملته من العتاد الحربى لا يكفي لإطالة الحرب أكثر من بضعة أيام. وما كان يدور فى خلد قوادها أنهم يدنون من حدود الطائف ولذلك لم يتخذوا شيئاً من التدابير الاحتياطية استعداداً لدخولها.

وكان أول ما فعلته هذه القوة أنها اشتبكت مع قوة للحسين فى الأخيضر فهزمتها ثم تقدمت بلا مقاومة تقريباً حتى بلغت أبواب الطائف، وكان البدو الحجازيون ينضمون إليها فى تقدمها طلباً للكسب والغنم.

ولما صارت على أبواب الطائف وجدت قوات الحسين تغادرها على جناح السرعة فدخلتها ودخلها البدو الحجازيون، ولم تمض ساعة حتى امتلأت بهم واختلط الحابل بالنابل والعدو بالصدى وأنكر الابن أباه والأخ أخاه.

ورد هذا البيان بعد ذلك على ما اتهم به جيش الأخوان فى الطائف من النهب والسلب والقتل فقال: إن الذى قام بأعظم أدوار السلب والنهب لم يكن من الجند المرسل، بل كان أكثره من بدو الحجاز الذين كانوا يحاربون مع الشريف وقد ضربوه من خلفه حينما دارت عليه الدائرة وأبدى البيان زائد الأسف على ما وقع. ووعد بالتعويض على المنكوبين ومعاقبة المذنبين وتنصل من كل ما حدث.

وبعد ماتم لجيش الإخوان احتلال الطائف يوم ٦ صفر سنة ١٣٤٣هـ واصل زحفه إلى مكة فأصدر الحسين أمره بتعبئة قواته استعداداً للنضال. كما أصدر ابن السعود أوامر من الرياض إلى قواده بأن يلزموا مواقفهم فى الطائف فى انتظار قدومه، لأنه كان يود أن يكون تسليم مكة على يده. والظاهر أن هؤلاء رأوا أن الفرصة سانحة للتقدم فساروا وكانت قوات الحجازيين تنضم إليهم فى مسيرهم تخلصاً من حكم الشريف وجوره. ولم ينتصف شهر ربيع الأول حتى وصل الإخوان مكة فدخلوها من دون حادث يذكر.

واغتتم الحجازيون الفرصة فدعوا الحسين إلى التنازل عن العرش فتنازل

لولى عهده الملك على يوم ٦ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ وظنوا أنهم بهذه الطريقة يحملون ابن السعود على التراجع عن الحجاز وعقد الصلح مع الملك الجديد - وكان قد انتقل إلى جده - فلم يغن عنهم ذلك شيئاً. إذ كان أول ما فعله هذا عند وصوله إلى مكة فى شهر جمادى الأولى من تلك السنة إعلانه أنه سيتابع الحرب حتى إخراج الهاشميين من الحجاز ثم يحكم المسلمين فى مصيره «لأنه لا غاية له فيه ولا مطمع» ورفض قبول وساطة المتوسطين الذين جاءوا وهم طالب بك النقيب من البصرة، والمستتر فيلبى من لندن، وأمين أفندى الريحانى من لبنان وتصل كل واحد من هؤلاء به صلة ود وصداقة.

وزحف ابن السعود على جدة فى أوائل شهر يناير سنة ١٩٢٤ (جمادى الثانية) فحضر الحصار عليها وأرسل كتاباً إلى كل واحد من قناصل الدول فيها قال فيه:

«بما أننا وصلنا مكة ومرادنا الزحف إلى جدة لتأمين المواصلات بين أقاليم البلاد وبما أن لكم رعايا فى جدة فإنى أعرض على سعادتكم ثلاثة أمور وأخيركم بانتقاء أحدها: فإما أن ترسلوا رعاياكم إلى مكة، وإما إلى بلادهم وإما أن تخرجوهم خارج جدة ليكونوا بعيدين عن منطقة القتال فنرسل حينئذ من يحميهم» فرد عليه القناصل بأنهم لا يقبلون كتابه وأنهم يعدونه مسئولاً عن كل ما يقع.

ولما تم له بعد ذلك الاستيلاء على جدة ودخولها قال له أحد الذين قابلوه إنه لا بد له من الحصول على اعتراف الدول به ملكاً على الحجاز فأجابه بهذا الجواب البليغ «حنا (نحن) فى جدة وما على من لا يقبل إلا أن يأتى ويخرجنا منها».

حصار جدة - واستمر ابن السعود نحو ١١ شهراً على أسوار جدة استنفذ الملك على جهده خلالها فى الدفاع والمقاومة. ولما رأى أنه لم يبق فى استطاعته مواصلة الدفاع وسط قنصل إنكلترا فى جدة المستر جوردون لعقد صلح بينه وبين خصمه فأرسل هذا على الفور الكتاب الآتى إلى ابن السعود :

«بعد الاحترام: مراعاة للإنسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية إلى الحجاز أكون مسروراً إذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتى بالرغامة غداً يوم الخميس ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع ما يمكن» فأرسل إليه الرد بالموافقة وفى الوقت المعين اجتمعوا وتم الاتفاق على شروط التسليم وسلمت بموجبها المدينة وهذه هى :

اتفاقية التسليم

- (١) بالنظر لتنازل الملك على ومبارحته للحجاز وتسليم بلدة جدة يضمن السلطان عبدالعزيز لكل الموظفين الملكيين والحرييين والأشراف وأهالى جدة عموماً والعرب والسكان والقبائل وعوائلهم سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم.
- (٢) يتعهد الملك على أن يسلم فى الحال جميع أسرى الحرب الموجودين بجدة إن وجد.
- (٣) يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه.
- (٤) يجب على جميع الضباط والعساكر أن يسلموا فى الحال إلى السلطان عبدالعزيز بجميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطائرات وخلافه وجميع المهمات الحربية.
- (٥) يتعهد الملك على وجميع الضباط والعساكر بأن لا يخبروا أو يتصرفوا فى أى شئ من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها.
- (٦) يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون فى العودة إلى أوطانهم ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم.

(٧) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه.

(٨) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يبقى جميع موظفى الحكومة الملكيين فى مراكزهم الذين يجد فيهم الكفاءة فى تأدية واجباتهم بأمانة.

(٩) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح الملك عليا الحق فى أن يأخذ معه الأمتعة الشخصية التى فى حوزته بما فى ذلك أتوموبيله وسجاجيده وخيوله.

(١٠) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية فى الحجاز بشرط أن هذه الممتلكات تكون فعلاً من الموروثة ولا تشتمل على الأملاك الثابتة المحولة من الأوقاف بمعرفة الحسين إلى شخصه ولا على المباني التى يكون الحسين قد بناها فى أثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز.

(١١) يتعهد الملك على أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء.

(١٢) جميع البواخر التى فى ملك الحجاز وهى (الطويل ورشدى والرقمتين ورضوى) تصير ملكاً للسلطان عبدالعزيز ولكن السلطان يصرح إن لزم الأمر للباخرة رقمتين أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك على المتنازل ثم ترجع.

(١٣) يتعهد الملك على ورجاله وسكان جدة بأن لا يبيعوا أو يخربوا أو يتصرفوا فى أى شئ من أملاك الحكومة مثل اللنشات والسنابيك وخلافه.

(١٤) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة بعاليه إلا فيما يختص بتوزيع النقوذ.

(١٥) يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة

أسمائهم أدناه أيضاً ضمن العفو العام وهم عبدالوهاب ومحسن وبكرى أبناء يحيى قزاز وعبدالحى بن عابد قزاز وأحمد وصالح أبناء عبدالرحمن قزاز وأسماعيل بن يحيى قزاز والشيخ محمد على صالح بتاوى وأخوانه إبراهيم وعبدالرحمن بتاوى أبناء محمد على صالح بتاوى وأبنائهم وأبناء عمهم حسن وزين بتاوى أبناء محمد نور والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم والشيخ يس بسيونى والسيد أحمد السقاف وعوائل وأموال جميع المذكورين بن أنفا.

(١٦) إن كان الملك على أو رجاله فى حال من الأحوال يخالف أو يقصر فى تنفيذ أى مادة من المواد المذكورة بعاليه فإن السلطان عبدالعزيز لايعتبر نفسه فى تلك الحالة مسئولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية.

(١٧) يتعهد الطرفان السلطان عبدالعزيز والملك على أن يكفا عن أى حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضة ، أ هـ.

مبايعة ابن السعود - وبعد ماتم له الاستيلاء على جدة عاد إلى مكة فاستقبل وفداً من أهل الحجاز فطلبوا منه أن يترك لهم حق تقرير مصيرهم فأجابهم إلى طلبهم وأصدر البيان الآتى :

«أما بعد فقد بلغ القاصى والدانى ما كان من أمر الحسين وأمرنا إلى أن اضطررنا لامتنشاق الحسام دفاعاً عن أرواحنا وأوطاننا ودفاعاً عن حرمة الله ومحارمه. ولقد بذلت النفس والنفيس فى سبيل هذه الديار المقدسة إلى أن يسر الله الكريم بفضلته فتحها واستتبأب الأمن فيها. ولقد كانت عزيمة منذ باشرت العمل فى هذه الديار أن أنزل على حكم العالم الإسلامى - وأهل الحجاز ركن منه - فى مستقبل هذه الديار المقدسة، ولقد أذعت الدعوة للمسلمين عامة غير مرة أدعوهم لعقد مؤتمر إسلامى يقرر فى مصير الحجاز ما يرى فيه المصلحة ثم عززت ذلك بدعوة عامة وخاصة فأرسلت كتاباً للحكومات والشعوب الإسلامية فى ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤هـ وقد نشر ذلك الكتاب فى سائر

صحف العالم^(١) ومضى عليه مايزيد عن الشهرين لم أتلّق على دعوتى جواباً من

(١) نشرته جريدة أم القرى بشكل بلاغ رسمى يوم الجمعة ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ فى عددها ٤٥ قالت :

لقد صرح عظمة السلطان أيده الله غير مرة بغاياته ومقاصدة من قدومه للحجاز وأعلن لأول يوم وصلت فيه جنوده إلى حدود الحجاز أنه لا يريد غير تطهير هذا البيت وجعل الحكم بيد أهله واتحاد العالم الاسلامى على النظر فى مصالح المسلمين فى هذه الديار ولم نجد عظمة السلطان حاد عن هذا القول قيد أنملة منذ كانت جنوده على اطراف الحدود الحجازية إلى أن أصبحت معظم البلدان الحجازية فى قبضة يده بل على العكس وجدناه كلما تمكن سلطانه فى هذه الديار ودان له أهلها بالسمع والطاعة ازداد تقدماً فى توضيح تلك الغاية وبيانها للناس وجعل شكل معين مقبول لها حتى تدخل تلك الامانى فى طور عملى يجنى ثمرته أهل الحجاز خاصة والعالم الاسلامى عامة، وكان أيده الله كلما سنحت له فرصة القول يصرح بتصريحات واضحة فى بيان غايته هذه ومن تتبع الاجزاء التى صدرت من جريدة أم القرى إلى اليوم يرى فيها من تصريحات عظمة السلطان فى هذا الشأن ما فيه بلغة لكل باحث مفكر مخلص، ولكن الايام الماضية والظروف السابقة لم تكن لتسمح بدعوة المؤتمر الاسلامى للنظر فى شئون هذه الديار دعوة رسمية خاصة لانه لم يكن فى المسلمين هذا التنبه والميل للعمل الحقيقى بجد فى هذا السبيل ولكن بعد ان طال امد هذه الحرب وصار الناس يتطلعون للنتائج بشئ من الخوف والحذر ظهر النشاط الحقيقى فيهم للعمل، ولما شعر عظمة السلطان بذلك وان الوفود والرسائل ترد من جميع الجهات للبحث فى هذا الشأن رأى أن الوقت قد حان لتحقيق امنية طالما تمنّاها المسلمون المخلصون لهذه الديار من القديم فكتب لجلالة ملك مصر ولسمو أمير الافغان ولحكومة ايران ولحكومة العراق ولجمعية الخلافة وجماعة أهل الحديث وجمعية العلماء فى الهند والمجلس الاسلامى الأعلى فى فلسطين وللشيخ بدر الدين المحدث فى دمشق ولبعض ملوك المغرب وأمرائه وإلى جميع من يعينهم أمر هذه الديار المقدسة من علماء المسلمين وأمرائهم وزعمائهم، الكتاب الآتى :

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل السعود إلى.... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فانى أرجو لكم دوام الصحة والعافية وإنى لسعيد أن أمد يدي ليدكم ولكل يد عاملة لخير الاسلام والمسلمين، وإنى مملوء ثقة أنه بتعاوننا على الخير سيكون المستقبل السعيد لجميع الشعوب الاسلامية.

إنى لست من المحبين للحرب وشرورها وليس لدى شئ أحب إلى من السلم والسكون والصفاء والهناء والتفرغ للاصلاح ولكن جيراننا الاشراف اجبروني على امتشاق الحسام وخوض غمرات الحرب خمس عشرة سنة لا فى سبيل شئ سوى الطمع على ما بأيدينا، فقد صدونا على سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعله الناس للناس سواء العاكف فيه والباد، وإنى والذى نفسى بيده لم أرد التسلط على الحجاز ولا تملكه وإنما الحجاز وديعة فى يدي إلى الوقت الذى يختار الحجازيون لبلادهم والياً منهم يكون خاضعاً للعالم

أُخذ ماعدا جمعية الخلافة في الهند. فإنها بارك الله فيها عملت وتعمل كل ما في وسعها لراحة الحجاز وهنائه.

ولما انتهى الأمر في الحجاز إلى هذه النتيجة التي نحمد الله عليها جاءني أهله جماعات ووجدانا يطلبون مني أن أمنحهم حريتهم التي وعدتهم بها في تقرير مصيرهم. فلم يسعني أمام طلباتهم المتكررة إلا أن أمنحهم هذه الحرية ليقرروا في شأن بلادهم ما يشتهون بعد مآظهم من العالم الإسلامي هذا الصد والإعراض عن مثل هذه القضية الهامة - أهـ

الاسلامى تحت اشراف الامم الاسلامية والشعوب التي ابدت غير تذكر في هذا السبيل كأهل الهند وأمثالهم.

ان الخطة التي عاهدنا عليها العالم الاسلامى والتي لم نزل نحارب من اجلها مجملة فيما يلى :

(١) ان الحجاز للحجازيين من جهة الحكم وللعالم الاسلامى من جهة الحقوق التي لهم في هذه البلاد.

(٢) سنجرى الاستفتاء التام باختيار حاكم الحجاز تحت اشراف مندوبى العالم الاسلامى ويحدد الوقت اللازم في ذلك لما بعد، وسنسلم الوديعة التي في أيدينا لهذا الحاكم على الاسس الآتية:

(١) يجب ان يكون السلطان الاول والمرجع للناس كافة في الشريعة الاسلامية المطهرة.

(٢) حكومة الحجاز يجب ان تكون مستقلة في داخليتها ولكن لا يصح لها ان تعلن الحرب على أحد ويجب ان يوضع لها النظام الذي يمكنها من ذلك.

(٣) لاتعقد حكومة الحجاز اتفاقيات سياسية مع أى دولة كانت.

(٤) لاتعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع أى دولة غير اسلامية.

(٥) تحديد الحدود الحجازية ووضع النظم المالية والقضائية والادارية للحجاز موكول للمندوبين المختارين من الامم الاسلامية وسيحدد عددهم باعتبار المركز الذي تشغله كل دولة للعالم الاسلامى والعربى وسيضم لهؤلاء مندوبون من جمعية الخلافة وجماعة أهل الحديث وجمعية العلماء في الهند ومندوبون من قبل الجمعيات والهيئات الاسلامية التي تمثل المسلمين في الديار التي ليس فيها حكومة اسلامية هذا ما نوبناه لهذه البلاد وما سنسير عليه في المستقبل ان شاء الله تعالى، ولى الامل العظيم في ان تسرعوا في ارسال مندوبيكم واخبارنا عن الوقت المناسب لعقد هذا المؤتمر. هذا ما لزم ببيانه....).

**كتاب البيعة - وهذا نص كتاب البيعة الذي رفعه الحجازيون إلى ابن
السعود وجوابه عليه :**

(بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من
لأنبى بعده. نبايعك يا عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل
السعود على أن تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما
عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله.
وأن يكون الحجاز للحجازيين، وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه. وأن
تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز وأن يكون الحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم
رعايتكم).

وقد أجابهم بما نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى
إخواننا الحجازيين الموقعين أسماءهم. سلام عليكم.

وبعد فقد أجبتكم إلى ما طلبتم ونسأله سبحانه وتعالى المعونة والتوفيق
للجميع في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤هـ.

وجرت حفلة البيعة في الكعبة الشريفة يوم الجمعة ٢٥ منه وخطب الخطباء ثم
لقى الملك خطبه ضافية دعا فيها إلى الاعتصام بكتاب الله وإلى التوحيد الخالص،
ثم قال : إني أحمد الله الذي جمع الشمل وأمن الأوطان، وإن لكم على عهد الله
وميثاقه أننى أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادى وعائلتى أحبكم فى الله
وأعاديكم فى الله.

وهكذا انتهى أمر الحجاز ودخل فى حظيرة المملكة العربية.

**الحماية على عسير - اضطربت الحال فى عسير بعد دخول الحجاز فى
طاعة ابن السعود فوقع نزاع بين السيد على الإدريسي الأمير وعمه السيد**

الحسن - سهل لقوات الإمام يحيى العمل فاكتسحت معظم بلاد هذه الإمارة فخاف الأدارسة انقراضها فكتبوا ابن السعود وأرسلوا إليه وقدأ عقد معه معاهدة يوم ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦ دخلت بموجبها هذه الإمارة فى حمايته وهذا نصها :

الحمد لله وحده.

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الإمام السيد الحسن بن على الإدريسى.

رغبة فى توحيد الكلمة وحفظا لكيان البلاد العربية وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة أمام عسير السيد الحسن بن على الإدريسى على عقد الاتفاقية الآتية :

المادة الأولى : يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن على الإدريسى بأن الحدود القديمة الموضحة فى اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩هـ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن الإدريسى والتي كانت خاضعة للادارسة فى ذلك التاريخ تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

المادة الثانية : لايجوز لإمام عسير أن يدخل فى مفاوضات سياسية مع أى حكومة، وكذلك لايجوز أن يمنح أى امتياز اقتصادى إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة : لايجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة : لايجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضى عسير المبيئة فى المادة الأولى.

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية أمام عسير الحال على الأراضى المبينة فى المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته.

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر فى شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق أمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هى فى الحكومتين.

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلى أو خارجى يقع على أراضى عسير. المبينة فى المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعى المصلحة.

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة : دوت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة.

وقعت هذه المعاهدة بتاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦.

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

الختم الملكى

أمام عسير

تم ذلك بحضور راقم هذه

الحسن بن على الإدريسي

الأحرف خادم الإسلام

الختم

أحمد الشريف السنوسي

الرسمي

الختم

على أن الحالة تحولت في عسير بعد ذلك. فقد ثار الادارسة على ابن السعود في شتاء سنة ١٩٣٢ (شهر رجب سنة ١٣٥١) بزعماء السيد الحسن فسير هذا القوى من الحجاز ونجد فاحدقت بالثائرين وأطفأت الفتنة وأعادت الأمن إلى نصابه.

واغتزم ابن السعود الفرصة فأعلن انتهاء حكم الادارسة وإنشاء إدارة جديدة في هذه المقاطعة وهي تدار مباشرة اليوم، وخصص للسيد الحسن راتباً شهرياً قدره ٢٠٠٠ ريال يتناولها من خزينة ابن السعود بشرط أن لا يقيم في عسير كما خصص ٥٠٠ ريال راتباً شهرياً للسيد عبدالوهاب نجل السيد محمد على الإدريسي.

نظام الحكم في المملكة العربية السعودية

ظلت نجد حتى دخول الحجاز في حوزة الملك ابن السعود تحكم حكماً دينياً مستمداً من الشريعة الإسلامية، فالأمير هو الإمام المكلف بإقامة أحكام الدين وتنفيذ أوامره ونواهييه وحماية الذمار والجهاد لإعلاء كلمة الله.

على أن اتساع رقعة هذه الإمارة واتصال رجالها بالعالم المتمدن بعد دخولهم الحجاز أدى إلى إدخال بعض تعديل على نظام الحكم وبعبارة أصح إلى - تنظيمة - وذلك بسن كثير من القوانين التي ظهرت الحاجة إليها في العهد الجديد. فقد

انشأوا فى الحجاز فقد «إدارة» عليها مسحة مدنية وضعوا لها دستوراً سموه «نظام التشكيلات الأساسية» يشبه من وجوه دساتير الحكومات الأخرى. كما سنوا قانوناً للجنسية وآخر لمجلس الشورى وللكرنتينا وللطبابة ولل قضاء وهكذا. فعندهم اليوم مجموعة غير قليلة من الأنظمة والقوانين الجديدة وهى مما دعت الحاجة إلى وضعه.

والملك هو مصدر كل سلطة فى الدولة والحكم النيابى بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة فى البلاد الأوربية غير معروف عندهم أيضاً. والشرعية الإسلامية هى المرجع الذى يرجعون إليه.

وتقسم البلاد العربية السعودية اليوم بحسب الأوضاع الإدارية الجديدة إلى منطقتين مستقلتين استقلالاً إدارياً: فهناك منطقة نجد وعاصمتها الرياض ويتولى إدارتها الأمير سعود النجل الأكبر للملك. وليس هنالك وزارات ولا مديريات ولا مكاتب ولا دواوين كما هو الحال فى الحجاز، فالنظام الإدارى عندهم غاية فى الاختصار والإيجاز، يتألف من ديوان الأمير وهو ينظر فى جميع الشؤون. وقاض للقضاة وأمين لبيت المال ترد عليه أموال الزكاة من العمال فى الأقاليم وينفقهها بأمر الأمير مباشرة.

والمنطقة الثانية هى منطقة الحجاز. ويقوم على إدارتها الأمير فيصل النجل الثانى للملك، وقد أحدثوا فيها مجلس وزراء يشمل اختصاصه المملكة كلها ويتولى الأمير فيصل رياسته وكذلك أنشأوا أربع وزارات يتولى الأمير ثلاثة منها علاوة على الرئاسة ونياية الملك وهى وزارة الداخلية والخارجية والحربية. أما الوزارة الرابعة وهى المالية فيتولاها نجدى.

ويشرف الملك على أعمال نائبيه فى المنطقتين، ولا يبرمان أمراً من الأمور إلا بموافقته وإطلاعه. ولا يتم شئ فى داخل دولته إلا بعد استئذانه والحصول على أجازته مقدماً.

ولا يعترف أهل نجد باللقب الجديد الذى أضيف إلى ابن السعود فهم يلقبونه حتى الآن بلقب «الشيوخ» وهذه الكلمة تطلق على آل السعود كلهم، ويكنى بها عن الأمير أو الملك فيقولون جاء الشيوخ إذا جاء. أو ذهب الشيوخ إذا ذهب. وهناك من يناديه بالإمام وندر بينهم من يناديه بالملك أو بلقب صاحب الجلالة. ويستثنى من ذلك الموظفون وأهل الحجاز وممثلو الدول.

وزيادة فى البيان ننشر خلاصة قانون التعليمات الأساسية (الدستور) وقد وضعته الجمعية العمومية للحجاز ونشرته حكومة مكة رسمياً يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٦ فقد جاء فى المادة الأولى منه «المملكة الحجازية مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً لا يقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه» وجاء فى المادة الثانية «أن الدولة العربية الحجازية دولة ملكية شورية إسلامية مستقلة فى داخليتها وخارجيتها» وقالت الثالثة والرابعة: إن مكة هى عاصمة الدولة، وأن اللغة العربية هى لغتها الرسمية. وقالت الخامسة: إن إدارة المملكة الحجازية تكون بيد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وجلالته مقيد بأحكام الشرع. وقضت المادة السادسة بأن تكون الأحكام دوماً فى المملكة الحجازية منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح. وقال السابعة: يعين من قبل صاحب الجلالة الملك نائب عام ويقدر اللزوم مديرون.

نظام ولاية العهد - لم يكن نظام ولاية العهد معروفاً فى الإمارة النجدية من قبل. بل كان أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء وشيوخ القبائل يجتمعون فى الرياض يوم وفاة الإمام فيختارون إماماً توفرت فيه الشروط المنصوص عليها فى كتب الشريعة الإسلامية.

ورأى بعض أقطاب هذه الحكومة أن الأفضل لمصلحة حكومتهم أخذ البيعة بولاية العهد للأمير سعود أكبر أنجال جلالة الملك ونائبه فى الرياض دفعاً للقليل والقال. وقد لاقت هذه الفكرة قبولاً وارتياحاً فأقرها مجلس الشورى لحكومة

مكة ورفعها إلى جلالة الملك فأقرها، وهكذا تمت البيعة للأمير سعود يوم ١٦ المحرم ١٣٥٢ الموافق ١١ مايو سنة ١٩٣٣ وهذا نصها :

(لما كان حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود النجل الأكبر لحضرة صاحب الجلالة قد تحلى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توفرها فيمن خلف ولي الأمر أمد الله في عمره. وقد اشتهرت عدالته وصفاته الممتازة بين الجميع فإننا عملاً بالمأثور من المبايعات نبايعه ولياً لعهد المملكة العربية السعودية، نبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله، ونسأل الله له الهداية والتوفيق ونضرع إليه تعالى أن يمد في عمره وعمر والده الملك العادل الموفق خلد الله ملكه. وقد أخذنا هذه البيعة على أنفسنا لسموه وعلقناها بأعناقنا ونشهد الله على ذلك والله خير الشاهدين).

وقد وقع عليها رئيس مجلس الوكلاء ومجلس الشورى وقاضى القضاة وأعضاء مجلس الوكلاء ومجلس الشورى.

وبعد إتمام البيعة أرسل الملك إلى ولي عهده البرقية الآتية :

الرياض : الابن سعود .

«لقد أحطت علماً بما ذكرت، أما من قبل ولاية العهد فأرجو من الله أن يوفقك للخير. تفهم أننا نحن الناس جميعاً ما نعز أحداً ولا ننزل أحداً، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى، ومن التجأ إليه نجا، ومن اعتز بغيره (عياً بالله) وقع وهلك، موقفك اليوم غير موقفك بالأمس، ينبغى أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً : نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله، وينبغى أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك، تعبد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على

برهان وبصيرة فى الأمر، وصدق فى العزيمة، ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق، وإلا العمل الخفى الذى بين المرء وربّه.

ثانياً : عليك أن تجد وتجتهد فى النظر فى شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سرّاً وعلانية، والعدل فى الحب والمبغض، وتحكيم هذه الشريعة فى الدقيق والجليل، والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً، وينبغى أن لاتأخذك فى الله لومة لائم.

ثالثاً : عليك أن تنظر فى أمر المسلمين عامة، وفى أمر أسرتك خاصة. أجعل كبيرهم والدّاً، ومتوسطهم أخاً، وصغيرهم ولداً. وهن نفسك لرضاهم، وأمع زلتهم، وأقل عثرتهم، وانصح لهم، واقض لوازمهم بقدر إمكانك، فإذا فهمت وصيتى هذه ولازمت الصدق والإخلاص فى العمل فأبشر بالخير.

أوصيك بعلماء المسلمين خيراً، احرص على توقييرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم، واحرص على تعلم العلم، لأن الناس ليسوا بشئ إلا بالله ثم بالعلم، ومعرفة هذه العقيدة، احفظ الله يحفظك.

هذه مقدمة نصيحتى إليك، والباقى يصلك إن شاء الله فى غير هذا.

سيبايعك الناس فى الحجاز يوم الإثنين وسيقبل البيعة عنك أخوك فيصل، وسيصل إليك هو وأفراد الأسرة لتبليغك بيعة أهل الحجاز، وليبايعوك عن أنفسهم.

وأرجو من الله أن يوفقك للخير

(عبد العزيز)

فأجابه بالبرقية الآتية

جلالة مولاي الملك المعظم أيده الله.

جواباً على برقية مولاي عدد ٢٧٥ المؤرخة ١٨ منه: فإن جميع مآذكره مولاي

لخادمه هو عين الصواب، وأنه لا أقوام لديننا ودينانا إلا بالله ثم به. من أتبعه نجى نفسه. ونجا من ولاء الله عليه. وإنى إن شاء الله سأجتهد، وأعتمد ما ذكره مولاي من النصائح الدينية والدنيوية، وأرجو إن كان الله يعلم منى ذلك أن يوفقنى لرضاه ثم لرضاء جلالتك، وأن يوفقنى لمافيه صلاح الإسلام والمسلمين ولولايتهم، وإن كان يعلم منى ضد ذلك، فأسأله تعالى أن يكفى المسلمين شرى وأن يرد كيدى وكيد كل كائد على المسلمين إلى نحره. وسأبذل الاجتهاد إن شاء الله فى سبيل كلمة التوحيد، وتقويم الشريعة المحمدية، والنصح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً، والنصح لولايتهم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة ذلك على كائن من كان، أرجو أن الله يعيننا على ذلك، ويمنحنا التوفيق والسداد.

أن النية التى ينطوى عليها خادمكم إن شاء الله هى :

(أولاً) إعلاء شأن كلمة التوحيد، وتأييد الشريعة الإسلامية، والنصح لولاية المسلمين، وإنزال الناس منازلهم، خصوصاً أسرتنا، كبيرهم وصغيرهم كما تفضل به مولاي، كبيرهم أب، وأوسطهم أخ، وصغيرهم ولد. والعدل بين الرعية وإنى أعاهدك بالله على ذلك، وإنى ما ألبس ثوب عافية دونها، وسأكون إن شاء الله مقيلاً لعثرتهم، حليماً على جاهلهم. وهذا إن شاء الله هو العمدة فى الدين والدنيا.

(ثانياً) سأخذ الصدق إن شاء الله، والإخلاص، والجد فى العمل، وسأوقر علماء المسلمين وأجالسهم وأخذ نصائحهم وسأخصهم على تعلم العلم والتعليم هذه العقيدة والتوفيق بيد الله.

(ثالثاً) إن ما ذكره مولاي عن موقفى أمس، وموقفى اليوم وأن الأمر لا يصلح إلا بالعمل الصالح، والخالص لوجه الله، وعبادة الله وحده، والتضرع إليه فى الخلوات، والالتجاء إليه وحده. فهذا الذى فيه النجاه، وهذا الذى يرجى به التوفيق إن شاء الله، لأنه كما ذكر مولاي من التجأ إليه نجاه، ومن اعتز بغيره وقع وهلك.

نرجو أن يمن الله علينا بالهداية وأن يأخذ بناصيتنا، ويستعملنا فيما يرضيه، وبما يكون فيه صلاح للدين ولولاية المسلمين. وإنى لأعلم بأن الله لم يظهركم إلا بسبب كلمة التوحيد والعقيدة الصالحة التى بين الإنسان وربه. أرجو أن يوفقنا الله لذلك، وإن شاء الله إن صلاحك سيصلحنا، وأن نيتك الطيبة إن شاء الله تعمنا، والأمور التى أوصيتنى بها أضعها نصب عيني، وسأبذل جهدى إن شاء الله بما يعود منه المصلحة لديننا ودنيانا والتوفيق بيد الله. وأرجو من مولاي الدعاء لخادمه بالبيت الشريف، وأرجو من الله أن يديم لنا ولكافة المسلمين بقاءكم ولايرينا فيكم ما نكره. والله يا طويل العمر إنى يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبرتى، وضيق صدرى. الله أسأل أن يطيل عمركم ويجزيكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء. أوصيت فأبلغت، وستظل وصيتك فى قلبى راسخة إن شاء الله ما حييت. أرجو أن يمد الله لنا فى حياتك. ذكر مولاي أن البيعة تكون يوم الإثنين فى الحجاز وأن الأخ فيصل والعائلة سيقدمون إلينا بالبيعة، حياهم الله.. والذي يراه مولاي هو المبارك إن شاء الله، وإنى أنتظر ماسيتفضل به على مولاي بعد هذا وأرجو من الله لا يخلينا منك وأن يمتعنا وجميع المسلمين بحياتك.

الابن سعود

علاقاتها السياسية مع الدول الغربية والشرقية

غنى عن البيان أن الحكومة البريطانية هى أول حكومة غربية تقدمت إلى ابن السعود خاطبة وده وساعية لإنشاء صلات سياسية بينها وبينه فأرسلت إليه الرسل والمندوبين، وقد فازت فى مارمت إليه فعقدت بينها وبينه يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ أول معاهدة ويسمونها معاهدة العقير وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كانت الحكومة البريطانية من جهة وعبدالعزیز بن عبدالرحمن بن فيصل آل السعود حاكم نجد والحسا والقطيف وجبيل والمدن والمراسى التابعة لها، بالأصالة عن نفسه وورثته وخلفائه وعشائره من جهة أخرى راغبين في توطيد الصلات الودية التي مر عليها وقت طويل ما بين الفريقين، وتعزيزها لأجل توثيق مصالحهما فقد عينت الحكومة البريطانية الليفتننت كولونل السير برسى كوكس . كه . سى . أس . أى . كه . س . أى . أى - المعتمد البريطاني في خليج فارس مفوضاً من قبلها ليعقد معاهدة مع عبدالعزیز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود.

وقد اتفق الليفتننت كولونل السير برسى كوكس وعبدالعزیز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود (المشار إليه في ما يلي بأبن سعود) وأبرما المواد الآتية :

أولاً - تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجداً والحسا والقطيف وجبيلاً وتوابعها والتي يبحث فيها وتعين أقطارها فيما بعد ومراسيها على خليج فارس هي بلاد ابن سعود وأبائه من قبل. وبهذا تعترف بأبن سعود المذكور حاكماً عليها مستقلاً، ورئيساً مطلقاً على قبائلها وبأبنائه وخلفائه بالإرث من بعده على أن يكون ترشيح خلفه من قبله ومن قبل الحاكم بعده، وأن لا يكون هذا الحاكم المرشح مناوئاً للحكومة البريطانية بوجه من الوجوه. خاصة في ما يتعلق بشروط هذه المعاهدة.

ثانياً : إذا حدث اعتداء من قبل إحدى الدول الأجنبية على أراضي الأقطار التابعة لابن سعود وخلفائه بدون مراجعة الحكومة البريطانية وبدون إعطائها الفرصة للمخاطبة مع ابن سعود وتسوية المسألة فالحكومة البريطانية تعين ابن السعود بعد إستشارة ابن السعود إلى ذلك القدر وعلى تلك الصورة اللذين تعتبرهما الحكومة البريطانية فعاليتين لحماية بلدانه ومصالحه.

ثالثاً - يتفق ابن سعود ويعد بأن يتحاشى الدخول فى مراسلة أو وفاق أو معاهدة مع أية أمة أجنبية أو دولة وعلاوة على ذلك بأن يبلغ حالاً إلى معتمدى السياسة من قبل الحكومة البريطانية كل محاولة من قبل أية دولة أخرى فى أن تتدخل فى الأقطار المذكورة سابقاً.

رابعاً - يتعهد ابن سعود بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الأقطار المذكورة ولا قسمها منها ولا يتنازل عنها بطريقة ما ولا يمنح امتيازاً ضمن هذه الأقطار لدولة أجنبية أو لرعايا دول أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية. وبأن يتبع مشورتها دائماً بدون استثناء على شرط أن لا يكون ذلك مجحفاً بمصالحه الخاصة.

خامساً - يتعهد ابن السعود بحرية المرور فى أقطاره على السبل المؤدية إلى المواطن المباركة وأن يحمى الحاج فى مسيرهم إلى المواطن المباركة ورجوعهم منها.

سادساً - يتعهد ابن سعود كما تعهد أبائهم من قبل بأن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التى هى تحت حماية الحكومة البريطانية، ولها صلات عهدية مع الحكومة المذكورة، وأن لا يتدخل فى شؤونها. وتخوم الأقطار الخاصة بهؤلاء ستعين فى مابعد.

سابعاً - تتفق الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد معاهدة أكثر تفصيلاً من هذه على الأمور التى لها مساس بالفريقين. وكتب فى ١٨ صفر ١٣٣٤ هـ الموافق ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ .

- ٢ -

ولما استتب له الأمر فى الحجاز كاتب الحكومة البريطانية طالباً إلغاء المعاهدة القديمة وعقد معاهدة جديدة تتناسب مع حالته فأجابته إلى طلبه وأرسلت مندوباً خاصاً اجتمع بمندوبه. وفى يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ اتفقا على المعاهدة الآتية :

جلالة ملك بريطانية وأيرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند من جهة، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى. رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها قد عزمنا على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم. لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السر جلبرت مكنجهام كليتن مندوباً مفوضاً عنه، وأنتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ابن عبدالعزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوباً مفوضاً عنه.

بناء على ماتقدم، وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها قد أئفق سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز وحضرة السر جلبرت كليتن على المواد الآتية :

المادة الأولى - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

المادة الثانية - يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين أن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل ماله من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر.

المادة الثالثة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية. أسوة بسائر الحجاج. ويعلن جلالة الملك أنهم يكونون أمنين على أموالهم وأنفسهم في أثناء إقامتهم في الحجاز.

المادة الرابعة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين أنفاً، والذين

ليس لهم فى بلاد جلالته أوصياء شرعيون إلى المعتمد البريطانى فى جدة أو من يندبه لذلك الغرض لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط أن لا يكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطانى إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة، وتستوفى عليها الرسوم المقررة فى القوانين الحجازية النجدية.

المادة الخامسة - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بحماية جلالته، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. على أن تراعى قواعد القانون الدولى المرعى بين الحكومات المستقلة.

المادة السادسة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل والعمانى الذين لهم معاهدة خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية.

المادة السابعة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ماله من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية فى القضاء على الاتجار بالرقيق.

المادة الثامنة - على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الإبرام بأقرب وقت، وتصير نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام. ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ. وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بسنة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة. ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضى ستة أشهر من اليوم الذى يعلن فيه أحد الفريقين الفريق الآخر إبطالها.

المادة التاسعة - تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ يوم كان جلالتهم حاكماً لنجد وما كان محلقاً بها إذ ذاك ملغاه ابتداء من تاريخ إبرام المعاهدة.

المادة العاشرة - دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية وللنصين قيمة واحدة. أما إذا وقع اختلاف في تفسير قسم منها فيرجع إلى النص الإنكليزي.

المادة الحادية عشرة - تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة. وقعت هذه المعاهدة في جده يوم الجمعة ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ. الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧.

ملاحق المعاهدة

- ١ -

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

يا صاحب الجلالة

إشارة إلى الاقتراح الذى تفضلتم به بوضع مادة فى المعاهدة تشترط على حكومة صاحب الجلالة البريطانية عدم الممانعة فى شراء وتوريد جميع الأسلحة والأدوات الحربية والذخيرة والآلات وغير ذلك من اللوازم الحربية التى قد تحتاج إليها حكومة الحجاز ونجد لاستعمالها لنفسها لى الشرف أن أخبر جلالتك أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية لاترى أن هذه المسألة تحتاج إلى ذكر فى نص المعاهدة. وقد فوضتنى حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن أخبر جلالتك أن تحريم تصدير الأدوات الحربية إلى جزيرة العرب قد رفع، وأنه إذا استحسنتم طلب أسلحة أو ذخيرة أو أدوات حربية من أصحاب المعامل البريطانية لاستعمال حكومة جلالتك ويمقتضى شروط الاتجار بالأسلحة سنة ١٩٢٥ فحكومة صاحب الجلالة البريطانية لاتعارض فى تصديرها، ولاتضع أى عرقلة فى سبيل توريدها إلى بلاد جلالتك، وسأجتهد إجابة لرغبة جلالتك أن أقدم نسخة من الاتفاقية المذكورة بأقرب وقت. وأرجو من جلالتك أن تتفضوا بقبول الاحترام

عن جده فى ١٩ مايو سنة ٩٢٧

جلبرت تكلين

جواباً على كتاب فخامتكم المؤرخ ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ و ١٩ مايو سنة

٩٢٧ رقم ٣ بشأن الأسلحة فإننى أشكركم على ذلك البيان الذى يفيد أن جزيرة العرب غير ممنوعة من استيراد الأسلحة وتفضلوا.

الختم الملكى

- ٢ -

إلى

يا صاحب الجلالة :

لى الشرف أن أذكر جلالته أنه فى أثناء المفاوضات التى دارت بيننا والتى أدت ولله الحمد إلى عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالته كنا بحثنا فى مسألة الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن، وكنت شرحت لجلالته موقف صاحب الجلالة البريطانية فى هذه المسألة كما هو مبين فى مسودة الملحق (١) التى قدمتها إلى جلالته وأخبرت جلالته أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصررة على التمسك بذلك الموقف. أما الحدود المشار إليها فتعتبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها كما يأتى : «تبتدئ الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ شرقى بدائرة العرض ٣٥، ٢٩ شمالى. حيث تنتهى الحدود بين نجد وشرقى الأردن. فتتمتد على خط مستقيم إلى نقطة على سكة حديد الحجاز بعدها ميلان إلى الجنوب من محطة المدورة، ثم تمتد من تلك النقطة على خط مستقيم إلى نقطة خليج العقبة بعدها ميلان إلى الجنوب من مدينة العقبة» وفى الختام أرجو...

من

جواباً على كتاب فخامتكم المؤرخ فى ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ المختص

(١) لم يقبل هذا المشروع فرقع من المعاهدة ولم يعمل به.

بمسالة الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن قد أخذنا علماً بأن الحكومة صاحب
الجلالة البريطانية مصرّة على موقفها ولكن نرى أن تسوية هذه المسألة بصورة
نهائية أمر متعذر فى الظروف الحاضرة ومع ذلك نظراً لرغبتنا الصادقة فى
المحافظة على العلاقات الودية المؤسّسة على صلات الصداقة المتينة، رأينا أن نعرب
لفخامتكم عن استعدادنا لإبقاء المسألة الحاضرة على ما هى عليه فى منطقة
معان والعقبة مع الوعد بأن لا نتدخل فى إدارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة
لتسوية هذه المسألة تسوية نهائية وتفضلوا....

الختم الملكى

- ٣ -

إلى...

يا صاحب الجلالة:

الحاقاً بالمحادثات التى دارت بيننا بخصوص مسألة المتاجرة بالرقيق لى
الشرف أن اخبر جلالتم ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى انه من
واجبها ان لا تتنازل فى الوقت الحاضر عن حق اعتاق الارقاء ذلك الحق الذى طالما
عمل بموجبه حضرات قناصل جلالته والذى يمكنهم من اطلاق سبيل أى رقيق
يتقدم إليهم من تلقاء نفسه ويطلب تحريره واعادته إلى مسقط رأسه. ثم أريد أن
أؤكد لجلالتم أن التمسك بهذا الحق من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية
ليس المراد منه أى تدخل فى شئون مملكتم أو أى تجاوز على سلطان جلالتم
وان السبب فى هذا التمسك انما هو اصرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية
على القيام بواجب تعتبره مفروضاً عليها نحو الانسانية وأضيف إلى قولى هذا
ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ستكون على استعداد للنظر فى الغاء حق
العنق حينما يتبين للفريقين ان التعاون المنصوص عليه فى المادة الثامنة من
معاهدة جدة قد أدى إلى تدابير عملية كافية لابطال حق الاعتاق. أمل ان جلالتم

ستقدرون موقف حكم صاحب الجلالة البريطانية فى هذه المسألة وانكم
ستستحسنون الموافقة على الخطة التى بسطتها اعلاه.

وأرجو قبول ...

جلبرت كليتن

من

إلى...

جواباً على كتاب فخامتكم المؤرخ ١٨ ذى القعدة رقم ٢ بخصوص عتق الرقيق
فانى واثق بأن المعتمد البريطانى فى جدة سيكون محافظاً على الروح التى
توفيناها فى معالجة الموقف الحاضر فلا يدع مجالاً للتشويق فى هذا الموضوع
الذى قد يؤثر على الحالة الادارية والاقتصادية..

وتفضلوا..

إلى...

يا صاحب الجلالة :

اشارة إلى المادة الرابعة من معاهدة جدة لى الشرف أن اثبت فى كتابى هذا
التصريحات التى القيتها امام جلالتكم اثناء محادثتنا عندما صرحت بأن الغرض
الوحيد من ادخال تلك المادة فى المعاهدة هو أولاً وضع المعاملة المتبعة الآن على
اساس رسمى وثانياً أن يقدم لحكومة صاحب الجلالة البريطانية تأكيدات تمكنها
من اعلان المعاملة المتبعة الآن لجميع المسلمين فى البلاد البريطانية وعلاوة على
ذلك أريد انؤكد لجلالتكم ان وجود تلك المادة فى المعاهدة لا يؤثر ولا يفسر بأنه
قد يؤثر على المعاملة المختصة بمخلفات الاشخاص غير الحجاج التى لا تزال
خاضعة لقواعد المقابلة بالمثل التى هى اساس التعامل المعتاد بين البلاد المستقلة
وأرجو من جلالتكم قبول...

من ...

جواباً على كتاب سعادتكم المؤرخ فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٤ بشأن مخلفات رعايانا ومخلفات رعاياكم فى ديارنا فأحب أن أؤكد لفخامتكم أن المعاملة ستكون كما ذكرتم حسب التعامل الدولى فتقوم محاكمنا بتسليم المخلفات وبعد اجراء المعاملات القانونية واستيفاء الرسوم عليها تسلم إلى المعتمد البريطانى وذلك مقابلة بالمثل لتسليم المعتمد البريطانى فى جدة مخلفات المتوفى من رعايانا فى الممالك البريطانية.
وتفضلوا...

الختم الملكى

- ٣ -

وفى يوم ١٥ شعبان سنة ١٣٥٠ وقع على معاهدة صداقة وحسن جوار بين اليمن والمملكة الحجازية النجدية هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

حسب الامر من سيادة الامام الاعظم يحيى بن محمد حميد الدين وجلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود قد اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه :

المادة الأولى - يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر.

المادة الثانية - يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية. كل حكومة عند طلب حكومته له.

المادة الثالثة - يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الأخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية.

المادة الرابعة - يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الأخرى في كل الحقوق الشرعية. فما أشكل ولم ينهه الأمراء ولا العمال فمرجهه إلى الملك والأمم.

المادة الخامسة - على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً أو صغيراً مستخدماً أو غير مستخدم وإرجاعه إلى دولته حالاً.

المادة السادسة - إذا حدث حدث من أحد رعايا الحكومتين في بلاد الآخر فعلى المحدث أن يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث.

المادة السابعة - منع الأمراء والعمال عن التداخل بالرعايا بما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين.

المادة الثامنة - إن كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية وتطلبه حكومته فإنه يساق إلى حكومته حالاً. هذا ما حصل به التراضى بين المندوبين من طرف سيادة الإمام ومندوبى جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على أن يكون العمل بهذه الثمان المواد بعد موافقة ومصادقة الملكين المعظمين عليها. وتحرر ما ذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ اليوم الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٣٥٠.

القاضى عبدالله بن أحمد العرشى سحرار عبدالله بن على مناع أبو طالب بن محمد محجب

عبدالله بن محمد بن معمر فهد بن زعير عبدالوهاب بن محمد أبو ملح

محمد بن دليم أبو لعتة حمد العبدلى محمد بن على الحازمى

- ٤ -

وفى يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣١ (٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠) وقع فى جدة على المعاهدة الآتية بين الملك ابن السعود وبين معتمد فرنسا فى جدة. بالإضافة إلى سورية وهى :

نحن عبدالعزيز عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. بما أنه عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية بالنيابة عن سوريا ولبنان معاهدة صداقة لتقوية علاقات الود، وحسن الجوار بين بلادنا ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل فخامته وكلاهما حائزان الصلاحية التامة المتقابلة، وذلك فى جده فى اليوم التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ألف وثلاثمائة وخمسين هجرية الموافق لليوم العاشر من شهر تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ألف وتسعمائة وإحدى وثلاثين ميلادية وهى مدرجة فى ما يلى :

حكومة جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة، وحكومة الجمهورية الفرنسية نيابة عن سوريا ولبنان من جهة أخرى.

رغبة منهما فى توثيق الصلات الدولية والعلاقات الحسنة بين دول سوريا ولبنان وبين حكومة الحجاز ونجد وملحقاتها قد قررا عقد اتفاقية لهذه الغاية وعين كل منهما مفوضه وهما :

عن حكومة الحجاز ونجد وملحقاتها حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبدالعزيز وزير الخارجية.

وعن حكومة الجمهورية الفرنسية نيابة عن سوريا ولبنان المسيو ج.ر. ميغريه القائم بأعمال فرنسا فى الحجاز ونجد وملحقاتها حامل وسام ضابط فى جوقه شرف.

اللذان بعد أن تبادلوا أوراق تفويضهما التي ثبت أنها قانونية اتفقا فيما بينهما على المواد الآتية :

المادة الأولى - على حكومة الحجاز ونجد وتوابعها وعلى دول سوريا ولبنان أن تكون في كل حين باحسناً بالعلاقات الودية، فلا تساعد على إجراء أى عمل كان مخالف للقانون من شأنه الإخلال بالسلام أو الأمن العام في أراضى كل منهما ولا تغض الطرف عنه.

المادة الثانية - يتمتع أفراد التبعية الحجازية والنجدية في سوريا ولبنان وأفراد التبعية السورية واللبنانية في الحجاز ونجد وتوابعها بالمعاملة والحقوق التي تعامل بها الأمة الأكثر ميزة فيما يتعلق بالإقامة والضرائب ومعاطاة الحرف والمهن الصناعية والتجارية والملاحة.

المادة الثالثة - يؤمن حماية مصالح أفراد التبعية السورية واللبنانية في الحجاز ونجد وتوابعها، وحماية مصالح أفراد تبعية الحجاز ونجد وتوابعها في سورية ولبنان معتمدو أو قناصل كلا الفريقين المتعاقدين المصادق على اعتمادهم في بلاد كل منهم. على أن أفراد كلا التبعيتين العائدين للفريقين المتعاقدين يخضعون في جميع أعمالهم لقوانين البلاد حيث يقيمون.

المادة الرابعة - أن الحج للأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز حر لجميع أفراد التبعية السورية أو اللبنانية المسلمين. وقد صرحت حكومة الحجاز ونجد وتوابعها أن هؤلاء الحجاج يتمتعون أثناء مكوثهم في الحجاز بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف بها لأفراد الأمة الأكثر ميزة مع تأمين سلامة شخصهم وأموالهم.

المادة الخامسة - أن الأموال التي يملكها أفراد التبعية السورية أو اللبنانية الذين يتوفون في الحجاز أو نجد، ولا يكون لهم فيها ممثلون قانونيون تسلم بعد إتمام المعاملات وتأدية الرسوم المنصوص عنها في الشريعة المحلية لقاء وصول إلى معتمد فرنسا في جدة، أو إلى وكيل يعينه هذا الأخير لنقلها لورثة المتوفى.

وبالتبادل يجرى ذلك مع النجديين والحجازيين.

المادة السادسة - للعشائر التابعة للفريقين الحق بالرحيل لأجل المرعى إلى بلاد كل من الفريقين على أن عليها قبل الترحل إعلام سلطات الفريق الآخر بواسطة سلطات حكومتها نفسها.

المادة السابعة - أن زعماء العشائر الذين يتصرفون بقيادة رسمية ولهم إعلام لايجوز أن يرفعوا هذه الأعلام فى أراضى الفريق الآخر.

المادة الثامنة - على كل عشيرة ترحل من أراضيتها إلى أراضى غيرها أن تخضع أثناء إقامتها فيها لجميع القوانين والأنظمة المرعية.

المادة التاسعة - أن أية عشيرة كانت مرتبطة بأحد الفريقين المتعاقدين تقترب أثناء إقامتها لأجل المرعى فى أراضيتها الفريق الآخر اعتداء على شخص أو أموال أحد الأفراد تبعة الحكومة التى رحلت إليها تجبر على تعويض الأضرار التى سببتها فوراً، وإذا لم يؤد التعويض قبل اجتياز العشيرة الحدود. فالحكومة التابعة هذه العشيرة لها تتعهد باتخاذ التدابير التى ضمن صلاحيتها لاستحصال التعويض المطلوب.

المادة العاشرة - إن كل اعتداء تقتربه العشائر المرتبطة بدول سورية ولبنان فى أراضى الحجاز ونجد والعكس بالعكس تدقق فيه الحكومة التابع لها الفرد المعتدى وتفرض العقوبة.

المادة الحادية عشرة - إذا جازت إحدى العشائر أو أحد أفخاذ عشيرة ما مرتبطة بأحد الفريقين أراضى الفريق بعد عصيانها يجب اتخاذ الوسائل اللازمة لمنع هذه العشيرة أو فخذ العشيرة من استئناف الاعتداءات فى بلاد مسقطها.

المادة الثانية عشرة - محظور على كلا الفريقين المتعاقدين المخابرة مع زعماء أو شيوخ العشائر المرتبطة بالفريق الآخر بشؤون رسمية أو سياسية.

المادة الثالثة عشرة - إن كل منازعه تحدث بين العشائر بأمر تتعلق بالمرعى تحسم وفقاً لقانون البلاد. حيث تحصل المنازعة.

المادة الرابعة عشرة - يتعهد كلا الفريقين المتعاقدين أن يستأنفا فيما بعد المفاوضات لعقد اتفاق بخصوص المسائل الجمركية والاقتصادية المتعلقة بكلتا الحكومتين.

المادة الخامسة عشرة - لا يحق لزعماء العشائر أن يتقاضوا بناء على تعامل قديم أى رسم كان عن القوافل التى تنقل بضائع التجار مع تذكرة بمصدر البضائع مشفوعة بالبيانات الكافية عن البضائع المنقولة والحيوانات المستعملة لنقلها.

المادة السادسة عشرة - أن الأسلحة التى تصحب القوافل المتجهة إلى سوريا ولبنان تودع فى أول مخفر تلتقى به فى الأراضى الثابتة لقاء وصول ناطق بأوصاف الأسلحة، وعند مغادرة القوافل أراضى الحجاز ونجد وتوابعها تعاد هذه الأسلحة.

المادة السابعة عشرة - يصادق كلا الفريقين على أحكام هذه المساولة مع تبادلها وثائق المصادقة بأقرب وقت، ثم يصبح معمولاً بها منذ تاريخ التبادل لمدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ.

وإذا لم يبلغ فريق من الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انقضاء أجل السنوات السبع بسنة أشهر عن عزمه على فسخ المعاهدة فتظل هذه معمولاً بها ولا تعتبر مفسوخة إلا بعد مضى ستة أشهر على تبليغ أحد الفريقين المتعاقدين الآخر فسخ المعاهدة.

المادة الثامنة عشر - صدرت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإفرنسية ولكلا النصين مفعول رسمى واحد.

ملاحق المعاهدة

- ١ -

إلى سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز وزير الخارجية في جده

يا صاحب السمو :

بالإشارة إلى المفاوضات التي سبقت عن المعاهدة التي وقع عليها بين دول سوريا ولبنان وبين حكومة الحجاز ونجد وتوابعها أتشرف باستلفات نظركم إلى أن أحكام المادة الثانية من المعاهدة السابق ذكرها لاتخول أفراد تبعة الحجاز ونجد وتوابعها حق المرافعة لدى المحاكم المختلطة في سوريا ولبنان.

فأرجو منكم أن تتكرموا فتؤكدوا لى موافقة حكومتكم على هذه النقطة الأخيرة وأرجو منكم التكرم بقبول تأكيد فائق إحترامى.

معتمد فرنسا

الإمضاء - ميغره

سعادة مسيو ميغره معتمد فرنسا - جده

يا صاحب السعادة؛ جواباً على كتابكم الباحث عن أحكام المادة الثانية من المعاهدة الموقع عليها والذي تعلموننى فيه بأن أحكام المادة المتقدم ذكرها لاتخول أفراد تبعة الحجاز ونجد وتوابعها حق المرافعة لدى المحاكم المختلطة في سوريا ولبنان أتشرف بإعلامكم عن موافقة حكومتى على هذه النقطة الأخيرة وتفضلوا.

وزير الخارجية

التوقيع - فيصل

- ٢ -

إلى سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز وزير الخارجية المعظم.
يا صاحب السمو - عطفاً على أحكام المادة ١١ من المعاهدة أتشرف بإعلام سموكم أن الشهادة بمصدر البضائع يجب أن تبرز في سوريا ولبنان تحت شكل قوائم قانونية موشحة مجاناً بتوقيع معتمد فرنسا لدى جلالة ملك الحجاز ونجد وتوابعها ومشهوداً فيها بالضبط بأسعار البضائع ومصدرها، ويجب أن يذكر في القائمة الشرح الآتي من قبل صانع البضاعة أو بائعها (نشهد بأن هذه القائمة صحيحة. وهي الوحيدة التي أعطيناها عن البضائع المذكورة فيها وقد ذكرت فيها قيمة هذه البضائع بالضبط دون أن يحسم منها أى خصم كان وأن مصدرها نجدى محض).

أما فيما يتعلق بالبضائع المرسلة من المناطق البعيدة عن مكان إقامة المعتمد السياسى الفرنسى فتحرر الشهادة بمصدرها كما هو مذكور أعلاه وتشفع بشهادة حاكم المنطقة التى سافرت منها البضائع ويؤشر عليها مجاناً فى أول مخفر سورى تلتقى به القوافل وأرجو منكم يا صاحب السمو أن

معتمد فرنسا

الإمضاء : ميغرة

- ٥ -

وقد عقد سلسلة معاهدات مع الحكومة العراقية تراها منشورة على الصفحة ١٠٥ من هذا الكتاب.

وفى يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٣٢ عقد مع إيطاليا المعاهدة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا معاهدة صداقة، لتقوية علاقات الود بين بلادينا، ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته، وكلاهما حائزان للصلاحيحة التامة المتقابلة، وذلك في جده في اليوم الثالث من شهر شوال سنة ألف وثلاثمائة وخمسين هجرية الموافق اليوم العاشر من شهر سنة ١٩٣٢ ميلادية وهي مدرجة فيما يلي:

حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة.

وحضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا من جهة أخرى.

رغبة منهما في تأسيس وتقوية الروابط الودية بين بلاديهما قررا عقد معاهدة صداقة، ولهذا الغرض عين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل وزير الخارجية.

وعين حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا سعادة الكومنداتورى جويدوسو للاسو.

مندوبين مفوضين من قبلهما، وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق اعتمادهما ووجداها مطابقة للأصول اتفقا على ما يأتي :

المادة الأولى - بناء على الاعتراف الذى حصل من قبل حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا بحضرة صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها فقد توثقت عرى صداقة خالصة ومتينة بين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها وبين حضرة

صاحب الجلالة ملك إيطاليا ويسود بينهما وبين مملكتيهما ورعاياهما سلام دائم.

المادة الثانية - تنفيذاً للمادة السابقة قد اتفق الفريقان المتعاقدان على إنشاء علاقات سياسية وقنصلية بينهما، ولأجل ذلك فإن الممثلين السياسيين والقنصليين لكل من الفريقين المتعاقدين يتمتعون حينما يكونون في بلاد الفريق الآخر بالمعاملة المقررة في مبادئ القانون الدولي العام. كما أنهم يتمتعون بالمعاملة الممنوحة الأولى الأمم بالتفضيل على شرط المقابلة بالمثل.

المادة الثالثة - يتعهد الفريقان المتعاقدان بأن يبذلا جهدهما للمحافظة على حسن العلاقات بينهما، وبأن يسعيا لمنع اتخاذ بلاديهما من قبل أى كان قاعدة للأعمال غير المشروعة ضد بلاد الفريق الآخر.

المادة الرابعة - يتمتع التابعون لكل من الفريقين المتعاقدين في بلاد الآخر نحو اشخاصهم وأملاكهم - على شرط المقابلة بالمثل - بمعاملة أولى الأمم بالتفضيل وتمنح المعاملة ذاتها لشركات كل واحد من الفريقين المتعاقدين في بلاد الفريق الآخر.

المادة الخامسة - يعترف صاحب الجلالة ملك إيطاليا بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك إيطاليا.

وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية الإيطالية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز وملحقاتها، على أن تراعى في ذلك مبادئ القانون الدولي المرعى بين الدول المستقلة.

المادة السادسة - يتعهد حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتقديم التسهيلات والحماية للرعايا الإيطاليين الذين يدينون بدين الإسلام ممن يقصدون الحجاز لأداء فريضة الحج أسوة بسائر الحجاج، ويتعهد جلالته ملك

الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم أموال المتوفين من الحجاج المذكورين الإيطاليين الذين يتوفون في الحجاز بعد إجراء المعاملات القضائية المقررة وبعد استيفاء الرسوم المقررة في القوانين الحجازية والنجدية إلى ممثل الحكومة الإيطالية بجده الذي يتعهد بإرسالها إلى الورثة الشرعيين، وهذا إذا لم يكن للمتوفين أوصياء شرعيون في الحجاز، وإذا كان لهم أوصياء شرعيون فتسلم مخلفات المتوفين لهم.

المادة السابعة - حررت هذه المعاهدة من نسختين باللغتين العربية والإيطالية ولكلا النصين قيمة واحدة، وسيكون إبرام هذه المعاهدة في أقرب وقت ممكن ويجرى العمل بها اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام.

فيصل بن عبدالعزيز جويدوسولاسو

جده في ٣ شوال ١٣٥٠ (الموافق ١٠ فبراير ١٩٣٢)

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة وأمعنا النظر فيها، صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها، كما أننا نصدقها ونقبلها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة في الإشهاد والصحة في كل ما ذكر أمرنا بوضع خاتمتنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين.

حرر في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة سنة ألف وثلثمائة وخمسين هجرية - الموافق لليوم الحادي عشر من شهر إبريل سنة ١٩٣٢ ميلادية.

عبدالعزیز بن عبدالرحمن آل سعود

وعقد فى الوقت نفسه معاهدة تجارية مع إيطاليا تعهداً فيها بتسهيل المبادلات التجارية بين بلاديهما.

- ٧ -

وفى أول شهر مايو سنة ١٩٣٢ عقدت فى جدة معاهدة صداقة وولاء بين أفغانستان والمملكة العربية السعودية.

- ٨ -

ظلت العلاقات السياسية مضطربة بين حكومة ابن السعود وشرقى الأردن حتى شهر مارس سنة ١٩٣٣ ففيه توسط جلالة الملك فيصل والحكومة البريطانية لإصلاح ذات البين. فاعترفت كل حكومة منها بالأخرى، وهذا نص المكاتبات التى دارت بهذا الشأن :

- ١ -

من رئيس وزراء حكومة شرق الأردن إلى المندوب السامى البريطانى لشرق الأردن :

يا صاحب الفخامة :

لى الشرف بأن أرجو فخامتكم إنشاء حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة أنه حيث سيدى ومولائى صاحب السمو الأمير عبدالله بن الحسين أمير شرق الأردن وحكومته يرغبان فى تأسيس علاقات ودية متينة بين إمارة شرق الأردن والمملكة العربية السعودية فقد قررا الاعتراف بصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية التى تشتمل على الحجاز ونجد وملحقاتها.

جرت هذه المخابرة علماً بأن مخابرة مماثلة ستقدم إلى حكومة صاحب الجلالة من قبل الحكومة العربية السعودية، وأن الاعتراف سيكون نافذ المفعول من التاريخ الذى فيه تبلغ حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة فى أن واحد

كلا من الحكومتين المختصتين صورة مصدقة من المخابرة التى تلقتها من الحكومة الأخرى.

لى الشرف أن أكون صديق فخامتكم المخلص.

فى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣٥١ هـ.

وفى ٢١ آذار سنة ١٩٣٣ م.

رئيس الوزراء

(التوقيع) عبدالله سراج

- ٢ -

من وزارة خارجية المملكة العربية السعودية إلى المندوب فوق العادة والوزير المفوض البريطانى.

يا صاحب الفخامة :

أتشرف بأن أرجو فخامتكم التكرم بإبلاغ حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة، أنه نظرا لرغبة صاحب الجلالة مولائى الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية وحكومة جلالته فى تأسيس علاقات ودية متينة بين المملكة العربية السعودية وإمارة شرق الأردن قد قررا الإعراف بصاحب السمو الأمير عبدالله أميراً على شرق الأردن.

أحب أن أوضح لفخامتكم أن هذه المكاتب قد عملت مع العلم بأن مكاتب مماثلة لها ستقدم لحكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة من قبل حكومة إمارة شرق الأردن، وأن الاعتراف يصبح نافذ المفعول اعتباراً من التاريخ الذى تقوم حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة فيه بإبلاغ كل من الحكومتين المختصتين مباشرة وفى أن واحد صورة مصدقة من المكاتب التى تلقتها من الحكومة الأخرى، وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام.

- ٣ -

من سمو الأمير عبدالله بن الحسين أمير شرق الأردن إلى جلالة الملك عبدالعزيز السعود.

قد علمت مع السرور بانتهاء المخابرات الرسمية في سبيل اعتراف متبادل بين جلالتك وبيني وبين حكومتينا.

وإني أعتنم هذه الفرصة كي أقدم تحياتي لجلالتكم ولا عجب عن أملى بأن هذه الخطوة ستعد أساساً متيناً للعلاقات الودية والتعاون بين بلادينا.
من جلالة الملك عبدالعزيز إلى سمو الأمير عبدالله.

قد علمت مع السرور بانتهاء المخابرات الرسمية في سبيل إقرار اعتراف متبادل بين سموكم وبيني وبين حكومتينا.

وإني أعتنم هذه الفرصة كي أقدم تحياتي لسموكم ولأعرب عن أملى بأن هذه الخطوة ستعد أساساً متيناً للعلاقات الودية والتعاون بين بلادينا.

وعلى أثر هذا الاعتراف وصل وفد من شرقي الأردن في ٥ مايو سنة ١٩٣٣ إلى جده ففاوض رجال حكومتها لعقد معاهدة بين الحكومتين تحدد علاقتهما وهذا نص البلاغ الرسمي الذي أصدرته حكومة مكة يوم ١٤ مايو سنة ١٩٣٣ :

على أثر الاعتراف المتبادل بين جلالة الملك وسمو أمير شرقي الأردن وصل من شرقي الأردن وفد للمفاوضة في عقد معاهدة صداقة ومعاهدة تسليم مجرمين وبروتوكول تحكيم. وقد دارت المفاوضات بين الوفد ومندوب حكومة جلالته في جو سادته روح الصداقة والود وتم الاتفاق مبدئياً على عقد معاهدة صداقة وبروتوكول تحكيم، وعلى تأجيل البحث في عقد معاهدة تسليم المجرمين

لصعوبة التوفيق بين وجهات النظر، وقد تأجلت المفاوضات على أن تعقد دورتها الثانية في القدس في وقت قريب.

وفي يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٣٣ وقع في القدس مندوبو الحكومتين مع مندوب بريطانيا بالنيابة عن شرقى الأردن في قصر المندوب السامى على معاهدة صداقة وحسن جوار، وتقع في ١٤ مادة وتنطوى على المبادئ الآتية :

١ - التعهد المتبادل بإقرار السلم.

٢ - تعهد كل فريق بأن يحول دون اتخاذ بلاده مركزاً أو وسيلة للإضرار بالفريق الآخر.

٣ - معاقبة كل من يحاول ذلك واتخاذ تدابير خاصة على الحدود لمنع مثل هذه المحاولة.

٤ - تعهد كل فريق بعدم تجنيد رعايا الفريق الآخر في بلاده.

٥ - تخطيط الحدود على الأرض.

وكذلك وقع على بروتوكول تحكيم، وهو يحتوى على ١٢ مادة وينص على حمل جميع المشاكل التى وقعت فى الماضى أو التى يحتمل أن تقع فى المستقبل بطريق التحكيم، وأن تؤلف هيئة التحكيم من حكمين تختار أحدهما الحكومة العربية السعودية، والثانية حكومة شرقى الأردن ويرأسها محايد يختاره الفريقان.

وفضلاً عن ذلك فقد اعترفت كل من تركيا وإيران بالحكومة السعودية - كما اعترفت بها ألمانيا وروسيا وهولندا، وبقية الحكومات الأوربية والحكومة المصرية هى التى لم تعترف بها حتى الآن.

اليمن

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

اليمن من الأقطار العربية التي انفصلت عن تركيا بعد الحرب العظمى، ونالت استقلالها بموجب التصريح الذى أصدرته الحكومة التركية فى سنة ١٩٢٣ بتنازلها عن سيادتها على البلاد العربية التابعة لها إلى أهل البلاد أنفسهم.

ويتمتع اليمن بالاستقلال التام المطلق. فلا نفوذ ولا تدخل لحكومة من الحكومات الأوربية فى شؤونه. ونظام الحكم هنالك هو الشريعة الإسلامية ويلقبون حاكمهم بلقب (أمير المؤمنين).

ولا يوجد إحصاء رسمى لسكان اليمن، ويقدرهم بعضهم بخمسة ملايين ويقول آخرون إنهم ثلاثة، ويذهب غيرهم إلى أنهم ثمانية أو عشرة. وكذلك لا يوجد بيان رسمى عن مساحته السطحية، والمرجح أنها لاتزيد عن خمسين ألف ميل مربع.

وبلاد اليمن تنقسم إلى سهلية وجبلية، ويطلقون على الأولى تهامة أو الساحل (ساحل البحر الأحمر) وترتفع درجة الحرارة ارتفاعاً زائداً فى هذه المناطق فتتراوح بين ٤٠ - ٥٠ فى زمن الصيف بميزان سنتغراد، ويتدين الساحليون على مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعى. أما القسم الجبلى فجوه معتدل وتجد به الفاكهة. وبتعبد سكانه على مذهب الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

ويحده من الشمال بلاد عسير ونجد. ومن الجنوب النواحي التسع المشمولة بالنفوذ الإنكليزى، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق الربع الخالى. وعاصمته صنعاء، ويقيم فيها الإمام ورجال حكومته.

ومدنه المشهورة هى : صنعاء. والحديدة. وذمار. وبريم. وإب. وتعز. وزبيد. وبیت الفقيه. والمناخة. واللحية. والزيدية. ومخا. والتجيد فى اليمن إجبارى فى زمن الحرب واختيارى فى زمن السلم. ويبلغ عدد الجيش النظامى ١٨ ألف جندى ويقوده ضباط مدربون تخرجوا فى مدرسة صنعاء الحربية. ويستطاع إبلاغ هذا الجيش زمن الحرب إلى مئة ألف جندى.

وإمام اليمن ومنشئ دولته وقائده هو المتوكل على رب العالمين أمير المؤمنين محمد يحيى بن محمد حميد الدين وهذا رسمه :



الملك محمد يحيى عمير الدين (ملك اليمن)

الإمام محمد يحيى حميد الدين

ملك اليمن

مولد ونشأته

هو الإمام محمد يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بدر الإسلام بن الحسين بن القاسم بن محمد، ويتصل نسبه بسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وهو السابع والثمانون من الأئمة الزيود الذين تعاقبوا على اليمن.

ولد فى مدينة صنعاء فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هـ هجرية ونشأ فى حجر والده المرحوم الإمام المنصور بالله.

علومه - اعتدنا ونحن ندون تراجم العظماء من رجال العصر الحاضر أن نذكر أسماء المدارس التى تخرجوا منها، والشهادات أو الرتب العلمية التى يحملونها وأسماء المدارس أو الجامعات التى منحتها. أما فى سيرة الإمام. فالأمر غير ذلك فنحن موردون أسماء العلماء الذين درس عليهم ونال إجازاتهم بالتدريس، وهى الطريقة التى كانت متبعة فى العصور الإسلامية القديمة، ولا يزال بعض علماء الدين الإسلامى يسير عليها.

فالإمام يحيى درس فنون العلم والأدب وأخذها عن والده الإمام المنصور، وعن القاضى العلامة الحافظ محمد بن عبد الملك الأنسى، والقاضى العلامة النحوى أحمد بن رزق السياني، والقاضى العلامة الفروعى محمد بن أحمد العراسى، والمولى شيخ الإسلام القاضى على بن على اليماني، والقاضى اللغوى محمد بن أحمد حميد، والقاضى العلامة عبدالله بن على الحضورى، والمولى العلامة لطف بن محمد شاكر، والقاضى العلامة إمام الفروع عبدالله بن أحمد المجاهد الذمارى،

والمولى العلامة إمام الأصول والحديث ورجاله أحمد بن عبد الله الجندارى
الصنعانى.

هؤلاء هم العلماء والشيوخ الذين أخذ عنهم الإمام يحيى علوم الدين واللغة
العربية وفنونها فى صنعاء وفى جبل الأهنوم، فصار علماً من الأعلام وحجة فى
المعقول والمنقول والمنثور والمنظوم، فهو من كبار علماء الدين - كما هو من
الأدباء المعروفين، وله قصائد كثيرة وأشعار مروية.

فمن قصائده المروية التى سارت مسير الراكبان قصيدته الخالدة ومطلعها :

ألف السهاد وحاد عن طيب الكرى	من لم يزل فى الحادثات مفكرا
وتوسد الأحجار وادرع الأسى	وتفرش الطين الرغام وعسفرا
رجل له فى نصر شرعة أحمد	هم تطير به إلى أعلى الذرا
يدعو إلى نهج الصواب ونص أيا	ت الكتاب بلا جدال ولا مرا
والسنة الغراء يقفوا إثرها	أكرم بسنة خير من وطئ الثرى
لا يرتضى نحل الروافض مذهباً	وكذاك لم يك مثل جهم مجبراً
حب اللقاء لعدوه متشهداً	متحسراً ما قط أوصد مغفراً
قد خرسته الحرب فهو إلى الوغا	يعدو على شوها كبرق قد سرى
والطير تعدو بعده والوحش تقـ	فواثره ثقة بمضمون القرى
لله خاض من المكاره بحرهما إلـ	لجى وراض من العباب الأشقرا
لا طالباً مالاً ولا ملكاً يخـ	لفه ولا يبغي بذلك مفخراً
لكن هداه إلى القيام قواطع الـ	أى الكرام ونص من ساد الورى
يدعو إلى سنن الشريعة كل ذى	عقل يحج به على وجه الثرى

يدعوهم باللين دعوة ناصح ويريهـم نهج الصواب مبصراً
ومن استمر معاندا منهم ولم تجد المواعظ عاد فيهم منذراً
هذى مواعظنا التى أوصى بها أسلافنا الأخلاف ما برق سرى
وله قصيدة أخرى فى الدفاع عن القات وتعداد مزاياه قال فيها :

وللثغور صباغ زمردى مذاب
أحسن بثغر مليح له المذاب رضاب
ياما أحيله ظلمما تشفى به الأحباب
وللنفوس مريع وللنشاط أنجذاب
ويشخذ الفكر حتى يخاف منه التهـاب
ويطرد النوم — من له الجليس كتاب

أما الذى قال قسطنط — حنين^(١) فهو سراب
أليس من جاوز الحد أكله والشراب
يكون عرضة حصر ويعتريه اكتئاب
والأكل والشرب مالا به الكرام تُعاب
ولأما العيب إسراف منه يبدو العجاب
هذا الملفق يا قس — طنطين منا جواب
يهدى إليك عليه — من الحياء نقاب

(١) هو قسطنطين يبنى شاعر سورى. كان فى خدمة الملك حسين فى الحجاز، وقد زار صنعاء سنة ١٩٩٢ مع أمين أقدى الريحانى مؤلف كتاب ملوك العرب.

لأنه ليس كـفـؤا للدر وهو تراب
فاستر ملفق يحيى فالستر فيه ثواب

وقال من قصيدة أخرى فى دعوة قومه المسلمين إلى نصرة الشريعة والدين :

فلت سيوفى عند حومات الوغى وكبت جيادى عند أن جد السرا
وعدمت أرماحى بمشجر القنسا وجبنت عن غزوى عدوى مبكرا
وخلعت ثوب الحزم خلعة عاجز ولبست للتسويق ثوباً منكرا
إن لم أكن للظالمين مقارعاً أو لم أكن للكافرين مصغرا
وعلى فعل المستطاع مذايماً للناس أن الله ياقوم اشترى
قوموا لخوف عواقب الأمر الذى نهى ولتكن ولتنهون المنكرا
قوموا معى ننفى الضلال ونثبت الـ إيمان والشرع الشريف الأنورا
قوموا معى نبنى حصوناً للهـدى والعدل والإحسان شامخة الذرى

وله مرثية بليغة فى رثاء ابنة الأمير محمد المتوفى غريقاً نشرناها فى غير هذا المكان، وله قصائد أخرى غير مطبوعة يرويها الناس فى اليمن ويستظهرها طلاب المدارس.

نشأته - قضى الإمام أيام صباه فى صنعاء مكباً على العلم والدراسة لايزاول غيرها. وظل هذا شأنه حتى بلغ العشرين من عمره. ففى شوال من سنة ١٣٠٧ هـ غادرها مع والده إلى جبل الأهنوم. فأنصرف إلى طلب العلم أيضاً مواصلاً الاجتماع إلى حملته وأقطابه، حتى ذاع فضله، وانتشر صيته.

مبايعته بالإمامة - وفى شهر ربيع الأول من سنة ١٣٢٢ توفى والده الإمام المنصور من دون أن يختار ولياً لعهد. فاجتمع العلماء والأعيان وأرباب الحل والعقد وأجمعوا على مبايعته بالإمامة لاعتقادهم أنه خير من يستطيع النهوض

بأعبائها ولاستجماعه الشروط الشرعية، وهى أربعة عشر سيأتى بيانها فامتنع فى أول الأمر وتردد. فأصروا عليه وألحوا ولم يقبلوا له عذراً فأجابهم إلى سؤالهم ووافقهم. وهكذا أخذت له البيعة بالإمامة يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ وتلقب «المتوكل على الله رب العالمين» وضرب على سكتة «عصمتى بالله المتوكل على الله».

وكان أكابر علماء صنعاء وذمار وصعده فى مقدمة المبايعين ثم بايع بعدهم علماء شهارة وغيرهم.

الجهاد - وكان أول ما عمله بعد أخذه البيعة المناداة بالجهاد ودعوة القوم إلى الحرب للتنكيل بالترك «الذين سعوا فى الأرض بالفساد وتركوا الشرائع وظلموا العباد» كما جاء فى بيان نشره فلباه الناس وأقبلوا من كل جانب لإجابة دعوته. فقامت الحرب فى كل ناحية من أنحاء اليمن وحملت القبائل على الترك فنكلت بهم، واحتلت حصونهم وصياصيههم واكتسحتها بما فيها (صنعاء) العاصمة فقد حاصرها رجال الإمام حصاراً شديداً استمر ستة أشهر.

وكان الإمام إبان الحصار مع مقره المنصورى فى كوكبان يشرف على حالة القتال، ويصدر الأوامر إلى قواده وجنوده بالخطبة التى يسيرون عليها. ولما سدت فى وجوه المحصورين أبواب الرجاء ونفذ كل ما عندهم من الزاد انتدبوا وفداً قابل الإمام وحصل الاتفاق على تسليمه صنعاء، وانتدب أحد رجاله وهو العلامة أحمد بن قاسم حميد الدين فتسلم صنعاء وانتقل المخيم المنصورى بعد هذا الانتصار العظيم إلى قرية «القابل» وهى تبعد عن صنعاء نحو ١٥ كيلو متراً إلى الشمال الغربى، ولم يدخلها خوف الطوارئ والمفاجآت. وحالف الفوز والنجاح جنوده ورجاله فى تلك الغارة فاحتلوا مدن اليمن كلها تقريباً، ولم يبق للترك سوى تعز والحديدة ثغر اليمن الكبير على البحر الأحمر.

وبعد ما استقرت الأمور فى صنعاء دخلها الإمام مع حاشيته ومخيمه

وأنصرف إلى تنظيم الأمور وإقامة أحكام الشرع والدين. ولم يطل به المقام حتى وصلت إلى الحديدية قوات تركية جديدة، وعلى رأسها الوالى الجديد أحمد فيضى باشا فزحف برجاله وتقدم بصعوبة وعناء حتى بلغ مناخه وهناك حط رحاله، وأخذ ينظم صفوفه، ويرتب جيوشه استعداداً للزحف على العاصمة والاستيلاء عليها. وبعد أن تم له ما أراد ووثق من وقرة جيوشه ومن ضمان النصر تقدم قاصداً صنعاء فلاقاه رجال الإمام ودارت الحرب حتى بلغ الترك رأس جبل عصر المواجه لصنعاء فرأى الإمام أن الأفضل للمصلحة هو الجلاء عنها لئلا تهدمها المدافع فغادرها منسحباً نحو الشمال وحط رحاله فى صعده واتخذها دار مقام له.

ومما يجدر ذكره هنا أنه لما دخل الإمام صنعاء فاتحاً التجأ إليه مفتيها وكان ضالعا مع الترك شديداً على الزيود مسرفاً فى أذيتهم والنكايه بهم، فأمنه على نفسه وأنقذه من يد العامة والدهماء، وكان يبكى ويقول «أرحمنى يا أمير المؤمنين وخلصنى من الناس ولو بالقتل» فقال له : «لاضير عليك إنك آمن ونحترمك للعلم. أما ما بينك وبين الناس من الحقوق فالشرعية، وأما ما حصل منك لجانبى وجانب والدى فقد سامحتك وعفوت عنك» ثم أمر بإكرامه وأعادته إلى بيته أمنا مطمئناً وأجرى عليه راتباً فاطمأن واستراح، ولما تبين له اتصاله بالترك ومكاتبته لهم أمر بالقبض عليه فاعتقل مع إسماعيل الردى والشيخ محمد الرازقى من رؤساء قبائل بلاد البستان ورئيس الباطنية، ويسمى الداعى، وأرسل الثلاثة إلى مكان مجهول فانقطعت أخبارهم من ذلك اليوم.

الترك يفاوضون الإمام - ودارت بعد ذلك معارك عديدة بين الترك وقوات الإمام بعد ارتداده إلى الجبال واعتصامه بها، وأخيراً جنحت الحكومة العثمانية إلى السلام فأرسلت وفداً لمفاوضة الإمام وعقد صلح معه فطلب شروطاً ومهد لها بالمقدمة الآتية. قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

«وافقت مستمداً بعون الله على شروط الصلح ما بينى وبين مأمور سلطان الإسلام الذى أدعو الله أن يؤيد ملكه لإطفاء نار الحرب الموقده، وأن تستبدل الفوضى والعداوة بالصدقة لتسلم البلاد من القلاقل وتحقق الدماء وتزول المحن من هذه البقعة، ويستتب الأمن ويربط المؤمنون برابطة الإخاء التى لا انفصام لها ويرتفع الظلم فيما بينهم».

أما شروطه فهى :

- ١ - أن تطبق الأحكام على الشريعة الغراء.
- ٢ - أن يرجع عزل القضاة وحكام الشرع وتعيينهم إلى الأمام.
- ٣ - أن تكون معاقبة الخائنين والمرتشين منوطة بالإمام.
- ٤ - تخصيص رواتب كافية للحكام والمأمورين كى لاتدفعهم القلة إلى الإرتشاء.
- ٥ - إحالة الأوقاف إلى عهده لإحياء المعارف فى اليمن،
- ٦ - إقامة الحدود الشرعية على مرتكبى الجرائم من المسلمين واليهود كما أمر الله تعالى بها وأجراها رسوله ثم أبطلها الموظفون الترك فى اليمن.
- ٧ - أخذ العشر من المزروعات التى تسقى بماء السماء، ونصف عشر من التى تسقى بماء الآبار بعد أن يقدر ذلك أرباب الخبرة.
- ٨ - تجبى الأموال بواسطة مشايخ البلاد تحت نظارة مأمورى الدولة ولايكون للإمام علاقة بقبض الأموال الأميرية.
- ٩ - يسلم كل فريق إلى الفريق الآخر من يلجأ إليه من الخائنين.
- ١٠ - إعلان عفو عام فى البلاد.

١١ - عدم تولية أحد من أهل الكتاب على المسلمين .

١٢ - أن تحافظ الدولة على أمن اليمن الخارجى من اعتداء الدول .

ثم ذيل هذه المطالب بما يأتى :

«ان تنفيذ هذه الشروط فى البلاد اليمنية يكون سبباً لسلامة الأفراد وترقى البلاد وإحيائها . فيظهر الأمن بأبهى مظاهره ويحصل منه خير كثير . ولا يخفى أن البعض يستفيدون من كثرة سوق العساكر إلى البلاد اليمنية . إذ لا يخلو لهم ذلك من الفائدة المادية ، ولعلهم لا يرضون بهذه الشروط لأن باتباعها يستتب الأمن وينقطع ورود العساكر إلى هذا القطر فيخسرون بذلك ما كانوا يؤملون ، لذلك أطلب صدور فرمان سلطانى يتضمن قبول الشروط المار ذكرها كى يطمئن اليمنيون وترتاح قلوبهم ولا يعترض الموظفون فى إجراء الأحكام التى تخولها الشروط ، وإحالة إدارة بلاد اليمن الشرقية إلى عهدتى» .

ورفضت الحكومة العثمانية قبول شروط الإمام وأبت إلا الاستمرار فى القتال فكانت الحرب سجالات بين الفريقين ، ورأى الترك فى السنة التالية أن يستأنفوا الكرة فأرسلوا إليه وفداً عدد رجاله عشرة من اكابر علماء مكة فبلغوا صنعاء ومنها أرسلوا إلى الإمام كتاباً يبسطون فيه مهمتهم ويعرضون عليه الصلح ويحببونه إليه فأرسل اليهم يوم ١٨ شعبان سنة ١٣٢٥ هـ كتاباً مطولاً بسط فيه حالة اليمن وأسباب قيامه بسطاً وافياً قال فيه :

«كانت بلاد اليمن بيد أسلافنا من الال الأكرمين من المائة الثالثة للتاريخ ، ولم ينفك قائم الحق عنها . إما متولياً لجميعها أو بعضها كما هو معروف فى تواريخ اليمن . وكانت المعارك مستمرة بين أسلافنا ومن ناوهم لرغبة أهل اليمن فى ولاية ساداتهم وأولاد نبيهم رضى الله عنهم واعتقادهم وجوب توليهم ونصرتهم ، ولما يعرفون من أحوالهم ، وأن لا إرادة لهم غير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المحزن . وإقامة الشريعة وتعديل المائل وإرشاد الجاهل وتقريب المؤمنين وإبعاد

الظالمين. ثم لما توجه أحمد مختار باشا من الحضرة السلطانية إلى اليمن وكان قائماً في ذلك الوقت الإمام محسن بن أحمد وكانت بينه وبين الموظفين غلاصم ثم بعده الإمام شرف الدين، ولا زال ظلم المأمورين يتضاعف من عام إلى عام وتنوعهم في المعاصي وارتكاب الشهوات ظاهراً بلا حياء واحتشام، وكلما ظهر شيء أو زاد كثرت البغضاء في قلوب أهل اليمن للموظفين. فالإيمان يمان والحكمة يمانية حتى قام والدنا رضى الله عنه، وقد ضرب ضلال الموظفين بجرانه، وتطاردت أفراس شهواتهم في حلبة الفجور وميدانه. فكان بينه وبين الموظفين ما كان حتى مضى لسبيله ولحق بحزب جده الأمين وجيله فانتصبنا لذلك المقام ولم نقم والله لدرهم ولا لدينار.

وبعدما أطال في وصف سيئات الموظفين ختم كتابه بقوله «النصيحة مقبولة إن شاء الله تعالى. غير أنا نحب أن تطلعوا على مدار بيننا وبين والى أحمد فيضى ومن كاتبنا من الموظفين لتعرفوا مسلكنا في الإنصاف وبعدنا عن الميل والاعتساف، وستعرفون حقيقة الحال. وهانحن نناشدكم الله والإسلام. هل تجدون ناسخاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف؟ أم هل تجدون من محرم للدفاع عن الأموال والأعراض والنفوس والبنين والبنات؟ أم أهل من مانع لقتال من أضاع أركان الإسلام؟ أم هل من تثريب على من اقتبى الأثر بآيات قرناء القرآن والحجة على الأمة في كل عصر وأوان، الذين أوجب الله محبتهم على كل بنى الإنسان؟ أم هل من ناسخ لآيات «ومن لم يحكم بما أنزل الله». إنا نحذركم من دسائس الموظفين فإن لهم طرقاً إلى جلب أمثالكم إلى أتباع مقاصدهم. كما انتخبوا أناساً من أهل اليمن وجعلوهم آلة لهم في كل مكان حتى بلغ بهم الحال إلى أن أرسلوهم للوفادة للباب العالي للتعبير عنهم بما علموه كما يفعلونه إذا وصل مثل حضراتكم أو مفتش. فهم يمرون عليه في كل يوم بأماكن الأمراء ويدلون بأقوال لا يعباون ولا يبالون بظهور الكذب فيها والافتراء. ثم أبحثوا عن العلة الباعثة فإن من عرف الداء عرف الدواء.

«وإننا نمد إلى الله أكف الابتهاال أن يجعل على أيديكم جبر كسر اليمن الميمون، وأن يقذف فى قلب سلطان الإسلام الرأفة والرحمة باستدراك حشاشة أهله فهم مؤمنون» .

ولم تفد الوسائل التى بذلت للصالح وتقريب القلوب بل أستؤنفت الحروب بين الفريقين حتى كانت سنة ١٣٢٨ هجرية (١٩١٠) فعاد الإمام إلى محاصرة صنعاء برجاله، واحتل معظم بلاد اليمن فجهزت الدولة العثمانية حملة كبيرة عهدت بقيادتها إلى الفريق عزت باشا، وكلفتة أن يعقد صلحاً مع الإمام فصار إلى الحديدية ومنها تقدم وهو يحارب القبائل فى طريقة حتى بلغ صنعاء فأنقذها واستقر فيها. ثم أرسل الرسل إلى الإمام يفاوضونه فى عقد الصلح فعادوا وأبلغوه حسن استعداده ورغبته فى حقن الدماء. وتم الاتفاق على أن يجتمع الإمام والقائد التركى فى مكان يسمى «دعان» فصار هذا وضباط جيشه كما جاء الإمام مع قواده وأنصاره.

وسبق الإمام بالوصول إلى دعان مع رجاله فنزل فيها واستقر، وأقام ينتظر القائد وأرسل من لاقاه بالحفاوة والأهاليج. وما استقر عزت باشا فى المنزل الذى أعد له حتى ذهب فزار الإمام فى منزله فقابلته بالحفاوة وتم الاتفاق، وبذلك حلت مشكلة اليمن وقد اشغلت الترك نحو ٧٠ سنة وكلفتهم الملايين من الجنيهاات والألوف من القتلى حتى سميت اليمن مقبرة أبناء الأناضول.

اتفاق دعان

الشروط التى عقدت بين الإمام المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين، وبين القائد عزت باشا على إصلاح أمور بلاد صنعاء وعمران وحجة

وكوكبان وحجور وأنس وبريم ورداع وحراز وتعز التي يقطنها الزيديون الذين هم تحت إدارة الدولة :

١ - ينتخب الإمام حكاماً لمذهب الزيدية وتبلغ الولاية (ولاية صنعاء) ذلك وهذه تخبر الآستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب.

٢ - تؤلف محكمة استئناف للنظر فى الشكاوى التي يعرضها الإمام. ويكون مركزها فى صنعاء وينتخب الإمام رئيسها وأعضاءها وتصدق الحكومة على تعيينهم.

٣ - تكون مسائل الأوقاف والوصايا منوطة بالإمام.

٤ - يصدر عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف والضرائب التي سلفت.

٥ - لاتجبنى التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من أهالى أرحب وخولان لفقرهم وخراب بلادهم بشرط أن يحافظوا على صداقتهم للدولة.

٦ - تجبى التكاليف الأميرية بحسب الشرع.

٧ - يحق للزبديين تقديم الهدايا للإمام. إما مباشرة وإما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام.

٨ - يسلم الإمام عشر حاصلاته للحكومة.

٩ - لاتجبنى الأموال الأميرية من جبل الشرق مدة عشر سنوات لفقره.

١٠ - يخلى الإمام سبيل ما عنده من الرهائن من أهالى صنعاء وما جاورها وحراز وعمران.

١١ - يمكن لموظفى الحكومة وأتباع الإمام أن يتجولوا فى أنحاء اليمن بشرط أن لا يخلوا بالسكينة والأمن - أ هـ.

واستقرت الحالة فى اليمن على أثر عقد هذا الاتفاق وجعلت مدته عشر سنوات واتخذ الإمام صعدا دار مقام له، وانصرف إلى العناية بأمور الدين والوعظ والإرشاد.

ولما أعلنت الحرب العظمى فى سنة ١٩١٤ وضرب الحلفاء الحصار على شواطئ البحر الأحمر انقطعت المواصلات بين اليمن والأستانة، وأصبح الجيش التركى المرباط هنالك شبه محصور. نعم إن الترك حاولوا الاتصال باليمن عن طريق الشام والحجاز فأرسلوا حملة صغيرة معها أموال إلا أنها تاهت فى الببباء وسطاً عليها العرب وسلبوها أموالها وفتكوا برجالها.

ولم يجد ولاية الأمور الترك باليمن بدأ من اللتباء إلى الإمام فى دفع رواتبهم ومساعدتهم فى توطيد أمن البلاد فساعدهم وأقام على الولاء للدولة محافظاً على عهوده، ولم يشأ الانتقاض عليها والانضمام إلى أعدائها الذين كاتبوه وأرادوا أن يستميلوه بل ظل على ولائه حتى انتهت الحرب وعقدت الهدنة بين الحلفاء والترك، وقد تعهد فيها الترك بالبراءة عن جميع البلاد العربية واليمن من جملتها.

وأصدرت وزارة الحربية العثمانية على أثر عقد الهدنة - وقد وقع عليها يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ فى موندروس - الأوامر إلى قائد جيشها فى اليمن بالتسليم للحلفاء فسلم نفسه فنقله الإنكليز إلى مصر ثم أطلقوا سراحه فقصد الأستانة.

وغادر الإمام يحيى سعدا على الأثر فجاء الروضة (وهى قرية خارج صنعاء ومن مصايفها الجميلة وقد اعتاد أن يصطاف فيها أخيراً) فأقام فيها يرقب الحالة عن كثب فجاءته وفود القبائل كما زاره التجار والعلماء وذوو الرأى والمكانة من صنعاء وأقام فى الروضة ثلاثة أشهر ثم انتقل إلى صنعاء فدخلها وتسلم مقاليد الأمور بعد سفر القائد التركى مصحوباً بالجيش وتخلف بعض الموظفين والضباط الترك مفضلين البقاء فى خدمته. وهكذا انتقلت السلطة الفعلية إليه وصار صاحب الشأن فى بلاد اليمن العليا.

وانصرف الإمام إلى نشر الأمن وتوطيده فى داخل البلاد، وأبقى الموظفين فى أول الأمر فى وظائفهم وعلى رأسهم الوالى التركى القديم وصرف لهم الرواتب،

ولم يغادر هذا اليمن نهائياً إلا فى سنة ١٩٢٣ ففى تلك السنة عقد الصلح بين الترك والحلفاء، وقد أصدر الوفد التركى بياناً رسمياً اعترف فيه بتنازل الترك عن سيادتهم على بلاد العرب.

واتجهت همة الإمام فى هذا الدور إلى حدوده الغربية والجنوبية - أى إلى النواحي التسع وهى واقعة بين عدن وحدود اليمن الحالية، وقد كانت من قبل تابعة لأئمة اليمن ثم دخلت فى الحماية البريطانية تدريجاً، وسيأتى الكلام على هذه النواحي مفصلاً عند البحث فى شئون لحج وحضرموت، فقد عمل الإمام فى هذا الدور على استرداد هذه النواحي وضمها إلى اليمن كما كانت فلقى مقاومة من الإنكليز، ولاتزال المسألة موضع أخذ ورد بينه وبينهم.

وأما مشكلة حدوده الغربية فخلاصتها أن الإنكليز ضربوا الحديد فى أواخر أيام الحرب العظمى واحتلوها عسكرياً، وبعدما أقاموا فيها مدة جلوا عنها وسلموها إلى السيد محمد على الإدريسي إمام عسير يومئذ وصديقهم وحليفهم فبسط نفوذه بهذه الوساطة على جانب كبير من أراضى تهامة وخصوصاً سواحلها، ولم تكن من أراضيه بل كانت خاضعة للترك. فساء ذلك الإمام وانصرف إلى معالجة المشكلة بالطرق السياسية، فالحديدة باب صنعاء ومرفأ اليمن الأكبر.

ولما عجزت الطرق السياسية عن حلها حلها بالسيف، فهاجمت جنوده قوات الإدريسي الواقفة على الحدود مغتمة فرصة الخلاف الذى شجر بين الأدارسة فاحتلت باجل والحديدة والصليف وابن عباس والزيدية واللحية وظلت تتقدم من دون كبير مقاومة حتى بلغت خط ميدى - حبل، وذلك فى سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥) ولما رأى الأدارسة أنه لا قبل لهم بمقاومة الإمام لجأوا إلى ابن السعود فأجارهم وعقد معهم معاهدة مكة وأرسل صورة منها إلى الإمام يحيى طالباً إصدار الأوامر إلى الجند بالكف عن مطاردة الأدارسة. لأنهم فى حماه فأصدر الإمام الأمر إلى

جنوده بالامتناع عن الحرب. وبذلك انتهت مشكلة الحديدية بما أَرْضَى الإمام وأقر عينه. وكان يقود الجيش المتوكلى فى غزوة تهامة الأمير أحمد ولى العهد وكبير أنجاله، والسيد عبدالله بن أحمد الوزير وهو الذى استولى على باجل وخرق خطوط الأدارسة.

وبفضل الإمام يحيى تم لليمن الحصول على الاستقلال الإدارى الداخلى فى العهد التركى والنجاة من الحروب وأهوالها وأفاتها، كما تسنى له إنشاء دولة مستقلة استقلالاً لاتشوبه شائبه فى ختام الحرب العظمى ضمت إليها جانباً كبيراً من إمارة الأدارسة، وقد كانت مستقلة عن تركيا قبل الحرب، كما استرد جزءاً من المقاطعات التسع.

كيفية يقضي يومه؟

يقيم الإمام في قصر السعادة أقخم قصور صنعاء وأعظمها، وقد بناه حديثاً واتخذ مقرأ له ولعائلته وأولاده. وفيه ديوانه، وفيه يستقبل الزوار والوافدين ويشرف على شئون الدولة والبلاد.

وينهض من نومه قبل أذان الفجر فيتوضأ ويصلى ويتلو ما تيسر من القرآن ثم يتناول فطوره وينزل إلى ديوانه للنظر في شئون الرعية، أو يقصد ساحه القصر فيجلس للناس.

وبابه مفتوح لكل قاصد، ويبدأ الناس إذا كان في الديوان بالدخول عليه منذ الساعة الثالثة عربية (٨ صباحاً) فيسمع شكاويهم وينظر في قضاياهم ويفصل بينهم ويصدر الأوامر بإجراء مايلزم. ويستمر على هذه الحالة حتى قبيل أذان الظهر. فيخرج من القصر بموكبه الرسمي وأمامه الزامل (موسيقى اليمن) وعلى رأسه المظلة^(١) وقد أحاط به أنجاله وأمامه قائد الحرس ويسمونه رئيس العكفة.

ويقصد أحياناً عند خروجه من القصر الساحة العامة (ساحة القصر) فيجلس على دكة فيها فتلتف حوله النساء والأولاد وأبناء الرعية يستمع إلى شكاويهم ومظالمهم أو يجلس تحت شجرة في حوش القصر، ويقف وراءه جندي بيده السيف وآخر إلى جنبه حاملاً المظلة فيفتتح الجلسة ويستمر الساعة والساعتين ويحيى كل قادم ويهش له ويسأله عن حاجته، والغاية من هذه الجلسة تسهيل مقابلاته على أبناء الشعب. فقد يحول الحجاب أو الجند بين دخول مظلوم عليه.

وبعد الانتهاء من هذه العملية يخرج من القصر بموكبه الرسمي قبيل أذان

(١) قطرها ثلاثة أذرع وهي من الحرير الأزرق والأبيض المزركش وعلى أطرافها خرج عريض ثمين.

الظهر كما قلنا فيذهب فيصلى فى الجامع الكبير، أو فى المسجد المعطل فى بير العزل (حى من أحياء صنعاء يسكنه الكبراء) وبعد الصلاة يعدو بموكبه الرسمى إلى القصر فيتغدى وينام.

وطعامه المعتاد متعدد الألوان، وهو مطبوخ على الطريقة التركية، ويأكل مع أولاده وبعض رجال حاشيته وكبار ضيوفه فى القصر أو مع نسائه وأولاده ويتعشى فى داخل القصر مع الحريم بعد انصرافه من الديوان مساء.

ويعود إلى الديوان بعد القيلولة فيصلى العصر جماعة مع من يكون هنالك أو يقصد مسجداً مجاوراً وهذا شأنه فى الصلوات الأخرى. فهو يؤديها جماعة ويستأنف عمله فى الديوان عقب كل صلاة.

ولا يغادر ديوانه قبل انتهاء عمله، وقد يستمر حتى الساعة العاشرة مساء، أو إلى منتصف الليل ولا يؤجل عملاً.

ويقضى يوم الجمعة فى الصلاة والمطالعة، ولديه مكتبة ثمينة جداً فيها كتب خطية نادرة، وأبوابها مغلقة خوفاً على ذخائرها وكنوزها ومفتاحها معه.

ويقصد قرية الروض فى أوائل فصل الصيف، وهى فى جوار العاصمة فيبقى فيها مدة شهرين، أى ريثما ينتهى موسم المشمش، ثم يتحول عنها فى أواسط الصيف، إبان موسم العنب، إلى الروضة ويجود فيها فيظل حتى فصل الخريف.

عاداته - الإمام يحيى ولوع بالرمى (رمى القنابل والرصاص) وركوب الخيل وهو يجلس فى ديوانه على فراش أسود وثير تحته فراش آخر وسجادة عجمية وإلى جانبه الوسائد يتكى عليها ويدخل عليه الزوار والمتقاضون وهو على هذه الحالة.

أوصافه - هو ربع القامة، أسمر اللون، عالى الجبين مستدير الوجه، ذو فم صغير، وأنف قصير وعيتين سوداوين، ولحية بيضاء قصيرة مستديرة.

ملايسه - يرتدى الألبسة العربية وهى عبارة عن قباء من القطن فوقه جبة يمانية ذات أردان، ويضع على رأسه عمامة مطرزة مدلاة من جهة اليسار واليمين. ويدلى أولاده العمامة من جهة واحدة فقط تمييزاً عنه. ويحمل خنجراً (مذهباً) ويتمنطق بحزام ذهبى وبيده سيف مذهب القبضة يرفعه على كتفه عند مسيره فى أكثر الأحيان. والنؤابتان العلامة الفارقة له عن أبناء رعيته ولولاهما لما استطاع الغريب أن يميزه عن أحد، وكذلك يمتاز أيضاً بالزامل يضرب أمامه والموكب الرسمى. وقل أن يخرج من دون موسيقى تضرب بين يديه.

زوجاته - الإمام من العاملين بمبدأ تعدد الزوجات، وهو يتزوج ويطلق، ولا تزيد زوجاته الشرعيات مجتمعات على الأربع عملاً بأحكام الشريعة. ولا يعرف عدد زوجاته بالضبط ويحصون بالعشرات، وقد ولدن له ٣٤ ولداً مات ١٩ منهم ولا يزال ١٥ أحياء بينهم خمس بنات متزوجات.

واليك بيان بأسماء أولاده الذكور :

السيد أحمد (البكر) وولى العهد عمره ٣٦ وهو عامل مقاطعه حجه والقائد العام للجيش اليمانى

السيد الحسن	عمره	٣٥	ناظر البرق والبريد
السيد الحسين	عمره	٣٢	عامل الحديدية
السيد على	عمره	٢٣	ناظر الحربية
السيد المطهر	عمره	٢١	ناظر المواصلات
السيد القاسم	عمره	٢٠	ناظر المعارف
السيد عبدالله	عمره	١٨	
السيد إبراهيم	عمره	١٦	

١٥	عمره	السيد اسماعيل
١١	عمره	السيد العباس
٩	عمره	السيد يحيى
٨	عمره	السيد المحسن

ولكل واحد من أبناء الإمام لقب خاص يلقب به وهذا بيان ألقابهم :

السيد أحمد - صفى الدين

السيد الحسن - شرف الدين

السيد الحسين - شرف الدين

السيد على - جمال الدين

السيد المطهر - ضياء الدين

السيد القاسم - علم الدين

السيد عبدالله - فخر الدين

السيد إبراهيم - صارم الدين

السيد إسماعيل - ضياء الدين

السيد العباس - ضياء الدين

السيد يحيى - عماد الدين

السيد محسن - حسام الدين

وعدا هذا اللقب فهناك لقب آخر يضاف إليهم بعد أن يشبوا ويشتركوا فى الحروب والغارات وهو سيف الإسلام.

وفى يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٥٠ هـ توفى ثانى أولاده الأمير محمد (عامل

الحديدة) غريقاً فى البحر، فقد أراد إنقاذ أحد رفقاته، وقد أشرف على الغرق
فغلبه التيار فأخرج جثة هامدة فحزن عليه والده حزناً شديداً ورثاه بالمرثية
البليغة الآتية قال :

رضينا بحكم الله سمعاً وطاعة	وإن فست أكباداً وأهرق أدمعا
وعم مصاب الناس بالبدر إذ مضى	ونادى مناديه بمـا هال إذ نعى
وعز علينا راحلاً غير أيب	على حين لم يلبث زماناً ممتعاً
فقدناه ميمون النقيب سيـدا	أعز عزيز الفضل أبيض أروعا
وأوحـد أما علمه متبحر	وأما سجاياه فالـروى أينعا
وأما مساعيه فما طاب مصـدراً	وورداً وأصلاحاً وشنف مسمعا
وحمال أعباء ينوء بحملها	تبير ويهوى دونها متصـدعا
وذى همة قعساء أمضى عزيمة	من السيف فى شرع الإله وأقطعا
أقام قناه الشرع للظلم ما حيا	وبالحق أخاذا وللعدل مترعـا
ينافس فى تأثيره اليوم أمسه	ويعرف منه الدهر طودا ممثعا
وأجد من آل الرسول موقـراً	أشم طويل الباع ندبا سميذعا
له الله مفقوداً له الله أقـلاً	له الله مدعوا أجاب فأسـرعـا
وبادر عن دار الفنا متحـولاً	إلى داره الأخرى منيبا مودعا
فيا رحمة البارئ عليه ترردى	وبلى ثراه طاب مأوى ومضجعا
ولازال رضوان الإله يؤمه	بما شاء إكراماً وفضلاً موسعا
ويامن له شرح الصدور ومنتهى الـ	أمور وجبر الكسر غوثاً مـمنعا
بإفراغ صبر من لدنك فإنه	تناهى به الخطب العظيم وروعـا

ويتولى بنفسه تأديب أولاده وبناته، ويلقن الكبار منهم علوم اللغة والفقه، وهم ينظمون الشعر ويجيدون النثر ويمتازون بالأدب والرقّة والتواضع ويحب بعضهم بعضاً.

ديوانه - أثاث ديوانه بسيط جداً. خال من جميع مظاهر الأبهة والعظمة، يجلس فيه متربعاً على وسادة كما مر بك، وأمامه منضدة صغيرة عليها حبر وورق وأقلام.

ويجلس رئيس الديوان إلى يمينه ويسمونه الكاتب الأول، وهو بمثابة رئيس الوزراء فى الحكومات المدنية، ويجلس إلى يمين رئيس الديوان ثلاثة من الكتاب، على الأرض وأمامهم ثلاثة آخرون، ويعمل الستة بإمرة رئيسهم وإشراف الإمام نفسه، ولا ينصرفون قبل إنجاز الأعمال اليومية والبت فى جميع الشؤون المعروضة.

ويجلس جنديان فى وسط الديوان أمام الإمام مباشرة - يحمل أحدهم ختمه ومحبرة حمراء لختم الرسائل والخطوط والأوامر التى تدفع إليه، ويرملها بالرمال الأحمر، وهو مما اختص به الإمام فى اليمن. فليس لأحد أن يستعمله مطلقاً. وهو يقرأ جميع الرسائل التى يصدرها ديوانه، ويكون قد أملاها من قبل، فإذا رآها موافقة دفعها إلى الجندى (أو الأمين) فيختمها ثم ترسل إلى البريد.

ومهمة الجندى الآخر الجالس فى وسط الديوان تقديم ورق القات إلى الإمام، والقات نبات شبه مخدر خاص باليمن، اعتاد أهلها أن يمضغوه ويخزنوه فى أفواههم ويشربون عليه ماء.

ويتلقى رئيس الديوان البريد فيفضّه بنفسه ويقرأه ويرفع ما هو جدير بالنظر والعناية إلى الإمام الجالس إلى جانبه فيقرأه ويؤشّر عليه بما يجب أن يكون. أما الشؤون البسيطة فيوعز رئيس الديوان إلى الكاتب الجالس بقربه بإنجازها فينجزها. والإمام آخر من ينهض بعدما يستوثق من أنه لم يبق شئ للنظر فيه.

ومن عاداته أيضاً أن يضع حرف (هـ) على ما يكتب فى الديوان أثباتاً لإطلاعه عليه، أو يضيف إليه كلمة «سلام» أو يؤرخه بخط يده، وحرف هـ مما اختص به وليس لأحد أن يقلده فى إستعماله.

ويطلقون على الديوان اسم «المخيم المنصوري» أيضاً، وهو مفتوح الأبواب فى الليل والنهار للقاصدين والزائرين. ويقف عليه حاجب يحمل الأوراق والعرائض إلى الأمام فينظر فيها أو يستأذن لبعض القادمين فى الدخول.

راتبه - ليس للأمام راتب معين يتناوله من بيت المال، فهو القابض على المال، وجميع أموال اليمن تجبى إليه، وهو يتصرف فيها كما يشاء ويريد لاحسيب ولارقيب ولاميزانية توضع، ولا فصول تدقق.

وللأمام ثروة خاصة عدا ثروة بيت المال، وهى ما ورثه عن أبائه وما اقتصده يقدرها بعضهم بخمسة عشر - أو عشرين ألف جنيه (٣٠٠) ألف ريال.

والمعروف أن بيت مال اليمن مملوء بالمال وهو مما اقتصده الإمام فى عهده ومما أخره أبأؤه وأسلافه من قبل، ويقدره بعضهم ببعضه ملايين من الجنيهات، وعنده خزانتان كبيرتان: الأولى فى شهاره، وكانت مقره القديم. والثانية فى صنعاء فى داخل القصر السعيد. ويقال إنه كتم مكان خزائنه عن كل إنسان فلا يعرفها أحد سواه مبالغه فى الحرص والكتمان.

اقتصاده - وقد اشتهر الإمام بالتقتير على رجاله وعماله وبالميل إلى ادخار المال، ولعل هذا منشأ ما يقال عن وفرة خزائنه وامتلائها. وهو يقول بأن أموال بيت المال هى ملك المسلمين. فلا يحق له أن ينفقه إلا فى شؤونهم ومصالحهم الخاصة وفى ما يفيدهم. ويقول إن هذه الأموال هى أمانة فى يده فلا يضيعها. وما يعطيه من هبات وأعطيات - وهى قليلة فى الغالب - من ماله الخاص، وقد رأيت أن له ثروة خاصة به ينفق منها فى الشؤون والمصالح الخاصة. ويقول أيضاً بأنه يدخر هذه الأموال لليوم العصيب. ويجيب الذين يلحون عليه بالبذل

والإنفاق قائلاً : «إذا كنا نجد الجندي براتب قدره خمسة مجيديات فى هذه الأيام فإننا لانجده زمن الحرب بعشرين ريالاً (أى نحو جنيه مصرى) ولذلك ينبغى أن ندخر المال لمثل هاتيك الأيام.

ومن القواعد التى جرى عليها إقراض المعسر من بيت المال ما يحتاجونه بدون فائدة، فإذا جاءه أحد المزارعين أو التجار وطلب قرضاً فلا يتأخر عن إقراضه متى وثق من إخلاصه وتقواه وحسن نيته، ويكتب بذلك كتاباً إلى أجل على المدين أن يفیه فى أجله ولا يتناول منه ربحاً ولا فائدة.

رسائله - ورسائله إلى عماله وموظفيه مختصرة، غاية فى الإيجاز. أما رسائله إلى خارج اليمن فتكون عادة مطولة، ويلتزم فيها السجع والصناعة اللفظية، وقد أوردنا جانباً منها فى ما تقدم، وهى من إنشائه فى الغالب.

معلوماته - والإمام واسع الاطلاع على الشؤون العالمية، ملم كل الإلمام بحوادث الكون. يطالع الصحف المصرية والسورية بدقة وعناية، ولا يفوته شئ مما يجرى فى البلاد العربية، ويعرف معلومات واسعة عن حركة السياسة الدولية وعن أقطابها.

ومن عاداته أن يسأل كل قادم من مصر أو غيرها من البلاد المتحضرة، عما يحمله من صحف. فإذا حصل عليها وضعها وراء الوسادة التى يستند إليها لئلا تصل إليها يد. ويحمل إليه عمال البريد كل ما يصل إلى اليمن من صحف فيطلع عليها، ويميل إلى احتكار مطالعة الصحف ليتفرد بالمعلومات التى تحملها، وهو واسع الاطلاع على العلوم الدينية والعربية، وقد حاز رتبة الاجتهاد، وهو يردد هذه الجملة «قبح الله ملكاً يدخل عليه من هو أعلم منه» وله فى الاجتهاد آراء تختلف عن آراء أئمة المذهب الزيدى دونها فى ١٢ مادة ويستند إليها فى قضائه.

وكثيراً ما يصادف أن ينظم فى مجلسه بديوانه بيتين أو ثلاثة أو أكثر من الشعر يضمونها وصف نكتة حدثت أو حادثة وقعت. وهو يميل إلى المباشرة

والدعابة فى بعض الأحيان. ويوجه نحو زائريه شعاعاً قوياً من عينيه المتقدتين يحاول بهما الوصول إلى قرارة نفسه واستخراج أسرارهِ.

أسفاره - لم يغادر حتى الآن بلاد اليمن بل لم يزر تهامة ولا ساحلها، وهو يتنقل فى أعالي الجبال بين صنعاء وتهامة وصعدة وغيرها.

وكذلك شأن أولاده فقد نشأوا فى حجر والدهم ولم يغادروا بلادهم ليطلعوا على ما فى الكون من عجائب، والنجل الوحيد الذى زار مصر وأوربا هو المرحوم الأمير محمد. فقد دعى فى صيف سنة ١٩٢٧ لزيارة إيطاليا فزارها، رداً لزيارة السنيور غاسبارينى الذى زار صنعاء فى سنة ١٩٢٦ كما سيأتى بيانه. ومما يستحق الذكر عن رحله هذا الأمير أنه دعى وهو فى نابولى، إلى حفلة راقصة أعدها له حاكمها فلما دخل البهو وشاهد غادات إيطاليا الفاتنات وكن يرقطن فى حلل الحرير والدمقس، وقد أسفرن عن وجوه كأنها البدور وأظهرن الصدور والنهود كاد أن يغمى عليه من هول الموقف وقد فوجئ به مفاجأة، فلاحظ ارتبأكه مرافقوه من الإيطاليين فأخذوه إلى غرفة أخرى ريثما هدأ روعه وأطمأن باله.

معاملته لضيوفه - مما يلاحظ على الإمام إنه يسئ الظن بكل من يفد على بلاده من الغرباء، وخصوصاً من أهل البلاد العربية والشرقية توهماً منه أنهم رسل الأجانب وجواسيسهم، ولايسمح لهم بالوصول إلى صنعاء إلا متى وثق من حسن نيتهم ومن كونهم غير مرسلين بمهمة إلى بلاده ومن حسن أخلاقهم وأدابهم.

ومما يذكر عن المرحوم الأمير - محمد وقد كان من دعاة الإصلاح ومن العاملين على إدخاله إلى اليمن - أنه اتفق مع والده على أن يأتى بالرجل الذى يراد استخدامه فى اليمن فيجلس فى الحديدية تحت مراقبته (الأمير) فإذا وثق من إخلاصه وحسن نيته، بعد انقضاء مدة على إقامته يرسله إلى صنعاء ويقدمه إلى والده على مسئوليته فيقبله ويستخدمه.

وضيوفه على قسمين : قسم من أهل اليمن أو من السادة والعلماء المعروفين لديه. فهؤلاء يكرمهم ويجالسهم ويسمح لهم بالاختلاط بالناس. والقسم الآخر من غير اليمانيين وهؤلاء لا يأذن لهم بدخول بلاده، إلا بعد أن يتلقى عنهم معلومات طيبة وينزلون حين وصولهم إلى صنعاء فى منزل يختاره لهم بنفسه، ويقيمون فيه شبه مأسورين فلا يقابلهم أحد ولا يدخل عليهم أحد إلا بأمر الإمام. وهو يعامل كل ضيف بما يستحق ويليق بمقامه. وفضلاً عن ذلك فهناك دار للضيافة يؤمها الزوار العاديون. أما العظماء والكبراء فينزلون منازل خاصة. وإلى جانب كل عامل من عمال الإمام فى المدن والأقاليم دار للضيافة يأوى إليها أبناء السبيل والغرباء لعدم وجود فنادق وغيرها للمبيت.

الأجانب فى اليمن - فى صنعاء طبيب إيطالى واحد وثلاثة عمال إيطاليون يعملون فى الورشة الميكانيكية التى أنشأها حديثاً وفيها مهندس ألماني وآخر نمسوى، وفى الحديدية ١٠ من الرعايا الروس يشتغلون بالنجارة و٨ أروام يعملون فى البيع والشراء. هؤلاء هم كل ما فى اليمن اليوم من أجانب. والإمام حريص على عدم السماح لهؤلاء بدخول بلاده والتوطن فيها، كما أنه لم يسمح حتى الآن للدول الأجنبية بإنشاء قنصليات أو سفارات عنده، خوفاً من أن يجر السماح بإنشائها إلى فتح الباب فى وجوه الجاليات الأجنبية، وهو مما لا يقره ولا يوافق عليه مطلقاً خوفاً على استقلال يمنه.

اليهود فى اليمن - ويقدر عدد اليهود فى اليمن بخمسة عشر ألفاً وهم ينزلونها قبل الإسلام، ولهم ميزات يمتازون بها عن العرب المسلمين، وأولى هذه الميزات هى السوالف، والغاية من إرسالها أن لا يعتدى عليهم إذا حدثت فتنة بين العرب بصفتهم من أهل الذمة، وكذلك فليس لهم أن يركبوا الخيل بل عليهم أن يركبوا الحمير وحدها، وعليهم أيضاً أن يرفعوا «الزخارف» بأجور يتناولونها، ويجب عليهم فى بناء بيوتهم أن لا يتجاوزوا الطابقيين علواً وهم يدفعون الجزية السنوية لخزينة الإمام، وإذا شتمهم المسلم أو أهانهم أو ضربهم يشكونه إلى

الأمام فينصفهم حالاً. ولا يسمح لليهود بالتملك. وغاية مايجوز لهم الاستملاك لمدة ٩٩ سنة. ويجوز لهم أن يستخرجوا النبيذ للشرب لا للبيع. ويجوز استخدامهم وبناتهم فى بيوت المسلمين، ولايجوز لهم استخدام مسلمين عندهم. والخمر ممنوع منعاً باتاً فى اليمن ولا تجيز حكومتها صنعه ولا إدخاله ولا بيعه ولا نقله بوجه من الوجوه.

تقبيل يده - من عادة الإمام أن يسمح بتقبل يده لمن يدخل عليه من الزوار ويكب بعضهم على يده فيقبلها من الوجه والقفا، ويقبل بعضهم ركبته ومنهم من يقبل رأسه، ومنهم من يتبادل معه تقبيل الخد وتقبيل اليد، ومنهم من ينهض لاستقباله واقفاً، ومنهم من يستقبله قاعداً. ويجرى ذلك طبقاً لنظام مخصوص تبعاً لحالة الزائر.

الإمام والتصوير الشمسى - التصوير الشمسى معروف فى اليمن، وقد أخذت رسوم عديدة لأبناء الإمام وأحفاده وقصوره وأجناده، ومع ذلك فلم يسمح لأحد أن يصوره حتى الآن. والرسم المنشور له مقتبس من رسم تقريبي وضعه له الأستاذ الريحاني حين زيارته صنعاء.

الرهائن - اليمن بلاد جبلية وعرة المسالك، صعوبة المواصلات، اعتاد أهلها الحروب، وألفوا الفوضى وعدم الخضوع للنظام، واشتهروا بحب الغزوات والميل إلى الكفاح، وقد رأى الإمام - كما رأى الترك من قبل - أن الطريقة الوحيدة التى يأمن بها شر القبائل فى الأماكن القاصية والبعيدة أن يأخذ رهائن من أبناء شيوخها ورؤسائها فيضعهم تحت إشرافه.

وفى صنعاء اليوم عدد غير قليل من هؤلاء، وأكثرهم من أبناء شيوخ القبائل القوية فى أمكنة مختلفة تحت المراقبة الشديدة ويعيشون بما يجريه عليهم الإمام من الأرزاق اليومية.

زواره من الأجانب - زار اليمن فى السنوات الأخيرة اثنان من كبار

الأجانب أولهم السنيور غاسباريني حاكم مستعمرة الأرتيرة سابقاً، فقد قصد صنعاء في شهر اغسطس سنة ١٩٢٦ فدخلها بموكب حافل فاكرم الإمام وفادته. وفي خلال زيارته تلك عقدت معاهدة صداقة وتجارة بين الإمام وإيطاليا سيأتى الكلام عليها. وكذلك زاره المستر كراين الغنى الأميركي الشهير فأكرمه أيضاً واحتفى به فأهداه هدايا ثمينة.

وكذلك زاره السر جلبرت كليتن سنة ١٩٢٦ على رأس وفد لعقد اتفاق بينه وبين الحكومة البريطانية فلم يوفق.

عنايته بجيشه - الإمام كثير العناية بجيشه عظيم الاهتمام بتنظيمه وتسليحه وترقيته.

وهو يعرضه في أيام الأعياد والمواسم فتشترك قواه على اختلاف الأسلحة في العرض فتقر بذلك عينه.

ومع ما هو مشهور به من حب الاقتصاد فهو لا يبخل على جيشه بالمال. فقد ابتاع له طيارات وأسلحة بمدافع من مختلف العيارات، وأنشأ معملات لصنع القذائف والقنابل. وهو يسير في جميع أعماله بالتؤدة متبعاً سياسة المراحل ولا يتسرع في شئ خوف الفشل والسقوط.

أراؤه الاجتماعية - يعد الإمام من غلاة المحافظين في آرائه الاجتماعية، وهو من أنصار القديم ودعائه والمتمسكين به، مع ميل إلى الاستفادة من المخترعات الحديثة واستخدامها.

وهو من أنصار الجامعة الإسلامية وأكابر دعائها. ولا يؤمن بمبدأ القومية ولا يراه جديراً بالاهتمام، ويفضل عليه المبدأ الدينى، ويراه أدعى إلى القبول والنجاح.

ومن آرائه أنه يجب على كل مسلم أن يفر بدينه وإيمانه فلا يقر منكراً إذا عجز

عن إزالته. وكذلك فهو يقول بوجوب الخروج على الإمام إذا بغى وخرج على الدين وعدم إطاعته، ويرى أيضاً وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويقول أيضاً إن كثيرين من المسلمين في حضرموت والحجاز والبلاد الإسلامية كاتبوه في ظروف متعددة طالبين تدخله ومساعدته لإنقاذهم وإقامة الدين والشرعية في بلادهم، وبعدما يورد ذلك يقف على بقوله: ماذا يظن هؤلاء الأمام؟ وماذا يحسبونه؟ إن الأمام يكاد يعجز عن القيام بالعبء الملقى على كاهله؟ أننا متعبون من حالنا. فهل نستطيع أن ننظر في شؤون غيرنا. وهو يجزع لكل خطب يحل بالمسلمين ويظهر الحسرة والتلهف.

ولا أثر للحضارة الأوربية في اليمن، ولا وجود للعادات الأفرنجية الحديثة التي انتشرت في بلاد الشرق والإسلام، ولا يزال القوم هنالك متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم الإسلامية القديمة التي شبوا وشابوا عليها لا يبغيون عنها حولاً. ولا يفتحون أبواب بلادهم للأجانب لئلا يفسدوا عليهم نظمهم وتقاليدهم.

العلوم والمعارف - قلنا إن الإمام يعد من كبار العلماء إن لم يكن كبيرهم في اليمن. وقد اعترف له الجميع بالزعامة العلمية. كما أترفوا له بالزعامة السياسية.

ولقد أنشأ في خلال حكمه عدداً من المدارس. ففتح في صنعاء المدرسة العلمية لتعليم العلوم العربية والدينية على مذهب الإمام زيد. ومدة الدراسة فيها تسع سنوات. وهي واقعة في حى بير العزب، ويدرس فيها أبناء الإمام يتلقون الدروس مع زملائهم. وكذلك أنشأ مدرسة للأيتام، على النظم الجديدة، أدخل فيها بعض أولاده، مؤساة للأيتام.

وأنشأ مدرسة للحربية في صنعاء لتخريج الضباط.

وأنشأ جريدة أسماها الإيمان، وهي الجريدة الوحيدة في اليمن، وأول صحيفة صدرت في العهد الجديد.

وأنشأ في المدن والبنادر عدداً من المدارس الابتدائية والكتاتيب. والحركة العلمية والتعليمية والأدبية في ركود وسكون.

النقود الإمامية - سك الإمام في السنوات الأخيرة نقوداً ذهبية وفضية ومعدنية باسمه كتب عليها «نصر الله أمير المؤمنين، المتوكل على الله محمد يحيى بن محمد» ثم عاد فسحبها من التداول لأن عدن حاربتها، وتلاعبت بأسعارها، ولم يبق سوى بعض أجزاءها الصغيرة وهي عشر القرش وخمسه والقرش ونصفه، والعملة المتداولة في اليمن اليوم هي الجنية المصرية والإنكليزي والريالات النمساوية.

الكهرباء في صنعاء - ينار قصر الإمام وحده بالكهرباء في صنعاء، وتستخدم الكهرباء في كثير من شؤونه، ولا تزال الكهرباء مجهولة في أجزاء اليمن الأخرى.

توسطه في حرب الحجاز - جرياً على عادته من الاهتمام بالشؤون الإسلامية توسط لعقد صلح بين الملك على وعبدالعزیز السعود إبان الحرب الحجازية النجدية. فقد وجه إليهما يوم ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤هـ (أكتوبر ١٩٢٥) الكتاب الآتي نصه :

«قد علمتم محال ببلاد الأماكن المقدسة من الكوارث من نتائج الحروب التي اشتعلت ناراها بينكم. ووصل الاستصراخ من الأهالي وعموم المسلمين لعموم ذوى العلاقة من المسلمين بالحرمين الشريفين ومشاعر الحج، فلا جرم إذا رأينا من الواجب علينا إجابة نداء المستصرخين بالتدخل في طلب إنهاء الحرب بصلح يرضاه الله ورسوله، وتقر به عيون المسلمين وقد حملنا على ذلك ما نعتقد فيه من حسن الظن بنا والثقة بمساعيينا ووضوح أنكم من أصدقائنا واندفاع ما يظن مريد الانكساح في سعينا. ولا ثمرة في إطالة البيان أن نصون مهبط بقاع الوحي وما في ذلك من تكرار الكوارث بلا انقطاع وإبقاء الضرر بالبلاد والعباد حالاً

ومستقبلاً، وفى ذلك توكلت على الله وصممت على إرسال وفد مكلف بالإصلاح بينكم، والثقة العظمى إذا وجد به العمل فى أس طلبكم لمساعدتنا الخيرية بالقبول بوجودنا بصفة الحكم فيما بينكم واستردادكم السقطات فى البادرات وقبولكم لما يقصر معاناة الاختلاف، وإلى ما يحبه الله ويربح فضله إلى ما فيه حفظ الكرامة. وأفيدوا بالجواب المسر فنحن فى انتظاره. وفقنا الله جميعاً والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته» ومع أن الملك على أجاب بالموافقة إلا أن المشروع باء بالفشل.

وبمناسبة ذكر الحرب الحجازية النجدية نسرد حادثة رواها أحد الفضلاء الذين زاروا اليمن فى سنة ١٩٢٤ أى قبيل تلك الحرب بأيام قليلة، وهى تدل على شدة عناية الإمام بتسقط أخبار البلاد المجاورة له ووجود عمال أكفاء عنده يعتمد عليهم ويوثق بهم. فقد روى هذا الثقة أنه لما وصل إلى صنعاء، وكان قادماً من مكة سأل الإمام عن حالة الحسين فأجابه برأيه فيه، ثم سألته ألم يبلغه خبر زحف قوات ابن السعود على الحجاز فأجاب بالنفى، وأضاف إلى ذلك أنه يستبعده، فأخرج الإمام من تحت وسادته كتاباً جاءه من أحد عيونه، وفيه بيان مفصل عن القوى التى أعدها ابن السعود للغارة على الحجاز، وأسماء فواده وعدد رجالها وأسليحتها. ولم يطل الوقت حتى جاءت الحوادث مؤيدة لهذه الأخبار. ويوافق الإمام عماله بتقارير يومية ومعلومات مفصلة عن الحالة فى البلاد المجاورة له فلا يكاد يفوته شئ منها.

اللاسلكى فى اليمن - وفى عهده أيضاً تم إدخال اللاسلكى إلى اليمن وهناك عدة مراكز أكبرها مركز صنعاء وتدور المخاطبات بينه وبين مركز مصوع الإيطالى وترسل البرقيات إلى اليمن بواسطة هذا المركز.

كراماته - وقبل أن نختم هذا الفصل لابد لنا من القول أن فى اليمن من يضيف إلى الإمام كرامات، ويعتقد بوجود قوى روحانية فيه، كما يوجد فيها من

يأتى لزيارته تبركاً ويطلب منه أن يرقيه أو أن يكتب له تميمة فلا يتأخر عن إجابته وتلبية رغبته فيأخذ التميمة ويرجع إلى أهله مسروراً معتقداً بالفوز والفلاح. بسرها وبركتها.

الفتن فى عهده - وقد وقعت فى عهده فتن كثيرة أعظمها فتنة قبيلة الزرانيق فى سنة ١٩٢٩ وهى قبيلة قوية تقطن فى المنطقة الواقعة بين الحديد وباجل فتم له إخضاعها والتغلب عليها ويسود اليمن هدوء تام.

السيارة فى اليمن - وقد تم أخيراً تعبيد الطريق بين صنعاء والحديدة فصار فى إمكان السيارة أن تسير بين الثغر والعاصمة وتقطع المسافة فى ١٤ ساعة.

عنه

خضع اليمن للدولة الإسلامية من يوم نشأتها فتقلب عليه عمال الحكومات الثلاث الأول: حكومة الخلفاء الراشدين، فحكومة الأمويين فالعباسيين. ولما ضعف شأن هذه في القرن الثالث انفصل عنها وأنشأ دولة جديدة مستقلة بزعامة السادة من آل البيت، ولا يزال الحكم فيهم والإمام القائم فرع من دوحتهم. وخضع اليمن للترك حينما نهضوا نهضتهم الكبرى في القرن العاشر للهجرة، واحتلوا مصر والشام وبسطوا نفوذهم على بلاد العرب، بيد أنه مالبث أن قاتلهم وطردهم من أراضيه وخلع نيرهم، على أنهم أستاذنفوا الكرة وعادوا في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة (سنة ١٨٤٩) فاحتلوا الحديدة وتوغلوا في أنحاء اليمن وبسطوا عليه نفوذهم فلجأ الأئمة إلى الجبال واعتصموا بها على عادتهم في الأزمان استعداداً للوثوب عندما يأن الأوان.

وتتابعت الحروب بعد ذلك بينهم وبين الترك، وكلما هوى إمام قام آخر من آله مقامه حتى جاء دور سيادة الإمام الحالي فلم يكد يأخذ البيعة حتى أشعلها حرباً ضروساً، ونادى بالجهاد فلباه الناس فحاصر صنعاء (عاصمة اليمن) واحتلها على ما مر آنفاً، وبعد حروب وفتن طويلة عقد صلح فدعان الشهير وقد أوردنا خلاصته ومدته عشر سنوات، وقد تعهد فيه الترك أن يدفعوا راتباً شهرياً للإمام ولرجاله السادة والمشايخ قدره ٢٥٠٠ ليرة عثمانية ذهباً، وهكذا سجل الترك في معاهدة رسمية اعترافهم بسلطة الإمام الدينية على الزيود ودفعوا له ولرجاله الرواتب فكان ذلك أول فوز سياسي ناله.

وأدرك الفوز السياسي الثاني بلا عناء يوم قضت ضرورات الحرب العظمى على الترك بالجللاء عن بلاد العرب، واليمن في جملتها، فغادروها وسلموه أيها تسليم اليد في الخريف سنة ١٩١٨ على أن استقلاله لم يعترف به دولياً إلا بعد

عقد الصلح فى لوزان بين الترك والحلفاء يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٢٣ فصار بذلك الزعيم الدينى والسياسى لليمن وأضحى سيدها المطلق.

وخطا الخطوة الثالثة فى ربيع سنة ١٩٢٥ فسير جيشاً على تهامة مغتتماً فرصة الخلاف بين أمراء العائلة الإدرسية وانقسام شيوخ القبائل وتفرق الكلمة فاحتل الحديدة والزيدية واللحية والصليف وابن عباس وميدى وباجل، وبذلك بسط نفوذه على تهامة ومعظم ساحلها.

وقد أدى فوز الإمام هذا الفوز المتتابع إلى ازدياد نفوذه وارتفاع مقامه وذيوع اسمه وإقبال الناس عليه. فلم يحمله ذلك على تغيير عاداته وخططه فقد أظهر فى مواقف كثيرة تودة وحكمة وبعد نظر، وأثبت أنه يعرف كيف يدرك غايته ويحقق أمنيته من دون كبير عناء ولا زيادة خسارة أو نفقات.

نظام الحكم فى اليمن

الإمام هو مصدر كل سلطة فى الدولة اليمانية، وهو الكل فى الكل. فلا رأى إلا رايه ولا كلمة إلا كلمته، وكل ما هنالك من مناصب فهى شرفية معطلة من كل نفوذ، فهو الذى يعين الموظفين ويختارهم، وهو الذى يعلن الحرب ويعقد الصلح. والحكومة اليمانية حكومة دينية فى روحها وفى مظهرها اقتبست من العهد التركى القديم بعض مظاهره، ولقد أخذ الإمام حديثاً بنظرية تقسيم القوى فى الدولة. فأنشأ نظارات على مثال الوزارات فى الممالك الأخرى قلدها أنجاله كما رأيت. وهم مجردون من كل نفوذ يرجعون إلى والدهم فى الصغيرة والكبيرة فيفصل فيها.

ويتولى شؤون الخارجية تحت إشراف الإمام موظف تركى قديم اسمه راغب

بك كان فى العهد العثمانى يتقلد منصب متصرف الحديدة. فنشأت بينه وبين اليمانيين صداقة ومودة، فلما ساءت حالة تركيا بعد الحرب العظمى قصد اليمن فى سنة ١٩٢٥ ونزل ضيفاً على الإمام فى صنعاء فقربه إليه، وحيث إنه يعرف اللغة الفرنسية فقد استخدمه فى الشؤون الأجنبية، وهو يدرس اللغة الفرنسية لبعض أبناء الإمام. كما ارتبط معهم برابطة المصاهرة إذ تزوج الأمير أحمد ولى العهد إحدى كريماته، وزوج كريمته الأخرى للسيد الحسن.

والقوانين الوضعية تكاد تكون معدومة فى حكومة اليمن فالأحكام الشرعية وحدها هى المرجع الوحيد للحكم. ولما كان الإمام من الحائزين على مرتبة الاجتهاد فهو يستنبط من الأحكام ما تدعو إليه المصلحة ويطبقها من دون أن يحتاج إلى وضع قوانين جديدة. وله آراء معروفة فى الأحكام خالف بها أئمة المذهب الزيدى وعددها ١٢ مسألة معروفة فى اليمن.

ويشترط فى الإمام عند الزيود أن يكون مجتهداً ليتسنى له استنباط أحكام قد تدعو الحاجة إلى استنباطها. ولهذه المناسبة نقول إن شروط الأمامة عندهم ١٤ شرطاً لا بد من توفرها فيمن يبايع بالإمامة وهى أن يكون ذكراً، مكلفاً، حراً، مجتهداً، علوياً، فاطمياً، عدلاً، سخيّاً، ورعاً، سليم العقل، سليم الحواس، سليم الأطراف، صاحب رأى وتدبير، مقداماً، فارساً.

وموارد الحكومة اليمانية هى ما تجبيه من الزكاة الشرعية ومن ضريبة الجمارك، ومن الجزية السنوية التى يدفعها اليهود ومقدارها خمسة ريالات (١) فى العام عن الواحد (نحو ٢٠ - ٢٢ قرشاً صاغاً مصرياً) وهم يجمعونها من بعضهم ويدفعونها إلى الحكومة دفعة واحدة. لافرق فى ذلك بين غنيهم وفقيرهم.

والضرائب المباشرة وغير المباشرة تكاد تكون فى حكم المفقود، والحكومة تجبى الزكاة أو الأعشار، وهى مما قضى الشرع بوجوب أدائها للإمام.

(١) جاء فى بعض المصادر أنها عبارة عن ريالين فقط أى عشرة قروش.

نظام ولاية العهد

لم يكن نظام ولاية العهد معروفاً في اليمن من قبل، ولم يأخذ به أئمتها الذين يسيرون على الشريعة في أحكامهم. لأنه غير معروف في الشريعة، وخالف الإمام يحيى أسلافه. فرأى أنه بعد إنشاء الملك الجديد لابد من الأخذ بنظام ولاية العهد منعاً لما يجره موت الإمام بدون خلف من القلائل والفتن التي تضعف البلاد فاختار ابنه الأمير أحمد لولاية العهد، وأخذ له البيعة من العلماء ورؤساء القبائل وأهل الحل والعقد تجنباً للمشاكل في المستقبل.

علاقاته الدولية والسياسية

اليمن مستقل في شؤونه الداخلية والخارجية استقلالاً حقيقياً تاماً، وليس لأي دولة نفوذ أو تدخل في أموره على الإطلاق.

ولقد أراد الإيطاليون أن يستغلوا مركزهم في الأرتيرة (البحر الأحمر) فيبسطوا نفوذهم على اليمن ويستعمروه فمدوا الشباك وأنفقوا الملايين من الأموال فلقوا من صلابة الأمام وقوة شكيمته ما أحبط خططهم، يضاف إلى ذلك الاتفاق الذي عقد بين إنكلترا وإيطاليا خاصاً بسياسة البحر الأحمر في رومية سنة ١٩٢٥ وهو يقضى بالاحتفاظ بالحالة الحاضرة على شواطئه وبأن يكون للطلليان حق الاتجار مع اليمن فقط.

وفي شهر أغسطس سنة ١٩٢٦ سار السنيور غاسباريني - حاكم الأرتيرة يومئذ، وبطل السياسة الاستعمارية في البحر الأحمر والعامل على نشر نفوذ إيطاليا - في اليمن إلى الحديدية وصنعاء في موكب حافل وحمل معه أنواع الهدايا

وبدر الأموال فوزعها على رجال الإمام وأولاده وحاشيته وقضى هنالك شهراً،
وقد ختمت تلك الرحلة بالمعاهدة الآتية وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة فيكتور عمانوئيل الثالث ملك إيطاليا وجلالة ملك اليمن أمير المؤمنين
الإمام يحيى.

لقصد تقوية ودوام الصداقة الودية بين المملكتين ورغبة من الطرفين فى
تسهيل ووفور المناسبات الاقتصادية بين القطرين.

فصاحب الجلالة ملك إيطاليا بواسطة وكيله المفوض الكوالير يعقوب غاسبار
ينى والى الأرتيرة وجلالة ملك اليمن الإمام يحيى أمير المؤمنين قد اتفقا وقررا ما
هوأت :

المادة الأولى - تعترف حكومة جلالة ملك إيطاليا باستقلال حكومة اليمن
وملكها جلالة الإمام يحيى الاستقلال المطلق الكامل. ومع هذا فلا تتدخل حكومة
إيطاليا المشار إليها فى مملكة جلالة ملك اليمن الإمام بأى أمر من الأمور التى
تناقض ما فى الفقرة الأولى من هذه المادة.

المادة الثانية - تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل فى التجارة بين بلاديهما.

المادة الثالثة - حكومة جلالة ملك اليمن تصرح بأنها ترغب أن تجلب طلباتها
من إيطاليا، وذلك فى الأشياء والآلات الفنية التى تساعد بجلب الفائدة فى نمو
اقتصاد اليمن ونفعه، وكذلك فى الأشخاص الفنيين.

والحكومة الإيطالية تصرح بأنها تبذل جهدها حتى يصير إرسال الأشخاص
والآلات الفنية والأشياء بأنسب وجه فى الأنواع والأثمان والرواتب.

المادة الرابعة - ما ذكر في المادة ٢ و ٣ لايمنع حرية الطرفين في التجارة والمطلوبات.

المادة الخامسة - ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب ويتجر فيما تمنعه إحدى الدولتين في بلادها. ولكل من الدولتين أن تصادر ما جلب إلى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الإشعار.

المادة السادسة - هذه المعاهدة لا تكون معمولاً بها إلا من حين تصل إلى جلالة ملك اليمن الإمام يحيى مصدقة من جلالة ملك إيطاليا.

المادة السابعة - تكون هذه المعاهدة جارية ومعمولاً بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها. كما في المادة السادسة. وقبل انقضاء مدة هذه المعاهدة بستة أشهر إذا أراد الطرفان تبديلها بغيرها أو تمديدتها كانت المذاكرة في ذلك.

المادة الثامنة - ولما حرر في هذه المواد فجلالة ملك اليمن الإمام يحيى وسعادة الكوالمين غاسباريني بالوكالة عن جلالة ملك إيطاليا قد أمضيا على هذه المعاهدة المحررة في نسختين متطابقتين باللغة العربية والإيطالية.

ولعدم وجود من يعرف الترجمة عن اللغة الإيطالية معرفة تامة لدى جلالة الإمام باليمن، ولأن المفاوضة التي تمت بين الطرفين بعقد المعاهدة الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية، ولأن سعادة الكوالمير غاسباريني قد تأكد تماماً أن النص العربي هو مطابق للنص الإيطالي تماماً.

لذلك اتفقا بأنه إذا نشأت شكوك أو اختلاف في تفسير النصين فالطرفان يعتمدان النص العربي وتفسيره بأصول اللغة العربية واعتبار هذا شرطاً.

وحرر يوم الخميس ٢٤ صفر سنة ١٣٤٥

غاسباريني ملك اليمن الإمام يحيى بن محمد

ولقد هلل الطليان لهذه المعاهدة، واستبشروا وفرحوا بعاقدها ومنحوه الرتب والأوسمة، وها قد مضى على عقدها نحو ثمانى سنوات لم ينالوا فيها مثلاً.

ويعمل الإمام على إضعاف نفوذهم، وقد أبى أن يمدد مدتها خوف المستقبل، وعلاقاته السياسية مع هؤلاء حسنة إجمالاً وهم يصانعون ويدارونه ويرجون أن يدركوا فى عهد خلفائه ما عجزوا عن إدراكه فى عهده.

معاهدته مع الروس - فى سنة ١٩٢٨ أرسل إليه بلاشفه موسكو الرسل يقترحون عقد معاهدة تجارية بينهم وبينه فأجابهم إلى طلبهم وعقد المعاهدة وهذا نصها :

بناء على الاستصواب والاستنسب المتقابل من كل من حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية من طرف، ومن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن الإمام يحيى بن الإمام محمد حميد الدين وحكومته من طرف آخر ورغبة الطرفين فى تأسيس المناسبات الرسمية الاعتيادية وفتح الصلات الاقتصادية بين بلاديهما وترقيتها وبنائها على أساس الصديق فى تنظيم العلاقات الودادية بين الحكومتين وشعوبهما والاعتراف بالتساوى بين الطرفين فى كافة الحقوق وأحكامها العامة المرعية بين الدول والملل.

قد اتفق الطرفان المشار إليهما على عقد هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية واعتبارها كمقدمة لما تستدعيه وتقتضيه الظروف المستقبلية عند ترقى الصلات الاقتصادية بين البلدين وتوسعها من إجراء المذكرات والسعى من الحكومتين المشار إليهما فى تنظيم الاتفاقات اللازمة كممثل تجارة وغيرها مما يرتضيه الطرفان فقررا الآن ما هوأت :

المادة الأولى - تعترف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية بالاستقلال الكامل المطلق لحكومة قطعة اليمن وملكها صاحب الجلالة الإمام يحيى بن الإمام محمد حميد الدين وحاكميته، ويقدر صاحب الجلالة ملك اليمن وحكومته صورة الاحترام الخالص والحسيات الجميلة التى تضمهرها حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية لدولة اليمن وشعبها وسائر الشعوب الشرقية ووفقا لهذا قد تأسست بين الطرفين المتعاهدين المناسبات الرسمية بموجب المقدمة المحررة أنفا.

المادة الثانية - يتعهد الطرفان المتعاقدان بتسهيل المبادلات التجارية بين الحكومتين. ووفقاً لهذا التعهد يكون لكل من رعايا المملكتين في بلاد المملكة الأخرى بعد استحصال الإذن منها الدخول والإقامة طبقاً لنظاماتها وتعاطى التجارة وإجراء معاملاتها التي تقتضيها على شريطة أن يكون فصل القضايا التي تحدث لكل من رعايا الطرفين في المحاكم المحلية للمملكة التي يوجدون فيها على وفق نظاماتها وإن كل ما كان ممنوع الاتجار به في قوانين إحدى الحكومتين. فلكل منهما منع أو مصادرة ما وجد في مملكتها من ذلك، ويتعهد الطرفان المتعاقدان أن يساعدا بتطبيق كل تسهيل موافق للنظامات المحلية في المعاملات لرعايا المملكتين في التجارة فيما يختص بالضرائب والرسوم الجمركية.

المادة الثالثة - توضع هذه المعاهدة في موضع التطبيق والإجراء من الحكومتين بعد إمضاءها وتصديقها على مقتضى الأصول الرسمية المعتادة من طرف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية اعتباراً من يوم وصول التصريح الرسمي من الحكومة المشار إليها إلى جلاله ملك اليمن الإمام يحيى.

المادة الرابعة - تكون هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية معمولاً بها وموضوعة في موضع العمل والتطبيق مدة عشر سنوات اعتباراً من التاريخ الذي ذكر في المادة الثالثة، وعند انقضاء المدة المذكورة يكون تمديدتها أو تبديلها بغيرها راجعاً إلى رغبات الطرفين المتعاقدين وما سيتفقان عليه في ذلك في المستقبل.

المادة الخامسة - تسمى هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية (معاهدة صنعاء) وهي تشتمل على مقدمة وخاتمة ستأتي، وخمس مواد هذه المادة إحداها. وقد نظمت في نسختين باللغة العربية لتعاطيهما من الطرفين المتعاقدين.

الخاتمة - لكي تكون هذه المعاهدة مهيأة لاكتسابها صفة التصديق النهائي حسبما نصت عليه المادة الثالثة والرابعة قد أمضيت في صنعاء عاصمة اليمن من

طرف مرخص حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية حضرة الرفيق استاخوف بالنيابة عن حكومته المشار إليها، ومن طرف حضرة القاضى محمد راغب المندوب عن جلالة ملك اليمن الإمام المشار إليه بعد اتفاقهما على ما حوته من العبارات والمعانى الدالة عليها اتفاقاً تاماً كاملاً.

وتحريرها فى ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧هـ الموافق تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٢٨.

علاقاته مع فرنسا - فى ربيع سنة ١٩٢٢ أرسل الفرنسيون وقدأ إلى صنعاء للحصول على امتياز بإنشاء سكة حديد بين الحديدية وصنعاء، وقد سبق لهم أن نالوا امتيازاً بها من الحكومة التركية، ولعقد اتفاق بشأن تجارة البن فلم يوفق هذا الوفد فى مهمته، فعاد إلى بلاده ولم تجر أى مفاوضات بعد ذلك بينه وبينهم.

علاقاته مع الإنكليز - لم تنظم العلاقات السياسية حتى الآن بين اليمن والإنكليز رغم الجهود التى لاتزال تبذل منذ سنة ١٩٢٠ لتنظيمها ولعقد اتفاق بين الحكومتين يحل المشاكل المختلف عليها.

ولقد كانت الحكومة البريطانية فى مقدمة الحكومات الشرقية والغربية التى أسرعت إلى خطب ود الإمام والتقرب منه فقد أهداه الملك جورج سيارة خاصة فى سنة ١٩٢٠ وأرسلها مع كتاب خاص رقيق. وفى سنة ١٩٢١ أرسل الإنكليز بعثة من عدن إلى صنعاء بطريق الحديدية حملت هدايا جزيلة، مقدمة لعقد اتفاق بين حكومتهم وحكومته.

ولما غادرت هذه البعثة الحديدية فى طريقها إلى صنعاء اعتقل شيوخ قبيلة القحراء رجالها ومنعواهم عن مواصلة السفر ولم يطلقوهم إلا بعد ما تعهدوا لهم بالرجوع إلى عدن وهكذا كان. وفى سنة ١٩٢٣ زارت صنعاء بعثة إنكليزية فلم تنل منالاً من الإمام. لأنه كان يشترط إعادة الحديدية إليه، وكانت بيد الأدارسة

قبل الدخول فى أى مفاوضة، وكان يعد الحكومة الإنكليزية مسؤولة عن إعطائها للأدارة بدون حق.

وقصدته بعثة رابعة سنة ١٩٢٦ أى بعد ما استرد الحديد وقضى لبانته فى عسير وتهامة. فطلب تصحيح خط الحدود الجنوبي بين اليمن والمحميات بإعادة هذه إليه لأنها كانت فى الأصل تابعة لأئمة اليمن، ولأنه لايعترف بخط الحدود الذى تم الاتفاق عليه بين الباب العالى وبين الحكومة البريطانية. إذ لم يؤخذ رأيه فيه، ولأنه لاحق للباب العالى أن يتصرف فى بلاد غير مملوكة له بل مغتصبة من أصحابها الشرعيين.

وفى شهر فبراير سنة ١٩٢٨ اشتد الخلاف بين الإمام وحكومة عدن بشأن بعض أجزاء هذه النواحي، فطارت الطيارات البريطانية وألقت على الأراضى اليمانية المنشور الآتى :

إلى أهالى الضالع وقعطة وسردفان

بناء على وجود عساكر زيدية فى المساحات المذكورة أعلاه فجميع القرى الكائنة فيها والتى تحتلها عساكر الزيدية ومن جملتها الضالع ستصير عرضه لرمى القنابل بواسطة طياراتنا. وهذا العمل هو ملحق بعمل الانتقام فى مسألة اختطاف الشيخ عبدالنبي العلوى والشيخ مقبل عبدالله. فلذلك يجب على النساء والأطفال وجميع الساكنين أن ينتقلوا من أى قرية يسكنها عساكر زيدية عند ماتقرب منهم طياراتنا.

حرر بعدن فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٨

ميجر جنرال

السركيت استيورت

والى عدن

وفعلًا طارت الطيارات وعددها ١٤٤ فألقت على قعطة ٥٨ قنبلة فقتلت نيفا و١٤٠ من النساء والأطفال فى خلال خمسة أيام وألقت القنابل مدة يوم واحد على الضالع. وفى يوم ١٦ مارس ألقت المنشور الآتى :

إلى أهل المذهب الشافعى فى اليمن وفى المحمية البريطانية :

بعد السلام. لقد علمتم أنه بناء على انتهاك حرمة المحمية البريطانية من الإمام والزيود وتعتديهم علينا أجبرنا على إلقاء القنابل على حامية الزيود.

ثانياً - بما أن هذه الحاميات أقامت نفسها بينكم فلعلكم قاسيتم من تأثير هذه القذائف ما قاسيتم. فذلك ذنب الزيود لا ذنبنا حسبما قد علمتم بذلك بدون شك.

ثالثاً - كل محل ليس فيه حامية زيدية لن يصير عليه رمى القنابل إلا إذا أعان سكان ذلك المحل الزيود بأى شكل من الأشكال.

رابعاً - لكى تعيدوا فى أمان نعلمكم أن طياراتنا لن ترمى القذائف فى أيام العيد، وذلك بتاريخ ٢٩ و ٣٠ رمضان و ١ و ٢ شوال سنة ١٣٤٦ الموافق ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ مارس سنة ١٩٢٨ إلا إذا حصل شئ من الزيود يؤدى إلى الضرب فإذا رميت قذائف فى تلك الأيام فاعرفوا أن الزيود هم المسؤولون.

خامساً - أن طياراتنا ستطير فى تلك الأيام للكشف لا للرمى مالم يحصل شئ من قبل الزيود.

كيت استيورت

والى عدن

وعلى أثر هذه الحوادث توسط السلطان عبدالكريم الفضل والسيد على بن الوزير عامل الإمام فى تعز فأطلق سراح الشيخين المعتقلين مقبل عبدالله وعبدالنبي، وعقدت هدنة مدتها شهر واحد لفتح باب المفاوضات بين الحكومتين. وفى يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٢٨ ذهب السلطان عبدالكريم والميجر فاول معاون

والى عدن إلى تعز فقابلا السيد على بن الوزير عامل الإمام للمفاوضة فأبلغهم أنه لم يخول الدخول فى مفاوضات رسمية، وعلى أثر ذلك أرسلت الحكومة البريطانية مذكرة إلى الإمام بأنها مستعدة بأن تبرم حالاً معاهدة موجزة تنحصر فى الأمور الآتية :

١ - تعترف بريطانيا باستقلال اليمن.

٢ - يعترف الإمام بحدود محميات عدن مع بعض تعديل فيها لمصلحته.

٣ - يعطى الإمام وعدا بالمساعدة التى يتسنى للحكومة البريطانية القيام بها فى دائرة معاهداتها الدولية.

وقد مد أجل الهدنة إلى أول شهر يوليو ليكون لدى الإمام وقت كاف للنظر فى هذه الأمور. ثم طلب هدنة أخرى فأجيب إلى طلبه بشرط أن يتعهد بالجلء عن الضالع يوم ٢٠ يونيو. وهذا هو البيان الرسمى الذى أصدرته حكومة عدن بهذا الشأن :

«إن الحالة الحاضرة بين الحكومة البريطانية وسيادة الإمام هى أنه بناء على طلب الإمام فحكومة جلالة الملك سمحت بامتداد أجل الهدنة إلى يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٢٨ بشرط أن يخلى الإمام الضالع يوم ٢٠ منه إثباتاً لحسن نيته».

ولما انتهى الأجل المضروب طارت الطيارات البريطانية يومى ٢٥ و ٢٦ يونيو وألقت وإبلاً من القنابل على الضالع وقعطبة وذمار وبريم وتعز وماوية وأب فحدثت ضرراً كبيراً وسببت حرائق فى المدن، وقتل نحو ٦٠ شخصاً مما كان له أسوأ وقع فى النفوس.

وعلى أثر هذه الحوادث جلا جند الإمام عن الضالع فسكنت الأمور ولا تزال الحالة بين الإمام والإنكليز واقفة عند هذا الحد.

أما النواحي التسع فهذه أسماؤها :

لحج. ابين. الحواشب. الصبيحة. القطيب، الضالع، يافع العليا والسفلى،
العوالق حضرموت.

علاقاته مع ابن السعود - لم تكن العلاقات السياسية بينه وبين ابن
السعود على مايرام فى أول الأمر، وقد خيف من نشوب حرب بينهما - على أنها
ما لبث أن تحسنت على أثر تبادل الرسل والهدايا، وأخيراً تم الاتفاق بينهما على
تحديد الحدود بين بلاديهما، وقد جاء فى بلاغ رسمى نشرته حكومة مكة فى
شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠هـ ما نصه :

اجتمع مندوبو الحكومة السعودية ومندوبو الإمام يحيى يوم ٢٥ جمادى
الآخرة سنة ١٣٥٠ فى مكان يسمى النظير بقرب جبل عرو الذى كان محل
الخلاف بين الجانبين ودارت المفاوضة بين المندوبين بشأن انسحاب الجنود
اليمانية من جبل العرو الذى كانت احتلته حتى خط الحدود الأصلى ولم يوفق
المندوبون إلى بلوغ تسوية يمكن القبول بها لتمسك اليمانيين وإصرارهم على
البقاء فى الأماكن التى احتلوها.

وحيثما تعقدت الأمور جرت مخابرة برقية بين الملك والإمام فاقتراح هذا على
الملك أن يكون حكماً فى الخلاف فأجابه بحكمه على نفسه بالتنازل عن جبل
العرو لليمن حلاً للمشكل.

وفى يوم ١٥ شعبان سنة ١٣٥٠ وقع مندوبو الفريقين على معاهدة صداقة
وولاء بين هاتين الحكومتين ووقفت حكومة الإمام موقفاً ودياً إزاء حكومة ابن
السعود أثناء فتنة الإدارة فى عسير سنة ١٩٣٢ ولزمت الحياد التام. ولما لجأ
السيد الإدريسى (زعيم الثورة وأمير عسير) إلى ميدى (أراضى الإمام) أرسل
هذا إلى الملك ابن السعود برقية توسط فيها لإصدار عفو عنه وعن قومه فأجابه
إلى ما طلب، وقال «وإن جميع من التجأ إليكم له أمان الله على ماله ودمه».

ودارت مكاتبات بعد ذلك بين الإمام والملك لعقد معاهدة تحالف، وجاء في كتاب أرسله الإمام إلى الملك ما نصه :

«ولعله قد سبق منا إليكم أنه لولا المتفرنجون الذى سهلوا للأجانب من كيد الإسلام ما لا يخطر لهم ببال لكان الإسلام منيع الجانب بعيد المنال. وكل ما لديكم من الإحساسات التى أثارته الحمية الإسلامية فذاك هو عين ما عندنا. ونؤمل منكم أنكم تعرفون ذلك منا حقيقة. ولقد وجد منا الأشرار دعاة الضلال شديد الشكيمة وصعب المراس غير ملتفتين إلى ما يزخرفونه من الترهات وهيئات هيهات أن يجد منا المخدولون غير المقت». .

علاقاته مع العراق - أنشأ سيادة الإمام علاقات ود وصداقة مع حكومة العراق فقد زار صنعاء فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٩ هجرية (إبريل سنة ١٩٣١) طه باشا الهاشمى مندوباً عن حكومة بغداد وعقد مع الإمام معاهدة ود وصداقة.

علاقاته مع الترك - وعلاقاته مع الترك حسنة. ويتردد المعتمد التركى فى جده على اليمن بلا انقطاع ويقابل الإمام ورجال حكومته واليمن داخلة فى دائرة نفوذه القنصلى، وقد أرسل الإمام فى سنة ١٩٢٦ كمية من البن الفاخر هدية إلى الغازى مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية ومثلها إلى عصمت باشا رئيس الوزارة.

وخلاصة القول أن الإمام يسير على مبدأ العزلة والانفراد فى سياسته الخارجية ويأبى الاتصال بالعالم الخارجى خوفاً على استقلال بلاده. أما فى سياسته الداخلية فهو يحاول أن يقتص سيرة الخلفاء الراشدين فيسير فى الجنائز كما ساروا ويخطب على المنابر كما خطبوا، ويحارب كما حاربوا، وتتجلى هذه الحقيقة للباحث فى سيرته الشخصية، وفى النظام الذى يسير عليه.

تركيا

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

نشأت هذه الجمهورية على أنقاض الإمبراطورية العثمانية وقد انهارت فى ختام الحرب العظمى، ونودى بها يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣ وعاصمتها أنقرة. ويبلغ عدد سكان الجمهورية الجديدة كما تبين من آخر احصاء فى سنة ١٩٢٧ أربعة عشر مليوناً ولاريب أنهم زادوا فى خلال السنوات الأخيرة.

ونظام الحكم فيها جمهورى ديمقراطى نيابى فى الظاهر، فهناك رئيس جمهورية ينتخبه المجلس الوطنى الكبير الممثل لإرادة الأمة كل أربع سنين، وهناك وزارة مسئلة أمام هذا المجلس، ونواب له ينتخبون كل أربع سنين مرة، ومع أن جميع مظاهر الحكم النيابى الشعبى متوفرة إلا أن الحقيقة هى أن تركيا تحكم بنظام دكتاتورى يستتره نظام ديمقراطى شفاف، فالغازى مصطفى كمال باشا ما برح يرأس دولة تركيا من سنة ١٩٢٠ حتى الآن، وفى كل أربع سنوات يجدد انتخابه، وكذلك فلا يزال عصمت باشا يرأس الوزارة التركية من سنة ١٩٢٣ إلا فترة قصيرة. وسكان هذه الجمهورية ترك مسلمون يتعبدون على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان. ما عدا بضعة آلاف من اليهود ونحو ٧٠ ألف رومى يقيمون فى العاصمة القديمة. ولا يسمح للأرمن ولا للروم بالإقامة فى الأناضول. وقد كانوا منبئين فيه بكثرة فأقصوا عنه من سنة ١٩٢٣.

والجمهورية التركية الجديدة علمانية لادينية، فصلت الدين عن الدنيا، وألغت القوانين القديمة واستبدلتها بقوانين ونظم جديدة مقتبسة من القوانين الأوربية الحديثة. وهى تعمل لإدماج الترك فى المدنية الأوربية الحديثة وقطع كل صلة تصلهم بالشرق وشعوبه.

ويحد الجمهورية التركية فى أوروبا البلقان واليونان والبحر الأسود، وتحدها روسيا وإيران والعراق شرقاً، وسورية جنوباً والبحر الأبيض غرباً فهى أسيوية أوربية، ومعظم أراضيها وعاصمتها فى أسية، وجزء من ولاية استانبول وولاية أدنة فى أوربا وتبلغ مساحتها السطحية ٨٠٠ ألف كيلو متر مربع، وأشهر مدنها استانبول وأدرنه وأنقره واسكيشهر وقونيه وأطنه ومرسين وأزمير وأنطاليه وسيواس وقسطمونى وطرابزون وسمسون وقيصريه، وهى زراعية وقد بدأت تهتم بالصناعة.

ويرأس جمهوريتها اليوم الغازى مصطفى كمال باشا منشئ تركيا الحديثة وقائدها، وهذا رسمه بلباسه المدنى الجديد.



الغازي مصطفى كمال باشا (رئيس تركيا)

الغازي مصطفى كمال باشا

رئيس الجمهورية التركية

مولده ونشأته

ولد في مدينة سلانيك سنة ١٨٨٠ م (١٢٩٨ هـ) من أب تاجر وسمى مصطفى. وأصل أسرته من لاريسا في بلاد اليونان هاجرت إلى تركيا بعد الحرب اليونانية العثمانية واستوطنت سلانيك. فأدخله أبوه «كتاباً» في الحى تديره إحدى القارئات فتعلم قراءة القرآن ثم نقله إلى مدرسة ابتدائية فتخرج فيها. وتوفى والده وهو صغير بدون ثروة تذكر فلجأت أمة إلى أخيها وكان مزارعاً فنقلها مع فتاهها إلى قريته وكفله. فأخذ يساعد خاله في عمله. سواء في الحقل أو في الدار أو رعى السائمة.

وشق على والدته أن ينشأ فتاهها هذه النشأة الخاملة فأعادتة إلى شقيقته في سلانيك ليتعلم فأدخلته هذه مدرسة رسمية من مدارس الحكومة وشملتة برعايتها.

وضربه الأستاذ يوماً ضرباً مبرحاً لأنه تشاجر مع زميل له ساعة الدرس. فشق ذلك على جدته فأخرجته من المدرسة وأقصته عنها، أختار الدخول في المدرسة العسكرية ليل غريزي فيه. فعارضت والدته حينما عرض الأمر عليها خوفاً عليه ولئلا تصاب ببعاده فأصر وكان له ما أراد. وفي المدرسة العسكرية لقب بكمال فصار يدعى «مصطفى كمال» وبعد ما اجتاز الصفوف الأولية نقل إلى مدرسة مناستر الثانوية فنال شهادتها فانتقل إلى الكلية العسكرية في الأستانة وتخرج فيها برتبة «ملازم ثان» سنة ١٩٠١ م ١٣١٩ هـ. ونقل إلى صفوف أركان الحرب لما أظهره من تفوق، وتخرج بعد ثلاث سنوات برتبة

يوزباشى أركان حرب، وأرسل إلى دمشق للخدمة فى الجيش الخامس، ويقال فى سبب إرساله أن السلطان عبدالحميد تلقى تقارير من جواسيسه - ومصطفى كمال لايزال فى المدرسة الحربية - بأن هذا ألف جمعية سياسية مع بعض زملائه الطلبة لمتابعة الحكومة وإنشأوا جريدة يكتبونها بأيديهم ويوزعونها على إخوانهم فصدر الأمر بمحاكمته فحكم عليه بالسجن بضعة أشهر، ولما انتهت مدة سجنه أطلق سراحه وأرسل إلى دمشق منفياً.

وقضى نحو سنتين ونصف سنة فى بلاد الشام يعمل فى سلاح الفرسان فاشترك فى الحملة التى أرسلت لإخضاع دروز جبل حوران وتأديبهم سنة ١٩٠٤ فقضى أربعة أشهر يعمل هناك ثم قصد بيروت ويافا والقدس لأعمال عسكرية فى الظاهر، أما فى الباطن فكان يسعى لإنشاء فروع لجمعية الاتحاد والترقى واستمالة الضباط إلى الدخول فيها.

وفى سنة ١٩٠٧ نقل إلى سلانيك وألحق بهيئة أركان حرب الجيش الثالث المرابط فيها، وظل فى هذا المنصب إلى ما بعد إعلان الدستور العثمانى فى سنة ١٩٠٨.

وانضم إلى الجيش الذى زحف على الآستانة لإخماد فتنة ١٣ إبريل سنة ١٩٠٩ إذ عين رئيساً لهيئة أركان حرب القوة التى زحفت من أدرنة.

ورفعت رتبته العسكرية فى تلك السنة إلى «قول أغاسى» وألحق بهيئة أركان حرب الجيش الجديد بعد أن نظم قوى «المليس» فى طرابس الغرب. ثم عين قائداً للآلاى ٣٨ المشاه ثم ألحق بهيئة أركان حرب الجيش الثانى فى الآستانة سنة ١٩١٠ وكان فى هيئة أركان حرب الحملة التى قادها محمود شوكت باشا وزير الحربية بنفسه لإخماد ثورة الألبانيا سنة ١٩١٠.

فى مصر - ولما أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية فى سنة ١٩١١ وغزت طرابلس الغرب ظلماً وعدواناً، غادر مصطفى كمال الآستانة وجاء القطر

المصري متذكراً في طريقه إلى بنغازي لتنظيم صفوف المجاهدين وإدارة حركة المقاومة. فأقام أياماً في هذه البلاد أعد في إبانها معدات السفر إلى برقة فوصلها سالماً، وتسلم قيادة القوات في «درنة» وظل يقاتل الإيطاليين حتى عقد الصلح بينهم وبين الدولة فعاد إلى تركيا واشترك في الحرب البلقانية سنة ١٩١٢ - ١٩١٣ وعين رئيساً لأركان حرب فيلق «بولايير» كما اشترك في الحملة التي قادها أنور باشا لاسترداد أدرنه في سنة ١٩١٣ وعين بعد ذلك ملحقاً عسكرياً للسفارة العثمانية في صوفيا عاصمة البلغار ومنح رتبة قائمقام.

إلى الجيش - ولما أعلنت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ وعبأت تركيا جيشها طلب المترجم له من وزارة الحربية إعادته إلى الجيش فتددت فالح فأجابته إلى طلبه وعينتته قائداً للفرقة ١٩ في جيش الدردنيل بقيادة المشير ليمان فون ساندروس باشا الألماني.

وبدا الإنكليز يوم ١٨ مارس سنة ١٩١٥ بإنزال جيشهم إلى البر في أنافارطة (دردنيل) بعدما مهدوا له بضرب مواقع الترك بمدافعهم ضرباً استمر ساعات طوالة حتى أنقلبت الأرض إلى أتون من الجحيم.

ثم باشروا إنزال القوات وكان مصطفى كمال يربط هنالك. فلما رأى ما حدث باغت الإنكليز وقاتلهم ومنعهم من توطيد أقدامهم في تلك الشواطئ ونال انتصاراً عظيماً عليهم، فعين على الأثر قائداً لمنطقة أنافارطة نفسها ورفعت رتبته إلى أمير الألاي فخاض حروب الدردنيل وامتدت بضعة أشهر وأبلى فيها بلاء حسناً. ثم نقل قائداً للفيلق السادس عشر حينما انتهت تلك الحروب بفشل الحلفاء وأرسل مع فيلقه إلى الأناضول الشرقي لمنازلة الجيش الروسي فاشترك في المعارك التي انتهت باسترداد بتليس وموش وصد الروس عن الأيغال في البلاد وأبرز في هذا الميدان من الكفاءة والمهارة ما أبرزه في الميادين الأخرى فذاع اسمه وطار صيته.

ولما نشبت الثورة العربية في الحجاز، وحاصرت جيوش الملك حسين المدينة المنورة وضيققت على الترك الخناق دعى المترجم له إلى دمشق فجاءها في أواخر سنة ١٩١٦ وقابل أحمد جمال باشا القائد العام للجيش التركي في بلاد العرب يومئذ فأبلغه أنهم اختاروه ليكون قائداً عاماً للحملة التي ترسل إلى الحجاز للقضاء على الثورة العربية لما يعرفونه فيه من الكفاءة والاقتدار. فسأله عن المرجع الذي يرجع إليه قائد هذه الحملة ويتلقى منه التعليمات فأجابته أنه قائد الجيش الرابع (أى جمال باشا نفسه) فأجابته إننى لا أشتغل تحت رئاستك، فقال جمال باشا بعد غد يصل أنور باشا وكيل القائد العام فكلمه في الأمر.

وجاء أنور باشا في الغداة فأبلغه أنه لا يقبل العمل بقيادة جمال باشا من الوجهة الشكلية، كما أبلغه عدم موافقته على إرسال حملة على الحجاز من الوجهة العسكرية، وأشار بوجوب الجلاء عن تلك الديار ونقل الجيش المرابط فيها إلى الشام فلا فائدة عسكرية ترجى من متابعة القتال في تلك الصحارى، فلم يعمل القائد العام بالشق الثانى من رأيه لاعتبارات دينية وأدبية، ثم سافر الاثنان إلى فلسطين وعادا إلى الآستانة وفيها صدر الأمر بتعيينه قائداً للجيش الثانى المرابط في ديار بكر لقتال الروس وصددهم عن الأناضول، فأبى قبول هذا المنصب إلا بشروط سداها ولحمتها تعزيز قوى ذلك الجيش ليستطيع أداء المهمة المطلوبة منه وتزويده بالضباط الأكفاء وإرسال المعدات وما كانت الدولة يومئذ في حالة تستطيع معها إجابة مطالبة فاستقال وعاد إلى الآستانة.

وأرسلت الحكومة العثمانية في ربيع سنة ١٩١٨ ولى عهد السلطنة الأمير محمد وحيد الدين إلى ألمانيا لزيارة الإمبراطور غليوم فعين المترجم له ياوراً عسكرياً فزارها معه واجتمع إلى الإمبراطور والمارشال هندنبرج والمارشال لودندورف كما زار ساحة الحرب الألمانية الفرنسية ودرس حالة ألمانيا العامة. وبعد ما عاد إلى الآستانة قصد النمسا للاستشفاء في إحدى مصحاتها من مرض الكلى.

وعلى أثر تقلد السلطان محمد السادس زمام السلطنة دعاه إليه وكلفه قبول منصب قائد جيش فى سورية فلم ير بدا من الامتثال قسافر على الفور إلى الناصرة - وكانت مقرأ للقيادة التركية العليا فى بلاد الشام أواخر الحرب العظمى - فوصلها يوم ٣١ يوليو سنة ١٩١٨ فاجتمع بالمشير ليمن فون ساندروس باشا القائد العام فأبلغه أنه عهد إليه بقيادة الجيش السابع، وقد تسلم هذا المنصب من المشير مصطفى فوزى باشا رئيس أركان حرب أنقره اليوم فنسق جيشه ونظمه وكان يربط بين القدس ونابلس وكانت الأولى بيد الإنكليز.

وبدا هؤلاء هجومهم الحاسم فى ميدان فلسطين يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩١٨ فصدهم مصطفى كمال وظل يقاتلهم ثلاثة أيام قتالاً متواصلًا رغم كونهم اخترقوا خطوطه فى ثلاثة أماكن، وأخيراً أضطر إلى التراجع والجلء عن نابلس على أثر تشتت الجيش الثامن، وكان يقاتل على جناحة الأيمن وانسحاب القيادة العامة من الناصرة فى ٢٠ سبتمبر خوفاً من الوقوع فى أسر الإنكليز الذين واصلوا تقدمهم على الساحل فاحتلوا حيفا واتجهوا نحو الناصرة (مركز القيادة) وجاء مصطفى كمال مع فلول جيشه إلى دمشق فلم يقم فيها سوى أيام قلائل، ثم سار إلى حلب فبلغها فى أوائل شهر اكتوبر سنة ١٩١٨ فتولى قيادة الجيوش العثمانية عملياً لأن ليمن باشا كان فى حالة اضطراب شديد.

وانصرف إلى تنظيم الجيش وتنسيقه فكان يرسل المرضى والجرحى إلى أطنه ويستبقى الأقوياء الأصحاء استعداداً للدفاع والنضال، وأنشأ خطاً للدفاع فى جنوبى حلب وآخر فى شمالها وشحنهما بالمقاتلة وحصنهما. وقاتل الجيش العربى والإنكليزى فى خط الدفاع الأول يوم ٢٤ اكتوبر ثم انسحب إلى الخطوط الشمالية فى ٢٥ منه، وقد حشد فيها كل قواه ليحول دون زحف الحلفاء إلى الأناضول، ف وقعت بينه وبينهم معركة أيضاً ولم يطل المطال بعد ذلك فعقدت الهدنة بين الخلفاء والترك فى موندروس يوم ٣٠ منه، وسافر مصطفى كمال إلى أطنه، وفيها تلقى أمر وزارة الحربية بتعيينه قائداً عاماً لجيش الصاعقة فقضى

فيها مدة ثم سافر إلى الأستانة للإشراف على الحالة عن كثب وكان يحمل رتبة فريق ثان ويعد في مقدمة ضباط تركيا العسكريين كفاءة. وخصوصاً بعدما خلاصة الجو بفرار أقطاب الاتحاديين أمثال أنور باشا وجمال باشا، وكان يعتبرهما من خصومة الشخصيين ومن منافسيه ومن العاملين على غمط فضله.

وتتابعت الأحداث بعد ذلك على الدولة العثمانية واحتل الحلفاء مدنها وعواصمها، وظهر أنهم يعملون على القضاء عليها واقتسام ممالكها فأقلق ذلك بال عقلاء الترك ومفكريهم، فأخذوا ينظرون في الأساليب التي تصون استقلالهم وتحفظ ملكهم، واتجهت أنظارهم إلى المترجم له لشهرته الذائعة ومقامه العظيم في الجيش، ولأنه الشخصية الكبرى التي قد يلتفت الناس حولها وكان يقيم في العاصمة بلا عمل رسمي، وأخيراً في أوائل شهر مايو سنة ١٩١٩ عين مفتشاً عاماً للجيش العثماني وأرسل إلى الأناضول لمباشرة مهمته فبلغ سمسون يوم ١٦ منه (ميناء أناضولية على البحر الأسود) فنزل فيها في نفس اليوم الذي احتل فيه اليونانيون أزمير بأمر مجلس الحلفاء الأعلى.

نشأة الحركة الوطنية

وأنصرف منذ ما وطئ ثرى الأناضول إلى العمل لتنظيم القوى استعداداً للنضال والكفاح فاتصل بالضباط والقواد المرابطين هنالك، فعقدوا أول مؤتمر في أماسيه ليل ٢١ يونيو سنة ١٩١٩ وقد رأسه بالذات ثم سافر إلى أرضروم فعقد فيها مؤتمراً ثانياً يوم ١٠ يوليو من تلك السنة وعقد المؤتمر الثالث في سيواس يوم ١٢ سبتمبر أيضاً برئاسة أيضاً وفي هذه المؤتمرات الثلاث تقرر قواعد الحركة الوطنية.

وخاف ممثلو الحلفاء في الأستانة - وكانوا يسيطرون على حكومتها -

العاقبة، فأوعزوا إلى وزارة الحربية بأن تستقدمه فكتبت إليه تأمره بالرجوع فرفض فألحت عليه فأعلن أستقالته من الجيش فأصدرت الأمر بالقبض عليه ومحاكمته فلم تجد من يقدم على تنفيذ أمرها.

نشأة الحكومة الوطنية الجديدة

وفى يوم ٢٣ إبريل سنة ١٩٢٠ عقد الوطنيون مؤتمرهم الرابع فى أنقره وقد أرسلت إليه كل مدينة تركية ممثلين يمثلونها، وكان نطاق الحركة الجديدة قد اتسع، فاجتمع هؤلاء مع بعض أعضاء مجلس نواب حكومة الأستانة القديمة، وقد حلت حكومتها بأمر الحلفاء، واختاروا لمؤتمرهم اسم «المجلس الوطنى الكبير لتركيا» كما أختاروا المترجم له رئيساً ومنحوه سلطة واسعة لإدارة حركة الدفاع وإنقاذ البلاد، فألف حكومة على الأثر سميت حكومة المجلس الوطنى الكبير لتركيا قامت بمهمتها على أفضل منوال، وواصلت الحروب فى الشرق وكانوا ينزلون حكومة أريفان الأرمنية. وفى الجنوب وكانوا مشتبكين مع الفرنسيين فى ولاية أطنه. وفى الغرب وكانوا يقاتلون اليونانيين. وفى الشمال الغربى وكانوا يقاتلون حكومة السلطان محمد وحيد الدين.

ولما كان النظام الذى سار عليه المجلس الوطنى الكبير يقضى بأن تكون القيادة العليا للجيش مندمجة فى شخصيته، وهو ينتدب من يقوم بها لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر فقد قرر هذا المجلس يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٢ أسناد هذا المنصب الخطير إليه مدة الحرب كما سبق فقرر فى جلسة ٩ سبتمبر سنة ١٩٢١ شكره باسم البلاد على جليل خدماته ومنحه رتبة المشير «مارشال» ولقب غازى.

احتلال أزمير - وفى أوائل شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ وضع الغازى خطة عسكرية محكمة لمهاجمة اليونانيين، وكانوا يحتلون أزمير وبروسه وكثيراً من

المدن الأخرى، وقد بدأ هذا الهجوم صباح ٢١ أغسطس بقيادة الغازى نفسه، فتقدم الترك فى وادى مندرس فاحتلوا سراى كوى واور تاقجة فى ساحة أفيون قره حصار وفى ٢٣ منه زحفوا على روم كوى - بيله جك فى ساحة أزميت، والغاية من هذين الهجومين تضليل اليونانيين فلا يدركون غاية الترك وهى الحملة على أفيون قره حصار.

وما أنبثق فجر ٢٦ منه حتى كانت مدفعية الترك العظيمة تصب نيرانها الحامية على حصون أفيون قره حصار، وقد أحسن اليونانيون تحكيمها فى خلال سنة، وقالوا أنها لن تنال، وفى الساعة الواحدة بعد الظهر تم للترك إسكات المدفعية اليونانية واحتلال المدينة فدخلها الغازى فأحاط به الأهالى يذرفون دموع الفرح والسرور.

وهكذا ظل الترك ينتقلون تحت راية الغازى من نصر إلى نصر حتى بلغوا البحر الأبيض يوم ٧ سبتمبر. وفى الساعة ١١ قبل ظهر السبت ٩ منه دخلت كتيبة من فرسانهم أزمير. وفى يوم ١٢ منه دخلها على رأس جيشه باحتفال مهيب. وفى يوم ٢٠ منه أعلن جلاء اليونانيين عن الأناضول كله.

وقد ردت خسارة اليونانيين بعشرين ألف قتيل و ٦١ ألف أسير بينهم القائد العام وكثير من الضباط، وخسر الجيش اليونانى مدافعه وعددها ٧٠٠ و ٢٠٠٠ متراليوز وجميع طيارته و ١٦٠ ألف بندقية وكميات عظيمة من الذخائر والمعدات. وقد رفع هذا الانتصار العظيم الغازى الذى أحكم وضع خطته وتنفيذه إلى رتبة كبار القواد. وفى يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢٢ قرر المجلس الوطنى الكبير إضافة لقب الصاعقة «بيلدرم» إلى القابه.

رئاسه حزب الشعب التركى - وفى شهر أغسطس سنة ١٩٢٣ أعلن الغازى إنشاء حزب الشعب. ويشبه هذا الحزب فى تركيا حزب الفاشيست فى إيطاليا وحزب النازى فى ألمانيا، ومن أعضائه رؤساء الحكومة والوزراء ورجال الدولة، وهو الحزب السياسى الوحيد المعترف به هناك.

رئاسة الجمهورية - ظل نظام الحكم الذى وضعه المجلس الوطنى الكبير لتركيا فى خلال اجتماعه الأول، نافذاً حتى يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٣ ففى ذلك اليوم قرر المجلس الوطنى الكبير أن تكون تركيا جمهورية ديموقراطية نيابية وفى يوم ٢٩ منه أعلنت الجمهورية واختار المجلس بإجماع الآراء الغازى رئيساً لها.

وفى يوم أول نوفمبر سنة ١٩٢٧ جدد انتخابه لانتهاه مدته، ومدة الرئاسة عندهم أربع سنوات ثم جدد للمرة الثالثة فى نوفمبر سنة ١٩٣١ فاختره المجلس بإجماع الآراء أيضاً.

كيفية يقضي يومه؟

يقطن الغازى مصطفى كمال باشا فى أنقره فى قصر يسمونه «جاك قايا» وقد أتخذة دار مقام له منذ نزوله فى تلك المدينة إبان الحركة الوطنية ثم رومه وهو مقام رئاسة الجمهورية - وفيه ينام ويأكل ويستقبل ضيوفه وينظر فى مصالح الدولة والبلاد وفراشه بسيط.

وقد اعتاد منذ كان فى الجيش أن ينهض باكراً للنظر فى أعمال الجيش، أما بعد ما صار رئيساً للجمهورية فقد تبدل نظام معيشته فهو ينهض متأخراً فى الغالب فيستحم ويتزين ويتناول طعام الصباح وهو مؤلف من القهوة واللبن والزبد والبيض، وفى الساعة العاشرة يقصد إلى مكتبه الخاص فيبدأ باستقبال زائريه، ويظل حتى الساعة الواحدة بعد الظهر.

ويتغدى مع رئيس ديوانه وياوره العسكرى وحاشيته ثم يعود إلى الجناح الخاص به للقليلولة، ويظل حتى الساعة الخامسة فيعود إلى ديوانه ثانية.

وقد عكف على حضور المراقص التى تقام فى أنقره زمن الشتاء، أو فى الأستانة إذا كان الوقت صيفاً بعد انتشار الرقص فى تركيا، فيراقص السيدات اللواتى يكن مدعوات فى الحفلات العامة، وكثيراً ما يقيم حفلات خاصة فى قصره للرقص والقصف يحضرها رجال خاصته فيرقصون ويقصفون حتى مطلع الفجر.

والغازى مشهور بميله إلى المسكر، وهو يتناوله كل مساء وقد يشربه فى النهار. ومشروبه من الخمر التركى المستخرج من العنب (العرقى) والشمبانيا فى الحفلات الكبرى.

زواجه - لما دخل أزمير فاتحاً سنة ١٩٢٢ تعرف بالسيدة لطيفة هانم كريمة

عشاقى زاده معمر بك من أعيان أزمير وأغنيائها، فوقعت من نفسه موقعاً حسناً لما تحلت به من جمال وأدب وظرف وعلم، فخطبها وتم زواجه بها فى حفله حافلة وانتقلت معه إلى قصر جاك قايا فى أنقرة وأقامت معه تساعده فى أعماله وترجم له أقوال الصحف الإنكليزية والأميركية. لأنها تجيد لغة السكسون كما تجيد الفرنسية والعزف على البيانو فتعزف له قطعاً موسيقية جميلة لإدخال السرور عليه.

ولم تطل إقامتها معه كثيراً فقد انفصلا فى سنة ١٩٢٤ طلاقاً فعادت السيدة إلى بيت أبيها ولم تلد أولاداً. والأقوال مختلفة فى أسباب هذا الطلاق وعوامله، فمن قائل أنه نشأ عن عدم امتزاجهما لما بين أخلاقها وأخلاقه من تباين. ومن قائل أنه أراد التخلص منها لأنها كانت تتدخل فى أمور الدولة وتحاول أن تملى أرادتها عليه. ومن قائل أنها عارضت فى تطبيق البرنامج الإصلاحى الذى طبقه، ومن قائل إن الطلاق منشؤه بواعث خاصة شخصية.

ولم يتزوج بعدها ويقول بأنه لاينوى الزواج مطلقاً، وأنه يفضل حياه العزوبة والانفراد، ومما رواه عن نفسه أنه ما كان يروق له منذ صغره السكنى مع أم أو أخت أو قريب أو حبيب بل عود نفسه على الاستقلال فى المعيشة والانفراد فى المسكن. ويقول عن نفسه أيضاً إنه ما كان يتحمل قط أن توجه إليه أمه أو أخته أو قريبة من أقربائه نصيحة بمقتضى ما درجوا عليه من أفكار وعقائد. والطاعة فى نظره لأحد أصوله معناها الرجوع إلى الماضى. كما أن فى العصيان والتمرد صدعاً للقلب، والطريقة المثلى فى نظره هى الابتعاد والانفراد.

ومما رواه أيضاً عن والدته أنها جاءت على أثر اجتماع عقده فى بيته مع إخوانه الضباط، وذلك قبل إعلان الدستور فى سنة ١٩٠٨ وقالت له بعد أن تبينت الغاية من الاجتماع «ياولدى أريد أن تبين لى هل تحاول أنت وإخوانك أن تشقوا عصا الطاعة على السلطان وله قوة سبعة أولياء» ولما أفهمها الغاية الحقيقية قالت له يجب التماس الحيلة يا بنى.

وتوفيت قريرة العين بما بلغه من مجد ورفعته .

أوصافه - مربوع القامة إلى الطول أقرب، عريض الكتفين، لاتبدو عليه علامات القوة البدنية. فهو نحيف اليدين والساقين، أزرق العينين حاد النظر؛ قصير الشارب مهيب الطلعة، مشرب الوجه بحمرة لفحتها حرارة الشمس، سحنه بارزة، وشعره ذهبى، وتقاطيع وجهه تنم عن انتسابه إلى أرومة ألبانية.

أخلاقه - يمتاز بقوة الإرادة وثابت العزيمة والإقدام والاستقلال بالرأى. وهو قليل الكلام إلا إذا كان الموضوع يهمة فيتدفق تدفقاً وينقلب إلى محام بارع وخطيب لسن. وهو لين الحديث، حلو المعشر، ديمقراطى النزعة، ذو ذهن وقاد، وبصيرة نافذة، وذكاء خارق، وذات كرفته قوية جداً ولا ينسى شيئاً.

ومن أعظم ما يمتاز به بصفته جندياً كبيراً نبوغه فى فن تعبئة الجيش وإدارة المعارك، فهو لا يضطرب إذا حلت بجيشه نازلة أو تغلب عليه عدوه فى أثناء القتال، ولا ييأس كما هو حال معظم القواد، بل يقف ثابتاً كالصخر ويظل يقاتل حتى لاتبقى لديه قوة، وحتى يدرك أنه لافائدة من الثبات والمقاومة.

وهو جد صريح لا يعرف المداجاة والمداهنة، يجهر بأرائه ويدعو إليها ولا يهاب كبيراً ولا يخاف عظيماً. ومن أفضل ما يستشهد به على ذلك الحادثة الآتية، وقد وقعت له بعد انتهاء معارك الدردنيل سنة ١٩١٥ وعودته إلى الأستانة وقد سبقته شهرة طائرة وصيت ذائع قال : «أخذت أزور رجال الحكومة وأقضى إليهم بما يجول فى نفسى، وكان بين الذين زرتهم يومئذ وزير الخارجية فذهبت وقابلت معاون المستشار - وكنت أعرفه من صوفيا - ورجوته إبلاغ الوزير خبر زيارتى ففعل وعاد يقول أنتظر قليلاً وطال أمد الانتظار بعد ذلك طويلاً ولاحظت أنه يستقبل أناساً جاءوا بعدى فتأثرت وقلت للمعاون الظاهر إن الوزير ينسى فذهب فذكره وعاد يقول بوجوب الانتظار.

وبينما كنت أتحدث مع هذا فتح الحاجب الباب وقال إن الوزير فى انتظارك فقلت له: لينتظر. ولم أجب الدعوة إلا بعد انتهاء الحديث وقد أطلته عمداً.

ولما دخلت مكتبه استقبلنى واقفاً وهو باش وحدثنى بلسان ذرب وروح مطمئنة فقلت له: يا سيدى الوزير إن الموقف العسكرى على غير ماتتصوره وإن البلاد وكل شئ على وشك الزوال، والحقيقة فيما أقوله أنا لافىما تقولونه أنتم. فتجهم وجهه واحتد وقال: لقد احترمتك لأنهم قالوا إن مصطفى كمال قائد معركتى انفاطرة وارى برونى أبلى بلاء حسناً، إلا اننى بدأت أشعر بعد حديثى معك اليوم شعوراً آخر.

وبعد أيام سمعت أن الوزير أبلغ مجلس الوزراء الأمر وطلب معاقبتى فأغرقت فى الضحك .

ولما أعلنت الحرب العظمى وكان ملحقاً للسفارة العثمانية فى صوفيا عارض فى دخول دولته فى جانب الحلفاء. لأنه كان يعتقد بأنه لابد من انكسار الألمان وهزيمتهم، بيد أن لم ير من الوطنية أن يخلد للراحة وقد وقعت الحرب واصطلتها بلاده فطلب إلى وكيل القائد العام وهو أنور باشا أن يسند إليه منصباً فى الجيش، فأجابه بأن الأفضل استمراره فى صوفيا فأبرق له على الفور ملحاً فى استقدامه وقائلاً: «إذا كنتم تعتقدون فى العجز عن الانتظام فى سلك ضباط الدرجة الأولى فارجو بيان ذلك» ولما تأخر الجواب قرر السفر إلى ميدان الحرب كجندى عادى، وفعلاً نقل أثاث منزله إلى دار السفارة، وفيما هو يعد حقائبه للسفر تقلى برقية من وكيل القائد العام بأنه عين قائداً للفرقة ١٩ .

ولما وصل الأستانة قابل أنور باشا، وسأله عن مقر الفرقة التى عين لها وإلى أى جيش تتبع؟ فأجابه: اذهب إلى مكتب هيئة أركان الحرب للحصول على المعلومات اللازمة.

وعبثاً بحث لمعرفة مقر هذه الفرقة ومركزها، وأخيراً قيل له أن يرجع إلى

ليمان باشا. فقد تكون الفرقة بإمرته. وبعد عشاء وصل إلى رئيس أركان حرب القائد الألماني، وسأله عن الفرقة فأجابه بعدم وجودها ثم قال له : لعلها تكون داخلة في «التشكيلات الجديدة» التي شرع الفيلق الثالث في القيام بها في غاليبولى. فذهب إلى هنالك وبحث عنها فذهب فعثر عليها وتقلد قيادها.

واتصل يوماً أثناء حروب الدردنيل بالقائد ليमान باشا نفسه فسأله عن رأيه في الموقف فقال له : لقد أبلغتكم من قبل وأبلغت الدوائر العليا رأيي في الحالة ووصفت لكم خطورة الموقف، وقد كانت هنالك تدابير كثيرة يمكن الالتجاء إليها أما الآن فلا يوجد سوى تدبير واحد.

- وما هو ؟

- أن تولوني قيادة جميع القوات التي هي تحت قيادتكم.

- أليس هذا كثير.

- بل هو قليل.

فقطع القائد الحديث على أثر ذلك، وتالت بعد ذلك الأحداث فأنالت ما كان يرجوه فولى قيادة القوات كلها.

ومما يستحق الذكر للعظة والاعتبار أن ليमान باشا نفسه سلم بذاته قيادة قوى جيوش الصاعقة لمصطفى كمال باشا في ختام الحرب أى بعد انقضاء أربع سنوات على الحادث الأول.

وما كانت علاقته أيضاً مع جمال باشا على مايرام، وإن كانت أفضل من علاقاته بأنور باشا. ومما يحسن إيراده هنا أنه لما استقال في سنة ١٩١٧ من الجيش لعدم قبولهم مطالبه قرر الرجوع إلى الأستانة وكان في حلب، ولما افتقد نكوته ووجد أنها لا تكفى لسفره فكر في بيع خيوله وهى كل ما يملكه والرجوع بثمانها.

ولما عجز عن إيجاد مشتر لها قابل جمال باشا وسأله أن يجد له طريقه لبيعها ليتسنى له السفر، وبعد ما فحصها جمال باشا أبلغه أنها تساوى ألفى جنيه ذهباً قبضها وسافر إلى الآستانة. ولم يطل به المقام حتى تلقى برقية من جمال باشا يقول فيها انه باع الجياد بخمسة آلاف جنيه، وأنه مرسل له الثلاثة الآلاف ويرجوه تسلمها فاستنكف قبولها بحجة أن البيع الأول قطعى فلم يقبل جمال استنكافه بل ألح عليه فى تسلم المبلغ كاملاً فتسلمه.

سفره لألمانيا - وبينما كان فى الآستانة دعاه أنور باشا لمقابلته فذهب فقال له: أرسل أمبراطور ألمانيا دعوة إلى السلطان لزيارته فى المقر العام، ولما كان فى حالة لاتساعده على السفر فقد فكرنا أن ينوب عنه ولى العهد ^(١) فهل تقبل أن تصحبه؟

- نعم.

مقابلة ولى العهد - وذهب بعد ذلك إلى قصر ولى العهد للتعرف إليه وإعداد معدات السفر، وفيما هو واقف مع زميل له فى بهو بين عدد من لابسى «الرادنكوت» كما قال - دخل عليهم رجل يلبس الرادنكوت أيضاً فاقترب منهم وجلس يتعرفهم وبعد ما أغمض عينيه ثم فتحهما بعد مدة قال لهما: تشرفت بكما وأنا مسرور لزيارتكما ثم أغمضهما ثانية ثم فتحهما وقال :

- سنسافر أليس كذلك ؟

بلى

ويقول الغازى فى صف هذه المقابلة «وأعترف أننى شعرت على الفوز أننى أمام مجذوب».

ولما أئف وقت السفر وجاء ولى العهد إلى المحطة وجاء المشيعون واصطف

(١) هو الذى سار بعد ذلك ولقب بمحمد السادس وهو الذى حدثت الحركة الوطنية فى عهده ثم فر إلى مالطه ومات فى أوربا ودفن فى دمشق.

الجند تقدم الغازى من ولى العهد فقال له هذه الجنود جاءت لتشيعكم فحيوها.

- كيف؟

- سيروا أنتم وأنا من ورائكم.

فمشى أمام الجند رافعاً كلتا يديه بشكل غير طبيعى.

ولما دخل القطار قال له : يجب أن تحيو الجنود والناس من النافذة.

- هل ذلك ضرورى ؟

- نعم.

وكان ينفذ الأوامر التى يتلقاها بلا تردد وإبطاء. ويقول مصطفى كمال باشا إن حالة ولى العهد تبدلت تبديلاً محسوساً بعد ما اجتاز القطار أراضى تركيا ودخل فى أراضى بلغاريا فقد انتعش ووقف على رجليه وذهب عنه النعاس القديم وفتح عينيه وأخذ يتكلم كمن يلقي خطبه. فأدركت أن ما كان يتظاهر به فى الأستانة كان تصنعاً.

أمام الإمبراطور - ولما وصلوا إلى المقر الألمانى العام جاء قيصر المانيا بنفسه لاستقبال ولى العهد. فقدم هذا حاشيته إليه الواحد بعد الآخر. ولما وصل إلى مصطفى كمال وذكر اسمه أمسك القيصر بيده وقال بالألمانية بصوت عال :

الفيلق السادس عشر - أنا فارطه.

فارتبك مصطفى كمال باشا، وأطرق خجلاً. فارتاب الإمبراطور وظن أنه أمام رجل آخر فسأله بالألمانية.

- الست مصطفى كمال قائد الفيلق السادس عشر وصاحب معركة أنا فارطه.

فأجابه بالفرنسوية قائلاً:

– نعم يا إكسلانس

ويقول إنه أدرك خطأه عندما خرجت لفظة «إكسلانس» من فمه. فقد كان الواجب أن يقول «كايزر» وأن هذه ليست أول هفوة له من هذا القبيل، فقد هفا هفوة مثلها عند مقابلته الأولى للملك فرديناند ملك البلغار.

ومما يستحق الذكر من أخبار رحلته تلك أن والى الإلزاس سأل ولى العهد فى خلال المأدبة التى أديها تكريماً له ولن معه – عن مشكلة الأرمن فأحاله إلى مصطفى كمال، وقال له إنه يعرف التفاصيل، ولما فهم الغاية تأثر وقال للحاكم الألماني :

أريد أن أفهم منكم شيئاً واحداً : من أين طرأ على فكركم البحث فى شؤون الأرمن الذين يدعون أن لهم كياناً فى دور مجهول من أدوار التاريخ، ويضللون الرأى العام فى سبيل إحياء هذه الفكرة، ويثيرون العالم على تركيا حليفكم وقد ضحت بكل شئ فى سبيل ألمانيا ؟

فارتبك الحاكم وأجاب أن سؤاله لم يخرج عن حد المعلومات، فقال له مصطفى كمال : لقد حضرنا إلى هنالدرس الموقف العسكرى عن كثب فى بلاد حليفتنا ألمانيا لا للبحث فى قضية الأرمن.

نصائحه لوحيد الدين – ويقول إنه اغتنم فرصة إقامته الطويلة مع ولى العهد خلال تلك الرحلة فقال له :

لقد رأيتم خلال رحلتكم فى ألمانيا أن الإمبراطور ولى العهد والأمراء جميعاً فى خدمة الجيش فلماذا لا تقتدون بهم ؟
– ماذا أستطيع أن أعمل ؟

عندما تصلون إلى الأستانة اطلبوا قيادة جيش من الجيوش، وأكون أنا رئيس أركان حربكم.

- قيادة أى جيش ؟

- الخامس

- ولكنهم لا يعطونها.

- أطلبوها أنتم.

عندما نعود إلى الأستانة نفكر فى هذا الأمر.

وحيد الدين بعد السلطنة - ولم يطل الأمر بوحيد الدين بعد رجوعه إلى الأستانة فقد بويغ بالملك بدل أخيه المتوفى، وكان مصطفى كمال باشا يستشفى فى كارلسباد من مرض ألم به فى الكلى فأبرق إليه مهنئاً فجاءه الجواب بالشكر، وبعد أيام تلقى برقية من أحد رجاله يبلغه فيها وجوب الرجوع حالاً، فرجع وقابل السلطان الجديد مقابلة طويلة بسط فيها على مسامعه الحالة، وما يجب إجراؤه فأطبق عينيه كما فعل فى المرة الأولى عندما كان ولياً للعهد ثم قال له :

هل يوجد عسكريون يفكرون بما تفكرون به ؟

- نعم

- لنفكر فى الأمر.

ثم تكررت المقابلات بينهما من دون جدوى. وفى ذات يوم جمعة دعاه بعد حفلة السلامك وقابلة مقابلة حسنة ثم قال له :

قد عينتك قائداً لسورية، فخطورة الحالة هناك تقضى ذهابك إليها، وكل ما أطلبه منك هو المحافظة على تلك الجهات فلا تدع سبيلاً لوقوعها بيد الأعداء، وأنا واثق تماماً من حسن قيامك بهذه المهمة.

فلم يعد مصطفى كمال ولم يبد، لأنه أدرك أن لا فائدة من الاعتراف، وأنها خطة مدبرة، ولما خرج من ناديه صادف أنور باشا وكان يبتسم. فقال له :

أهنتك فقد انتصرت. لقد خالفت الأصول المتبعة فبلغتني الإرادة بواسطة السلطان نفسه.

وكان فى أدوار حياته العسكرية كلها عدوا شديدا للاتحاديين وزعمائهم لاعتقاده أنهم يناوئونه ويحاولون اقصاءه، وقد انتقم منهم انتقاماً مريعاً زمن الحرب، فشهر برجالهم كما فتك بهم بعدها، مغتنماً فرصة المؤامرة التى دبرت لاغتياله فى أزمير، وسيأتى الكلام عليها، فأبادهم خوفاً على جمهوريته.

مناوئته للألمان - اشتهر الغازى فى عهد الإمبراطورية القديمة بمقاومة سياسة التساهل مع الألمان وإطلاق يدهم فى قيادة الجيش العثمانى زمن الحرب العظمى. وبيان ذلك أنه على أثر عقد معاهدة التحالف بين ألمانيا وتركيا سنة ١٩١٤ ودخول الترك الحرب فى جانب هؤلاء أرسل الألمان ضباطاً لتدريب الجيش العثمانى والعمل فى صفوفه، علاوة على البعثة التى كانت عندهم قبل الحرب برئاسة المارشال فون ليتمان ساندريس باشا، فقبضوا على زمام الجيش وأصبحوا أصحاب الأمر والنهى فلم يرق ذلك للوطنيين الترك، وفى مقدمتهم مصطفى كمال باشا وجأهروا بالاستياء من تدخل هؤلاء الضباط، وقالوا بوجوب اقتصار مهمتهم على التنظيم والتدريب، وقد أدى تظاهره إلى ازدياد الجفاء بينه وبين أنور باشا زعيم القائلين بتفضيل الألمان والاعتماد عليهم، ورغم ذلك فقد كان هذا يحترمه لأخلاقه ومزاياته، ولولا ذلك لما أبقي عليه ساعة ولأخرجة كما أخرج كثيرين غيره من كبار الضباط الذين حاولوا الوقوف فى وجهه، ولم يكتموا استياءهم من إطلاق يده فى إدارة الجيش، وهو لا يزال فتى لم يبلغ سن الكهولة والنضوج.

خطبه - اشتهر الغازى بالخطب الوطنية الحماسية يلقيها فى مجلس الأمة الكبير خلال الحوادث الجسام التى اجتازتها بلاده فى أدوار جهادها القومى. فقد كان يلهب النفوس بأقواله، ويثير الحماسة فى تعابيرة ويضيق بنا المقام لو حاولنا إيرادها. فلذلك نجتزئ بجانب منها.

خطب فى المجلس الوطنى الكبير على أثر الانتصار الذى أحرزه على
اليونانيين فى معركة سقاريا الشهيرة ومما قاله :

«إن حرب الميدان التى انتصر فيها جيش المجلس الوطنى الكبير فى سقاريا
حرب عظيمة الشأن، بل قد تكون عديمة الشبه والنظير فى التاريخ العسكرى
فمعارك مكدن وتعد من أكبر حروب الميدان لم تستمر واحداً وعشرين يوماً كما
استمرت هذه المعركة. فأهنتكم بانتصار جيشنا فى هذه الحروب التى ستكون
نموذجاً فى التاريخ العسكرى» .

وبعد مانوه بفضائل كبار القواد : فوزى باشا وعصمت باشا ورأفت باشا
وقواد الفيالق وبقية الضباط قال :

«أما جنودنا الضراغم فإنهم فوق كل مدح وثناء. ولاغرو فإن أبناء هذه الأمة
لايسعهم إلا أن يكونوا كذلك ولايمكننى أن أجده عبارات أصف بها شهامة أبناء
بلادنا ويسالتهنم، وأن أمة لها هؤلاء الأبناء أيها السادة وتلك الجيوش المؤلفة من
هؤلاء الأبناء لابد أن تصون استقلالها وحياتها. إننا نبغى أن نعيش أحراراً فى
داخل حدودنا القومية، وأن تكف أوروبا عن الاعتداء على حقوقنا ومصالحنا وهذا
كل ما نطلبه. وإذا كنا خسرنا فى الحرب العظمى فقد عوقبنا عقاب المغلوبين
بتنازلنا عن سورية والعراق، وتخويل سكانهما حق البت فى مصيرهما. ولم
تفقد أمة مغلوبة على أمرها ما فقدناه من البلاد الغنية الواسعة» .

وخطب فى المجلس الوطنى الكبير حيث البحث فى قانون المسئولية الوزارية
فقال :

«أفهم الجامعة الإسلامية على المنوال الآتى : أننا بصفتنا مسلمين نتمنى لكل
المسلمين السعادة والرخاء ونرجو أن تحيا كل جماعة مسلمة حياة مستقلة
فسعادة الأمم الإسلامية هى سعادتنا، وسعادتنا مرتبطة بسعادتها. ومن العبث

البحث فى إنشاء إمبراطورية إسلامية كبرى. فليس ذلك سوى محض خيال لايتفق مع العلم والمنطق والفن.

يجب علينا أن لاننسى أن لكل جسم سياسى قوة معينة يحسن به أن لايتجاوزها والذى نتمناه أن تتحد كل هيئة إسلامية فتؤلف وحدة اجتماعية وتعيش عيشة حرة» .

«وخطب فى الحفلة التى أقامها مندوب فرنسا فى أنقره بمناسبة عيد ١٤ يوليو سنة ١٩٢٢ فقال :

«هنالك حقيقة يجب على متولى شؤون العالم أن يضعوها نصب أعينهم وهى أن الأفكار لاتمتد بالمدافع والبنادق والضغط والظلم. فقد دلت التجارب أن المظالم التى ترتكب للقضاء على فكرة حرة تأتى بعكس النتيجة المبتغاه وتزيد الأمة تمسكاً بفكرتها وحققها» .

وخطب حينما أسند إليه منصب القيادة العامة مدة الحرب فقال : «ليس بين صنوف السعادة أسمى وأمجى من أن يتمتع الإنسان بنعمة الحرية فى حجر أمته، والذين أدركوا حقائق الأمور بعد اختبارها يعلمون أنه ليس للمناصب مهما عظمت أدنى قيمة إلا فى نظر الذين خلت قلوبهم من اللذات الوجدانية والمسرات الكونية والمشاعر القدسية» .

ثروته - تقدر ثروته الشخصية اليوم بثلاثة ملايين جنيه تركى نحو ٣٠٠ ألف جنيه ذهباً. ومعظمها مما تبرع له به المتبرعون من أجواد الترك بعد انتصاره الأخير تقديراً لعمله العظيم. وقد وقفها حديثاً على حزب الشعب التركى الذى أنشأه ليظل حياً بعد وفاته ويؤدى المهمة التى رمى إليها.

المؤامرات لاغتياله - اكتشفت حتى الآن عدة مؤامرات دبرها خصوم النظام القائم فى تركيا لاغتيال الغازى مصطفى كمال باشا لما رسخ فى أذهانهم، وهو أن قتله الوسيلة الوحيدة للتخلص من هذا النظام.

وأعظم هذه المؤامرات شأناً مؤامرة أزمير، وقد اكتشفت يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٢٥ وذلك أن أحد المتآمرين جاء قبيل وقوعها فأبلغ البوليس أمرها فأسرع فقبض على مدبريها والمشاركين فيها، وبلغ عددهم نحو ٢٠٠ منهم عدد كبير من النواب والوزراء السابقين وأقطاب جمعية الاتحاد والترقى.

وجاء فى التفاصيل التى نشرت عن هذا الحادث العظيم أن بعض رجال الاتحاد والترقى بدأوا من شتاء سنة ١٩٢٥ يعقدون الاجتماعات فى الأستانة ويعدون المعدات للفتك بالغازى اعتقاداً منهم بأن قتله يمكنهم من الرجوع إلى الحكم واسترداد السلطان والنفوذ وقد فقدوهما على يده. وقد قرروا فى ابتداء الأمر أن يقتلوه فى بروسه حين زيارته لها. بيد أن الأبحاث التى قام بها رجالهم هنالك أثبتت صعوبة الفرار على المتآمرين بعد ارتكابهم الجريمة لصغر المدينة فعدلوا عن تنفيذ فكرتهم. ولما عرفوا أنه سيزور أزمير فى شهر يونيو قرروا اغتياله حين دخولها، وأعدوا زورقاً بخارياً يركبه الجناة إلى إحدى الجزر اليونانية القريبة. كما أعدوا السلاح اللازم ووضعوه فى حقائب الصقت عليها بطاقات باسم على شكرى بك نائب أزمير فى مجلس الأمة الكبير. لئلا تكون تابعة للفتيش فى الجمر.

ووصل إلى أزمير يوم ١٢ يونيو الذين انتدبوا لقتله ومعهم السلاح ونزلوا فى فندق غفار انتظاراً لوصوله وهم ضيا خورشيد بك وجوبور حلمى ولاز اسماعيل ولاز يوسف، وبعد ما أستمقروا قليلاً راحوا يبحثون عن مساعدين لهم فاهتدوا إلى صارى أفه أديب بك فانضم إليهم، وقدم لهم مهاجراً كريدياً اسمه شوقى تعهد بأن يعد لهم الزورق لينقلهم إلى جزيرة ساقز اليونانية وهى مناوحة لأزمير.

ولما اطلع شوقى على تفاصيل الجريمة أبلغ الأمر إلى البوليس فاعتقلهم فوراً وصادر السلاح كما اعتقل أقطاب الاتحاديين وزعماءهم وبينهم عدد من نواب

المجلس الوطنى والوزراء والقواد العسكريين. وعلى أثر اكتشاف المؤامرة صدر الأمر إلى محكمة الاستقلال بالسفر إلى أزمير لمحاكمة المتهمين فوصلت على الفور وبأشرفت عملها. ثم قررت شطر القضية إلى شطرين : شطر يتناول المتهمين الذين قبض عليهم متلبسين بالجريمة والذين جاءوا إلى أزمير لمباشرة العمل، وشر خاص بأقطاب جمعية الاتحاد والترقى والنواب.

وختم الشطر الأول من القضية بالحكم على ١٥ متهماً بالإعدام. أعدم ١٢ منهم فوراً فى أزمير. ومنهم أربعة أعدموا أمام الفندق الذى نزلوا فيه حينما جاءوا لتنفيذ مهمتهم وانتحر الثالث عشر حينما أهدق البوليس بمكمنه ورأى أنه لا أمل له بالنجاة وتوارى الاثنان الباقيان عن الأنظار.

وختم الشطر الثانى من هذه القضية فى أنقره يوم ٢٧ أغسطس فحكمت المحكمة على أربعة من أقطاب الاتحاديين وهم جاويد بك وزير المالية المشهور والدكتور ناظم بك وحلمى بك ونائل بك بالإعدام فأعدموا فوراً وبأحكام مختلفة على غيرهم بالنفى المؤبد أو السجن لمدة طويلة، وهكذا تكون المؤامرة انتهت بإعدام تسعة عشر شخصاً. ثلاثة أرباعهم من النواب والوزراء السابقين والقواد العسكريين.

وبمناسبة هذه المؤامرة أذاع الغازى يوم ١٩ يونيو بلاغاً أعلن فيه اغتباطه لما تلقاه من رسائل التهنئة. وقال «إن الذين يظنون أنهم بإزالة شخصى من الوجود يستطيعون العبث بجمهوريةنا التى رسخت قواعدها فى وجدان جيشنا العظيم المؤلف من أبطال الأمة التركية العظيمة وقد استمددنا منها مبادئنا هم سخفاء جديرون بالشفقة، وسيعاملون المعاملة الواجبة. إن جسمى لا بد أن يعود إلى التراب. أما الجمهورية فباقية إلى الأبد».

وقابلته اللجنة التى تألفت فى أزمير للاحتجاج على المتأمرين فقال لها :

«أنا واثق من أن مواطنى ينتقمون لى إذا قتلت، وبأن أمتنا الكريمة لاتحيد أبداً

عن الطريق التى تسير عليها سوية. فأنا مستريح من هذه الجهة. ليلجأ خصومنا إلى جميع الوسائل المنكرة التى يظنون أنها تصل بهم إلى غايتهم. فحركاتهم الطائشة لا تطفئ نار انقلابنا».

مؤامرة الإصلاحيين - وقبل هذه المؤامرة ببضعة أشهر اكتشفت حكومة الأستانة مؤامرة. قالوا أن المشتركين فيها ينتسبون إلى جمعية اسمها الطريقة الصلاحية وبينهم بعض النواب والعلماء والأساتذة وقد حوكموا أمام محكمة استقلال أنقرة فحكم على ١١ منهم بالإعدام فأعدموا فوراً. ومنهم أحمد رفيق بك أكبر مؤرخى الترك والأستاذ فى الجامعة التركية، وبلغ عدد الذين أعتقلوا فى هذه القضية سبعين متهماً.

وكذلك اكتشفوا فى سنة ١٩٢٨ مؤامرة للفتك بالغازى وقالوا إن المتأمرين كانوا يسعون إلى قتله حين زيارته مدينة بروسه وزعيمة هذه المؤامرة سيدة تركية اسمها قدرية هانم كانت متزوجة بطبيب مصرى ثم طلقت منه فعادت إلى تركيا.

وقد برئت ساحتها. لأن التحقيق لم يثبت إدانتها وذهب ضحية هذه المؤامرة أميرالاي أعدم فى بروسه نفسها.

وثمة مؤامرة رابعة ظهرت فى شهر أغسطس سنة ٩٣١ فقد قيل إن عصابة كانت مؤلفة لاغتياله فى طريقة إلى بروسه قادما من يالوه فتكت برجل توهمت أنه الغازى. فأطلقت عليه الرصاص وأردته قتيلاً، وكان للقدر يد فى نجاته ولم يوفق البوليس إلى معرفة أعضاء هذه العصابة.

ويتخذ البوليس الاحتياطات الشديدة للمحافظة على حياة الغازى فى أسفاره وتنقلاته وفى منزله، ولا يسمح لأحد بالدخول عليه ومقابلته أو الدنو منه إلا بعد التثبت من حسن نيته ومن كونه لاينوى شراً.

زيارته الأولى للأستانة - قلنا فى مقدمة هذا الفصل إن الغازى غادر

الآستانة يوم ١٦ مايو سنة ٩١٩ إلى الأناضول لتولى منصب المقتش العام للجيش العثماني، وأنه ما كاد يظاً ثراه حتى نادى بالجهاد فتم على يده فوز أمته ونجاحها، وقد ختم هذا الدور بسقوط حكومة الآستانة القديمة وبإنشاء حكومة جديدة على أنقاضها اتخذت أنقره مقراً لها.

وبديهي أن تنخفض قيمة الآستانة بسبب هذا النقل، وأن تسوء حالتها وحالة سكانها الذين لم يكتفوا عدم ارتياحهم إلى ما وقع، ووصلت هذه الأخبار إلى مسامع الغازي. فامتنع عن زيارة مدينتهم وعن دخولها نحو ثمانى سنوات وأخيراً وبناء على الدعوة التي وجهها إليه رئيس بلديتها زارها يوم ٢ يوليو سنة ١٩٢٧ قادماً باليخت أرطغرل وقد ركب به من أزميت فسار به إلى غلطة تحرسه بوارج حربية وسفن أخرى فنزل على رصيف قصر ضولة باغجة فقابله الشعب بمظاهرات عظيمة.

ورد على خطب الترحيب التي ألقى فقال: إنه لما غادر الآستانة إلى الأناضول بعد الهدنة من ثمانى سنوات لم يودعه أحد، وهو يعود الآن فتعانقة، المدينة باسمه جذلة، وقال إن الآستانة ستظل عزيزة على قلب كل تركي.

اصطيافه - وقد اعتاد من سنة ١٩٢٨ أن يقصد الآستانة في صيف كل عام فينزل في قصر ضولة باغجة (قصر السلاطين من آل عثمان) ويستحم في حمامات (يالوه) الجميلة وقد بنى له فيها قصراً.

وعند دخول فصل الشتاء يعود إلى أنقره فيشتي في قصر جاك قيا.

رحلاته - لا يفتأ الغازي يطوف مدن الأناضول. فله في كل سنة رحلة على الأقل يزور فيها الولايات القاصية والمدن البعيدة فيختلط بأبناء الشعب ويحادثهم ويقف على أرائهم ومطالبهم، وكثيراً ما يقف بالقرى في رحلاته فيتفقد حالة الفلاحين مستفهماً منهم عما يشكون منه لإصلاحه وتعديله.

مذكراته - بدأ منذ سنة ١٩٢٥ بنشر مذكراته وقد أملاها إملاء على جريدتي

حاكميت ملية ومليت التركيتين، وترجم القسم الأول منها إلى اللغة العربية في مصر، وهو خاص بسياسة تركيا منذ دخولها الحرب إلى أوائل الحركة الوطنية.

أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة فلم تنشر حتى الآن ويبحث الثانى فى نشأة الحركة الوطنية وما قام به فى الأستانة لتنظيمها، وينتهى يوم وصوله إلى سمسون.

ويبحث الجزء الثالث عن تاريخ الحركة الوطنية من يوم سمسون حتى مؤتمر أرضروم.

أما القسم الرابع فيتضمن وصف حوادث الأناضول الأخيرة وما ناله فيها من انتصار.

عقدته

جاذبت حكومة المجلس الوطنى الكبير لتركيا منذ ما أنشأها الغازى مصطفى كمال باشا فى أنقره ورفع قواعدها يوم ٢٣ إبريل سنة ١٩٢٠ حكومة الخليفة محمد وحيد الدين السادس فى الأستانة حبل النفوذ مناديه أنها الحكومة الشرعية التى تمثل الشعب التركى وأن حكومة السلطان فى الأستانة لاتمثل سوى نفسها لوقوعها تحت سلطة الحلفاء، وخصوصاً الإنكليز منهم. وكانوا يحتلون عاصمتها احتلالاً عسكرياً من يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠.

وتمت الغلبة لحكومة أنقرة بعد الفوز العظيم الذى أدركته على اليونانيين فى الأناضول (خريف سنة ١٩٢٢) فلجأ السلطان محمد وحيد الدين يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ إلى البارجة البريطانية مالايا فأبحرت به إلى مالطة بعد ما قرر المجلس الوطنى الكبير يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٢ خلع فانهار بسفره بتاء الإمبراطورية العثمانية ووضع العثمانية، ووضع الكماليون يدهم على الأستانة وأصبحوا سادة تركيا الحقيقين وأصحاب النفوذ المطلق فيها. وفى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أصدر المجلس الوطنى الكبير قراره بالفصل بين الخلافة والسلطنة، وبإيع الأمير عبدالمجيد افندى صاحب ولاية العهد بموجب النظام القديم خليفه للمسلمين بعدما جرده من كل سلطان ونفوذ دنيوى ثم عاد يوم ٢ مارس سنة ١٩٢٤ فقرر إلغاء الخلافة وطرد الخليفة وأله من تركيا فطردوا. ولا يزال هذا فى فرنسا.

ولما كان دستور (القانون الأساسى) حكومة المجلس الوطنى^(١) الكبير موجزاً

(١) وضع هذا القانون فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢١ وهو فى ٢٢ مادة وقد جاء فى مادته الأولى «سلطة الشعب ملك الشعب دون قيد ولا شرط، والقاعدة الإدارية قيام الأمة بإدارة شؤونها بنفسها فعلاً» وجاء فى المادة الثانية السلطان التنفيذية والتشريعية مجموعتان فى المجلس الوطنى الكبير الذى يمثل الأمة وحده تمثيلاً حقيقياً. وقالت المادة الثالثة: «يقوم المجلس الكبير بإدارة الدولة التركية، وتسمى الحكومة الوطنية: حكومة المجلس الوطنى الكبير» الخ.

فقد ألف المجلس الوطنى الكبير لجنة لتعديله. فأتت مهمتها واختارت النظام الجمهورى. فأعلن يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣ ولا يزال قائماً حتى الآن.

وقامت الحكومة الوطنية الجديدة. سواء فى عهد المجلس الوطنى أم فى عهد الجمهورية بأعمال جسام عسكرية واجتماعية وعلمية وعنصرية تشير إليها بإيجاز.

كانت الحركة الوطنية فى ابتداء أمرها عرضة لمهاجمة أربع قوى تأللت على قتالها واتحدت ضمناً للقضاء عليها :

١ - قوة حكومة السلطان فى الأستانة. وقد عبأت الجنود بأموال الإنكليز وأغرائهم وسيرتهم إلى الأناضول لقتال الوطنيين باعتبارهم خارجين على الخليفة ومارقين من الدين. وقد أصدر شيخ إسلام تلك الحكومة - درى زاده عبدالله أفندى فتوى بتكفيرهم ووجوب قتالهم.

٢ - قوة الأرمن فى شرقى الأناضول وقد اغتتموا فرصة خروج الترك منكسرين من الحرب العظمى فهاجموا وأن وأرضروم فى الأناضول الشرقية بغية الاستيلاء عليها.

٣ - قوة الفرنسيين فى الجنوب فقد نزلوا إلى ميناء مرسين بعد الهدنة واحتلوا مقاطعة «كيليكية» (ولاية أطنة) محاولين إنشاء حكومة أرمنية فى ربوعها فهاجمهم الترك وقتلوه واضطروهم إلى مسالمتهم ف عقدوا معهم معاهدة فى أنقرة يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢١ قضت بجلاء الفرنسيين عن كيليكية واعترفت بالانتداب الفرنسى لسورية، وحددت الحدود بين تركيا وسورية، ولا تزال نافذة.

٤ - قوة اليونانيين فى غربى الأناضول، وكانوا يحتلون أزمير وبروسه وجانباً كبيراً من غربى الأناضول، وحسبك أنهم حاولوا بلوغ أنقره واحتلالها فصدتهم الترك وهزمهم شر هزيمة، ثم طردوهم من الأناضول كله فى خلال هجوم

شهر أغسطس كما مر سابقاً، ووضعوا يدهم فعلاً على الاستانة نفسها يوم أول نوفمبر سنة ١٩٢٢ فقد دخلها الجنرال رأفت باشا باسم حكومة المجلس الوطنى. ولقد هز النصر التركى فى الأناضول الشرق كما هز الغرب، ورأى الحلفاء أنفسهم أمام حالة جديدة، وأدركوا أنه لابد لهم من تنظيم علاقاتهم مع تركيا على طريقة تتفق مع ما أدركته من فوز، فتم الاتفاق مبدئياً على عقد مؤتمر دولى فى لوزان يجتمع فيه الترك والحلفاء.

مؤتمر لوزان ومعاهدته

عقد هذا المؤتمر فى لوزان يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ ومثل الترك فيه وفد رأسه عصمت باشا. كما مثل الحكومات الإنكليزية والفرنسوية والإيطالية واليابانية واليونانية والرومانية واليوغسلافية مندوبون من قبلها. وبعد مباحثات استمرت أياماً وأسابيع وقع الفريقان يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣ معاهدة صلح تقع فى ١٤١ مادة جاء فى مقدمتها أن الفريقين المتعاقدين: إنكلترا وفرنسا وإيطاليا واليابان واليونان ورومانيا ويوغسلافيا من جهة وتركيا من جهة أخرى رغبة منهما فى إنهاء حالة الحرب التى تعبت بالسكينة فى الشرق من سنة ١٩١٤ وفى إنشاء صلات مودة وصداقة بين شعوبهم، يرونها ضرورية لإنشاء روابط تجارية بشرط أن تكون قائمة على مبدأ احترام السيادة القومية قرروا تعيين مندوبين يمثلونهم، فعينت إنكلترا السرهوراس رمبولد مندوبها السامى فى استانبول، وعينت الجمهورية الفرنسية الجنرال موريس بلله المندوب السامى فى الشرق، وعينت إيطاليا الماركيز كامبل غارونى سفيرها فى استانبول، والسناتور جول سيزار مونتانيا وزيرها المفوض فى أثينا، وعينت اليابان المسيو كنتارو أوجيبائى جوزامى سفيرها فى إيطاليا، وعينت اليونان المسيو فنزيلوس والمسيو

كأكلامونوس، وعينت رومانيا المسيو دياماندى والمسيو كونجسقد، وعينت يوغسلافيا الدكتور يواندويج سفيرها فى سويسرا، وعينت تركيا عصمت باشا وزير الخارجية والدكتور رضا نور بك وزير الصحة والشؤون الاجتماعية، وحسن بك من الوزراء السابقين، الذين بعد أن اجتمعوا وفحصوا أوراق تعيينهم ووجدوها مطابقة للأصول اتفقوا على المواد الآتية :

المادة الأولى - ينشأ بين الدول المتعاقدة ورعاياها منذ إبرام هذه المعاهدة ووضعها موضع التنفيذ صلح دائم، وتستأنف الصلات السياسية بينهما ويعامل ممثلوهم وقناصلهم طبقاً لقواعد حقوق الدول مع مراعاة أحكام الاتفاقات الخاصة.

ويلى ذلك الفصل الأول. وهو خاص بالحدود وتنص المادة الثانية على تحديد الحدود بين تركيا وبلغاريا - واليونان، والثالثة ترسم حدودها مع سورية والعراق. وجاء فى المادة السابعة عشرة أن تركيا تتنازل عن جميع حقوقها فى مصر والسودان من يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ وجاء فى المادة ٢٢ أن تركيا تتنازل عن جميع الحقوق والامتيازات التى نالتها بموجب معاهدة ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ مع مراعاة أحكام المادة ٢٧ من هذه المعاهدة (هى خاصة بالموظفين الترك وعدم جواز تدخلهم فى الأراضى التى انسلخت عن تركيا) فى طرابلس الغرب.

والمادة ٢٣ خاصة بالمضايق (البوسفور والدردنيل وبحر مرمرة) وقد تقرر بموجبها أن تفتح للملاحة الجوية والبحرية فى زمن السلم والحرب. وجاء فى المادة ٢٨ أن الفريقين المتعاقدين يعترفان بأن الامتيازات الأجنبية ألغيت فى تركيا. وجاء فى التاسعة والعشرين أن الفاسيين والتونسيين من رعايا فرنسا يعاملون نفس معاملة الرعايا الفرنسيين فى بلاد الترك. وكذلك فأبناء طرابلس الغرب يعاملون فى تركيا نفس معاملة الإيطاليين. ولا تشمل أحكام هذه المادة الذين توطنوا فى تركيا وهم من أصل فاسى أو تونسى أو طرابلسى.

والفصل الثانى خاص بأحكام التبعية ويتألف من تسع مواد، والفصل الثالث خاص بحماية الأقليات، ويتألف من تسع مواد، وقد تعهدت فيه الحكومة التركية بمعاملة رعاياها بالمساواة المطلقة التامة من دون تفريق فى المذهب والقومية.

ويلى ذلك بيان عن الديون العثمانية، ثم فصل خاص بالشؤون الاقتصادية، ثم فصل فى شركات ضمان الحياه ثم فى الديون الخاصة، وفصل آخر فى الملكية الصناعية والأدبية والمحاكم المختلطة (وقد ألغيت بعد ذلك).

وقد ألحقوا بهذه المعاهدة اتفاقاً خاصاً بالمضايق نص على وجوب فتحها للملاحة وتنظيم ذلك، ولهذا الاتفاق سبعة ملاحق تنص على الأساليب التى تتخذ للمحافظة على حريتها فى زمن الحرب والسلام، وطريقة عبور البواخر فى الذهاب والأياب.

والحقوا بها اتفاقاً خاصاً بإقامة الأجانب فى تركيا وطرق محاكمتهم، وآخر للتجارة، وثالث لتبادل الروم والترك، ورابع لتبادل أسرى الحرب، وبياناً يختص بإعلان العفو العام والذين استثنوا منه، ويلى ذلك أيضاً سلسلة من البيانات والوثائق السياسية، ولقد جاء عقد هذه المعاهدة على هذا المنوال فوزاً سياسياً عظيماً للترك لا يقل عن فوزهم العسكرى فى ميدان الحرب.

وانصرف الغازى بعد ذلك إلى العناية بشئون بلاده الداخلية فكان أول ما عمله حملة المجلس الوطنى الكبير يوم ٢ مارس سنة ١٩٢٤ على إصدار قرار ألغى فيه الخلافة من تركيا، وقضى بطرد سلاسل الخلفاء من بلادهم، وياتخاذ العلمانية شعاراً للدولة التركية. على أنهم عادوا بعد ذلك فاستصدروا من المجلس الوطنى الكبير يوم ٩ أبريل سنة ١٩٢٨ قراراً بإلغاء المادة الواردة فى دستور سنة ١٩٢٣ خاصة بالدين الإسلامى فقد نص فى إحدى مواده على أن دين الدولة هو الإسلام فحذفوا هذا النص، كما حذفوا النص القائل بأن المجلس الوطنى الكبير يتولى تنفيذ الأحكام الشرعية. وخطب يومئذ عصمت باشا رئيس الوزارة التركية وهو

صاحب الاقتراح فقال إن اليمين القانونية بعد الآن هي أقسم بشرفى بدلاً من القسم القديم وهو «والله العظيم».

وقد تم فى عهد الجمهورية الجديدة إنشاء ١٨٤٥ كيلو متراً من سكك الحديد على حساب الحكومة. فربطت أجزاء البلاد بشبكة حديدية جديدة، وتم تعبيد ٣٠ ألف كيلو متراً من الطرق التجارية.

وعززت الحكومة الطيران. فأنشأت مصنعاً للطائرات فى قيصرى ولديها اليوم نحو ألف طائرة وهو عدد كبير لا تملكه حكومة شرقية إذا استثنينا اليابان.

وعنيت أيضاً بتعزيز القوى البحرية فابتاعت ١٢ غواصة و ٨ قطع بحرية مختلفة القياس والحجم. كما عززت الأسطول التجارى ونظمتة على أفضل منوال.

وتم للحكومة التخلص من ديون الإمبراطورية العثمانية القديمة. وقد كانت تقدر بمائة وخمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات فظلت تخفض بفضل مهارة رجال أنقرة حتى هبطت إلى ثمانية ملايين من الجنيهات تدفع فى خلال ٥٠ سنة. وكذلك تم لها إقصاء الروم والأرمن من بلاد الأناضول كلها، وقد كانوا فى السنين الأخيرة مصدر متاعب لتركيا باستسلامهم إلى دسائس الأجانب وأنقيادهم إليهم، ولا يسمح لهم بالإقامة فى داخل تركيا. اللهم إلا مدينة استانبول نفسها فقد استثنيت بموجب معاهدة لوزران من هذا القيد. وفيها نحو ٧٠٠ ألف رومى وبضعة آلاف أرمنى، وهم يهاجرون تدريجاً بسبب تضيق الحكومة عليهم ومقاطعة الشعب لهم.

وكذلك فقد نسخت الحكومة الكمالية القوانين التركية القديمة، وكانت مستمدة من الشريعة الإسلامية وأبدلتها بقوانين أوربية جديدة. فالقانون المدنى النافذ اليوم منقول عن القانون المدنى السويسرى. نقله الترك إلى لسانهم

وطبقوه فى محاكمهم. وقانون العقوبات النافذ فى محاكمهم مقتبس من قانون العقوبات الإيطالى. وقل مثل ذلك عن بقية الأنظمة والقوانين.

وتم أيضاً للغازى إلغاء الأبجدية العربية التى كانت تكتب بها اللغة التركية واستبدالها بالأبجدية اللاتينية بقرار أصدره المجلس الوطنى الكبير فى نوفمبر سنة ١٩٢٨ ونفذ من أول يناير سنة ١٩٢٩ بحجة أن الأبجدية اللاتينية أسهل كما أنشأ جامعة فى أنقرة، وهو عامل على تنسيق جامعة الأستانة وتجديدها.

وكانت آخر أعماله فى السنة الماضية إصداره الأمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية، وبأن تقرأ خطبه الجمعة ويؤذن وتقام الصلوات باللغة التركية، وكانت حتى الآن تقام باللغة العربية، وكانوا يؤذنون بها فامتنع بعض الشيوخ عن تلبية هذا الأمر المخالف للدين فى نظرهم وحدث من جراء ذلك هياج فى بروسه فزارها الغازى ورئيس الوزارة على الأثر وتلافياً الحادث.

وعنى أيضاً عناية فائقة بترقية اقتصاديات بلاده وتعزيز الصناعات. فأنشأ ٤ معامل للسكر و ٣٢ معملًا لنسج الحرير والجوخ و ٨ معامل للكبريت و ١٩ للكحول و ٨٠ للنجارة والأخشاب، وكل ذلك من دون أن يستقرض قرشاً واحداً أو يهب امتيازاً لأجنبى. وبالإجمال فقد أنشأ شعباً جديداً وقطع كل علاقاته بالشرق ومال نحو الغرب عاملاً على الاندماج فيه.

نظام الحكم فى تركيا

نظام الحكم فى تركيا جمهورى لادينى ديمقراطى شعبى فى ظاهره، دكتاتورى فى باطنه، فالغازى مصطفى كمال باشا ما برح منذ سنة ١٩٢٠ يحكم تركيا ويديرها ويتصرف فى شؤونها طبقاً لما يعتقد أنه الأفضل والأنفع لمصلحتها، لا يجسر على معارضته أحد، ولا يرتفع فى وجهه صوت.

نعم : لقد أدى اعتناق السياسة اللادينية والمجاهرة بها، وإغلاق التكايا والزوايا إلى ظهور عدة ثورات أهمها ثورة الشيخ سعيد النقشبندى فى شتاء سنة ١٩٢٥، فقد قام هذا فى ولاية معمور العزيز من بلاد الأكراد فى شرقى الأناضول داعياً الناس باسم الدين لقتال ملأحدة أنقره. فلبوه وساروا وراءه فاحتل معظم المدن المجاورة له، وزحف على أنقره للقضاء على الحكومة فجهزت قوات كثيرة على جناح السرعة عاقت تقدمه وأخمدت حركته، وبعد ماتم لقوات الحكومة النصر صدر الأمر إلى محكمة الاستقلال^(١) بالسفر فسافرت إلى ديار بكر وهناك نصبت ميزانها وبدأت عملها. ومما يستحق الذكر من أخبارها أنها أصدرت الحكم بإعدام ٤٤ من زعماء تلك الثورة فى يوم واحد فاعدموا على الأثر ومنهم الشيخ سعيد نفسه وعدد من أعيان الكرد ومتعلميهم.

وأصدرت بعد ذلك أحكاماً أخرى بإعدام كثيرين من الكرد كما شرد عدد من أبناء الأسر الكردية. فقد نقلوا إلى غرب الأناضول وإلى شماله وأقطعوا هنالك الأراضى والدور لإسكانهم فيها بدلاً من أراضيهم، والقصد من ذلك أضعاف العصبية الكردية.

ولم تخمد ثورة النقشبنديين حتى تلتها ثورة أخرى من أرضروم احتجاجاً على النظام الجديد. فأعلنت الحكومة الأحكام العرفية وسيرت القوى.

وكذلك أضرم الكرد ثورة ثالثة فى شمدينان وأخرى فى ريزه ومرعش وفى منمن وغيرها وقد أخمدت كلها.

ويعتمد الغازى فى الظاهر على حزب الشعب، وهو الحزب الذى أنشأه فى سنة ١٩٢٣ كما قلنا أنفاً، ولايسمح لجريدة لا تؤيدة بالصدور. كما أنه لايسمح بإنشاء أحزاب سياسية معارضة. أما فى الباطن فيعتمد على تأييد الجيش وهو يواليه.

(١) أحدث الكماليون هذه المحاكم فى الأناضول إبان الحركة الوطنية، وهى شبيهة بالمحاكم العسكرية لمحاكمة الخارجين عليهم، وهى تتألف من ثلاثة قضاة وأحكامها مبرمة إلا فى قضايا الإعدام فلا بد من عرضها على الهيئة العامة للمجلس الوطنى الكبير لإقرارها. وقد نشرت هذه المحاكم الارهاب، وبثت الرعب فى القلوب بأحكامها القاسية، ويقدر الذين أعدمتهم فى خلال تلك الفترة بالمئات.

المعاهدات السياسية والدولية

نظم الغازى مصطفى كمال باشا علاقات دولته السياسية مع جميع الدول الغربية والشرقية على أفضل منوال وأكمل، وصفى مشكلاته وسواها، ولذلك يتمتع الترك فى داخليتهم بهناء واستقرار مآذاقوا طعمه من قبل، فقد كانوا فى عهد الحكومة السابقة لا ينتهون من حرب حتى يستقبلوا غيرها، ولا يحلون معضلة حتى يواجهوا معضلات.

ولقد عقدت الحكومة الجديدة سلسلة معاهدات يضيق المقام دون إيرادها فنكتفى بإيراد الخطير منها وخصوصاً ما كان منها مع الدول الشرقية.

ولعل أعظم هذه المعاهدات شأنًا، معاهدة لوزان. وقد عقدها مع ست دول كما رأيت وهى قاعدة لعلاقات تركيا مع معظم دول أوربا وتليها معاهدة أنقرة مع فرنسا وقد عقدت يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢١.

وهناك أيضاً سلسلة معاهدات واتفاقات عقدت بينهما خاصة بشؤون سورية. معاهدتها مع روسيا - وتلى معاهد لوزان وأنقرة فى خطورة الشأن معاهدة موسكو، وإن كانت تقدمتها. فقد عقدت يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢١ أى إبان الحركة الوطنية فى الأناضول، وقد اعترف الروس فيها بحكومة المجلس الوطنى الكبير ممثلة لتركيا، وتنازلوا عن جميع مآل الإمبراطورية الروسية من حقوق وامتيازات وعن المتجمد لها من الغرامة الحربية، وتعهدوا أن يعقدوا معها اتفاقات اقتصادية فى أقصر مدة، وبإلغاء الامتيازات الأجنبية فى بلادها. وبالإجمال فقد قبلوا أن يعاملوها معاملة الند للند.

وفى يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ عقدت هاتان الدولتان ميثاق صداقة وعدم اعتداء. جاء فى المادة الأولى منه أن الفريقين المتعاقدين يتعهدان بأنه إذا قامت

دولة أخرى أو دول بحركة عسكرية على أراضى الفريق الآخر فهي تحتفظ بحيادها.

وتعهد كل فريق بموجب المادة الثانية أن لا يعتدى على بلاد الفريق الآخر، وبأن لا يشترك مع دولة أو دول أخرى فى اتفاق أو فى محالفة سياسية قائمة على معاداة الفريق الآخر، وبأن لا يشترك مع دولة أو دول فى أى اتفاق أو تحالف يمس أمن الفريق الآخر البحرى والبرى العسكريين، وأن لا يشترك مع دولة أو دول فى أى حركة عدائية ضد الفريق الآخر.

ومدة هذا الميثاق ثلاث سنوات، ويمتد بنفسه لسنة إذا لم يعلن انتهاءه مقدماً، وله ثلاثة ملاحق خلاصة الأول أن كل فريق من الفريقين المتعاقدين يحتفظ بحريته التامة فى إنشاء صلات سياسية من كل نوع مع الدول فى دائرة الشؤون التى لم ينص عليها فى هذا الميثاق.

وخلاصة الثانى أن كلمة «سياسية» الواردة فى المادة السابقة تشمل جميع الاتفاقات المالية والاقتصادية التى يقع فيها عدوان على الفريق الآخر.

وتعهد الفريقان فى الثالث بأن يتفاوضا فى وضع القواعد التى يرجعان إليها لحل الاختلافات التى لاتحل بالطرق السياسية العادية.

علاقاتها مع إيطاليا - ظلت العلاقات السياسية مضطربة بين تركيا وإيطاليا حتى يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٨ فففيه عقدت بين الفريقين فى رومية المعاهدة الآتية :

المادة الأولى - تتعهد الدولتان المتعاقدتان بأن لاتدخل إحدهما فى أى اتفاق سياسى أو اقتصادى أو تحالف موجه ضد الدولة الأخرى.

المادة الثانية - إذا استهدفت إحدى الدولتين المتعاقدتين لاعتداء دولة أو دول - رغم خطتها السلمية - فالدولة الأخرى تلزم جانب الحياد التام مدة الحرب.

المادة الثالثة - يلجأ الفريقان المتعاقدان إلى الوسائل السلمية لحل كل خلاف قد يقع بينهما فى المستقبل من أى نوع كان. فإذا لم تنجح هذه الوسائل وجب الالتجاء إلى الوسائل القضائية.

المادة الرابعة - يعرض كل خلاف ينشأ عن تطبيق هذه المعاهدة على محكمة لاهاى الدولية.

ومدة هذه المعاهدة خمس سنوات، وإذا لم تعرب إحدى الدولتين عن رغبتها فى إلغائها قبل انتهاء هذه المدة بسنة أشهر يسرى مفعولها خمس سنوات أخرى. وهى طويلة ولها ملحقان يختصان بأصول التحكيم وطرقه وأساليبه.

علاقاتها مع اليونان - تحسنت العلاقات بين تركيا واليونان تحسناً كبيراً، وتحول ذاك العداء إلى صداقة وطيدة بفضل إخلاص رجالهما وبعد نظرهم. وفى يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٣ وقع فى أنقرة على ميثاق ضمان وموده بينهما فى خمس مواد نص على ضمان سلامة حدودهما واتباعهما خطة مشتركة لإنهاء السياسة الدولية حتى أن فى إمكانهما تعيين ممثل واحد لهما فى المؤتمرات الدولية.

ومدة هذه الميثاق عشر سنوات، وهو قابل التجديد لمدة عشر سنوات أخرى. إلا إذا كانت إحدى الدولتين تبلغ الدولة الأخرى عزمها على إلغائه قبل مضى المدة المعينة له بسنة واحدة.

تلك هى المعاهدات الخطيرة التى عقدتها مع الدول الأوربية، ونلحقها بالمعاهدات التى عقدتها مع الدول الشرقية.

معاهدتها مع أفغانستان - كانت أفغانستان أول دولة شرقية تعاقدت مع حكومة تركيا فى عهد الجديد. فقد عقدت بينهما فى موسكو يوم أول مارس سنة ١٩٢١ معاهدة هذه مقدمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولتان العليتان. تركيا وأفغانستان مرتبتان ارتباطاً خالصاً قلبياً، شاعرتان بأمل ومقصد مقدسين، مالكتان لمنافع مشتركة عالية مادية وأدبية، مقتنعتان بأنهما شريكتان فى السراء والضراء، معتقدتان بأنهما لا يمكنهما أن تعيشا على انفراد وبلا ارتباط فى هذا الوقت الذى يريان فيه على حمد وشكر وانتباه العالم الشرقى وسعيه للخلاص، شاهدتان أنه لا يصيب إحداهما سوء أو أذى إلا وتتألم منه الأخرى، ولذلك قررت هاتان الدولتان والأمتان المتأخيتان أن تنقلا ما بينهما من الاتحاد المعنوى والاتفاق الطبيعى المستمد من غابر الزمان إلى الساحة السياسية، وأن تفرغاه فى قالب اتفاق مادى رسمى، وإن تعقدا معاهدة تكون مقدمة خير للمستقبل السعيد الذى ينتظره الشرق، وقد عينت الحكومة التركية لتحقيق هذا المقصد أحد أعضائها ووزير اقتصادها يوسف كمال بك، ووزير معارفها الدكتور رضا نور بك. كما عينت الحكومة الأفغانية سفيرها ومندوبها الجنرال محمد ولى خان وقد تقبلوا المواد الآتية :

ويلى ذلك المعاهدة. وهى فى عشر مواد. وقد جاء فى المادة الأولى منها: «الدولة التركية التى تعيش مستقلة إلى ما شاء الله ترى فرضاً عليها أن تعترف بكامل استقلال الدولة العلية الأفغانية المرتبطة معها بأخلص رابطة وجدانية» وجاء فى المادة الثانية: «الطرفان العاليان المتعاقدان يعترفان باستقلال الأمم الشرقية جميعها وحريتها، وبأن لكل أمة منها أن تختار لنفسها أى إدارة تختارها لبلادها كما تصادقان على استقلال بخارى وخيوى». وجاء فى المادة الرابعة: «يقبل الطرفان المتعاقدان أن يعتبر كل منهما أى اعتداء على الآخر من طرف أى دولة إستعمارية تريد الاستيلاء على الشرق كأنما قد وقع على نفسه، ويتعهد بدفع ذلك الاعتداء بجميع الوسائل الممكنة». وجاء فى المادة العاشرة «تتعهد تركيا بمساعدة الأفغان وإرسال الضباط والمعلمين وإبقائهم خمس سنوات، وإرسال هيئة معلمين آخرين إذا طلبت ذلك مرة أخرى».

ولما زار أمان الله خان أنقره فى شهر مايو سنة ١٩٢٨ خلال رحلته المعروفة
وقع يوم ٢٢ منه ميثاق ضمان وهذا نصه :

١ - يتعهد الفريقان بموجب هذا الميثاق، ويمتد سنة أخرى من نفسه إذا لم
يطلب أحد الفريقين فسخه قبل انتهاء مدته بسنة أشهر بالمحافظة على السلم
والصداقة الخالدة بين البلدين، وتكون مدته عشر سنوات.

٢ - إذا استهدف فريق من الفريقين المتعاقدين لحركة اعتداء من دولة أو دول
يتعهد الفريق الآخر ببذل جميع المساعى لمنع هذا الاعتداء فإذا وقع فعلاً بقوات
مسلحة تعهدت الحكومتان التركية والأفغانية - قبل البدء بالأعمال الحربية - أن
تتداولاً معاً للوصول إلى قرار ينطبق على مصالحهما السامية المشتركة.

٣ - يتعهد كل فريق من الفريقين المتعاقدين بأن لا يعقد مع أى دولة أو دول
أخرى اتفاقاً ودياً أو أى اتفاق سياسى أو عسكرى أو اقتصادى أو مالى يكون
موجهاً ضد الفريق الآخر أو مضرراً به، ويتعهد كل فريق كذلك بأن لا يشترك فى
أى حركة عدائية موجهة ضد سلامة الفريق الآخر من الوجهة العسكرية.

٤ - يسهل كل فريق أعمال الفريق الآخر وتقدمه وارتقاءه، ويبذل كل ما فى
وسعه من المساعدة التى يحتاج إليها كل منهما.

٥ - تتعهد الحكومة التركية بأن تضع رهن إشارة الحكومة الأفغانية من تحتاج
إليهم أفغانستان من ذوى الأخصاء فى الشؤون العسكرية والقضائية والعلمية.

٦ - يتمتع رعايا الفريقين المتعاقدين فى بلاد كل فريق منهما بجميع
الامتيازات التى تتمتع بها رعايا الدول ذوات الحضوة. وتعد بينهما فى المستقبل
معاهدة لتنظيم العلاقات التجارية والتمثيل القنصلى والبريد وتبادل المجرمين.

٧ - يحتفظ كل فريق من الفريقين المتعاقدين بحريته المطلقة فى علاقاته مع
الدول الأخرى إلا فى الشؤون التى استثنيت بموجب هذا الميثاق.

علاقاتها مع إيران - لم تنظم العلاقات بين تركيا وإيران حتى سنة ١٩٢٦ بسبب الاختلاف على الحدود، ففي ٢٢ إبريل من تلك السنة عقدت بينهما معاهدة صداقة وولاء. ثم عادتاً فعقدتا في أنقره يوم ١٥ يونيو سنة ١٩٢٨ ميثاق عدم اعتداء يكون ملحقاً لمعاهدة سنة ١٩٢٦ وخلاصته أنه في حالة استهداف إحدى الدولتين لعداء دولة أجنبية تبذل الدولة المتعاقدة جهودها للتوفيق وإصلاح ذات البين. فإذا فشلت فعلى الدولتين أن تعيدا النظر في موقفهما، وكذلك يجب عليهما أن تعيدا النظر في موقفهما السياسى من أونه إلى أخرى بقصد اتخاذ التدابير اللازمة لحماية مصالحهما.

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٣١ زار محمد على فروغى خان وزير الخارجية الإيرانية أنقرة فعقد مع تركيا معاهدة اقتصادية واتفاقاً لتبادل المجرمين.

علاقاتها مع العراق - سبقت الحديث عن الملك فيصل والعراق.

علاقاتها مع الدولة السعودية - ودية، ولم تعقد معاهدات بينهما حتى الآن.

علاقاتها مع اليمن - ودية، ولم تعقد معاهدات بينهما حتى الآن.

إيران

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

المملكة الإيرانية من الممالك الإسلامية الكبرى في آسيا الوسطى، ويطلق عليها
الفرس لقب إمبراطورية، ويلقبون الشاه بالإمبراطور.

ويبلغ عدد سكانها بموجب إحصاء نشرته جمعية الأمم لسنة ١٩٣٣ عشرة
ملايين و ٢٢ ألف نسمة، تسعة منهم شيعيون مسلمون، ومليون سنيون،
وهناك ٩٠ ألف أرمني و ٤٠ ألف يهودي، ويقول أهل الخبرة من الفرس أن نفوس
بلادهم لا تقل عن ١٤ مليوناً، وليس هنالك إحصاء رسمي جديد يعول عليه.

ومساحتها السطحية ١,٦١٨,٨٨٨ كيلو متراً وعاصمتها طهران، ومن مدنها
الشهيرة أصفهان وتبريز وشيراز وكرمنشاه ومشهد ورشت وقزوين.

ويحدها الروس وبحر قزوين والأفغان والهند وخليج فارس والعراق وتركيا
وتعد من البلاد الزراعية والصناعية فقد اشتهرت بالسجاد الفاخر والمنسوجات
البديعة والصناعات النفيسة التي تصنعها.

والحكومة الإيرانية مستقلة استقلالاً تاماً ناجزاً في داخليتها وخارجيتها
وليس لأي دولة أجنبية نفوذ في بلادها. وقد كانت حتى قيام الشاه الجديد
مشمولة بالنفوذ الروسي والإنكليزي. فقضى عليهما وأراحها من الامتيازات
الأجنبية أيضاً، وهي أول حكومة إسلامية اشتركت في جمعية الأمم.

ويبلغ عدد الجيش الفارسي في الوقت الحاضر ٥٠ ألف جندي منظمين
ومسلحين على الطراز الحديث، ونظام الخدمة العسكرية إجباري عندهم.

ونظام الحكم في إيران دستوري، ملكي، نيابي، ديمقراطي، مدني. ويتبوأ
عرشها جلالة الشاه رضا خان بهلوي مجدد شبابها. وهذا رسمه :



الملك (الشاه رضا بهلوي) ملك إيران

الشاه رضا خان بهلوي

ملك إيران

مولده ونشأته

هو رضا بن عباس على خان أحد ضباط الجيش الفارسي القدماء. ولد في قرية الأشست من قرى سواه كوه في ٢٤ اسفند سنة ١٢٥٦ هجرية شمسية (الموافق ١٠ شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٥ هجرية قمرية و ٥ مارس سنة ١٨٧٧ م).

وكان أبوه حين ولادته حاكماً على سواد كوه وقائداً للقوة العسكرية فيها، وهي بلوك من الجند المتطوع فعلمه القراءة والكتابة، واستشهد في حرب «هرات» بعدما أظهر كفاءة وشجاعة وولده لا يزال صغيراً فكفلته والدته وغرست فيه روح الميل إلى الجندية ليحل محل والده ويثأر له، وما كاد يبلغ أشده حتى انتظم في سلكها، وذلك سنة ١٣٠٧ هـ. ش برتبة جندي بسيط، وظل يترقى حتى وصل إلى درجة ضابط في سواد كوه، وأبرز من الشجاعة والبسالة في مطاردة اللصوص وقطاع الطريق والثأثرين مالفت إليه الأنظار فرفعت رتبته العسكرية، ونقل إلى منصب عسكري في طهران، ثم تحول إلى همدان فكر منشاه فبلاد مازندران الغربية، وهو في خلال ذلك يعمل على توطيد الأمن والضرب على أيدي العصاه واللصوص. فطار صيته ولبع نجمه وزاد في شهرته ما أظهره من جراه وشجاعة في معركة دارت بينه وبين العصاه في نواحي كرمنشاه فقد فر جنده وضباطه حينما حمى وطيس القتال وبقي صامداً مع المدفعية وعدد قليل من الجند حتى هزم العصاه وكسرههم شر كسرة. فاستقدمته الحكومة على أثر ذلك إلى طهران وكافأته على ذلك بتعيينه قائداً للفرقة العسكرية المرابطة في همدان، وذلك سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٦ م).

ولما بدأت الثورة في روسية سنة ١٩١٧ وأسقط البلاشفة الجيش القيصري

وأضطربت الحالة على الحدود الروسية - الفارسية عين قائداً لمنطقة الحدود فانصرف إلى توحيد القوى الإيرانية وتنظيمها وتنسيقها استعداداً للطوارئ والحوادث.

ودعى بعد ذلك إلى طهران. حيث عين قائداً لحاميتها، ولما نزل الروس يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٠ على شواطئ بحر قزوين واستولوا على الموانئ والذخائر أرسل من طهران مع فرقته لطردهم ومقاومتهم ففاز بأمنيته، وتم له في خلال هذه الحملة تنظيم فرقة القوزاق التي يقودها تنظيمياً جديداً، واغتنتم فرصة ضعف حكومة طهران وارتباكها فزحف على رأس فرقة من قزوين على طهران يوم (٣ حوت ١٢٩٩) ١٩٢١ فاحتل مكاتب الحكومة ودواوينها وأرغم الشاه على إسقاط الوزارة القائمة وتأليف وزارة جديدة برئاسة صديقه القديم السيد ضياء الدين الطباطبائي تقلد فيها وزارة الحربية، وكان برتبة أميرالاي في الجيش الفارسي.

وخطا الخطوة الثانية في شهر أكتوبر سنة ١٩٢٣ إذ حمل الشاه أحمد خان القاجاري على أن يولييه رياسته الوزارة. فأصدر الشاه يوم ٢٨ من ذلك الشهر مرسوماً باسناد رياسته الوزارة إليه مع احتفاظه بمنصب وزارة الحربية ولقب بلقب سردارسبه وهو أعظم الألقاب العسكرية عند الفرس.

وبعد ذلك بأيام أوعز إلى الشاه بأن يغادر طهران فقصده باريس في شهر نوفمبر سنة ١٩٢٣ بطريق سورية. ولم يعد الشاه بعد ذلك إلى بلاده بل مات بعد خلعه طريداً في باريس سنة ١٩٣٠.

وكانت الخطوة الرابعة القرار الذي أصدره البرلمان الفارسي في جلسته المعقودة يوم ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٥ (٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٤) بخلع الأسرة القاجارية، وتعيين رضا خان بهلوي القائد العام للجيش الإيرانية رئيساً مؤقتاً للحكومة الإيرانية ريثما تجتمع الجمعية الوطنية فتبت نهائياً في شكل الحكم الجديد. وهذا نص القرار الصادر :

«لقد خلعت أسرة قاجار المالكة حياً بالمصلحة الوطنية العامة وتألفت حكومة وقتية فى دائرة القوانين الدستورية والأهلية عهد برئاستها إلى رضا خان كبير الوزراء وترك للجمعية الوطنية أن تقرر شكل الحكم الجديد الدائم».

وأطلقت المدافع فى طهران حينما أعلن هذا القرار أيداناً بانتهاء الحكم القديم وقيام الحكم الجديد، وأصدر رئيس الحكومة المؤقتة أمراً بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين، وبإعلان عفو عام عن جمع أفراد الأسرة المالكة السابقة. ونص أول مرسوم أصدره فى العهد الجديد على تخفيض ثمن الخبز فى جميع بلاد إيران على أن تسدى الحكومة نفسها مساعدة مالية إلى تجاره وبائعيه. كما أمر بإغلاق الحانات ومحلات الميسر، وأقيمت الاحتفالات فى إيران كلها مدة ثلاثة أيام ونصبت الزينات الفاخرة ابتهاجاً بالعهد الجديد.

وتناقلت الألسن أن النية متجهة إلى إنشاء جمهورية فى طهران ينتخب رضا خان رئيساً لها. فقاوم المجتهدون - ولهم نفوذ كبير هنالك - هذه الفكرة وأبلغوا رضا خان أنهم لا يعارضون فى اختياره ملكاً ويكونون أول من يبايعه، وإنما يعارضون فى إنشاء جمهورية وانتخابه رئيساً لها. لأن الجمهورية فى عرفهم مخالفة للشريعة الإسلامية فأذاع على الفور بياناً كذب فيه ميله إلى النظام الجمهورى.

وهذا نص المنشور الذى أذاعه على موظفى الدولة حين انتخابه رئيساً للحكومة المؤقتة :

ليكون معلوماً لدى عموم موظفى الدولة من ملكيين وعسكريين داخل البلاد وخارجها على اختلاف وظائفهم ومراتبهم. كبيرة كانت أو صغيرة أنه لا معنى لوجود الأنظمة الإدارية والعسكرية إلا استتباب الأمن والسير على إسعاد الشعب ورفاهيته وترقية شؤونه، وليست الأنظمة موجودة للموظفين الذين لا يعرفون معنى لها. فيجعلون من وظائفهم وسيلة لابتزاز أموال الشعب وإرهاقه. مرة باسم الدولة وأخرى باسم الوطن.

فليعلم عمال الدولة فى داخل البلاد وفى خارجها ويوقنوا بأن الظلم والاستبداد والإرهاق ليست كلمات مرادفة للكلمة الرعوية الإيرانية. كلا، بل إن كل فرد من أفراد الأمة الفارسية الذين يظلمهم علم الأسد والشمس مصونون من جميع الاعتداءات على أموالهم وحرياتهم ومن اعتداء أى موظف كائناً من كان.

ولأهمية هذا الأمر الذى يجب أن يوضع موضع الاهتمام والجهد لمحو الظلم والاعتداء أعلن الجميع أنه اعتباراً من هذا التاريخ يجب على كل فرد من أفراد الشعب أصابه إجحاف أو اعتدى عليه أو ظلم من أى موظف من موظفى الدولة عسكريين وملكيين علت مرتبتهم أم حقرت أن يقدم فى الحال شكوى بالبريد مبيناً فيها اسم الموظف ولقبه ووظيفته، ونوع الاعتداء وتاريخه وما أحدثه من أثر، وفى أى زمان ومكان، وأسماء الذين شهدوه وأن يوضع فى البريد باسمى رأساً من دون طابع حتى يأخذ العدل مجراه.

وتضع وزارة الداخلية صندوقاً بريدياً فى الأماكن البعيدة التى لا توجد فيها أماكن للبريد يكتب عليه «صندوق الشكايات» وتكون المسافة بين كل صندوق وآخر فرسخين وذلك تسهيلاً للسكان القاطنين فى أماكن بعيدة، وتنتدب الوزارة أحد أهالى الجهة لفتح الصندوق مرة فى كل أسبوعين وإرسال مافيه إلى مباشرة بطريق البريد السريع وبدون أجر.

وعلى عموم موظفى البريد قبول هذه الرسائل وإرسالها إلى بعناية خاصة حتى يكون جميع الرعايا أحراراً فى إبداء تظلماتهم.

وعلى وزارتى الداخلية والبريد إفهام الناس الغرض من وضع الصناديق وإبلاغ الحكام والموظفين والعمد والمشايخ بأن كل من حال منهم دون وصول الشكاوى إلى بتهديد أو ترغيب فيكون عرضه للجزاء الصارم.

كل رعايا الدولة الإيرانية المقيمين فى أنحاء العالم داخلون فى نطاق هذا البلاغ ولهم حق الرعاية، وكل من يقع عليه منهم جور أو اعتداء من سفير أو قنصل أو

أى موظف كان من رجال السفارات أو القنصليات فليبادر برفع شكواه إلى
تلغرافياً ويوضح تام.

وفى الختام ألفت نظر الجمهور إلى هذه النقطة الخطيرة وهى : إن كل من قدم
شكوى عارية عن الصحة ، أو كانت لمجرد اتهام لأغراض شخصية ، أو كان الغرض
منها الحط من كرامة الموظفين يكون عرضه لأشد الجزاء. لأننى كما أبذل الجهد
كل الجهد فى حفظ رفاهية الشعب وحقوقه من العبث ومن تعدى الموظفين. فإنى
من جهة أخرى لا أفرط فى حفظ شرف الموظفين الأبرياء.

أصدرنا هذا ليعرف كل شخص الواجب عليه ، وليعمل به دائرة القانون ليكون
العدل أساس دولتنا. والعدل أساس الملك. .

زواجه - تزوج مرتين: الأولى وهو شاب، والثانية بعدما تقلد رئاسة الوزارة
فى سنة ١٩٢٣ فقد اقترن بإحدى الأميرات القاجاريات، ولما تزوج ملكاً على إيران
منح زوجته الأولى لقب ملكه، وهى والددة ولى العهد، وتقيم الزوجتان سوياً معه.

كيف يقضي يومه ؟

يقطن جلاله الشاه القصر الذى أنشأه حديثاً فى طهران، ويعد من أجل قصورها الجديدة، كما يعد قصر الكولستان (أى قصر الورد) - وقد كان قصر الملوك القاجاريين، وانتهى حكمهم بقيام الدولة البهلوية الجديدة - من أعظم قصور إيران القديمة، بل من أعظم قصور العالم.

ولأ يزال الشاه متمسكاً بعاداته القديمة التى ألفها حينما كان جندياً فهو ينام باكراً وينهض باكراً، ومما يروى عنه، أنه يعتذر فى الحفلات الساهرة الرسمية التى تقام فى قصر الكولستان احتفالاً بملك أو تكريماً لقادم أو بمناسبة من المناسبات، عند الساعة العاشرة لضيوفة وينسحب إلى قصره لحلول موعد نومه ولأنه لم يعتد السهر أكثر من ذلك، وينيب عنه وزير البلاط أو أحد رجاله الآخرين فى رئاسة الحفلة والعناية بالمدعوين.

ويستيقظ عادة فى الساعة الخامسة صباحاً فيستحم ويتزين ويلبس ثيابة ويتناول فطوره ثم يخرج إلى الجناح الخاص به فينظر فى الشؤون المعروضة عليه، أو يقصد المدرسة الحربية، وقد بناها على مقربة من قصره لتكون تحت إشرافه المباشر، وهو يزورها فى الليل والنهار والصباح والمساء، وقل أن يمضى يوم لا يزورها فيه فهى تحت رقابته المباشرة، أو يقصد إلى إحدى الثكنات لمراقبة التعليم العسكرى فى الصباح وتفقد حالة الجند، كما كان يفعل وهو ضابط.

ويبدأ عند الساعة العاشرة باستقبال زواره ورجال دولته وكبار موظفيه، وينظر فى شؤون الدولة، ويظل فى ذلك حتى الساعة الواحدة فيعود إلى داخل القصر ويتغذى مع أعضاء أسرته.

وينام بعد الغداء ولا يغادر قصره فى المساء إلا ليذهب إلى المدرسة الحربية أو

ليتفقد الجند فى ثكناتهم، أو ليشهد حفله، أو لينظر فى عمل من الأعمال العامة. ويتعشى فى القصر.

هذا فى الشتاء أما فى الصيف فيقصد مع أسرته إلى مصيف شاميران الواقع على مقربة من طهران، والمواصلات بينهما بسكة الحديد، والمسافة سبعة كيلو مترات فقط. وقد أنشئت فى هذا المصيف الجميل قصور غناء جميلة يقصدها الكبراء والعظماء ورجال الدولة لقضاء الصيف.

علومه - لم يدخل فى صباه مدارس عالية كما تقدم، وإنما تدرج فى مراتب الجنديّة حتى بلغ أعلاها وأسماءها، ويتكلم عدا لغته الفارسية، اللغة الروسية وقد تعلمها فى الجيش أيضاً واللغة التركية وهى لغة جانب غير قليل من التركمان النازلين فى مقاطعه أذربيجان، ويؤلفون نحو ربع سكان إيران ويفهم اللغة العربية ويصعب عليه النطق بها.

أوصافه - أول ما يخطر ببال من يرى جلالته للنظرة الأولى أنه من الدم التركى أو الكردى. فهو طويل القامة منتصبها عريض المنكبين، ولا بدع فهو من (أقليم مازندران) وسكانه خليط من الفرس والكرد والتركمان، وتعلو وجهه سمات الهيبة والوقار، وتبدو عليه دلائل الجد والحزم والجرأة والإقدام، وهو قليل الكلام يعد كلماته قبل أن ينطق بها كما يحلق شعر رأسه بالماكينّة كأحد أفراد الجند، ولا يترك السبحة من يده ويقلبها من جهة إلى أخرى.

وهو يميل إلى البساطة فى جميع أموره وشؤونه، ولا يزال حتى الآن يعيش فى قصره عيشه الجنديّة التى ألفها، عيشه التقشف والابتعاد عن كل مظهر، ولباسه العادى هو بذلة من الخاكى البسط التى يلبسها الضباط والجنود فى أعمالهم اليومية، ويلبس فى الحفلات الرسمية بذلة مشير فى الجيش الإيرانى ومتى انتهت الحفلة نزعها وعاد إلى بذلته الخاكية، وقل أن يلبس الملابس الملكية بل ندر أن شوهد فيها.

ولا أدل على ميله للبساطة وابتعاده عن المظاهر من إصداره الأوامر لحكومته بمنع إقامة أى احتفال بمناسبة حلول ذكرى تنويجه أو ميلاده، وبأن يقتصر على الحفلة الرسمية التى جرت العادة من القديم أن تقام فى إيران، ويسمونها عيد النيروز - أى عيد دخول فصل الربيع. وهذا هو العيد الرسمى الوحيد اليوم فى إيران.

ومن الأسرار الوحيدة التى يتحفظ بها ولا يطلع عليها أحداً من رجال دولته، عدد أفراد الجيش الفارسى بالضبط فلا يعرف ذلك سواه، فهو المصطلح بشؤون الجيش ومتوليها مباشرة.

أسفاره - لم تمكنه ظروفه الخاصة من مغادرة بلاده فى الصغر. كما أن ظروفه بعد اضطراره بعبء النهضة الجديدة لاتدع له وقتاً للسفر إلى البلاد الأجنبية رغم ما يشاع من وقت إلى آخر عن اعتزامه السفر إلى أوروبا.

والمعروف عنه أنه زار روسيا فى صغره. كما زار العراق فى أواخر سنة ١٩٢٤ حينما كان قائداً عاماً للجيش الفارسى للإشراف على الحملة العسكرية التى أرسلت يومئذ لاحتلال إمارة المحمرة، وقد احتفت به الحكومة العراقية وأكرمت مثواه. وكذلك فهو يطوف أنحاء بلاده بلا انقطاع متفقداً أموراً باحثاً فى شؤونها.

وزاره فى عاصمته من ملوك الشرق أمان الله خان ملك الأفغان السابق حينما خرج فى رحلته الشهيرة سنة ١٩٢٧ وهى الرحلة التى أدت إلى ضياع عرشه وتاجه. كما زاره جلالة الملك فيصل ملك العراق فى شهر إبريل من شهور سنة ١٩٣٢ وحل ضيفاً عليه، وقد انتجت الرحلة الأخيرة أفضل النتائج لخيرى العراق وإيران. فازدادت علاقتهما قوة وإحكاماً.

ويطوف الشاه طهران ويمشى فى أسواقها وحيداً لا يصحبه جندى ولا شرطى. ويروى أهل طهران قصصاً عديدة عن جلالته تدل على صرامته وشدة

محافظة على النظام، فقد ذكروا أنه كان مرة يركب جواده فى طريقة إلى وزارة الحربية، وذلك قبل أن يتبوا العرش فبصر برجل يسير فى الشارع بلباس النوم (البجاما) فترجل وناداه وسأله. لماذا يسير فى الشارع بلباس غرفة النوم فقال له إنه ذاهب من منزله القريب ليشترى حاجة ثم يعود بها فوراً. فقال له: ولكن ألا تعلم أن هذا اللباس خاص بغرفة النوم وحدها، ثم صفعه صفعات قوية وتركه بعدما اشترط عليه أن لا يعود لمثلها.

وكان مرة يركب سيارة فبلغت تقاطع إحدى الشوارع، وكان الشرطى قد عطل حركة المرور لعذر طارئ فوقف الشاه بمركبته ينتظر السماح ليمر وأمامه مركبة (أوتوبيس) أطلق سائقها «لزمارته» العنان احتجاجاً على الشرطى أو تنبيهاً له، ولما ضاق الشاه بزمارته ذرعا نزل من سيارته وقصده ليؤدبه بيده فلما رآه هذا قادماً نزل من الجهة الأخرى وترك السيارة وفر ليلوى على شئ.

وقل أن شوهد مبتسماً. ويرهبه رجاله ويعاملهم بالشدة الزائدة ولا يتسامح معهم فى شئ من الأشياء، وهو يسير على النظام العسكرى فى كل عمل من أعماله.

صلاته - ويؤدى الصلاة فى أوقاتها، وهو مشهور بالتدين والابتعاد عن المسكر والتدخين وعن كل المحرمات والمعاصى.

المؤامرات لاغتياله - على الرغم مما أداه لبلاده من خدم عظيمة وإنقاذه لها من الفوضى والأضطراب فقد دبر أنصار القاجاريين بين ثورات ومؤامرات للقضاء على النظام الجديد وللفتك بجلالة الشاه. فلم يفوزوا بطائل بل أخدمت ثوراتهم واكتشفت مؤامراتهم وفتك برجالهم.

ولعل أعظم هذه المؤامرات شأناً تلك التى اكتشفت فى آخر لحظة - كما جاء فى بلاغ رسمى نشر يومئذ - وكانت الغاية منها اغتيال الشاه وولى العهد فقد قبض على بعض الذين دبروها، وهم الدكتور أمير خان من أطباء البوليس وأميرالاي

فولادين القائد القوزاقى والبكباشى روح الله خان، وقد قبض على هذا بينما كان فى اجتماع سرى، وشاع يومئذ أن فولادين وروح الله أعدما رمياً بالرصاص فى مركز القيادة العسكرية بأمر الشاه وذلك فى أواخر سبتمبر سنة ١٩٢٦.

واستهدف الشاه نفسه لمؤامرة أخرى عندما كان يطوف البلاد فى شهر أكتوبر من تلك السنة فقد قذفت عليه قنبلة لم تصبه بأذى بل انفجرت بسيارة مدرعة كانت ترافق القوة التى تحرسه وقتل الذين كانوا فيها.

وأوقد سالار الدولة أصغر أنجال المرحوم الشاه مظفر الدين شاه، وعم الشاه أحمد القاجارى آخر الملوك القاجاريين - ثورة فى بلاد الكرد الإيرانية صيف سنة ١٩٢٦ بتأييد عشيرة أورمان، ويمت إليها بصلة النسب فأمه من أصل كردى فسيرت عليه الحكومة قوات كبيرة لقيت عناء فى القضاء على ثورته.

وكذلك شقت حامية سلماس عصا الطاعة فى شهر يوليو سنة ١٩٢٦ وقتلت قائدها وزحفت على طهران لاحتلالها فأدبت.

وبفضل ما أظهره الشاه من حزم وعزم قضى على تلك الثورات والفتن، ونكل بأنصارها ودعاتها. ولم نعد نسمع بوقوع اضطراب فى السنوات الأخيرة. لأن الناس ألفوا النظام الجديد واطمأنوا إليه.

كيفية أرتقي العرش ؟

فى صباح ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ اجتمعت فى دار مجلس الشورى الملى (مجلس النواب) الإيرانى فى طهران الجمعية التأسيسية الإيرانية وقررت بإجماع الآراء المناداة برضا خان شاهاً لإيران، مكافأة له على ما أبرزه من الكفاءة والإخلاص. على أن يظل الملك فى بيته يتوارثه أبناءه.

وغادر قصره بمركبة خاصة، حينما أبلغ هذا القرار تحيط بها قلة من الفرسان ورجال الدولة وتتقدمه الموسيقى، وكان مرتدياً بذله عسكرية، قاصداً قصر كولستان، ولما بلغه قدموا إليه الأوسمة والنياشين التاريخية التى كانت للشاه المخلوع فتقلدها إلى جانب أوسمته ونياشينه، وحلى «القلب» الذى يلبسه على رأسه بالماسه داريانوس الشهيرة.

وبعدما أستراح قليلاً ركب المركبة الملكية المذهبة فأقلته إلى دار المجلس النيابى بين الجنود المصطفة والجماهير المحتشدة على الأفاريز وفى نواقد البيوت وعلى سطوحها وتبع مركبته سيارة جلس فيها ثلاث سيدات إيرانيات متحجبات.

ولما وصل اعتلى عرشاً نصب فى صدر قاعة المجلس الكبرى. فأحاط به رجال الدين والدنيا وألقى الخطاب الآتى :

«أقدر شعور شعبى العالى نحو شخصى، وأعتبر هذا الاجتماع عنواناً للإخلاص من شعبى المحبوب، كما أقدر قيمة إلقاء أزمة الأمور إلى وتوليتى هذا المنصب الجليل. وهذه أول فرصة يتيسر لى فيها أن أظهر مسرتى وامتنانى من أبناء الشعب الذين يقدرون مجهوداتى التى بذلتها فى ترقية شعبى.

وكما أنى لم أفرط يوماً ما فى حقوق الشعب فى الماضى. فسأجتهد لكىلاً أفرط بشئ فى المستقبل، وأحاول ما أستطعت مستمداً المعونة من الله عز وجل

على نيل المقصود لأصل بالدولة إلى المستوى اللائق بها. راجياً أن أوفق بمعاونتكم إلى إسعاد البلاد ورفاهيتها، ولتحقيق هذه الغاية قررت لنفسى قانوناً أساسياً للسير عليه».

ثم نهض واقفاً ووضع يده على القرآن وأقسم القسم الآتى :

«أشهد الله تعالى وكتابه المجيد وكل مقرب إلى الله، وبحقهم أقسم أن أجعل نصب عيني حفظ استقلال إيران فى حدودها الطبيعية، وأن أحافظ على حقوق الأمة ودستورها، وأن أكون حارساً ساهراً على حقوق الأمة، وأن أحترم قوانين الدولة وأسير على منوالها، وأن أحافظ على الشعائر الدينية، وأن أحترم المذهب الاثنى عشرى، وأن أبذل جهدى فى المحافظة على جميع الشعائر الدينية التى أمر الله بها مستمداً المعونة من أرواح الشهداء الطيبين الطاهرين لكى أرفع شأن البلاد، وأصل بها إلى ذروة السعادة والرفاهية، والله على ما أقول شهيد».

وفى الغداة (١٦ ديسمبر) اجتمع بدار المجلس النيابى العلماء والنواب والوزراء والسفراء ورجال الدولة. فألقى معتمد بريطانيا باسمه وباسم زملائه السفراء والقناصل خطاباً هنا فيه جلاله الشاه على ارتقائه العرش. متمنياً للأمة الفارسية فى عهده رقياً وتقدماً فرد عليه بالخطاب الآتى :

«إن التمنيات التى تفضلتم فأعربتم عنها بالأصالة عن أنفسكم وبالنباية عن هيئة مندوبى الدول السياسيين بمناسبة جلوسى على عرش بلادى، لمن دواعى سرورى وابتهاجى فى هذا اليوم التاريخى الذى تحتفل فيه البلاد، وإن سرورى لعظيم بوجودكم.

وبقدر ما أظهرتموه من التمنيات الطيبة فإن نفسى مطمئنة لتحقيق مطالب الأمة الإيرانية التى أعربت عنها بلسان الجمعية التأسيسية، وهى المطالب التى تعبر عن آراء جديدة، وتنبئ بشروق شمس عصر جديد على هذه المملكة. أما تحملى تبعة هذا العبء الثقيل. عبء الإصلاحات والمهام اللازمة لهذه البلاد فإننى

على يقين من أن الدول العظمى المتحابة ستعاوننى على أداء هذه المهمة الخطيرة.

«إنى أؤيد فى هذا الموقف رغبتى فى حفظ الروابط الطيبة التى تربطنا بجميع الدول، وبالأخص الدول التى يمثلها المندوبون الحاضرون فى هذا الاجتماع، وأسأل الله عز وجل أن يساعدنى فى أداء ما عهد إلى، وأن يؤيدنى بعزه ونصره».

ولى عهده - وولى عهد المملكة الفارسية اليوم هو الأمير محمد على بهلوى خان، وهو فى التاسعة عشرة من عمره. وقد تعلم فى المدرسة الحربية بطهران وهو الآن فى سويسرا يطلب العلم ويدرس المدنية الأوربية عن كثب.

عہدہ

ظلت ایران حتی أوائل القرن الحاضر ميداناً للتنازع والتنافس بين الروس والإنكليز. أولئك من الشمال وهؤلاء من الجنوب، وكل منهم يطمع في الاستيلاء عليها واستصفائها، ولا يحجم عن إثيان أى عمل لتحقيق أمنيتها.

ومالا إلى التفاهم حينما ضاقا ذرعاً بالتنافس. فعقدوا معاهدة في شهر أغسطس سنة ١٩٠٧ قسماً بموجبها إيران إلى ثلاث مناطق :

أ - منقطة أصفهان والأزد، وقد دخلت تحت نفوذ الروس.

ب - منطقة سلسان ومكزان، وقد دخلت تحت النفوذ البريطاني.

ج - شقة حياذ حرة بين المنطقتين تركت للحكومة الإيرانية، واعتبرت كحاجز بينهما، وتشمل طهران والبلاد المجاورة لها.

وشبت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ وكلتا الدولتين متمسكة بموقفها. عاملة على تعزيز نفوذها. فلزم الإيرانيون الحياد ولم يؤيدوا فريقاً من الفريقين اللذين اقتحموا الحدود الإيرانية على السواء وانتهكوا حرمة حياذ حكومة طهران. فقد أحتلت الجنود البريطانية ثغر بوشهر يوم ٨ أغسطس سنة ١٩١٥ وبعث الإنكليز قوة أخرى للمحافظة على ينابيع النفط في ميدان نفطون، وزحف الروس حتى اقتربوا من حدود العراق، وسير الترك والألمان الجنود فدخلت إيران واحتلت كرمينشاه وتقدمت إلى همذان يقودها رؤوف بك بطل حميدية، وقد أعلن أنه ناهب إلى الهند بطريق الأفغان، وهكذا صارت إيران ميداناً فسيحاً يتطاحن فيه المتحاربون من دون أن تحرك ساكناً، على أن انتهاء تلك الحرب الضروس جعل الدول تسترد جندها الواحدة تلو الأخرى. ولاسيما الروس فقد ارتدوا عنها منذ سنة ١٩١٧ أى منذ ثورتهم المشهورة.

واغتنم الإنكليز الفرصة فعقدوا في سنة ١٩١٩ معاهدة مع الحكومة الفارسية مثلهم فيها السربرسي كوكس المندوب البريطاني السامي في خليج فارس، كما مثل حكومة طهران البرنس فيروز فرمان فرما، وهي تضع هذه البلاد تحت حماية إنكلترا. فقام الشعب الفارسي لهذه المعاهدة وقعد، وأسقط الحكومة التي عقدتها، وكان عقدها من جملة الوسائل التي هيأت سقوط حكومة القاجاريين. فقد اغتنم رضا خان فرصة نقمة الشعب على عاقدى تلك المعاهدة فاستولى على دوائر حكومة طهران، واضطر الشاه إلى تبديل تلك الوزارة وتعيين وزارة اختار هو رئيسها، ومن ذلك اليوم أصبح سيد إيران المطلق ودكتاتورها الحقيقي، ثم ارتقى العرش كما مر بك أنفا.

مشروعاته الإصلاحية والعمرانية

يمكن القول أن عهد الشاه رضا خان بهلوى هو خير عهد عمراني عرفته إيران منذ قرون طويلة. فقد انصرف إلى إنهاء بلادته وترقيتها عمرانياً واقتصادياً فأدرك نجاحاً يذكر، ونحن نسجل هنا جانباً من هذه الأعمال الخالدة :

سكك الحديد - لم يكن في إيران يوم تولى أمرها الشاه الجديد سكة حديد رغم اتساع مساحاتها وتعدد ولاياتها، ورغم انتشار هذه السكك في أربعة أقطار المعمور وتنافس الحكومات في إنشائها وإلا كثر منها.

ورأى الشاه أن منح امتيازات لشركات أجنبية بإنشاء هذه السكك لا يحقق الغاية منها. وقد يؤدي إلى بسط نفوذ دولها السياسى والأدبى فصحت عزمته على أن تتولى الحكومة إنشاءها بنفسها وبمواردها الخاصة فتكون ملكاً للبلاد تستعملها لحسابها وتجنّى فوائدها، وقد تم له ما أراد. فأنشئ جانب كبير من هذه الخطوط وهم ماضون في إنجاز الباقي.

أما الأموال التى أنفقوها على هذه المشروعات فهى من دخل ضريبة الشاى والسكر وقد احتكرتها الحكومة لحسابها وتنفق على سكك الحديد.

ويبدأ الخط الجديد من ميناء خور موسى على الخليج الفارسى بالقرب من المحمرة. فيمر بالأهواز وديزقول فحرجاد إلى بير الجريدى عاصمة لورستان ومنها يتجه إلى همذان فيخترق سهل مولاى الخصيب ويتجه من هذه إلى الشمال الشرقى فيصل إلى طهران العاصمة سالكا الطريق التى تسلكها القوافل. ومن طهران يتجه إلى بندرغازى على شاطئ بحر قزوين فيمر فى مقاطعة مازندران وبهذا يصل بين بحرى قزوين وخليج فارس شاقا بلاد إيران من الجنوب إلى الشمال، ويبلغ طول هذا الخط ٢٩٥٠ كيلو متراً وتقدر النفقات اللازمة له بـ ١٤٣ مليون تومان (١٠ ملايين جنيه تقريبا).

هذا هو المشروع العظيم الذى بدأوا بتحقيقه من يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٧ فقد جاء فى بلاغ رسمى نشر يومئذ أن جلالة الشاه افتتح رسمياً أعمال سكة الحديد بأن ضرب بيده الفأس الأولى فى المكان الذى تقام عليه المحطة الكبرى فى طهران، وقد تم لهم حتى السنة الماضية إنشاء ٤٤٣ كيلومتراً من الخطوط الجنوبية بين هرمز - الأهواز - شوسز - ديزقول، وتسيير القطارات بينها حاملة البضائع والركاب وسيحتفل بوصوله إلى طهران قريباً.

وكذلك تم إنشاء ١٨٠ كيلومتراً من الجهة الشمالية فوصل القطار القادم من شاطئ بحر قزوين إلى على إباد، وتبلغ المسافة بينهما ٣٨٠ كيلو متراً وتجاوزته والأعمال مستمرة بنشاط من الجانبين.

وكذلك فهناك سكة أخرى يعدون المعدات لإنشائها فتصل بعض المدن الفارسية بالخط الكبير وسيبدأون بها بعد الفراغ منه.

المصرف الوطنى الإيرانى - ولم يكن فى إيران حتى العهد الجديد بنك وطنى يساعد التجار وينمى اقتصاديات البلاد فسعى الشاه فأنشأ البنك البنك

الوطني الإيراني، وقد افتتحه يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٨ فأُسدى للبلاد خدماً جمة وأنشأ ٢٣ فرعاً له في مدن إيران الأخرى.

إلغاء الامتيازات الأجنبية - ورثت إيران عن حكومة القاجاريين فيما ورثته الامتيازات الأجنبية، وأدرك الشاه ما لهذه الامتيازات من عظيم الضرر ببلاده وشعبه فأصدر أمراً بإلغائها وأبلغ الدول رسمياً هذا الإلغاء يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٧ على أن يبتدئ التنفيذ بعد سنة، ولئن اعترض بعضهم فلم يغن اعتراضه شيئاً. وهكذا تخلصت إيران بفضل الشاه وحزمه من هذه الامتيازات. وفضلاً عن ذلك فقد أبلغت وزارة الخارجية في طهران سفارات الدول الأجنبية بأن جميع رسائلها إليها يجب أن تكتب باللغة الفارسية. وقالت إن كل رسالة من أي دولة كانت لا تكتب بها تعاد إلى مرسلها فوراً.

إلغاء الألقاب - إشتهرت إيران في العهد الأخير بكثرة الألقاب وابتذالها فصار الدجال أو بائع الأدوية البسيطة يلقب بشمس الأطباء أو ناصر الحكماء، وصار الجندي البسيط يلقب بصمام السلطنة أو عضد الدولة وقس على ذلك.

ولما تولى الأمر رضا شاه، ورأى ما عليه الألقاب من فوضى أمر بإلغائها جملة وحتم على كل فرد أن يختار لنفسه اسم عائلته، وسبق الكل فاختر لنفسه لقب بهلوى فصار يعرف باسم رضا بهلوى.

البهلوية - وهو أول من ابتكر لباس الرأس الجديد ويسمونه «البهلوية» فقد كان الإيرانيون يلبسون على رؤوسهم أنواعاً مختلفة من الملابس فمنهم من يعتمر بالقلب، ومنهم من يضع الطربوش أو العقال.

والبهلوية شبيهة : بـ «كاسكيت» وبعبارة أخرى هي القلبق الإيراني القديم أضيفت إليه المقدمة التي توضع أمام «الكاسكيت» وكذلك فقد عمت الملابس الأفرنجية إيران.

الجيش - قلنا في الفصل السابق إن رضا خان وجه عنايته منذ الساعة

الأولى إلى إصلاح الجيش وتنسيقه، وأنه ألغى نظام التطوع القديم وأخذ بنظام الخدمة الإلزامية، فتسنى له إنشاء جيش منظم لا يعرف سواه عدده الحقيقي، والمظنون أنه يتفاوت بين ٤٠ - ٥٠ ألف جندي يقودهم ضباط مدربون.

والواقع أن لجلالته يعود الفضل في حصول الجيش الإيراني على ضباط أكفاء فقد جرى منذ تقلد وزارة الحربية في سنة ١٩٢١ على إيفاد بعثات من الضباط إلى فرنسا وألمانيا وإنكلترا للتمرن في جيوشها، ثم يعودون بعد إتمام دروسهم فيقلدون مناصب عسكرية. ولا يدخل في هذا الضباط الذين يتخرجون في مدرسة طهران الحربية على أنهم أخذوا يرسلون بعضهم إلى أوروبا للتمرن في جيوشها.

ولا يقل عدد الضباط الإيرانيين الذين تخرجوا في مدارس أوروبا عن بضع مئات، وهم عماد الجيش الحديث وقوامه.

ولا يخفى أن إيران كانت حتى العهد القاجاري خاضعة لنظام إداري يشبه نظام الإقطاع الذي كان معروفاً في أوروبا حتى الثورة الفرنسية فكانت منقسمة إلى مقاطعات يسمونها (إيالات) يحكم كل إيالة أمير مستقل (فرمان فرما) يدفع للحكومة المركزية جعلاً معيناً كل سنة، ويتمتع باستقلال تام في داخلية فيضع الضرائب ويجبئها ويسن الأنظمة ويلغيها وغنى عن البيان أن إنشاء حكومة مركزية لا يتفق ومصالح هؤلاء الذين اعتادوا الاستبداد والسيطرة، ولذلك قاوموا رضا خان في أول الأمر أشد مقاومة وعملوا على إسقاطه. بيد أن تذرعه بالحزم والعزم، وإخلاص الجيش له جعله يتغلب على هؤلاء الواحد بعد الآخر ويقضى على امتيازاتهم وسلطانهم، وينشئ في إيران حكومة مركزية قوية.

وفي إيران مصنع لصنع أسلحة الجيش ومعداته وهو مما أنشأه الشاه ويديره ضباط المان.

وكذلك تم له إنشاء أسطول من الطائرات يقوده ضباط إيرانيون تدربوا في

أوروبا، ولا يقل عدد الطيارات فى إيران عن مائة طائرة، والهمة مبدولة لتعزيز القوة الجوية، وعندهم مدرسة للطيران تخرج فى كل دورة ٦٠ طالباً.

أسطول بحرى - لم يكن لإيران قبل النهضة الحاضرة أسطول بحرى يحمى شطوطها ويعزز مقامها ونفوذها. فاتجهت همه الشاه إلى إنشاء أسطول. ولإدراك هذه الغاية بدأ من سنة ١٩٢٦ يرسل بعثة من الطلاب إلى إيطاليا لتلقى العلوم البحرية استعداداً لإنشاء أسطول إيرانى. وبعد أن تخرج بعض هؤلاء وأثبتوا كفاءتهم ابتاعت الحكومة الإيرانية ثلاث نسافات من إيطاليا لتكون نواة للأسطول الجديد، وقد وصلت هذه النسافات فى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٢ إلى الموانئ الإيرانية. فاستقبلت استقبالاً حافلاً وكان الشاه نفسه فى مقدمه المستقبلين.

مدرسة أبناء العشائر - بعد أن قضى جلالة الشاه على النظام الإقطاعى القديم ونزع سلاح القبائل التى ناصرت ذلك النظام وأيدته، رأى أن يستعين بالعلم فى محاربة الأمية وفى استمالة أبناء العشائر القوية. فصار يأتى كل سنة بعدد من أبنائها، وخصوصاً عشائر التركمان القوية فيدخلهم مدارس الحكومة فى العاصمة ليتعلموا ويتثقفوا. وأنشأ داراً خاصة بهم يأوون إليها، وهى معدة على أفضل منوال، والقصد من تعليم هؤلاء وإعدادهم أن يكونوا عوناً للحكومة فى إخضاع عشائريهم، وفى تحضيرها عندما تنتهى إليهم الزعامة فيها.

إلغاء امتياز دارسى - ربما كان حادث إلغاء امتياز دارسى الإنكليزى من أعظم مفاخر العهد الحاضر فى إيران، وربما كان الفوز الذى أدركه جلالة الشاه من إلغاء هذا الإمتياز لايعاده فوز سياسى آخر ناله.

وبياناً لذلك نقول : إن حكومة الشاه ناصر الدين منحت المستر دارسى الاسترالى امتيازاً مدته ٦٠ سنة لاستخراج النفط من بلادها يوم ٢٨ مايو سنة

١٩٠١ مقابل شروط اتفق عليها، ولما تم لدارسى إيجاد المال اللازم أنشأ شركة باشرت استنباط النفط وأدركت نجاحاً عظيماً.

واستغلت هذه الشركة اضطراب الحالة الداخلية فى إيران وضعف نفوذ الحكومة فتملصت من معظم الشروط الواردة فى صك الامتياز. كما استقلت فى المناطق التى تستنبط النفط منها استقلالاً تاماً. فصارت حكومة داخل حكومة.

ولما قامت الحكومة الجديدة، ورأت أن حالة هذه الشركة مما لا يطاق ولا يصبر عليه دعتها إلى الدخول فى مفاوضات لتعديل الامتياز تعديلاً يزيل الغبن اللاحق بإيران وينصفها، فمأطلت الشركة وسوفت فصبرت عليها حتى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٢ ففى ذاك اليوم أمر الشاه الوزراء حينما دخلوا عليه يعيدون فى عيد (صاحب الزمان) أن يعقدوا جلسة قصيرة، ويقرروا إلغاء امتياز دارسى فصدعوا بالأمر، وأرسل وزير المالية فى اليوم نفسه كتاباً إلى مدير الشركة يبلغه خبر الإلغاء رسمياً ويقول له: أن الحكومة مستعدة للدخول فى مفاوضات جديدة مع الشركة لمنحها امتيازاً جديداً إذا شاءت.

وقد كان لإلغاء الامتياز على هذا المنوال تأثير عظيم فى الشعب الفارسى. فأقام الزينات، وظل فى سرور وحبور مدة ثلاثة أيام، كما أنه من الجهة الأخرى أقام لندرة وأقعدھا. فهددت صحفها إيران وتوعدتها وقيل إن الأمر صدر إلى بعض وحدات الأسطول الإنكليزى بالسفر إلى الموانئ الفارسية وقيل إن تآهبات جرت لحمل إيران على الرجوع عن قرارها. فلم يزل يتردد ذلك إلا إصراراً. وأخيراً اقترحت إنكلترا أن يعرض الخلاف على جمعية الأمم للبت فيه باعتباره خلافاً بين دولتين من الدول الداخلة فى الجمعية (أى إنكلترا وإيران) فأبى الإيرانيون إقرار ذلك واقترحوا أن يعرض على محكمة العدل الدولية فى لاهاى باعتباره بين دولة وأحد الرعايا الأجانب الحائزين على امتياز فى بلادها، ولما عرض الخلاف على مجلس جمعية الأمم يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٣٣ دعا المجلس الفريقين إلى الدخول فى

مفاوضات لحل الخلاف ودياً، وأجل الفصل فيه ريثماً تقتزن هذه المفاوضات
بنتيجة حاسمة.

وعلى أثر صدور هذا القرار ووثوق الشركة من ثبات إيران وحزمها وعزمها
سافر مديرها (السرجون كادمن) إلى طهران فاجتمع مع ممثلى الحكومة
الإيرانية، ووقع معهم يوم ٣ مايو سنة ١٩٣٣ اتفاقاً جديداً ضمن للحكومة
الإيرانية مزايا عظيمة ونحن نوجز شروط الاتفاق الجديد مع مقابلتها بالشروط
القديمة :

١ - دفعت الشركة للحكومة الإيرانية مليون جنيه مقابل المتأخر لها من الأرباح.

٢ - كانت الشركة تدفع للحكومة الإيرانية بموجب نظام الامتياز القديم ١٦ فى
المائة من صافى أرباحها فصار عليها أن تدفع بموجب الاتفاق الجديد :

(أ) أربع شلنات عن كل طن صدر إلى الخارج ويصدر بعد الآن.

(ب) تتعهد الشركة بأن تضمن دخلاً لإيران من هذه الضريبة لا يقل عن ٧٥٠
ألف جنيه سنوياً.

(ج) تدفع الشركة للحكومة ٢٠ فى المائة من صافى الأرباح السنوية. ابتداء من
سنة ١٩٣٢ بعد خصم ٥ فى المائة تدفع للمساهمين وذلك طول مدة الامتياز.

(د) تدفع الشركة للحكومة ضريبة الدخل طول مدة الامتياز طبقاً للقوانين
الفارسية، وما كان دخل الحكومة فى السابق من الشركة يزيد عن ٢٠٠ ألف
جنيه ويقدر الآن بمليون ونصف مليون سنوياً.

٣ - أنقصت مساحة الأراضى التى يشملها الامتياز من ٥٠٠ ألف ميل مربع إلى
١٠٠ ألف ميل مربع، وللحكومة أن تتصرف فى الأراضى التى تركت لها.

٤ - اعترفت الشركة للحكومة بحق التفتيش المطلق ومراقبة أعمالها، وقبلت أن
تعين الحكومة وكيلاً لها فى لندن تسهياً لمراقبة الأعمال، وما كان لذلك أثر فى

الامتياز القديم.

٥ - تعهدت الشركة بأن تخفض سعر الزيت الذى يباع فى إيران فيباع بأرخص تعريفة.

٦ - تعهدت الشركة بعدم استخدام أجانب فى أعمال الشركة إلا الفنيين.

٧ - تعهدت الشركة بأن تدفع نفقات بعثة ترسلها الحكومة الإيرانية إلى إنكلترا للمتخصص فى فن النفط واستخراجه.

وعملاً بهذا الاتفاق دفعت الشركة للحكومة فى شهر يوليو الماضى أربعة ملايين جنيه.

تيمورطاش والطباطبائى - لابد لنا من الإشارة - ونحن ندون أعمال جلالة الشاه العمرانية فى إيران ونسجل إصلاحاته - إلى حادثين لهما صلة وثيقة بتاريخه :

أما الحادث الأول فيختص بالسيد ضياء الدين الطباطبائى، ولا يخفى أن رضا خان حمل الشاه أحمد قاجار حينما احتل طهران فى سنة ١٩٢١ على تأليف الوزارة برئاسة صديقه هذا فألفت كما أراد. ودخل هو وزيراً للحربية - وهى المرة الأولى التى استوزر فيها - وقد عمرت هذه الوزارة أربعة أشهر فقط، ثم أسقطها رضا خان وقامت مقامها وزارة أخرى أسقطها واحتفظ بوزارة الحربية فى الوزارتين كما احتفظ بها فى الوزارات التالية :

ولم تطل إقامة السيد الطباطبائى بعد ذلك فى إيران بل غادرها مكرهاً، فنزل فى سويسرا واختارها دار إقامة له وهو يتناول راتباً شهرياً من الحكومة الفارسية ولا يسمح له بالرجوع إلى بلاد آبائه وأجداده.

أما الحادث الثانى فهو حادث عبدالمحسن خان تيمورطاش وزير البلاط البهلوى من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣٣ ويد رضا خان اليمنى ومشيره الأكبر

وأحد الأفاضال الذين ساعدوه فى تحقيق مشروعاته وبلوغه مابله، فقد فوجئ الناس فى شهر يناير من سنة ١٩٣٣ بخبر اعتزاله الحكم وهو فى إبان سطوته ومجده، ثم قيل لهم إنه قبع فى بيته فلا يخرج منه ولا يسمع له بمفادرتة ولا بالاجتماع إلى أحد، ثم قالوا إنه نقل إلى قصر القاجاريين القديم وقد اتخذ الشاه الجديد سجناً لرجال السياسة الممتازين. ثم أعلن رسمياً أنه قدم إلى المحاكمة فوقف فى شهر مارس فى ساحة محكمة (عمال الدولة) ليحجب على التهم التى اتهم بها وهى الرشوة والاختلاس والاحتياال وبعد محاكمة قصيرة، وكانت سرية ظلت تفاصيلها مجهولة، أصدر القاضى قراره بسجنه ثلاث سنين حبساً بسيطاً مع تجريدة من جميع رتبه ومن الحقوق المدنية لأنه ارتشى بمبلغ مائتى ألف ريال وبإعادة هذا المبلغ، وكذلك أصدر قراراً آخر يسجنه سنتين أيضاً حبساً تأديبياً بتهمة الاحتياال والتلاعب، واسترداد ٣٨٥٠٢٠ طومانا حازها بالتلاعب والاحتياال.

وهكذا كانت خاتمة هذا الرجل الذى أدار دفة السياسة الإيرانية خلال سبع سنوات، وكان رسول الشاه فى المهمات العظمى إلى أوروبا ودماغ إيران المفكر.

والواقع أن جلالة الشاه أقصى عن الحكم كبار رجال الدولة الفارسية الذين ظهروا فى العهد السابق واشتغلوا فيه أو الذين ساعدوه فى أوائل عهده فلم يلمع نجم أحد، ولم يشتهر اسم رجل إلا وحفرت له حفرة. فالجنرال حبيب الله الشيبانى مدوخ الثورة القشقانية فى كرمان والجنرال الفولادى الذى أبلى بلاء حسناً فى إخضاع الأكار وغيرهما أعدموا سرّاً كما أعدم غيرهم من رجال الجيش والدولة.

نشر العلم - أنشأ جلالته فى عاصمة بلاده مدرسة للحقوق وأخرى لتدريس العلوم السياسية إلى جانب المدرسة الحربية، يضاف إلى هذا اهتمامه الزائد بنشر التعليم الابتدائى والثانوى وتأسيسه لذلك المدارس فى جميع أنحاء البلاد لتهديب الشعب وتثقيفه. كما عنى عناية عظيمة بالشؤون الاقتصادية والصناعية فارتقت البلاد من هذه الناحية ارتقاء مشهوداً.

نظام الحكم في إيران

انصرف الملوك القاجاريون في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر إلى اللهو والقصف مهملين مصالح البلاد فاتحين أبوابها للأجانب، يهبونهم الامتيازات الاقتصادية والسياسية بدون حساب، فساء ذلك عقلاء الشعب وقادته فعملوا للإصلاح، ولما عجزوا نادوا بالثورة توصلاً لإنشاء حكومة دستورية تقيّد سلطة الشاه وتضع حداً لتصرفاته السيئة، وكانت ثورتهم أول ثورة على النظام الاستبدادي في الشرق فوقعت بينهم وجند الحكومة في أسواق طهران وفي المسجد الجامع معارك شديدة سقط فيها بعض زعمائهم صرعى، وأخيراً لجأ عدد كبير من أنصار الحركة الدستورية إلى دار السفارة البريطانية. قيل إن عددهم بلغ اثني عشر ألفاً، ولم يغادرها إلا بعد ما أعلن الشاه مظفر الدين ابن الشاه ناصر الدين الدستور يوم ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ (١٩٠٦) وأقال الحكومة القديمة وقلد الحكم زعماء الثورة، ومن ذلك اليوم دخلت إيران في عداد الدول الدستورية.

وفي ١٧ شعبان من تلك السنة اجتمع أول برلمان إيراني في مدرسة دار الفنون فاقر النظام الأساسي (الدستور).

وحاول الشاه محمد علي خان سنة ١٩٠٩ إلغاء النظام الجديد والرجوع بالبلاد إلى النظام الاستبدادي القديم فلقى مقاومة شديدة وانتهى الأمر بخلعه وإخراجه فلجأ إلى روسيا ثم إلى تركيا، وخلفه ابنه أحمد خان، وكان صغيراً، وفي زمنه ظهر رضا خان وقبض على زمام السلطنة. ثم أشار له بمغادرة إيران فغادرها في شهر نوفمبر سنة ١٩٢٣ إلى باريس ومات هنالك.

ولاتزال إيران من الوجهة النظرية تحكم حكماً دستورياً نيابياً، ديمقراطياً فهنالك مجلس النواب، ويسمونه (مجلس الشورى الملى الإيراني) يجتمع في

دورات منظمة ويتناقش في المشروعات والقوانين ويصدقها. أما الحقيقة فهي أن الشاه يحكم البلاد حكماً دكتاتورياً عسكرياً وإرادته هي العليا، وهي مصدر كل سلطة في الدولة.

علاقاتها السياسية والدولية

علاقاتها مع روسيا - كان أول فوز سياسي نالته إيران على يد رضا خان بهلوى هو المعاهدة التي عقدها مع روسيا في موسكو يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ فقد تنازل الروس بهذه المعاهدة عن جميع امتيازاتهم القديمة في بلاد الفرس وعن امتياز البنك الإمبراطوري، واعترفوا باستقلال إيران التام وألغوا جميع المعاهدات القديمة ونزلوا عن كل دعوى لهم في منطقة النفوذ.

وفي يوم أول أكتوبر سنة ١٩٢٧ وقعت معاهدة حياد وتحالف دفاعي بين فارس وروسيا في موسكو. تتألف من ٨ مواد وبروتوكولين. تعهدت فيها هاتان الحكومتان بالمقابلة باجتناوب كل اعتداء أو غارة على الحدود والامتناع عن عقد أى تحالف مع أى دولة أجنبية ضد الأخرى، والتزام جانب الحياد في حالة اعتداء دولة أخرى.

وجاء في البروتوكولين أن التعهدات التي تتعهد بها حكومة فارس بموجب هذه المعاهدة لاتناقض تعهداتها بصفتها عضواً في جمعية الأمم.

علاقاتها مع الإنكليز - ما برحت العلاقات السياسية بين إنكلترا وإيران منذ رفض البرلمان الفارسي معاهدة الحماية في سنة ١٩٢٠ وأبى إقرارها، عرضة للطوارئ المختلفة، ولقد سعى الإنكليز كثيراً في خلال هذه المدة لتنظيم علاقاتهم بإيران فلم يوفقوا، ولاتزال الحالة معلقة بينهما.

علاقاتها مع الأفغان - عقدت أول معاهدة فى العهد الجديد بين إيران وأفغانستان يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٣ وهى مصدرة بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وبقوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا». وتليها مقدمة تنص على أن المعاهدة عقدت تحكيمياً للجامعة الإسلامية والروابط العنصرية وروابط الجيرة والود، وأن أمير الأفغان عين السردار عبدالعزیز خان من قبله. كما عين جلالة الشاه ناظر خارجيته حسن محتشم السلطنة.

وتنص المادة الأولى على إنشاء روابط صداقة وود وعلاقات حسنة بين حكومتى إيران وأفغانستان وبين شعبيهما، وتنص المواد الأخرى على تبادل السفراء والمعتمدين واحترام رعايا الفريقين فى بلديهما، وتبعية كل منهما لقوانين المملكة التى يقيمون فيها، واعفائهما من الخدمات النظامية، وتبادل المجرمين الذين يفرون إلى بلاد أحد الطرفين باستثناء المجرمين السياسيين، وتحكيم العلاقات الودية والروابط التجارية بتنفيذ العهود والمقررات الخاصة بهما، ووجوب اجتناب أحد الفريقين تسهيل أسباب انتصار دولة ثالثة محاربة لأحدهما بالتزام قوانين الحياد، وحل كل ما يقع من الخلاف طبقاً لقواعد الحقوق الدولية.

ولما زار أمان الله خان طهران فى شهر يونيو سنة ١٩٢٨ قادماً من الآستانة عقد مع حكومة طهران ميثاق ضمان وعدم اعتداء كالميثاق الذى عقده مع الترك فاككتفينا بالإشارة إليه هنا.

علاقاتها مع تركيا - سبقت الإشارة إليها.

علاقاتها مع العراق - سبقت الإشارة إليها

علاقاتها مع مصر - سبقت الإشارة إليها.

علاقاتها مع البلاد العربية - ودية ولم تنظم حتى الآن.

أفغانستان

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

أفغانستان هي إحدى الحكومات الإسلامية الكبرى في آسيا الوسطى وهي تتمتع باستقلال تام ناجز.

ويحدها من الشمال الفرس، ومن الشرق بخارى، ومن الغرب والجنوب الهند وتبلغ مساحتها السطحية ٥٥٨ ألف كيلو متر مربع. ويبلغ عدد سكانها كما جاء في إحصاء أفغانى رسمى نشر سنة ١٩٣٢ أثنى عشر مليوناً. يضاف إليهم ستة ملايين أفغانيين يقيمون في الهند، وجميعهم مسلمون سنيون يتدينون على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان، ولايستثنى منهم سوى أقلية صغيرة تتعبد على مذهب الإمام الشافعى ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا يوجد فيها مسيحيون وإنما هنالك نحو ٣٠٠٠ يهودى تقطن أكثريتهم هرات.

وعاصمتها كابول، ومن أعظم مدنها هرات وقندهار وجلال آباد.

وأفغانستان بلاد جبلية، وسكانها أشداء متمسكون بدينهم وقوميتهم معتصمون بجبالهم وصياصيههم لم يعرفوا الخضوع للأجانب ولم يعتادوا عليه. واللغة التى يتكلمها الأفغانيون هي «بشتو» مشتقة من الآرية القديمة ويتكلم أهل الشمال لغة الجغطاي «التركية القديمة».

واللغة الفارسية أيضاً منتشرة في أفغانستان وهي لغة الحكومة والدواوين والأدب، وكذلك فهنالك كثيرون - وخصوصاً العلماء يعرفون اللغة العربية - وهي لغة الدين.

ولأفغانستان جيش قوى منظم يعتمد عليه، ويبلغ عدده في زمن السلم نحو ٥٠ ألفاً من المشاة ونحو ٢٠ ألفاً من الفرسان ولديه مدفعية قوية.

وأفغانستان بلاد زراعية لاتزال تسير في أعمالها على النظم القديمة، وحالتها الاقتصادية والتجارية متأخرة بالنسبة للبلاد الأخرى.

والشريعة الإسلامية هي دستور الحكم في بلاد الأفغان وملكها اليوم هو جلالة الشاه محمد نادر خان بن يوسف. وهذا رسمه :



الملك (الشاه محمد ناور خان) ملك أفغانستان

الشاہ محمد نادر خان

ملك أفغانستان

مولده ونشأته

هو محمد نادر بن محمد يوسف بن محمد يحيى بن سلطان أحمد بن باينده محمد. ولد في كابل يوم ٩ أبريل سنة ١٨٨٣.

وهو وأمان الله خان الملك السابق من عائلة واحدة، ويجتمعان في الجد الرابع فأمان الله هو ابن حبيب الله بن عبدالرحمن بن محمد أفضل بن دوست محمد بن باينده محمد.

درس القراءة والكتابة في صغره على أساتذة ومؤدبين جئ له بهم. ولما بلغ العشرين من سنيه (سنة ١٩٠٣) دخل الجيش في عهد المرحوم الأمير عبدالرحمن خان برتبة أميرالاي وبعد ذلك بسنتين - أي في سنة ١٩٠٥ منح رتبة غند مشرى، وفي سنة ١٩٠٨ رقى إلى رتبة جنرال وفي سنة ١٩١١ رقى إلى رتبة نائب سالارى، ومنح نشان سردار وفي سنة ١٩١٣ عين وزيراً للحربية في عهد الأمير حبيب الله، ومنح رتبة سبه سالارى، وعهد إليه في تنظيم الجيش الأفغانى طبقاً للأصول الحديثة وتنسيقه وتدريبه.

واستبقاه أمان الله في منصبه هذا حينما ولى الحكم سنة ١٩١٩ ولما أعلن الحرب على الإنكليز في شهر مايو من تلك السنة عينه قائداً عاماً للجيش الزاحف على الهند (حرب الاستقلال) ففاز وانتصر واستقبل استقبال القادة العظماء حين رجوعه إلى كابل، وأمر أمان الله بإقامة أثر تذكارى لتلك الحرب فنصب في إحدى ساحات كابل ونقش عليه بالفارسية ما ترجمته :

«أقيم هذا البناء تذكراً لورود المجاهد الكبير، الوطنى الأوحى محب الأمة

حضرة محمد نادر خان سبه سالار، الباسل، الذى فازت الأمة الأفغانية باستقلالها وحريتها التامين على يده، واستردهما بقوة سيفه من الإنكليز فى سنة ١٢٩٨ شمسى هجرى».

وما كاد يستقر به المقام حتى أرسل إلى الانحاء الشرقية للنظر فى أمورها وفى سنة ١٩٢٠ عين رئيساً للجنة الإصلاحية المرسلة إلى قطن و بدمشان فنظم الإدارة الملكية والشؤون العسكرية على أفضل منوال. وفى سنة ١٩٢٣ استقال من وزارة الحربية لخلافه مع أمان الله خان على السياسة الداخلية. وفى سنة ١٩٢٤ عين سفيراً لحكومته فى باريس. فسافر إليها، وفى يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٦ استعفى نهائياً من هذا المنصب وقصد إلى نيس (جنوب فرنسا) فأقام فيها مستشفياً حتى سنة ١٩٢٨ وغادرها حينما نشبت الثورة فى بلاده فقصد بمبائى، ومنها جاء بيشاور، ومن هذه دخل الحدود الأفغانية، وبدأ العمل فوفق وفى يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٩ نودى به ملكاً لافغانستان.

كيفية يقضي يومه؟

ينهض في الساعة الرابعة صباح كل يوم أو قبل ذلك. فيتوضأ ويصلي ويقرأ جزءاً من القرآن. ثم يتناول طعام الصباح وينظر في شؤون الدولة.

وفي القصر الملكي في كابول مؤذن خاص للأذان وإمام خاص لجامع القصر يؤدي الصلوات في أوقاتها. فإذا أذن الظهر جاء الشاه إلى الجامع فأدى الصلاة وكثيراً ما يتولى الإمام بدلاً من الإمام إذا غاب أو تأخر، فيصلي الحاضرون وراءه جماعة، وقل مثل ذلك عن بقية الفروض المكتوبة فهو يؤديها في أوقاتها المقررة جماعة.

ويتناول طعام الغداء بعد صلاة الظهر في قاعة المائدة، ويأكل الموجودون في القصر على المائدة الملوكية، ويأكل معه أيضاً ثمانية من أفراد الجند يمثلون إحدى الأورط الأفغانية، وقد سار من عهد بيعته على هذه الخطة، وذلك أنه أصدر أمراً إلى وزارة الحربية بأن تنتدب كل يوم ثمانية من الجنود يمثلون أورطة لتناول طعام الغداء معه، وعملاً بأمره يصل هؤلاء ويختارون من الأورط بالمناوبة.

ويستريح بعد الطعام في الجناح الخاص به في القصر حتى أذان العصر فيؤدي المكتوبة جماعة، ثم ينظر في مآلديه من الأعمال حتى أذان المغرب فيصلي جماعة ويجلس مع زائريه حتى صلاة العشاء وينام بعدها.

ولاتفارقه سجادة الصلاة ولا المؤذن إذا خرج للنزهة في الضاحية أو سافر إلى إحدى الجهات القريبة أو البعيدة. فإذا حل وقت الصلاة توقف إذا كان ماشياً أو وقفت السيارة إذا كان راكباً. فينزل ويتوضأ ويصلي ولا يؤخر أداء الفريضة دقيقة واحدة.

أسرته - تزوج وهو شاب بابنه عمه. فولدت له غلاماً ذكراً هو محمد ظاهر

خان سنة ١٩٠٤ وقد درس فى المدرسة الحربية فى كابول ثم لحق بوالده حينما كان سفيراً فى باريس. فدرس اللغة الفرنسية والعلوم العصرية فى معاهدها، ويرجى أن يكون ولى عهد الدولة الأفغانية، وإن كان نظام ولاية العهد لم يقرر حتى الآن فى تلك البلاد.

ولم يتزوج محمد نادرخان زوجة أخرى، وعادة تعدد الزوجات غير معروفة كثيراً عند الأفغانيين.

ثروته - لايمك محمد نادر خان ثروة كبيرة، وهو يعول على راتبه الذى يتقاضاه من خزينة الدولة. وقد بنى فى الأرض التى ورثها عن والده مصحة للمسؤولين، ووقف عليها أملاكه الخاصة لتظل أبوابها مفتحة على الدوام.

علومه - يتكلم الفارسية والأفغانية، وقد تعلم الفرنسية مدة إقامته فى فرنسا وهو يفهم العربية والإنكليزية، ويشارك فى بعض العلوم المعقولة والمنقولة. فضلاً عن تضلعه فى العلوم العسكرية وعلوم الشريعة، ويعد من كبار أبطال أفغانستان ومن فرسانها المغاوير.

أوصافه - هو طويل القامة، كبير الجثة، أسمر اللون، ذو لحية كثة مستديرة، فصيح اللهجة، طلق اللسان، مهيب الطلعة، وقور.

أخلاقه - لين فى شدة، وتواضع فى حزم، وإقدام وجراة وشجاعه. ألف خوض المعامع وركوب الأهوال، محبوب، ذكى، تقى، دين، اشتهر بالمحافظة على أحكام الدين، كريم وهاب، محب للعدل، لايفرق بين كبير وصغير فى الحق، ميال إلى الإصلاح، عامل على إدخاله تديجاً إلى بلاده بما يتناسب مع أخلاقها وعاداتها.

مصيغه - أعتاد جلالته فى السنتين الأخيرتين أن يقضى فصل الصيف فى قرية باغمان على مقربه من كابول. فينتقل إليها من أول الموسم بأسرته. أما الحكومة فتظل فى كابول تدير شؤون البلاد، ولم يؤذن لها بالنقلة كما كان الأمر فى العهد السابق اقتصاداً فى النفقات.

كيفية ارتقي العرش؟

لما ثار بجه سقا على حكومة أمان الله خان في أواخر سنة ١٩٢٨ كان محمد نادر خان في جنوب فرنسا مع نجله، منصرفاً إلى العناية بصحته، وكان قد اعتزل السياسة واستقال من خدمة الحكومة لخلاف بينه وبين ابن عمه أمان الله. فقد كان يرى أنه تسرع كثيراً، وأن إصلاحاته لا تتفق وعادات البلاد وتقاليدها، فغادر نيس وجاء إلى بمباي ومنها إلى بشاور، وهو خالي الوفاض، بادي الانفاض، لا يملك شيئاً من المال، فقدم له تاجر هندي مسلم عرف خبره ٥٠٠ روبية يستعين بها في أموره، وهي كل ما كان يملكه من مال حينما نزل بلاد فوست من أفغانستان.

ومهد له سبل الفوز والنجاح، بالإضافة إلى شهرته الطائرة وصيته الذائع، إزماع أمان الله السفر إلى أوروبا، على أثر تنازله عن العرش، حيث يعيش مرتاحاً مطمئناً يتمتع بما لديه من ثروة عظيمة، وانصراف بجة سقا أمير أفغانستان الجديد إلى السلب والنهب وإراقة الدماء، ونفرة الرأي العام من أعماله واتجاهه إلى المترجم له لأنه القادر على إنقاذ البلاد.

وتظاهر نادر خان بالميل إلى أمان الله في ابتداء هذه الرحلة وقال لبعض الصحافيين الذين قابلوه إنه لا يزال يدين له بالإخلاص، ويعمل لإعادته إلى العرش. ولما وصل أمان الله إلى الحدود أمر وكيله التجاري في بشاور بأن يمدّه بالمال ليستعين به في حركته الجديدة، وقد كان خالي اليدين منه كما رأينا وليستميل رجل القبائل، ورجال القبائل الأفغانية لا ينقادون إلا لمن يكثرلهم العطاء - بعد أن يأخذ منه عهداً بأن يقدم العرش - إلى الملك أمان الله أو نجله رحمه الله أو أخيه.

وذلل مال أمان الله له الصعاب، وراض له الجامع من القبائل. فأقبلت عليه

وانقادت إليه، وفي مقدمتها قبائل الفريدي والمهمند والمسعودي والوزيرى، وهى أشجع القبائل الأفغانية وأكثرها نفراً وأعظمها قوة.

ورأى أن يستميل قبيلة غلزه، وهى من القبائل الكبرى أيضاً، وكانت تشد عضد بجه سقا وتؤيده دون القبائل الأخرى، فأرسل إليها ٩٠ سيدة من نساء قبيلته تحمل كل منهن مصحفاً. فقلن لشييوخها بلسان نادر خان «عار عليكم أن تخضعوا لرجل سافل مجهول النسب كان يعيش عيشة اللصوصية وتتخلوا عن نادر خان، وقد عرفتم مقامه وشجاعته وحسن بلائه فى الحرب الإنكليزية الأفغانية. يقول لكم نادر خان إننى أحبكم وأعدكم إخوانى وأثق بشهامتكم ومروءتكم، ولولا ذلك لما أرسلت اليك الحرائر من نساء قبيلتى، وأدعوكم إلى نصرتى فى جهادى لإنقاذ البلاد. وإذا كنتم لاتستطيعون ذلك فأطلب إليكم البقاء على الحياد على الأقل».

فكان لعمله هذا التأثير المطلوب فأقلعت قبائل غلزى عن تأييد بجه سقا ومساعدته ورفضت أن تمده بثلاثة آلاف جندى طلبها منها. فكان رفضها أول فوز مادى ناله نادرخان بعد حصوله على المال من أمان الله.

وأخذ نادر شاه بلده على خيل الواقعة قرب حدود الهند مقراً له وقد وافاه إليها أخواه شاه محمود خان وشاه ولى خان، وأخذ يعد المعدات لمنازلة بجه سقا، يساعده مسلمو الهند - وقد كبر عليهم أن يؤول أمر أفغانستان إلى ما آل إليه من التفرقة والشتات وأن يجلس على عرشها لص سفاك - ويؤيده عقلاء الأفغان وشييوخهم وكبارهم لثقتهم به، ولأنهم أدركوا أنه القادر على إنقاذ بلادهم، ويلتف حوله أنصار أمان الله، وقد كانوا يعتقدون أنه يعمل لمصلحة سيدهم. وهكذا بدأ يحشد القوى ويعد المعدات لضرب الضربة القاضية. وفى أواخر شهر سبتمبر من سنة ١٩٢٩ قرر الهجوم على كابول واحتلالها والقضاء على عهد ابن السقا، وأعد لذلك ثلاثة جيوش قاد أحدها أخوه شاه ولى خان فرحجف بطريق وادى

لوغر، وقاد الجيش الآخر أخوه شاه محمود خان وزحف بطريق تمرؤيز. وتولى بنفسه قيادة الجيش الثالث، وكان بمثابة احتياطى للجيشين اللذين تقدموا للعمل وفى يوم ٩ أكتوبر دنا الجيشان من كابول من دون مقاومة تذكر، وفى الساعة الرابعة من صباح ١٤ منه دخلها جيش ولى شاه واختفى بجه سقا وتلاشت قواه، وسلمت المدينة للفتح الجديد، ويجب أن لانسى ما كان لأبناء كابول - أنصار الحركة الجديدة - من فضل فى تعجيل النصر فقد بثوا الاضطراب فى نفوس أنصار بجه سقا، وألقوا الخوف والذعر فى قلوبهم فلم يثبتوا ولم يقاوموا.

وتناقلت السنة البرق بشرى فوز نادر خان ودخوله كابول. فقال أمان الله - وكان فى رومية للصحافيين الذين جاءوه يسألونه رأيه - «لقد تلقيت الآن بشرى سقوط كابول، ولا أعلم إن كان نادر خان استولى عليها باسمه أو باسمى. لقد كان دائماً من أتباعى المخلصين، فليس لدى أى شك فى إخلاصه. ومع ذلك فيسرنى أن أكون وزيراً مفوضاً أعمل فى خدمته فى إحدى العواصم الأوربية».

وأسرع أمان الله فأرسل إلى نادر خان البرقية الآتية :

«أهنتك أنت وجميع الذين سجلوا أسماءهم فى التاريخ بإحرازكم هذا الانتصار الباهر».

اجتماع الجمعية الوطنية

وفى يوم ١٥ أكتوبر وصل نادرخان إلى كابول. فدخلها دخول الظافرين فاجتمع على الأثر عدد من رؤساء القبائل وكبارها النازلين فى العاصمة من المهمند والشنوارى وحيدران وسليمان خيل وخوغيانى وقندهارى بشكل جمعية وطنية فى ميدان العاصمة الأكبر، وبعد ما بحثوا فى الحالة، وفيما يجب عمله

أختاروا نحو ٤٠ منهم ذهبوا فقابلوا نادر خان فسألوه: هل يوافق على إنشاء حكومة مركزية أم يفضل أن تستقل كل قبيلة في بلادها فلا تكون لها صلة بحكومة كابول؟ فقال أنه يفضل الشق الأول ضنا بوحدة البلاد.

فقالوا له: إن كنت تريد ذلك فيجب قبل كل شيء أن تذكر بأن أمان الله خان أراد حكم البلاد بنظام أفرنجي ففرض ضرائب كثيرة على الأهليين، وأدخل نظام التجنيد الإلزامي، وأحدث أموراً كثيرة مانفعت البلاد شيئاً وإنما حرمته عرشه. نعم إنها درت أموالاً على خزينة كابول أنفقها الملك على السفارات الأفغانية في العواصم الأوروبية من دون أن تفيد البلاد فائدة تذكر. فإذا كنت تريد إنشاء حكومة مركزية فيجب عليك أن لاتقع في ما وقعت فيه الحكومة السابقة. فالشعب الأفغاني لا يريد أن ينهبه موظفو الحكومة المركزية.

فأجابهم إلى طلبهم ووعدهم بأن يسير في السبيل الأقوم ولايقع في ما وقع فيه سلفه. فبايعوه بالملك وأظهروا له الطاعة والانقياد.

أول بلاغ رسمي - وهذا نص البلاغ الرسمي الأول الذي أذاعته وزارة الخارجية الأفغانية يوم ١٦ أكتوبر باللاسلكي على حكومات العالم بقيام العهد الجديد :

«إن الوزارة الأفغانية تتشرف بإعلامكم أن المرشال محمد نادر خان دخل العاصمة الأفغانية يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٢٩ وقد اعترف نواب الشعب الموجودون في العاصمة بإخلاصه العظيم لبلاده وخدماته الجليلة لها. فانتخبوه ملكاً وقدموا له الخضوع التام والطاعة الصادقة».

الحكومة الجديدة

وآلف نادر شاه على الفور حكومة. فعين أخويه شاه ولي خان نائباً للملك وشاه محمود خان وزيراً للحربية.

جوابه لأمان الله - وبعد ما انتهت البيعة وجلس على الأريكة أرسل إلى أمان الله برقية جوابية قال فيها «قبلت العرش لأن الشعب الأفغانى أجبرنى على قبوله، وأؤكد لكم أننى باذل أقصى جهدى لتحقيق أمنيتكم، وهى ترقية البلاد وإيقاظها ولن أنسى والشعب الأفغانى جليل خدماتكم».

وكذلك فقد صرح لبعض مكاتبى الصحف الذين قابلوه فى كابول يومئذ بأنه لم يعد إلى أفغانستان ليجلس على العرش. بل لينقذ البلاد. وقال إنه يأمل أن يسير بها فى طريق التمدن، وهو ينوى أن ينشئ المدارس ويوسع نظام المعارف وينشئ سككاً حديدية ويعبد الطرق ويفتح المصانع.

وقال من حديث آخر : لست من أنصار بريطانية ولا من أنصار روسيا، وإنما أنا لأفغانستان، ولأفغانستان وحدها.

أول منشور للملك الجديد - وأول منشور إنذاعة الملك الجديد نص على منع شرب الخمر وعقاب شاربها طبقاً لأحكام الشريعة. وقال إن كل موظف يوجد ثملاً يعزل ويعاقب، وذكر أن البلاد ستحكم بالشريعة الإسلامية طبقاً لمذهب الإمام أبى حنيفة النعمان.

عقده

فى ليلة ٢٠ فبراير سنة ١٩١٩ قتل الأمير حبيب الله خان (أمير أفغانستان) غيلة فى جلال آباد، فخلفه نجله الثالث أمان الله خان. فاستل سيفه يوم ٧ مايو من تلك السنة فى الميدان العام أمام جمهور من أقطاب الأمة وأعيانها، وأعلن أنه لا يعيده إلى قرابه حتى يعيد لبلاده استقلالها وسيادتها التامة، ثم أرسل على الفور إنذاراً إلى الحكومة البريطانية يطلب إلغاء معاهدة راوول بندى المعقودة مع جده الأمير عبدالرحمن سنة ١٨٨٣ وقد تنازل فيها عن سيادته الخارجية للإنكليز يمارسونها مقابل راتب سنوى قدره ١٨٥٠٠٠٠ روبية.

ولما رفض الإنكليز إجابته إلى طلبه أعلن الحرب عليهم، وأمر جيشه بقيادة السردار محمد نادر خان بمنازلتهم فوقعت معارك قصيرة انتهت بإجابة حكومة الهند الحكومة الأفغانية إلى مطلبها. فاجتمع مندوبو الفريقين فى راوول بندى يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ ووقعوا المعاهدة الآتية :

١ - ينادى بالصلح بين الحكومة البريطانية والحكومة الأفغانية من تاريخ إمضاء هذه المعاهدة.

٢ - نظراً إلى الأحوال التى أدت إلى وقوع الحرب الحالية بين البريطانيين والأفغانيين تروم الحكومة البريطانية أن تعرب عن استيائها، وذلك بحرمان حكومة أفغانستان ما كان لأمرائها السابقين من مزية استيراد السلاح والذخيرة وسائر المهمات العسكرية بطريق الهند.

٣ - تحجز الحكومة البريطانية ما هو متأخر عند حكومة الهند من راتب أمير أفغانستان.

٤ - وفى الوقت عينه ترغب الحكومة البريطانية فى إعادة علاقات المودة القديمة بين الحكومتين، وتشترط لذلك أن تقدم الحكومة الأفغانية الضمان

وتقييم البيئة على حسن نيتها وإخلاصها. وفى هذه الحالة تقبل الحكومة البريطانية أن ترسل إلى أفغانستان بعد ستة أشهر من تاريخ هذا العقد بعثة أخرى للبحث فى الأمور والمصالح المشتركة التى تهم الحكومتين والاتفاق عليها وتوطيد الصداقة القديمة على قواعد متينة. وتسلم حكومة أفغانستان بمقتضى هذا العقد بالحد الفاصل بين الهند وأفغانستان كما قبله الأمير المتوفى، وتقبل أن تتولى لجنة بريطانية تحديد حد خيبر الغربى الذى لم تعين تخومه قبلاً حيث وقع الاعتداء الأخير من جانب الأفغان، وتقبل الحد الذى ترسمه اللجنة المذكورة، ويظل الجنود البريطانيون فى مواقعهم الحالية على الجانب الأفغانى من هذا الحد إلى أن يتم تعيين التخوم.

ومثل بريطانيا فى عقد المعاهدة السر هملتن غرنت، ومثل الأفغان السيد أحمد على.

المعاهدة الإنكليزية - الأفغانية الثانية

وعملأ بما جاء فى هذه المعاهدة اجتمع مندوبو الفريقين فى كابول ووقعوا يوم نوفمبر سنة ١٩٢١ على معاهدة صداقة وولاء بين إنكلترا وأفغانستان اعترفت فيها إنكلترا بالاستقلال التام لأفغانستان، وتعهدت بأن توافق على مرور السلاح إليها بطريق الهند ما دامت متأكدة أن مقاصدها ودية، وأنه ليس هنالك خطر مباشر على الهند من هذا النقل.

المعاهدة الأفغانية - الروسية

واتجهت أنظار الأمير بعد ماتم له هذا الفوز فى السياسة الخارجية إلى تنظيم علاقاته مع دول الشرق والغرب. فعقد معاهدة مع روسيا السوفياتية يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٢١ وقد نصت المادة الأولى منها على اعتراف كل حكومة باستقلال الأخرى، والوعد باحترام استقلالها وبالارتباط معها بصلة منظمة، وقالت المادة الثانية إن كلا من الحكومتين المتعاقدين تتعهد باجتناح عقد كل اتفاق سياسى أو عسكرى مع دولة أخرى يضر بمصلحة الفريق الثانى. ونصت المادة الثالثة على حقوق الممثلين السياسيين والقناصل والامتيازات التى يتمتعون بها بالمقابلة. وجاء فى المادة الرابعة أن حكومة الجمهورية الروسية تنشئ خمس قنصليات فى أفغانستان مقابل سبع قنصليات تنشئها هذه فى روسيا، ولا يدخل فى ذلك القنصليات الخمس الواقعة على الحدود الروسية فى أسيا الوسطى. وجاء فى المادة السابعة أن الفريقين المتعاقدين متفقان على تحرير الشعوب الشرقية وأن مبدأ استقلالها يجب أن يكون أساس الرغبة العامة لكل شعب. وقالت المادة الثامنة إنه عملاً بالمادة السابعة فالفريقان المتعاقدان يعترفان باستقلال بخارى وخيوى مهما كان شكل حكومتيهما، طبقاً لرغبة شعبيهما، وألحقت بهذه المعاهدة مادة إضافية جاء فيها أن الحكومة الروسية تتعهد بأن تقدم للحكومة الأفغانية مليون روبل ذهباً أو فضة أو نحاساً سنوياً، وأن تنشئ خطاً تلغرافياً بين كوجول هرات، قندهار - كابول، وأن تضع روسيا تحت تصرف أفغانستان الرجال الفنيين والأخصائيين الذين تحتاج إليهم.

وانصرف أمان الله بعدما نظم علاقاته السياسية على هذا المنوال مع الإنكليز والروس - جارى أفغانستان القويين - إلى الإصلاحات الداخلية، ثم خرج سائحاً مع زوجته وحاشيته فطاف عواصم دول الشرق والغرب، وزوجته سافرة تبنى زينتها مما كان له أسوأ وقع فى نفوس الشعب الأفغانى فنفر من الملك وخذله،

فاضطر إلى التنازل عن الملك ومغادرة البلاد فخلفه بجه سقا باسم حبيب الله خان ولم يطل به الأمر. بل سقط وهوى وأعدم رمياً بالرصاص يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩ فى كابل، وخلفه محمد نادر شاه.

الإصلاح في عهده

كان أول ما عمله الشاه الجديد بعد البيعة إعادته وزارته المعارف والحقانية إلى ما كانتا عليه فى عهد أمان الله، وقد ألغاهما بجه سقا، مكتفياً بإلغاء تعليم البنات مراعاة لتقاليد الشعب الأفغانى الذى يعارض فيه.

وأنشأ فى السنة الماضية، سنة ١٩٣٢ مدرسة للطب على أن تكون نواة للجامعة الأفغانية التى قرر إنشاءها تدريجاً فى بلاده، ويدير المدرسة الطبية طبيب تركى يساعده أساتذة من الألمان والترك.

وكذلك أنشأ مجمعاً أدبياً «أنجمن أدبى» فى كابل، ولهذا المجمع مجلة أدبية اسمها «كابل» لنشر الثقافة والعلوم والأدب، وفى كابل أيضاً ثلاثة أندية جديدة: ناد للمعارف وآخر للخارجية وثالث للحربية. وفى جلال آباد مجمع أدبى. وأنشأ فى كابل مدرسة داخلية لأبناء العشائر يتعلمون فيها ويتتقنون على نفقة الحكومة، والقصد من ذلك أن يكون خريجو هذه المدرسة واسطة لتهديب عشائرها وتحضيرها.

وأنشأ مدارس لتعليم اللغات وتدرّس الأفغانية والفارسية والألمانية والفرنسية والإنكليزية.

وأنشأ مدرسة للحفاظ فى كابل يستظهر طلابها القرآن الكريم، وفى أفغانستان اليوم ثلاث مدارس من هذا النوع: مدرسة كابل ومدرسة هرات وقندهار.

وكذلك أصلح المدرسة الحربية ونسّقها ونظّمها على أفضل القواعد الحديثة،

وقد باشرُوا بإنشاء بناء فخم لهذه المدرسة فى بالاحصار مكان المدرسة القديمة وقد دمرها الإنكليز خلال احتلالهم لتلك العاصمة فى القرن الماضى واشترطوا على الحكومة الأفغانية أن لاتعيد بناءها فظلت خربة حتى استردت أفغانستان استقلالها، وجاء نادر شاه يعيدها إلى أفضل مما كانت عليه.

وكذلك أسس لجنة لإصلاح الجيش والإشراف على شؤونه يسمونها «إصلاح وترقى عسكري» وهى بمثابة مجلس عال للجيش الأفغانى تمد وزير الحربية بأرائها وخططها ومشروعاتها.

وأنشأ جمعية للعلماء تمثل جميع علماء أفغانستان، وهى ملحقة بوزارة العدلية، وفى مقدمة اختصاصاتها النظر فى مشروعات القوانين التى تضعها الوزارة من وجهة مطابقتها للشريعة الإسلامية.

وأنشأ أيضاً ديواناً خاصاً للنظر فى المنازعات التجارية طبقاً للأصول المتعارف عليها بين التجار.

وأنشأ أيضاً داراً للأيتام فى كابول تضم عدداً كبيراً من هؤلاء وتعنى بشؤونهم كما أدخل نظام الكشافة إلى المدارس الحكومية وبنى بيमारستانا للمجانين كما أنشأ فى هذه السنة مدرسة متوسطة فى جلال آباد، وهو عامل على نشر العلوم وتعميمها بهمة لاتعرف الملل والكلل.

الإصلاح الزراعى والصناعى - لما كانت أفغانستان بلاداً زراعية فقد وجه عنايته لإصلاح الزراعة وتحسينها بإنشاء الخزانات للرى فأنشأ أربعة خزانات. الأول فى غزنه ويروى ١٠٩٧٧ فداناً والثانى والثالث فى لوجر ويرويان ٣٩ ألف فدان، والرابع فى باغمان ويروى ٤٥ ألفاً من الأفدنة، وشق فى جلال آباد ترعة كبيرة تروى ١٠٨٠٠٠ فدان.

وأنشأ أيضاً مصنعاً لحفظ اللحوم والفواكة (كونسرفه) ومعملاً لصنع الأزرار وآخر لعصر الزيت، وغيره لصنع الصابون، وورشة ميكانيكية لإصلاح السيارات وترميمها ومعملاً لنسج المنسوجات الصوفية والفانيلات والجوارب (الكلسات) وغيره لخيوط القنب. كما أنشأ مصنعين للنجارة.

وأنشأ حديثاً شركة تجارية لتعاطى الشؤون المالية والتجارية باسم شركة الإسهام. على أن تكون نواة لبنك مالى يؤسس فى تلك البلاد المحرومة من البنوك المالية، وهو عامل ليل نهار على الإصلاح الزراعى والاقتصادى.

نظام الحكم في أفغانستان

ظلت أفغانستان حتى عهد أمان الله خان تحكم حكماً مطلقاً يستند إلى الشريعة الإسلامية، ويتولاه الأمير وينفذه على الطريقة التى يختارها. وفى سنة ١٩٢٤ وضع هذا الأمير قانوناً أساسياً (دستوراً) لبلادها يقع فى ٧٣ مادة جاء فى المادة الأولى منه «الدولة الأفغانية مستقلة فى إدارة أمورها الداخلية والخارجية، ويتألف من أجزائها كل لا يتجزأ خاضع لإرادة جلالة ملك الأفغان. وجاء فى المادة الثانية أن الدين الإسلامى هو الدين الرسمى فلا تعتبر الأديان الأخرى، وتحمى الحكومة الجماعات اليهودية والمجوسية التى تعيش فى البلاد مادامت تحافظ على النظام. وجاء فى المادة الرابعة. بما أن جلالة ملك الأفغان قد خدم بلاده خدماً عظيماً فالشعب الأفغانى يتعهد بنقل مقام السلطنة إلى نجل الملك الحالى ونجل نجله الخ وكلما تبوأ أحدهم عرش السلطنة يجتمع أشرف البلاد فيقسم أمامهم أنه يقوم بإدارة البلاد وفق هذا القانون فى دائرة الشريعة الأحمدية الغراء، ويحافظ على استقلال البلاد. وجاء فى المادة الخامسة أن ملك الأفغان هو حامى الدين الإسلامى. وجاء فى المادة السادسة أن هيئة الوزراء تدير البلاد ويكون كل وزير مسؤولاً أمام جلالة الملك الخ.

ولما سقطت الحكومة الأمانية على أثر ثورة بجه سقا الغنى هذا النظام فى جملة الأنظمة والقوانين والإصلاحات التى تمت فى ذلك العهد. على أن نادر شاه عاد فوضع فى سنة ١٩٣٠ دستوراً جديداً لأفغانستان يشبه من وجوه الدستور القديم، ومما نص عليه إنشاء برلمان يتألف من مجلسين، نواب؛ وعدد أعضائه ١١١ ينتخبهم الشعب، وشيوخ وعددهم ٤٠ ويختارهم الملك.

وكذلك نص الدستور الجديد على إنشاء رئاسة للحكومة، وقد كانت القاعدة المتبعة عندهم أن يرأس الشاه مجلس الوزراء بالذات ويسمون رئيس الوزارة صديقاً أعظم، وهذا بيان بعدد الوزارات عندهم :

الداخلية والخارجية والمالية والحربية والتجارة والأشغال العامة والمعارف والحقانية.

والملك هو القائد العام للجيش وممثل الدولة الأعلى، وهو صاحب النفوذ المطلق في شؤون الدولة، وهو مصدر كل سلطة، وهو حامى الدين الإسلامى والساهر على تنفيذ الشريعة الغراء.

علاقاتها السياسية والدولية

عرفت مما تقدم أن أفغانستان نظمت علاقاتها مع الحكومتين الإنكليزية والروسية على أفضل منوال. فقد اعترفت كل واحدة منهما باستقلالها التام وتبادلت معها السفراء والقناصل.

وكذلك نظمت أفغانستان علاقاتها السياسية مع الدول الشرقية الأخرى على أفضل منوال وهذا بيان عنها : فارجع إليها فى موضعها من هذا الكتاب :

علاقتها مع مصر	سبقت الإشارة إليها
علاقتها مع العراق	سبقت الإشارة إليها
علاقتها مع المملكة العربية	سبقت الإشارة إليها
علاقتها مع تركيا	سبقت الإشارة إليها
علاقتها مع إيران	سبقت الإشارة إليها

وفضلاً عن ذلك فعلاقاتها السياسية مع دول أوربا الأخرى كالفرنسيين والألمان والطلين والولايات المتحدة واليابان على ما يرام، وقد تبادلت معها عقد المعاهدات السياسية.

الدول الإسلامية المحمية

الجزء الثاني

سورية
معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها



محمد علي العابد (رئيس سوريا)

انفصلت سورية فى ختام الحرب العظمى عن الإمبراطورية التركية كما انفصلت بلاد العرب الأخرى، وأنشأت لها حكومة وطنية مستقلة مالمبث الفرنسيون أن هاجموها وأسقطوها واحتلوا البلاد احتلالاً عسكرياً وبسطوا عليها حمايتهم. ثم عبثوا بوحدتها الجغرافية والسياسية والاقتصادية فجزءوها إلى خمس دويلات وفصلوا بعضها عن بعض وأقاموا بينها الحواجز وضربوا السدود وهذه أسماؤها :

دولة دمشق ويسمونها سورية، ودولة لبنان، ودولة جبل الدروز، ودولة العلويين ودولة إسكندرونة، ثم أنشأوا من دولة دمشق جمهورية سموها الجمهورية السورية وأختاروا لها رئيساً مسلماً وهى التى نتكلم عنها هنا.

ومساحة أراضي هذه الجمهورية ١٢٧ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها نحو ١٥٠٠٠٠٠ نسمة معظمهم عرب وعاصمتها دمشق. وأشهر مدنها حلب وحمص وحماء ودير الزور والباب وأدلب وإسكندرونة وإنطاكية.

ويحدها الترك من الشمال، والعراق من الشرق، وشرقى الأردن من الجنوب، وفلسطين ولبنان من الغرب. وهى بلاد صناعية زراعية.

ورئيس الجمهورية السورية اليوم هو محمد على العابد وهذا رسمه :

محمّد علي العابد رئيس الجمهورية السورية مولده ونشأته

ولد في دمشق سنة ١٨٦٧ ووالده أحمد عزت باشا العابد السكرتير الثاني للسلطان عبدالحميد، ويتصل نسبه بعشيرة الموالى البدوية الضاربة في صحراء الشام، ووالدته من آل المرادى.

نشأته - نشأ في دمشق وتعلم القراءة والكتابة في معاهدها الابتدائية ثم نقل إلى المدرسة الإعدادية في بيروت فانتظم في عداد طلبتها الداخليين، وبعد أن نال شهادتها انتقل إلى الآستانة لاحقاً بأسرته فدخل في مدرسة غلطة سراى ثم أرسل إلى باريس فدخل مدرسة الحقوق ونال شهادتها النهائية (ليسانسيه) وعاد إلى الآستانة فعين في قلم المستشار القضائي لوزارة الخارجية وجاء له والده بأحد الأساتذة يدرسه أصول الفقه الإسلامى بعدما درس الفقه الرومانى والتشريع الأوربى. وظل يتدرج في مناصب وزارة الخارجية بفضل نفوذ والده وقربه من السلطان حتى عين في سنة ١٩٠٨ وزيراً مفوضاً للدولة العثمانية في واشنطن فقصدها مع زوجته وأولاده.

ولم تطل إقامته في واشنطن بل اضطّر أن يغادرها على أثر إعلان الدستور العثمانى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨ وفرار والده من الآستانة بباخرة خاصة خوف فتك الشعب به، وشعر وهو في واشنطن بما شعر به والده من الخوف في الآستانة فغادرها سراً، وبدلاً من أن يقصد نيويورك ليبحر عائداً إلى أوروبا قصد كاليفورنيا، ومنها ركب البحر متخفياً وانضم إلى والده وظلا يتنقلان مع أسرتيهما بين سويسرا وفرنسا وإنكلترا ومصر حتى وضعت الحرب العظمى أوزارها فقدم مصر وفيها توفى والده.

وسافر محمد على بك إلى دمشق فى صيف سنة ١٩٢٠ بعدما تم للفرنسيين الاستيلاء عليها، ولما أنشأ الجنرال غورو الاتحاد السورى فى سنة ١٩٢٢ عينه وزير مالية له فظل فى هذا المنصب نحو سنة ثم غادره لإلغائه.

وفى يوم ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٢ أعلن انتخابه نائباً عن دمشق بصفته أحد مرشحي السلطة الفرنسية، وفى يوم ١٤ يونيو من السنة نفسها انتخب رئيساً للجمهورية السورية بمساعدة الفرنسيين بعدما قطع لهم العهد بأن يكون طوع إشارتهم وأن ينفذ بلا قيد ولا شرط جميع أوامره. وإليك نص الخطبة التى خطبها على أثر انتخابه وقد أعدها له أحد الأدباء مقدماً.

سادتى :

أشكركم جزيل الشكر على هذه الثقة الغالية التى تكرمتم بها على، وأعاهدكم على العمل بكل قواى على تحقيق أمانينا القومية وإيصال بلادنا إلى ما تصبو إليه من مجد وسؤدد يتناسب مع ماضيها التاريخى المجيد. وسأكون كما عرفتُمونى فى جميع الأدوار صديقاً للجميع وسأبذل جهدى للتوفيق بين الأحزاب والهيئات السياسية على اختلافها لاعتقائى أن لاختلاف بينها فى الغالب، ولأن التعاون بين أبناء الوطن ضرورى فى هذا الدور الذى نفتتحه اليوم، وبكلمة مختصرة سأكون فوق الأحزاب والحزبيات واضعاً نفسى ومكرساً أوقاتى لخدمة وطنى المحبوب الذى تربطنى به أوثق الروابط وترقية مرافقة الاقتصادية وإنشاء المشروعات النافعة وتنمية موارد الثروة العامة وخدمة العلوم وترقيتها ونشر المعارف بالتعاون مع الدولة الفرنسية النبيلة التى اعتقد أنها تقدم لنا مساعدتها الثمينة فى هذا الدور الخطير الذى نجتازه فى تأسيس دولتنا وإنشاء كياننا القومى ومن الله نستمد العون والتوفيق.

ثروته - يعد من أغنى الأغنياء فى ديار الشام وثروته النقدية تقدر بنصف مليون جنيه ومعظمها مما ورثه عن والده وقد جمعها إبان وجوده فى الأسقانة

سكرتيراً للسلطان، و ثروته العقارية لا يستهان بها وهو من كبار المشتغلين بالبورصة والأوراق المالية على أن المحاكم الشرعية والأهلية والأجنبية في مصر والشام وببيروت لا تزال منذ عشر سنوات تشتغل بفصل قضايا الأثر بينه وبين أخيه عبدالرحمن - وهو متجنس بالجنسية التركية - وبين أخته وقد تزوجت إنكليزياً، وبين أخته الثانية وهو ينكر نسبها.

علومه - يجيد عدا لغته العربية اللغتين التركية والفرنسوية إجادة تامة كأحد أبنائهما، وهو محيط بتاريخ الأدب الفرنسي وبالعلوم الاقتصادية فلا يكاد يفوته الإطلاع على شئ يكتب في هذه العلوم تقريباً. وكذلك فهو يفهم الإنكليزية والفارسية ويستطيع التفاهم بهما. وله ذاكرة قوية جداً ولا يزال يردد على مسامع زائريه ما استظهره من الكتب في خلال دراسته.

عائلته - تزوج وهو في الثلاثين السيدة زهره هانم بنت محمد بك اليوسف من دمشق فولدت له أربعة أولاد : نصوح ومختار وشريفة وليلى. وقد درس الأول الحقوق في فرنسا ولم ينل شهادة ولا يزال الثانى يواصل الدرس في إنكلترا.

كيفية يقضي يومه ؟

ينزل مع عائلته فى قصر الجمهورية بدمشق وقد استأجرته له الحكومة وفرشته وفيه مكتبه الرسمى وفيه ينام ويأكل، ويستيقظ عادة فى الساعة السادسة، ولكنه لا يغادر فراشه قبل الثامنة فيدخل الحمام ثم يوافيه المزين وبعد أن يتناول فطوره يبدأ بلبس ثيابه ولا يخرج من «الحريم» قبل الساعة العاشرة والنصف فيجلس فى البهو الكبير ويبدأ باستقبال زائريه، ويظل على ذلك حتى الساعة الواحدة. فيتناول الطعام مع الحاضرين فى غرفة المائدة ثم يصعد إلى الطابق العلوى من القصر فيستريح حتى الساعة الخامسة فينهض ويرتدى ثيابه وينزل إلى البهو لاستقبال الزائرين ويظل على ذلك حتى الساعة الثامنة فيتعشى عشاء خفيفاً مع الموجودين فى القصر، ويفضل أكل الفاكهة فى المساء كما يكثر من أكل الثوم فى الظهر، لما يعتقد من فائدته الصحية، ويلجأ إلى مخدعه بين الساعة العاشرة والحادية عشرة مساء.

وقد يغادر قصره فى النهار فيقصد دار الحكومة فيدخل مكتبه الخاص ويستقبل من يكون هنالك من الزائرين أو يرأس جلسه مجلس الوزراء. وقد يخرج بعد الظهر للنزهة فى السيارة.

أوصافه - هو ربيع، ممتلئ الجسم، ذو لحية صغيرة أطلقها على الطريقة الفرنسية، واسع العينين، واسع الفم، مستطيل الوجه، منخفض الصوت فيه شئ من اللكنة.

أخلاقه - هو مهذب، متواضع، يحسن استقبال زائريه، ويقف على قدميه لكل داخل عليه، ويحرص على إرضاء قاصديه بأى طريقة كانت، وهو مشهور بالتقتير وكزارة اليد والاقتصاد الزائد.

على أنه من الجهة الأخرى يكثر من إقامة الولائم الفخمة فى قصره للموظفين

والضباط الفرنسيين. فيأكلون ويشربون الشمبانيا والنبيدز ويقدم بكثرة على مائدته.

راتبه - يبلغ راتبه الشهري ١٥٠٠ ليرة سورية نحو ٣٠٠ جنيه مصرى.

كيف أعدت الثورة السورية؟

خلا الجو للفرنسيين فى سورية بعد معركة ميسلون فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ فدخلوا دمشق ودكوا عرشها وأقصوا عن البلاد ملكها الشرعى جلالة الملك فيصل، ثم أعلنوا الأحكام العرفية، ونفذوا فى ظل هذه الأحكام سياسة التجزئة القتالة فقسّموا هذه البلاد الصغيرة إلى خمس دول مستقلة بعضها عن بعض.

ففى يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٠ وقف الجنرال غورو فى بيروت يعلن إنشاء دولة لبنان بحدوده الحاضرة وعين الكبتن ترابو حاكماً عاماً له (١) وفى ٨ منه أعلن إنشاء دولة العلويين فى اللاذقية، وفى ١٥ منه أعلن إنشاء دولة حلب. ثم أنشئت دولة دمشق وتشمل حمص وحماه وحمّار فقط، ثم أنشئت حكومة سنّجق اسكندرونة المستقل فقابل السوريون هذا العمل بالاحتجاج الشديد والاستنكار الزائد فعدله الجنرال غورو نفسه. فأعلن يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٢٢ إنشاء اتحاد سورى يشمل دول دمشق وحلب والعلويين وتكون حلب عاصمة له. وفى يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٢ أعلن إنشاء دولة جبل الدروز. وفى يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤ أصدر الجنرال فيجان أمراً بإلغاء الاتحاد السورى وإنشاء

(١) استبدلت دولة لبنان الكبير يوم ٢٦ مايو سنة ١٩٢٦ بالجمهورية اللبنانية وفى يوم ٧ مايو سنة ١٩٣٢ أصدر المفوض السامى قراراً بوقف دستور هذه الدولة وإلغاء جمهوريتها ولا يزال موقوفاً حتى الآن ولا تزال الجمهورية ملغاة.

دولة سورية تشمل على مقاطعتي حلب ودمشق وحدهما، وتكون دمشق عاصمة لها وبذلك خرجت دولة العلويين من الاتحاد. وأصبح عدد الدول السورية خمساً وهي :

دولة سورية

دولة لبنان

دولة العلويين

دولة جبل الدروز

حكومة سنجد إسكندرونه

ولقد أدرك السوريون منذ الساعة الأولى ما تنطوي عليه سياسة التجزئة التي ينفذها الفرنسيون في بلادهم من أخطار، وعرفوا أن الغاية منها إضعافهم وتشيت قواهم ليسهل تطبيق البرامج الاستعمارية في بلادهم فقاوموها بجميع الوسائل السلمية المشروعة من عرائض وشكايات، وإضراب واحتجاجات وإرسال الوفود إلى جامعة الأمم، ولما رأوا الأبواب مغلقة في وجوههم وأنه لا رجاء لهم بعدول فرنسا عن هذه الخطة عمدوا إلى الثورة.

الاتفاق بين دمشق وجبل الدروز

في ربيع سنة ١٩٢٥ زار المرحوم الأمير حمد الأطرش، عميد بني الأطرش في جبل الدروز دمشق واجتمع ليلاً، وبناء على طلبه، بالدكتور عبد الرحمن شهبندر زعيم النهضة السورية، فبحثاً في حالة سورية وموقف الفرنسيين وما يجب عمله لإنقاذ البلاد، فظهر الدكتور رغبته في الاجتماع بإخوان الأمير وأبناء عمه من رجال جبل الدروز وذوى الحل والعقد فيه، فعقدوا اجتماعين سريين في

منزله، حضرهما عدد عديد منهم: من الأحياء عبدالغفار باشا الأطرش. ومتعب بك الأطرش. والشيخ يوسف العيسى. ومن الأموات نسيب بك الأطرش وغيرهم كثيرون، وبعد البحث والمداولة تحالفوا بأقدس الإيمان وتعاهدوا وهم وقوف على أن يدافعوا عن استقلال بلادهم حتى النفس الأخير.

ولم يطل الوقت حتى بدت تباشير الثورة فى جبل الدروز ف وقعت أول معركة فى قرية «الكفر» يوم ١٦ يوليو سنة ١٩٢٥ فقد أباد الدروز بقيادة سلطان باشا الأطرش كتيبة فرنسوية يبلغ عدد رجالها ١٩٠ بقيادة الكبتن نورمان، فأعد الفرنسيون على الأثر حملة كبيرة جمعوا رجالها من هناك وهناك وسيروها بقيادة الجنرال ميشو وزحفت من دمشق يوم أول أغسطس لإخضاع الجبل فباغتتها الدروز ليلة ٣ منه فى المزرعة وأبادوها عن آخرها، وغنموا أسلابها ومعداتنا.

وقصد جبل الدروز فى خلال هذه الحوادث ثلاثة من أبناء الشام منتدبين من قبل الهيئات الوطنية لدرس الحالة عن كثب وموافاتها بما يجب عمله والاتفاق على الخطة النهائية وبعد ما قضوا أياماً عادوا بالنبا اليقين فعقد رجال الحركة فى دمشق اجتماعاً ليلة ١١ أغسطس سنة ١٩٢٥ فى منزل الحاج عثمان الشراباتى دام حتى مطلع الفجر وحضره عدا الدكتور عبدالرحمن الشهبندر، فوزى البكرى ونسيب البكرى ويحيى حياتى وحسن الحكيم والمرحوم سعد الدين المؤيد وغيرهم فتم الاتفاق على توحيد العمل وأن يخرج قادة الحركة الوطنية فى دمشق إلى لقاء فرسان الدروز فى الكسوة صباح ٢٣ منه.

وفى مساء ٢٢ منه غادر الدكتور شهبندر دمشق ومعه نزيه بك المؤيد العظم إلى قريه حوش متبن وقد تم الاتفاق على أن يجتمع مع إخوانه فيها فلم يوافه سوى يحيى حياتى بك والظاهر أن الباقيين تأخروا لضيق الوقت، مما اضطره أن يغير خطته خوف الوقوع فى الشرك فذهب مغرباً حتى بلودان - تبعد عن دمشق

من ناحية الغرب نحو ٣٥ كيلوا متراً ومن هنالك عاد إلى جبل الدروز ومعه نزيه بك بطريق غوطة دمشق والرحوم سعدالدين بك المؤيد وجميل مردم بك فالتقوا بسلطان باشا الأطرش وإخوانه في قرية كُفر اللحي يوم ٢٥ أغسطس واتحد الكل في العمل، وكان من القواعد التي تم الاتفاق عليها أن لا يعقد الجبل صلحاً منفرداً عن دمشق ولا تعقد دمشق صلحاً لوحدها.

واتسع نطاق الثورة على أثر ذلك فشمل جبل الدروز كله، فلجأت حامية السويداء الفرنسية إلى القلعة، وأمتد إلى غوطه دمشق وقلمون ووصل إلى حماه. فقد ثار أهلها في شهر أكتوبر من تلك السنة بناء على اتفاق تم بينهم وبين الدكتور شهبندر وسلطان باشا الأطرش بواسطة رسالة حملها منير أفندي الرئيس ومظهر أفندي السباعي وإقليم البلان ووادي التيم ودارت معارك عنيفة بين الثوار والفرنسيين أبلى فيها الثوار أحسن بلاء. وفي يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٥ دخل الثوار دمشق فأمر الجنرال ساراي (مندوب فرنسا السامي) بإطلاق النار عليها فضربت بالمدافع مدة ٢٤ ساعة فدكت جانباً كبيراً من قصورها التاريخية ودورها الثمينة وأسواقها وشوارعها، وقد كانت نكبة عظيمة ريع لها العالم وصب اللعنات على مرتكبيها. فاستدعت باريس على الأثر مندوبيها فمات غماً وكمداً من جراء تبكيت الضمير.

وجهز الفرنسيون حملة قوية زحفت يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٥ على السويداء لاحتلالها فصدتها الثوار وأعادوها على أعقابها بعد ما أنقذت الحامية المحصورة في قلعتها واستأنفوا الكرة في شهر إبريل سنة ١٩٢٦ بعد ما تلقوا إمدادات عظيمة من فرنسا فزحفوا مرة ثالثة على السويداء فاحتلوها كما احتلوا مجدل شمس. وفي شهر يوليو سنة ١٩٢٦ خرجوا بقوات عظيمة لمنازلة الثوار المرابطين في غوطة دمشق فأجلوهم عن مراكزهم، وهكذا استعادوا نفوذهم تدريجاً بعدما أضاعوه مدة سنة وأكثر. وقد أبلى السوريون أحسن بلاء في هذه الثورة، وكتبوا صفحة بيضاء في تاريخهم. وقدرت خسارتهم في هذه الثورة من

النفوس بعشرة آلاف قتيل ولا تقل الخسارة المادية عن مليون جنيه، وقد دمر الفرنسيون في خلال الثورة جانباً كبيراً من دمشق وحماه ومعظم قرى جبل الدروز والغوطة وتعد بالمئات.

واختارت فرنسا على أثر هذه الحوادث مندوباً سامياً مدنياً بدلاً من المندوب العسكري السابق (الجنرال ساراي) فوصل هذا واسمه المسيودي جوفنيل إلى بيروت يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٥ فأفهمه السوريون بلسان واحد أن السبيل الوحيد للاتفاق هو إعادة وحدة سورية إلى ما كانت عليه في العهد العثماني. فحال رجال الاستعمار من قادة الجيش المحتل دون تحقيق هذه الفكرة. فلم يطل المندوب الجديد المقام بل غادر سورية في شهر مايو سنة ١٩٢٦ أي أنه لم يبق فيها سوى خمسة أشهر من دون أن يعمل عملاً يذكر سوى إنشاء الجمهورية في لبنان فخلفه المسيو هنري بونسو، وأذاعت فرنسا على لسان وزير خارجيتها يومئذ أنها مستعدة للتفاهم مع السوريين بشرط أن يلجأوا إلى الهدوء لأنها لا تريد أن يقال أنها تفاهمت معهم مكرهة.

وأخذ السوريون إلى الهدوء إجابة لما طلب منهم فجاء المندوب الجديد وظل نحو سنة ونصف سنة يدرس ويبحث، وفي يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٢٨ أقال حكومة الداماد أحمد نامي، وأنشأ حكومة جديدة برئاسة الشيخ تاج الدين الحسني، وأصدر بهذه المناسبة البلاغ الآتي يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٢٨ :

«كانت الدولة المنتدبة (فرنسا) ترجو من زمن بعيد أن تأزف الساعة التي تتمكن فيها سورية من حل قضية دستورها في حالة السلام. وقد أذفت هذه الساعة الآن، وستجرى الانتخابات قريباً بمقتضى القوانين المعمول بها وهي تضمن حرية الاقتراع لجميع الأحزاب، وستلغى جميع القيود الموضوعة على الحريات المشروعة، وهي القيود الموروثة من عهد الاضطراب لتظهر آراء البلاد الحقيقية ظهوراً جلياً باستشارة الشعب.

وستسن الجمعية التي تنشأ عن هذه الانتخابات القانون الأساسي النهائي للبلاد السورية بتمام الحرية المطلقة ضمن نطاق الاتفاقات الدولية والصكوك المسؤولة عنها فرنسا إزاء جمعية الأمم، فاحترام الحقوق والواجبات المتبادلة الناشئة عن صك الانتداب، والتي يمكن تحديدها باتفاقات تعقد فيما بعد هو في الحقيقة أساس للرقى السريع الذي يجب أن تبلغه سورية، وتساعد الدولة المنتدبة على تحقيقه بكل قواها.

ففي الوقت الذي تقيم فيه فرنسا للسوريين الدليل على سخائها والثقة التي تضعها فيهم تحذرهم من تعريض المستقبل المملوء بالوعود الجميلة، والذي تفتح أمامهم أبوابه للأخطار الناشئة عن الاضطرابات والاختلافات، أو عن جهل الحقائق السياسية.

وأن فرنسا تنفذاً لهذه الخطة التي رسمتها تضع ثقتها بالحكومة المؤقتة التي أخذت اليوم على عاتقها مهمة محدودة هي إدارة الشؤون العامة».

وفي يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٨ جرت الانتخابات للجمعية التأسيسية فاشتريكت فيها عناصر الأمة، وانتهت بفوز الوطنيين فوزاً مبيناً. وفي يوم ٩ يونيو افتتحت الجمعية التأسيسية في دمشق ومهمتها وضع الدستور وسن قانون الانتخاب وما كادت تفرغ من وضع مشروع الأول حتى دخل عليها الميسر موغراً السكرتير العام للمفوض السامي يوم ٨ اغسطس ووقف على منبرها وألقى البيان الآتي :

«تتبع ممثل فرنسا سير أعمال الجمعية التأسيسية بانتباه وعطف عظيمين راجياً حلول الوقت الذي يمنح سورية دستورها النهائي. وحيث إنه تقرر أن يبدأ اليوم بمناقشة مشروع الدستور الذي وضعته اللجنة فقد وجب على العميد الفرنسي تنبيه أعضاء الجمعية إلى ضرورة عدم البحث الآن في المسائل التي ليس حلها من خصائص الجمعية وحدها. لأنها تمس تنفيذ الانتداب وتعد فرنسا

مسئولة عنه أمام جامعة الأمم، ولا يمكن تغيير شيء من نصوص هذا الانتداب إلا باتفاق سابق توافق عليه جمعية الأمم. وقد رغب العميد في بياناته السابقة الإعراب عن ذلك تجنباً لكل سوء تفاهم على نقاط خطيرة كهذه. تعرض للخطر ثمرة الجهود المبذولة بإخلاص من الفريقين لقطع المرحلة الأولى بسلام، ولكن بعض مواد المشروع تقتضى تحفظات خاصة لأن بينها ما يخالف تصريحات العهود الدولية المحددة بها مسئولية الدولة المنتدبة، وتعد المواد ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١١٠، ١١٢ فى المشروع ماسه بالمسائل الداخلة ضمن النطاق المذكور. وكذلك المادة الثانية من حيث مخالفتها للاتفاقات الدولية ولحالة قانونية واقعة لا يمكن تعديلها بقرار يتخذه فريق واحد. فبقاء أحكام كهذه يوجد حالة مهمة تعرض للخطر ما كان يرجى تحقيقه بفروغ صبر. فالعميد الفرنسوى يثق بحكمة الجمعية ولا يشك إنها بوقوفها على هذه الصعوبات تعنى بالملاحظات المذكورة من تلقاء نفسها، وتقرر فصل المواد المشار إليها من نصلب الدستور قبل الدخول فى المناقشة فيكون مشروع الدستور متفقاً مع جوهر حالة لا يمكن تغييرها إلا باتفاقات يجب عقدها مع الحكومة الفرنسية. وبكس ذلك فلايسع فرنسا إجازة سن دستور وتنفيذه، وهو يحرمها الوسائل التى تساعد على القيام بالواجبات الدولية التى أخذتها على نفسها.

وهذا نص المواد الست المطلوب حذفها من المشروع :

المادة ٢ - البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية وحده سياسية لا تتجزأ ولا عبدة بكل تجزئة طرأت عليها بعد نهاية الحرب العامة.

المادة ٧٣ - لرئيس الجمهورية حق العفو الخاص. أما العفو العام فلا يمنح إلا بقانون.

المادة ٧٤ - يتولى رئيس الجمهورية عقد المعاهدات الدولية وإبرامها. أما المعاهدات التى تنطوى على شروط تتعلق بسلامة البلاد أو بمالية الدولة أو

المعاهدات التجارية أو سائر المعاهدات التي لا يجوز فسخها سنة فسنة فلا تعد نافذة إلا بعد موافقة المجلس عليها.

المادة ٧٥ - يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء ويقبل استقالتهم، ويقبل الممثلين السياسيين ويعين الموظفين الملكيين والقضاة ضمن حدود القانون ويرأس الحفلات الرسمية.

المادة ١١٠ - تنظيم الجيش الذى سيؤلف يكون بقانون خاص.

المادة ١١٢ - لرئيس الجمهورية أن يعلن بناء على اقتراح الوزارة الأحكام العرفية فى الأماكن التى تحدث فيها اضطرابات أو قلاقل ويجب أن يبلغ المجلس النيابى خبر إعلان الأحكام المذكورة فوراً، وإذا لم يكن المجلس النيابى مجتمعاً فيدعوه على وجه السرعة.

ولما كان تجريد الدستور من هذه المواد معناه إبقاؤه بلا روح فقد رفضت الجمعية التأسيسية بالإجماع تقريباً اقتراح العميد الفرنسوى. فأصدر فى الغداة ٩ منه قراراً بتأجيلها لمدة ثلاثة أشهر، وقبل أن تنتهى جدها ثلاثة أخرى ثم ظل يجدها حتى يوم ٣ فبراير سنة ١٩٢٩ ففيه أصدر قراراً أجلاها فيه إلى أجل غير مسمى فإذاع ديوان الجمعية التأسيسية على الأثر البلاغ الآتى :

كان المسيو بونسو طلب تأجيل المواد الست بحجة معارضتها لتعهدات فرنسا فرأت الجمعية التأسيسية أن فصلها يجعل الدستور ناقصاً لاقيمة له، واقتрحت أن تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية بمعاهدة تبنى على تبادل المصالح وتسان فيها سيادة سورية. وكانت فرنسا قد أعلنت رضائها عن ذلك بلسان المسيودى جوفنيل وبوسيلة أخرى، ولذلك اعتذرت الجمعية عن تلبية هذا الطلب مظهرة رغبتها فى اقرار سياسة التعاون والتفاهم، وقابلت القرار القاضى بتأجيل اجتماعها مدة ستة أشهر بالتؤدة والتفاؤل أمله إيجاد وسيلة تكفل مصالح الفريقين وتوفق بين النظريتين، وبعد التأمل وجدت أنه يمكن ذلك بإضافة مادة

إلى الدستور مفادها أن تنفذ المواد الخمس الموقوفة باتفاقات خاصة بين فرنسا وسورية ريثما تعقد المعاهدة.

أما المادة الثانية فتعدل هكذا: «البلاد السورية وحده سياسية لاتتجزأ وحقوق الاعتراض على التجزئة الحاضرة محفوظة» فلم يقر الفرنسيون هذا الاقتراح. بل أصدر مندوبهم قراراً آخر بحل الجمعية بعد ذلك.

وفى يوم ١٤ مايو سنة ١٩٣٠ أصدر المفوض السامى الفرنسوى قراراً نشر بموجبه مشروع الدستور الذى وضعته الجمعية التأسيسية بعد ما عدل ٢٣ مادة منه لاست مواد كما اقترح فى بيانه الذى ألقى يوم ٨ أغسطس بالجمعية. وأضاف إليه مادة جديدة فى آخره هى المادة ١١٦ وقد شلته. وهذا نصها «ما من حكم من أحكام الدستور يعارض ولايجوز أن يعارض التعهدات التى قطعتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية، ولاسيما ما كان منها بجمعية الأمم».

«يطبق هذا التحفظ بنوع خاص على المواد التى تتعلق بالمحافظة على النظام وعلى الأمن، وبالدفاع عن البلاد وبالمواد التى لها شأن بالعلاقات الخارجية».

«لاتطبق أحكام هذا الدستور التى من شأنها أن تمس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسورية فى أثناء مدة هذه التعهدات إلا ضمن الشروط التى تحدد فى اتفاق يعقد بين الحكومتين الفرنسية والسورية. وبناء على ذلك فالقوانين المنصوص عليها فى مواد هذا الدستور والذى قد يكون لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لايتناقش فيها، ولاتنشر وفقاً لهذا الدستور إلا تنفيذاً لهذا الاتفاق. وإن القرارات ذات الصفة التشريعية أو التنظيمية التى أتخذها ممثلو الحكومة الفرنسية لايجوز تعديلها إلا بعد الاتفاق بين الحكومتين».

وقد كان لنشر الدستور على هذا المنوال أسوأ تأثير فأقفلت المدن احتجاجاً عليه، وأقيمت المظاهرات فى دمشق وحلب وحمص وأرسلت البرقيات إلى جمعية الأمم معلنة عدم الرضاء بما وقع.

وفى شتاء سنة ١٩٣٢ جرت بأمر المفوض السامى الانتخابات فى داخل أراضى سورية لعقد مجلس نيابى، وفى يوم ٧ يونيو من تلك السنة اجتمع هذا المجلس، بعد أحداث عصيبة ومعارك عنيفة سقط فيها كثير من القتلى والجرحى، وفى يوم ١٤ منه انتخب بالأكثرية محمد على بك العابد رئيساً للجمهورية طبقاً للتعليمات الصادرة من الفرنسيين.

نظام الحكم في سورية

يقضى الدستور الذى نشره المفوض السامى يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٣٠ ان تكون الدولة السورية جمهورية دينها الإسلام، وأن يكون التشريع منوطاً بمجلس الأمة ويتألف هذا من ٦٩ نائباً ينتخبون على درجتين، وأن يتولى رئيس الجمهورية القوة التنفيذية بمؤازرة الوزراء، ومدة رئاسته خمس سنوات، ولا يجوز إعادة انتخابه مرة ثانية إلا بعد مرور خمس سنوات على انقضاء رئاسته ولا يزيد عدد الوزراء على سبعة.

مقدمة

فى ربيع سنة ١٩٣٣ سلم المفوض السامى الفرنسوى رئيس الجمهورية السورية مشروع معاهدة يراد عقدها بين سورية وفرنسا لتنظيم علاقاتهما السياسية، فوافق عليها مبدئياً وكاد أن يبرمها لولا الضجة العظيمة التى أقامتها المدن السورية، وأنسحاب النواب الوطنيين من مجلس النواب وشلهم حركة الحكومة.

ويقضى المشروع الفرنسوى الجديد بإقرار جميع التصرفات التى جرت زمن الاحتلال وبالإعتراف بالتجزئة الحاضرة وما يتبعها من أوضاع، ويمنح فرنسا مركزاً شرعياً فى بلاد الشام.

وأسرعت الحكومة الفرنسية حينما تبين لها حبوط المشروع فاستدعت مندوبها السامى من سورية وعينت آخر خلفاً له، ولاتزال القضية السورية واقفة عند هذا الحد. فالسوريون يطلبون الاستقلال التام، وإعادة وحدة بلادهم وإلغاء الأوضاع التى أنشأها الفرنسيون لما تتقاضاه من نفقات طائلة، ولأن الغاية منها التمكين للفرنسيين، ويأبى هؤلاء إجابتهم إلى هذه المطالب ويطالبون ويسوفون.

ويمكن القول بأن العهد الحاضر هو أشأم عهد فى تاريخ سورية الحديث سواء من الوجه الاقتصادي والتجارية أما من الوجهة الإدارية والسياسية فالجمهورية مجردة من كل سلطان ونفوذ والكلمة العليا للفرنسيين.

الميثاق الوطني السوري

وهذا نص الميثاق الوطني السوري الذي أقره زعماء سورية إبان الثورة سنة ١٩٢٦ وتعاهدوا على العمل لتحقيقه :

١ - اعتراف الحكومة الفرنسية باستقلال سورية التام وبحقها فى التمثيل الخارجى وتأليف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة، وتوقيف حالة الحرب ثم يشرع فى انتخاب المجلس التأسيسى انتخاباً مباشراً بالاقتراع العام فيتولى سن الدستور وتقرير شكل الحكم على أساس السيادة القومية (١).

٢ - تحويل الانتداب إلى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية المستقلة لمدة ١٥ سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الأمتين على مثال المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق، مع مراعاة الفروق بين البلدين ورقى السوريين، ولا تكون هذه المعاهدة نافذة إلا بعد تصديقها من البرلمان السوري ومجلس النواب الفرنسي، ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وأرجحية فى المشاريع الاقتصادية - على شرط عدم الإخلال بالسيادة القومية وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الأمم وتضمن تنفيذها.

٣ - تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام وأقضية عكار وحصن الأكراد وبعبك التى هى جزء من الوحدة بطبيعة الحال. أما بقية البلاد التى ضمت إلى لبنان فيستفتى أهلها فى تقرير مصيرهم.

٤ - توحيد النظام القضائى على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والأجانب معاً.

٥ - دخول سورية فى جمعية الأمم.

(١) وضع الميثاق ونشر فى سنة ١٩٢٦ أى قبل اجتماع الجمعية التأسيسية وفضها بسنتين فقد اجتمعت فى سنة ١٩٢٨ ونشر الدستور سنة ١٩٣٠ ونفذ سنة ١٩٣٢.

- ٦ - تأليف جيش وطنى فى خلال ثلاث سنوات. بحيث تتمكن القوات الفرنسية من الجلاء التدريجى عن البلاد - على أن يتم الجلاء التام فى هذه المدة.
- ٧ - إصلاح نظام النقد وإعادة العملة على أساس الذهب وإلغاء امتيازات البنك السورى، وضمان أوراق النقد السورية المتداولة أو تبديلها.
- ٨ - العفو العام عن جميع أصحاب الجرائم السياسية بدون قيد ولا شرط وبدون الاحتفاظ بالحق الشخصى المضمون بطبيعة الحال.
- ٩ - إلغاء الغرامات الحربية كلها. مع إعادة كل ما أخذ حتى الآن بهذا الاسم - سواء أكان فى دمشق أم غيرها من المدن».

صك الانتداب الفرنسي لسورية

ونرى أن نختم هذا الفصل بنشر نص صك الانتداب الفرنسي لسورية وقد وضعته الحكومة الفرنسية نفسها وعرضته على مجلس جمعية الأمم يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٢ فأقره من دون مناقشة. فاحتج عليه السوريون احتجاجاً شديداً معلنين تمسكهم بالاستقلال التام ورفضهم الانتداب الفرنسي، وهو :

«إن مجلس جمعية الأمم (١)

لما كانت دول الحلفاء العظمى متفقة على أن أراضى سورية ولبنان التى كانت فى ما مضى جزءاً من السلطنة العثمانية يعهد بها ضمن حدود تعيينها الدول المشار إليها إلى الدولة منتدبة موكول إليها نصح الأهالى ومعاونتهم وإرشادهم فى إدارتهم وفقاً لنص الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الأمم.

(١) نشرته جمعية الامم رسمياً تحت رقم C. 528, M. 313. 1922, VI بتاريخ ١٢ اغسطس سنة ١٩٩٢.

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد قررت أن الانتداب على البلاد الأنفة الذكر يعطى لحكومة الجمهورية الفرنسية التى قبلته.

ولما كان نص هذا الانتداب المبين فى المواد المذكورة فى ما بعد قد وافقت عليه حكومة الجمهورية الفرنسية وعرض للتصديق على مجلس جمعية الأمم.

ولما كانت حكومة الجمهورية الفرنسية تتعهد بإجراء هذا الانتداب باسم جمعية الأمم طبقاً للمواد المذكورة.

ولما كانت نصوص المادة الثانية والعشرين الأنفة الذكر (الفقرة الثامنة) تقضى بأنه إذا كانت درجة السلطة والمراقبة والإدارة التى تجريها الدولة المنتدبة لم يتفق عليها سابقاً بين أعضاء جمعية الأمم فالمجلس هو الذى ينظم ذلك.

يضع نصوص الانتداب كما يلى موافقاً عليه :

المادة الأولى - على الدولة المنتدبة أن تضع فى خلال ثلاث سنوات من تاريخ تنفيذ الانتداب نظاماً أساسياً لسورية ولبنان.

ويجب أن يوضع هذا النظام بالاتفاق مع السلطات المحلية، وأن تؤخذ فى وضعه بعين الاعتبار حقوق ومصالح وأمانى كل الشعوب النازلة فى البلاد المذكورة، وأن ينص فيه على الوسائل اللازمة لتسهيل ارتقاء سورية ولبنان ارتقاء مطرداً بصفتهم دولتين مستقلتين وإلى أن يوضع هذا النظام الأساسى موضع التطبيق يجب أن يسار فى إدارة سورية ولبنان على نهج يتفق مع روح صك الانتداب الحالى.

وتقوم الدولة المنتدبة بتنشيط الاستقلالات الإدارية المحلية بقدر ما تسمح الظروف بذلك.

المادة الثانية - للدولة المنتدبة أن تحتفظ بجيوشها فى البلاد الواقعة تحت الانتداب بقصد الدفاع عن هذه البلاد. ولها أن تنظم الجندرية المحلية اللازمة

للدفاع عن البلاد، وأن تستعملها لهذا الغرض وللمحافظة على الأمن، وذلك إلى أن يوضع النظام الأساسى موضع التنفيذ ويعود الأمن العام إلى نصابه. ويشترط فى ذلك أن لا تؤلف هذه القوى المحلية إلا من سكان البلاد التى يشملها الانتداب.

وتكون هذه الجندرية فى ما بعد تابعة للحكومات المحلية فى ما يخرج عن حدود السلطة والمراقبة التى يجب أن تحتفظ بهما عليها الدولة المنتدبة. ولا تستعمل هذه القوات لغير الأغراض المنصوص عليها أنفاً إلا بأذن الدولة المنتدبة وليس ثمة ما يمنع سورية ولبنان من الاشتراك فى نفقات جيش الدولة المنتدبة المرابط فى البلاد.

وللدولة المنتدبة فى كل أن أن تستعمل الموانئ وسكك الحديد وكل طرق المواصلات فى سورية ولبنان لنقل عساكرها وجميع المعدات والمؤن وغير ذلك من المهمات.

المادة الثالثة - إن إدارة علاقات سورية ولبنان الخارجية وقبول واعتماد قناصل الدول الأجنبية فيهما من حقوق الدولة المنتدبة وحدها. كما أن السوريين واللبنانيين المقيمين فى خارج حدود سوريا ولبنان يكونان تابعين لحماية الدولة المنتدبة السياسية والقنصلية.

المادة الرابعة - أن الدولة المنتدبة تضمن أراضي سورية ولبنان من كل فقدان أو استئجار يقع عليها أو على قسم منها ومن وضع أية مراقبة أجنبية كانت عليها.

المادة الخامسة - أن الامتيازات والحقوق التى كان الأجانب يتمتعون بها فى عهد الدولة العثمانية وفقاً للتقاليد والامتيازات الأجنبية المعلومة ومنها حق القضاء القنصلى والحماية تعتبر غير نافذة ولا معمول بها. غير أن المحاكم القنصلية الأجنبية تظل نافذة الأحكام كما فى الماضى إلى أن يوضع النظام القضائى المنصوص عنه فى المادة السادسة من هذا الصك موضع التنفيذ.

إذا كانت الدول التي كان رعاياها يتمتعون في ١ أغسطس سنة ١٩١٤ بالامتيازات والحقوق المذكورة لم تعدل عن إعادة تلك الامتيازات والحقوق أو عن تطبيقها مدة معينة فالامتيازات والحقوق الأنفة الذكر تعود بدون مهلة بعد انتهاء الانتداب إما بتمامها أو بالتعديل الذي يكون قد تم الاتفاق عليه بين الدول ذوات الشأن.

المادة السادسة - تضع الدولة المنتدبة في سورية ولبنان نظاماً قضائياً يضمن للوطنيين والأجانب على السواء حقوقهم كاملة، ويضمن للجماعات والشعوب المختلفة في سورية ولبنان نظام الأحوال الشخصية والمصالح ذوات الصفة الدينية، وتقوم الدولة المنتدبة على الأخص بمراقبة إدارة الأوقاف طبقاً للشرائع الدينية ولارادة الواقفين.

المادة السابعة - تكون المعاهدات الخاصة بتسليم المجرمين المعمول بها الآن بين الدول المنتدبة والدول الأجنبية نافذة في سورية ولبنان إلى أن تعقد اتفاقات خاصة بهذا الشأن.

المادة الثامنة - تضمن الدولة المنتدبة لكل إنسان حرية العقيدة بأوسع معانيها، كما تضمن أيضاً حرية القيام بالفروض الدينية على اختلاف أنواعها فيما لا يخالف شروط الآداب والأمن العام.

ولا يكون اختلاف العنصر والدين واللغة سبباً في عدم المساواة في معاملة أهالي سورية ولبنان.

وتنشط الدولة المنتدبة التعليم باللغات الوطنية في أراضي سورية ولبنان. وتحترم حقوق الطوائف في الاحتفاظ بمدارسها لتهديب وتعليم أبنائها بلغتها الخاصة - على شرط أن تتقيد هذه المدارس بالتعليمات العامة التي تضعها الإدارة للتعليم العام.

المادة التاسعة - تمتنع الدولة المنتدبة عن التدخل فى إدارة مجالس المعابد أو فى إدارة الفرق الدينية ومعابد الطوائف المختلفة التى تظل حرمتها مضمونة ضماناً مطلقاً.

المادة العاشرة - أن المراقبة التى تقوم بها الدولة المنتدبة على البعثات الدينية فى سورية ولبنان تكون مقصورة على المحافظة على الأمن العام وحسن الإدارة. ويكون نشاط هذه البعثات الدينية حراً. ولا تكون جنسية أعضاء هذه البعثات سبباً فى تقييدهم بشروط خاصة. على شرط أن لاتخرج أعمالهم عن دائرة الدين.

وفى استطاعته هذه البعثات الدينية أن تشتغل بأعمال التعليم والإسعاف العام على شرط أن تكون خاضعة فى ذلك لأحكام النظام والمراقبة التى تضعها الدولة المنتدبة أو الدول المشمولة بانتدابها للتعليم والتربية والأسعاف.

المادة الحادية عشرة - من خصائص الدولة المنتدبة أن تمنع فى سورية ولبنان كل ما من شأنه أن يجعل رعايا إحدى الدول الداخلة فى جمعية الأمم أو الجمعيات والشركات التابعة لها فى موقف عدم المساواة مع رعايا الدولة المنتدبة، وللشركات والجمعيات التابعة لها أو لأى دولة أخرى غيرها. سواء كان ذلك فى أمور الضرائب والتجارة والصناعة، أو الحرف والمهن الأخرى أو الملاحة والمعاملة المقررة للسفن والطائرات.

وكذلك تكون المساواة فى سورية ولبنان تامة فيما يتعلق بالبضائع الواردة من بلاد إحدى تلك الدول أو الصادرة إليها، ويكون مرور البضائع وانتقالها حراً فى البلاد الواقعة تحت الانتداب بشروط عادلة.

وللدولة المنتدبة أن تفرض أو أن تحمل الحكومات المحلية على فرض كل ما تراه ضرورياً من الرسوم والعوائد الجمركية. على شرط أن لا يكون ذلك مخالفاً

للأحكام الأنفة الذكر. وللدولة المنتدبة أو الحكومة المحلية العاملة بمشورتها أن تعقد اتفاقات جمركية خاصة مع بلاد متاخمة لها لأسباب الجوار.

وللدولة المنتدبة أن تقوم أو أن تحمل على القيام بما تراه واجباً لإنماء الموارد الطبيعية فى الأراضى المذكورة، وأن تصون مصالح الشعوب الوطنية. على أن لا يكون فى عملها هذا ما يناقض الفقرة الأولى من هذه المادة.

والامتيازات الخاصة بإنماء هذه الموارد الطبيعية تعطى بدون تمييز بسبب الجنسية بين رعايا كل الدول الداخلة فى جمعية الأمم بشروط لاتمس بقاء سلطة الحكومة المحلية تامة، ولا يعطى امتياز تكون له صفة احتكار عام.

وهذه الفقرة لاتعارض حق الدولة المنتدبة فى إيجاد احتكارات ذات صفة مالية بحتة لمصلحة أراضى سورية ولبنان وإيجاد الموارد المالية الأكثر انطباقاً على الحاجات المحلية لهذه الأراضى، أو فى بعض الظروف لترقية الموارد الطبيعية. سواء بواسطة الحكومة رأساً، أو بواسطة هيئة خاضعة لمراقبتها على شرط أن لاينجم عن ذلك بالذات أو بالتبع أى احتكار للموارد الطبيعية يعود بفائدة للدولة المنتدبة أو لرعاياها أو أية ميزة تفضيلية لاتنطبق على المساواة الاقتصادية أو التجارية أو الصناعية المضمونة فى ما سبق ذكره.

المادة الثانية عشرة - يجب على الدولة المنتدبة أن توافق لحساب سورية ولبنان على الاتفاقات الدولية العامة المعقودة أو التى ستعقد بمصادقة جمعية الأمم بشأن المسائل الآتية : الرقيق وتجارة المخدرات وتجارة الأسلحة والذخائر والمساواة التجارية، وحرية مرور البضائع وحرية الملاحة البحرية والجوية والمواصلات البريدية والبرقية السلكية واللاسلكية. وحماية الحقوق الفنية والأدبية والصناعية.

المادة الثالثة عشرة - تضمن الدولة المنتدبة بقدر ماتسمح بذلك الظروف الإجتماعية والدينية وسواها انضمام سورية ولبنان إلى الأنظمة ذات الفائدة العامة التى ستضعها جمعية الأمم للوقاية من الأمراض أو لحاربتها ويشمل ذلك أمراض الحيوان والنبات.

المادة الرابعة عشرة - تضع الدولة المنتدبة وتنفيذ في السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات ينطبق على الأحكام الآتية ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا كل الدول الداخلة في جمعية الأمم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية.

١ - يجب أن يفهم من لفظه «العاديات» كل ما نتج عن عمل البشر أو وضعهم قبل سنة ١٧٠٠.

٢ - إن التشريع لحماية العاديات يجب أن يكون أجدر بالتشجيع منه بالتهديد. ويجب على كل شخص يكتشف أثراً بدون حصول على الأذن المذكور في الفقرة الخامسة أن يعلم السلطة ذات الشأن باكتشافه، وينال مكافأة متناسبة مع قيمة ما اكتشفه.

٣ - لا يمكن نقل ملكية شئ من العاديات إلا لمصلحة السلطة ذات الشأن. مالم تعدل هذه السلطة عن استحوازه.

ولا يمكن إخراجه شيئاً من العاديات من البلاد إلا بأذن تلك السلطة.

٤ - كل شخص يتلف أو يثلّم قطعة من العاديات تعمداً أو إهمالاً يجب أن يجازى جزاء معيناً.

٥ - ممنوع كل حفر أو تنقيب لإيجاد العاديات إلا بأذن من السلطة ذات الشأن وإلا غرم المخالف غرامة مالية.

٦ - توضع شروط عادلة للسماح بنزع الملكية مؤقتاً أو دائماً في الأراضي التي تحتوى فائدة تاريخية أو أثرية.

٧ - لا تعطى الرخصة بإجراء الحفريات إلا لأشخاص يقدمون أدلة كافية على اختبارهم الأثرى، وعلى الدولة المنتدبة عند إعطاء هذه الرخص أن لاتستثنى علماء أمة ما.

٨ - يمكن اقتسام محصول التنقيب بين الأشخاص الذين أجروه والسلطة

ذات الشأن بالنسبة التي تعينها هي. فإذا تعذر الاقتسام لأسباب علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدل قسم من محصول التعديل.

المادة الخامسة عشرة - متى وضع النظام الأساسى المنصوص عليه فى المادة الأولى من هذا الصك موضوع التنفيذ تتفق الدولة المنتدبة مع الحكومات المحلية على طرق تسديد هذه الحكومات لكل النفقات التى أنفقتها الدولة المنتدبة على تنظيم الإدارة وإنماء الموارد الطبيعية، وعلى إنشاء الأعمال النافعة ذات الصفة الدائمة التى تبقى فائدها للبلاد ويبلغ هذا الاتفاق لمجلس جمعية الأمم.

المادة السادسة عشرة - تكون اللغة العربية واللغة الفرنسية اللغتين الرسميتين فى سورية ولبنان.

المادة السابعة عشرة - تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الأمم تقريراً سنوياً فى الشكل الذى يطلبه عن الإجراءات التى اتخذتها فى خلال السنة لتنفيذ هذا الانتداب ويضاف إلى هذا التقرير كل الأنظمة والقوانين التى تكون قد سنت فى ذلك العام.

المادة الثامنة عشرة - إن موافقة مجلس جمعية الأمم ضرورية لإحداث أى تغيير فى نصوص صك الانتداب الحالى.

المادة التاسعة عشرة - من خصائص مجلس جمعية الأمم عند انتهاء الانتداب أن يبذل كل نفوذه لضمان قيام حكومة سورية بالواجبات المالية، ومنها المخصصات أو رواتب التقاعد التى تكون الإدارة السورية قد تعهدت بها فى مدة الانتداب.

المادة العشرون - تقبل الدولة المنتدبة أن كل خلاف يقع بينها وبين أحد أعضاء جمعية الأمم على تفسير أو تطبيق أحكام الانتداب ولا يمكن حله بالمفاوضات يعرض على محكمة العدل الدولية الدائمة المنصوص عليها فى المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الأمم.

شرقي الاردن

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

نشأت إمارة شرقى الأردن فى جنوبى بلاد الشام سنة ١٩٢١ بعد انتهاء الحكم الفيصلى فى دمشق، يحدها من الجنوب الحجاز، ومن الغرب نهر الأردن والبحر الميت وفلسطين، ومن الشمال سورية والعراق، ومن الشرق نجد. ومساحتها نحو ٤٠ ألف كيلو متر مربع. وعدد سكانها نحو ٤٠٠ ألف نسمة. بينهم ٣٠ ألف مسيحي، ونحو ١٠ آلاف شركسى. والباقون عرب مسلمون سنيون وسكان الأرياف منهم لا يزالون على عاداتهم البدوية.

وعاصمتها عمان. وأشهر مدنها السلط، والكرك، ومأدبا، والطفيلة، وإربد، وجرش، ويعول سكانها على الزراعة فى معاشهم.

وشرقى الأردن مشمول بالحماية البريطانية، وقد فرضت عليه وقبلها بمعاهدة، وله جيش صغير بقيادة ضابط بريطانى.

وحكومته دستورية نيابية ديمقراطية يرأسها الأمير عبدالله بن الحسين، وهذا

رسمه :



(الأمير عبد الله بن الحسين) (أمير شرق الأردن)

الأمير عبد الله بن الحسين

أمير شرقى الأردن

مولده ونشأته

ولد الأمير عبدالله بن الحسين فى مكة المكرمة فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٩هـ - ووالده هو المرحوم الملك حسين، والدته الشريفة عابدية بنت الشريف عبدالله باشا.

وقد نشأ فى حجر والده نشأة أبناء الأشراف من أمثاله. فتعلم القراءة والكتابة فى داخل قصر والده على مدرسين جئ بهم لتعليمه هو وشقيقه الملك على والمملك فيصل.

ورحل إلى الآستانة مع أسرته حينما تلقى المرحوم والده دعوة السلطان عبدالحميد سنة ١٣١٤هـ - وله من العمر ١٦ سنة فنزلوا فى القصر الفخم الذى اهداه السلطان لوالده فى أستينة، وقد مر ذلك فى الكلام على سيرة الملك فيصل.

وقضى زمن الشبوية فى الآستانة يدرس وإخوته على أساتذة خصوصيين ويقرأ كتب الترك الأدبية واللغوية. فحذق لغتهم وأتقنها كما درس أدبهم دراسة واقية، وله ميل خاص إليها لا يقل عن ميله إلى أدب العرب. فقد ضرب فى الأدبين بسهم وافر. فقرأ دواوين كبار شعراء الأمتين، ورافق حركتى الأدب العربى والتركى فى مراحلها، وله أراء أدبية قيمة، ولما تقلد المرحوم والده شرافة مكة فى سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م غادر الآستانة إلى الحجاز وفى السنة التالية (١٣٢٧) انتخب نائباً عن مكة فى مجلس النواب العثمانى. فكان يسافر إلى الآستانة زمن انعقاد البرلمان هو وأخوه الملك فيصل. ثم يعودان بعد انقضاء الدورة البرلمانية إلى مكة فيساعدان والدهما فى عمله ويشاركانه فى مهامه.

وشقت قبائل مطير القاطنة فى شرقى المدينة عصا الطاعة. فجهز والده حملة لتأديبها قادها وأخوه الملك على. فجرح برصاصة فى فخذه أثناءها، واشترك مع أخيه الملك فيصل فى قيادة حملة أبها لإخضاع الإدريسى.

وقام مقام والده فى إمارة مكة حينما سار إلى نجد لتأديب بعض قبائلها سنة ١٣٢٩.

وسافر إلى الأستانة سنة ١٩١٤ بدعوة من الباب العالى لحل بعض المشاكل الناشئة عن تحديد حقوق الإمارة الحجازية، وأعلنت الحرب وهو فيها - فعاد إلى مكة خوف انقطاع المواصلات البحرية.

وتولى قيادة الجيش الهاشمى الذى تولى مهاجمة الطائف فى ابتداء الثورة العربية فى (شعبان ١٣٣٤) فضرب حولها نطاقاً وأقام يحاصرها حتى استسلمت يوم ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٣٤ وأسر قائدها الجنرال غالب باشا وأركان حربه وجنوده.

واشترك مع والده فى إنشاء الحكومة الجديدة على أثر الثورة، وقد تأسست يوم ٤ ذى الحجة سنة ١٣٣٤ وتقلد فيها وكالة الخارجية، وهو الذى أرسل البلاغات الرسمية إلى الدول الأوربية والشرقية بإنشاء الحكومة الهاشمية الجديدة فى الحجاز.

وفى شهر المحرم سنة ١٣٣٥ سافر إلى المدينة على رأس جيشه «الجيش الشرقى» لمساعدة أخيه الملك على، وكان يتولى حصارها. فنزل فى شمالها وظل مقيماً على حصارها حتى سلمت إليه، ودخلها رسمياً باسم جلالة والده يوم ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧ (١٣ ديسمبر سنة ١٩١٨) ثم عاد بجيشه إلى مكة، وتلقى فى الطريق أمراً من والده بأن يقصد عشيرة ويتولى قيادة الحملة التى كانت مجهزة للزحف على نجد، وتأديب خالد بن لؤى.

والكلام على هذا الحادث طويل لصلته الكبرى بتاريخ الدولة الهاشمية في الحجاز وعلاقتها بنجد وآل سعود وقد أفردنا له فصلاً خاصاً.

السفر إلى المدينة - وعلى أثر حادث طربة عاد الأمير إلى مكة، وقد فترت العلاقات بينه وبين والده فتوراً ظاهراً، تراه مفصلاً في آخر هذا الفصل فتقلد منصب وكالة الخارجية. فحدثت على الأثر مشكلة المهاجر الصحية. فزادت هوة الخلاف اتساعاً بينهما. وخلاصتها أن الحكومة البريطانية طلبت أن تكون مسئولة عن مهاجر الحجاز الصحية، وأن لا يقيم محجر في جزيرة أبي سعد (المنواحة لجدة) بل يكتفى بمحجر جزيرة قمران الإنكليزي، وأن يعاين الحاج القادمون من السويس في جزيرة أبي سعد معاينة صحية فقط. وأن تكون الحكومة البريطانية مسئولة عن الصحة في الحجاز أمام مجلس الكرنطينات والصحة الدولي العام مقابل تعويض مالى تعوضه على الحجاز، وقد أرسل اللورد اللنبى، المندوب السامى البريطانى يومئذ في مصر، كتاباً بهذا الشأن إلى الملك حسين يرجوه القبول فأبى، فعارضه ابنه الأمير وأشار بقبول الاقتراح مراعاة لمصلحة البلاد.

وهدد الكولونيل فيكرى المندوب البريطانى في جده يومئذ الملك باحتلال الإنكليز لجزيرة أبي سعد إذا لم يقبل المشروع، وقد ظهر أنه أراد بذلك التهويل وان الحكومة البريطانية لم تفكر في تنفيذ هذا المشروع، وكان الأمير عبدالله يومئذ في جده فاستدعاه والده إلى مكة على الفور ولامه على موقفه وتساهله، فاستقال بعد يومين من وكالة الخارجية (رمضان ١٣٤٠) ولزم منزله وأقام نحو شهرين معتزلاً، وفي شهر ذى القعدة قصد المدينة المنورة فأقام فيها أياماً بقرب أخيه، ثم سافر منها إلى معان فعمان (محرم سنة ١٣٤١) ومما يؤثر عنه أنه لما وصل إلى قهوة سالم في طريقه إلى المدينة، وهى تبعد عن مكة نحو عشر كيلومترات قال «أخ. الحمد لله. اليوم خلصنا من البلاء وصرنا في القفر فوق

الرملة» ولم يعد يتدخل في شئون الحجاز بعد ذلك. وزيادة في البيان نقول: إن الإنكليز عادوا فعدلوا عن تنفيذ مشروعاتهم الخاص بالمحاجر لما رأوه من تصلب الملك واستدعوا الكولونيل فيكرى من جده بعد ذلك بقليل لتهديده حكومة الحجاز على المنوال الذي مر بك، وكان ذلك بسبب كتاب كتبه الملك إلى اللورد اللنبى.

الأمير في معان - لم يطل الأمير الإقامة في المدينة بل قصد معان، وكانت لاتزال حجازية، فوافاه إليه بعض أحرار السوريين الذين غادروا بلادهم بعد معركة ميسلون الشهيرة، كما قصد بعضهم إلى مكة، يدعو الحسين إلى العمل لإنقاذ بلاد الشام، وكان لوصوله إلى معان يومئذ رنة عظيمة مادت لها بلاد الشام من أقصاها إلى أقصاها.

إمارة عمان - ثم غادر معان إلى عمان، وكانت بلاد شرقى الأردن غارقة في لجة من الفوضى، فاحتفى به أهلها حفاوة عظيمة وعدوة منقذاً محرراً، ثم قصد القدس فاجتمع بالمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومئذ وكان يزورها (مارس ١٩٢١) فتم الاتفاق بينهما شفاها على أن يتولى الأمر في شرقى الأردن وأن ينشئ فيها حكومة مدنية، وفي يوم ٧ أبريل سنة ١٩٢١ تم تأسيس حكومة عمان الحاضرة برئاسته.

كيف يقضي يومه؟

يقيم الأمير عبدالله وعائلته فى قصر رعدان، وقد أنشأه فى عاصمته الجديدة سنة ١٩٢٥ على أحدث طراز، وأثنه بالرياش الفاخر ويجمع بين الذوقين الشرقى والغربى، ويعد من القصور الجميلة. ثم أنشأ له ملحقا فى الأيام الأخيرة.

ويستيقظ مبكراً من نومه فينهض فى الساعة الخامسة شتاء والرابعة صيفاً، فيتوضأ ويصلى الصبح، وندر أن يصليه بعد شروق الشمس، ثم يقرأ جزءاً من القرآن، ثم يقوم برياضة فى الضاحية، قبل الشروق، فيسير ساعة أو أكثر على قدميه ثم يعود إلى ديوانه الخاص فيستقبل زواره.

ويتغذى فى غرفة المائدة فى الطبق السفلى من قصره ويأكل مع الموجودين من رجال وخاصته ثم يستريح بعد ذلك فى حجرته الخاصة، ويتعشى فى غرفه المائدة عشاء خفيفاً ولا يدخن، وقد كان يستعمل الأنفية ثم عدل عنها. وينام عادة فى الساعة العاشرة.

زواجه - تزوج وهو فى الأستانة سنة ١٩٢٠ بالشريفة مصباح كريمة عمه المرحوم ناصر باشا فولدت له ولداً ذكراً هو الأمير طلال ولى عهده والأميره هيا وتزوج بعد ذلك بشركية كانت تعمل كوصيفة فى قصر زوجته فولدت له الأمير نايف وأميرتين: مقبولة ومنيرة.

أوصافه - هو ربعه يميل إلى السمنة، أبيض اللون مشرب بحمرة، مليح الطلعة، ولحية جميلة كثة تحيط بوجهه الباسم، وهو كثير الشبه بالمرحوم والده.

أخلافه - أشتهر منذ نشأته بالسخاء والكرم الحاتمين. فهو يستدين وينفق إذا لم يجد مالاً يهبه لزواره وقاصديه، وقد بلغت ديونه فى السنوات الأخيرة نحو ٤٠ ألف جنيه. مما حمل الحكومة الإنكليزية على التدخل فأرصدت له راتباً من

راتبه يتناوله باسم نفقات جيب ويبلغ ١٢٠ جنيهه فى أول كل شهر ويتصرف فيه أما الباقى من راتبه السنوى ويبلغ ١٣ ألف جنيه فقد أرصد لوفاء دينه. وفى مطبخه مراقب إنكليزى يراقب حركة الطبخ والدخل والخرج. وهو ملول، ضيق الصدر، كثير الكلام، قليل الحذر، بعيد عن التكتم، ميال إلى المباشطة، محب للبساطه، يكره الرسميات، ويميل إلى حياه البداوة ويفضلها عن حياة الحضارة، يقبل على البداه ويأنس بهم أكثر من أقباله على أبناء المدن، وفى قصره عدد غير قليل من هؤلاء يجلس إليهم فى أوقات فراغه ويأنس إلى حديثهم.

وهو مولع أيضاً يلعب الشطرنج لا يكاد يتركه ليلاً أو نهاراً كما أنه كثير المطالعة فى كتب الأدب العربى والتركى.

أسفاره - زار القطر المصرى كثيراً وخصوصاً إبان وجوه فى الحجاز قبيل الحرب العظمى فكان يتردد على القاهرة فى زهابه إلى الأستانة وإياه وينزل ضيفاً على سمو الخديوى السابق صديقه الحميم.

زار لندن فى شهر أكتوبر سنة ١٩٢٢ بدعوة من الحكومة البريطانية فلقى اكراماً ورعاية وكذلك زار قبرص فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٦ وكان والده المرحوم فيها وزار بغداد فى شهر أكتوبر سنة ١٩٢٩ وقضى أيامه فى ضيافة أخيه الملك فيصل ثم زارها للاشتراك فى مأتمه وهو يتردد على فلسطين بدون انقطاع فأحياناً يزور القدس وأحياناً يافا وحيفا.

خطبه ورسائله - يتولى الأمير عبدالله بنفسه كتابة رسائله الخاصة وخطبه والبلاغات الرسمية التى يصدرها «المقر العالى» فتجئ أية فى البلاغة وحسن السبك لطول باعه فى الأدب العربى ونحن نورد هنا جانباً من خطبة الرسمية التى ألقاها فى مناسبات مختلفة.

احتفل فى عمان يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٣ بتلاوة بيان رسمى اعترفت فيه بريطانيا بوجود حكومة عربية فى شرقى الأردن برئاسة الأمير عبدالله فألقى رئيس ديوانه خطبه طويلة أعدها سموه واستهلها بقوله :

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد: فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث محمداً والعرب منكمشون في جاهليتهم المظلمة، وموضوعون في حروبهم الداخلية والطوائل، والأحقاد مستحكمة في أفئدتهم فوحد كلمتهم وألف بين قلوبهم، وجمع بين أهوائهم وقادهم إلى مافيه طريق رشادهم وأخرجهم من الضلال إلى الهدى، وملكهم الدنيا وهو أبون كارهون، فجزاه الله عن العرب خيراً ثم خلف من بعده الخلف الصالح وهو الخلفاء الراشدون فاتبعوا سنته، وفتحوا الفتوح، وأسسوا دعائم الدولة العربية، وشادوا لهم من المدنية صرحاً. فيه ﷺ وبهم رضى الله عنهم كان للعرب ما كان من المفاخر المادية والمعنوية حتى أصبحوا مصابيح الوجود. وكلكم تعلمون ماضى دولكم من أمويين وعباسيين وأندلسيين وفاطميين. كل ذلك كان بالاقتداء بتعاليمه وبالاكتصام بالوحدة في الرأى والعمل وبالاتّمار بأوامر من كانت بيده مقاليد الأمور وبنى عليه الأمل، ثم شاءت الأقدار الصمدانية للحكمة الأزلية أن يقلب الدهر للعرب ظهر مجته، ويصميمهم بكوارثه ومحنه، فأصابهم ما أصاب غيرهم من الأمم، وضرب التخازل بينهم بجرانه وتسلمت الأعاجم على شؤونهم وأهم أمورهم. فوقع على الدولة العباسية ما وقع وأضاع العرب ما اكتسبوه بالأنفس والنفائس، وظلوا بعدها كما تعلمون إلى أن أذن الله بالحرب العامة في أثناء انتباه الأقطار العربية وسعيها لإعادة مجدها السابق وعزها الغابر. فوقعت النهضة العربية المباركة على يد من اختاره سبحانه وتعالى قواماً لها وقائداً لأمرها. فنادى إلى الحق فأيقظ الهاجع في عماده، ونبه الغافل في كراه، وخاض غمرات الحرب في أشد أوقاتها خطراً متكللاً على الله وعلى قومه والنصر من عند الله. فكلل الله جميع أعماله بالنجاح لأتتّمار العرب في أثناء الحرب بأمر واحد وأتباعهم مركزاً واحداً.

وخطب يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٤ بمناسبة عودته من الحجاز فقال: لاتصل الأمم إلى غاياتها إلا بالعقل والعقل، يكون النظام والنظام، هو الذى يوصل

إلى الغاية المنشودة. أما الذين ينصاعون إلى الفوضى ولا يدخلون البيوت من أبوابها فيسلكون غير طريق الحق والنظام، هؤلاء ليسوا إلا خطراً على بلادهم مهما حاولوا تبرير أعمالهم.

نعم. نحن خرجنا من الحرب العامة لنكون أصحاب بلادنا. ولكن من هو الذى يقول إننا على أهبة فى وسائلنا وأوضاعنا لمقاومة الأمم؟ إن المقاومة التى تجلب الشر ليست سوى جريمة، والشجاعة الحقيقية هى فى معرفة الإنسان نفسه وسلوكه مسلك الحق والحكمة، وأن يسعى قبل كل شئ فى إعداد نفسه ليكون رجلاً أو أمة.

أنا لا أخون الله والأمانة التى أودعت لى. بل أجهز بالحق ليسمع الجميع. إن كل من يعيث بالأمن فى سورية وفلسطين من دعاة الفتنة تعتبره خارجاً علينا إذا ماسولت له نفسه استخدام هذه المنطقة الآمنة فى مناحى هواه. لأننا لا نريد أن تجنى هذه البلاد ذلاً، وإنى لأقول لكم اسمعوا وأطيعوا. فالطاعة لا بد منها فى المحافظة على الكيان.

ورد سموه على برقيه أرسلها إليه موسى كاظم باشا الحسينى باسم فلسطين راجياً منه عدم حضور الحفلة التى تقيمها الحكومة الإنكليزية إعلاناً لانتدابها على فلسطين بقوله :

«إننى عالم بما أوجب الله على فى أعمالى وإليه المفزع والمآل، وأود أن الغير يعرف ما أوجب الله عليه فيتبعه، وإننى لا أرى أن هنا شيئاً استجد بل هو الانتداب الذى ذكر منذ عقد الهدنة، والمخطوب من هيئة سورية على لسان كافة أحزابها وممثليها لدى لجنة الاستفتاء من أنهم يريدون انتداب أمريكا، وإن لم يكن فالانتداب البريطانى، وإننى لا تأخذنى فى الحق لومة لائم. لذا أقول: إن أقتنا جميعاً التردد فى الأمور، وأذكر بكل ثناء أن الأمة ووفدها أديا ما ظناً فيه الفائدة ولهما الشكر. فليترك الآن الرجال الرسميين المسئولين يعملون بما يرون فيه الفائدة أيضاً. إلا وإننى عالم بأن الله أخذ بناصيتى فيما أنا فيه. فإن رأيت قبول طلبكم من العزم فعلت، وإن رأيت ترك ذلك من الحزم مضيت، والله حسبى ونعم الوكيل».

ولما نعى البرق المغفور له الملك فيصلاً وجاءه المعزون خطب فيهم فقال: إن المصاب هو مصاب العرب. أما نحن فذو مصابين. مصاب خاص ومصاب عام أنتم تعرفون المرحوم فلا حاجة إلى من يعرفكم عليه، ندعو الله أن يعوض الإسلام والعرب عن فيصل وقدماء كان الله للجميع. فليأخذ الله بيدنا ويصبرنا على هذا المصاب الجليل.

وخطب أيضاً فقال : لآلى يدوم إلا وجهه. لقد استرد الله فيصلاً، وإن هذا الاسترداد ليصعب على القلوب والعرب أحوج ما يكونون إليه، ولكننا نحن آل زيد دائماً مصابون، والله لا ينساكم، ولكم برسول الله أسوة حسنة. بارك الله فيكم، واسيتمونا وعزيتمونا جزاكم الله خيراً عن كل عين دمعت، وعن كل قلب وجف، استغفروا للمرحوم. أرجو الله أن لا يسيئكم بعزيز.

مسألة الخلافة – ولابد لنا ونحن نورد سيرة الأمير عبدالله من الإشارة إلى أنه كان فى مقدمة العاملين على مبايعة والده الملك حسين بالخلافة الإسلامية فى شهر مارس سنة ١٩٢٢ على أثر إلغاء الترك الكماليين لها فى بلادهم وطردهم سلائل الخلفاء العثمانيين. فقد أقنع والده وكان يزوره فى عمان بقبول البيعة كما حمل كثيرين من رجال فلسطين وسورية على مبايعته. فجرت يوم الجمعة ٨ شعبان سنة ١٣٤٢ و ١٤ مارس سنة ١٩٢٤ ولم يطل ملكه بعدها سوى بضعة أشهر.

إعداد الثورة العربية – وكما تفرد الأمير عبدالله بعملية نقل الخلافة إلى والده فقد كان فى مقدمة العاملين على تهيئة الثورة العربية فى الحجاز، وكان هو الوسيط بين والده وبين رجال الإنكليز فى مصر. فكانت المكاتبات تجرى بواسطته، وكان رسل الإنكليز ينزلون على شواطئ البحر الأحمر ثم يقصدون الطائف فيقابلهم سموه ويتناول منهم الكتب والرسائل ويجيبهم عليها حتى تم الاتفاق على اشتراك العرب فى الثورة إلى جانب الحلفاء.

الرتب والألقاب – وأسرف الأمير فى ابتداء عهده بمنح الرتب والألقاب فعد حاملو لقب باشا ولقد بك بالعشرات، ولما طغى سيلها تدخلت الحكومة البريطانية فوضعت حداً لها.

٤٠٠

ضمت المقاطعات التي تتألف منها حكومة شرقى الأردن الحاضرة إلى حكومة دمشق الفيصلية (٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨ - ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠) وخضعت لها بعد جلاء الترك ولما بسط الفرنسيون نفوذهم على سورية الشرقية أمسكوا عن التعرض لهذه المقاطعات تنفيذاً لأحكام معاهدة سايكس بيكو المعقودة بينهم وبين الإنكليز فى القاهرة يوم ٨ مايو سنة ١٩١٦ وقد نشرنا نصها فى هذا الفصل .

واضطربت الحالة فى شرقى الأردن لعدم وجود حكومة مركزية عليا تصون النظام وتوطد الأمن فزار السر هربرت صموئيل المندوب السامى البريطانى لفلسطين يومئذ السلط (أغسطس سنة ١٩٢٠) وخطب شيوخها معلناً دخول بلادهم تحت الانتداب البريطانى وعزم بريطانيا على إنشاء حكومة عربية تسوس أمورهم .

وفى يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٠ اجتمع شيوخ إربد وعجلون بالميجر سمرست مندوب انكلترا فى عجلون يومئذ وباحثوه فى مصير بلادهم وتم الاتفاق بينه وبينهم على الاتفاق الآتى ، وهو بشكل كتاب موجه إليهم من الميجر ويسمى معاهدة أم قيس وهو :

١ - نوافق على تأليف حكومة عربية مستقلة تحت انتداب الحكومة البريطانية وأما بخصوص ضم حوران والقنطرة ومرجعيون إلى حكومتكم الجديدة فهذا طلب لا يستطيع منحه بالوقت الحاضر ، بل سيكون تقديمه والسعى فيه لدى مندوب ونائب جلالة ملك بريطانيا العظمى بفلسطين .

٢ - طلبكم أميراً عربياً لهذه الحكومة فهذا الطلب أيضاً سيخاير به فخامة المندوب السامى ليسعى لتحقيقه لدى جمعية الأمم .

- ٣ - بخصوص تأليف مجلس عام لهذه الحكومة فهذا الطلب سيقدم إلى فخامة المندوب السامي ويصادق عليه بعد استشارة أهالي السلط والكرك.
- ٤ - لالعلاقة الأتية بين حكومة هذه البلاد وحكومة فلسطين.
- ٥ - منع الهجرة الصهيونية ومنع بيع الأراضى لليهود عائد لحكومة البلاد.
- ٦ - توافق الحكومة البريطانية على تأليف جيش وطنى لهذه الحكومة وزيادته عند اللزوم إذا وافقت عليه أهالى منطقتى السلط والكرك.
- ٧ - لاتوجد فى الوقت الحاضر فكرة نزع السلاح. أما إذا أرادت الحكومة الوطنية ذلك فى المستقبل فالأمر لها.
- ٨ - لا يكون تسليم أى فرد كان من المجرمين السياسيين اللاجئين إلى هذه المنطقة بتاتاً، ولا يطالب أحد من الأهالى بجرم سياسى سابق أو خلافه.
- ٩ - ستكون التجارة حرة بين هذه المنطقة وفلسطين وتجرى المخابرة بخصوص جعلها حرة مع باقى الحكومات المجاورة لها. وستعطى حقها من إيرادات الجمارك وقد يمكن أخذ جانب منها لوفاء الدين العام.
- ١٠ - سيكون الخط الحجازى بن درعا - سمخ تابعاً لحكومة الشام. أما بين درعا - المدينة فقيده المذاكرة.
- ١١ - للحكومة الوطنية الحق باتخاذ أى شعار كان.
- ١٢ - تقدم الحكومة البريطانية السلاح وغيره للحكومة المحلية بثمنه حسب اللزوم.
- ١٣ - تراجع جمعية الأمم بشأن انتداب بريطانيا لسورية.
- ولما وصل الأمير عبدالله إلى عمان قادماً من الحجاز رأى ولاية الأمور البريطانيين فى وصوله ما يساعد على إنقاذ شرقى الأردن من الفوضى ويقضى

على حكومات المقاطعات، فقد نشأت فيها خلال هذه المدة القصيرة أربع حكومات كل منها مستقلة عن الأخرى وهى : حكومة السلط، حكومة الكرك، حكومة إربد، وحكومة عجلون، فدعى إلى القدس على مامر أنفا فقابل المستر تشرشل وتم الاتفاق على إنشاء حكومة عربية طبق القواعد الآتية :

- ١ - تؤسس حكومة عربية وطنية فى شرقى الأردن برئاسة الأمير عبدالله.
- ٢ - تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً إدارياً تاماً.
- ٣ - تساعد بريطانيا مالياً لتوطيد الأمن.
- ٤ - تسترشد برأى مندوب بريطانى يقيم فى عمان.
- ٥ - يحافظ على حدود فلسطين وسورية من كل اعتداء.
- ٦ - تنشئ بريطانيا مركزين للطيران فى عمان والجزيرة (الزبياء).
- ٧ - تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الأمير عبدالله والسلطة الفرنسية فى سورية.

النص علي منع الهجرة الصهيونية إلي شرقي الأردن

جاء فى المادة ٢٥ من صك الانتداب البريطانى لفلسطين وقد أقره مجلس جمعية الأمم يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ مانصه :

« يحق للدولة المنتدبة بسماع مجلس جمعية الأمم أن تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من هذه الشروط غير مطابق للأحوال المحلية الحاضرة فى الأملاك الواقعة بين نهر الأردن والحد الشرقى لفلسطين كما سيعين فى آخر الأمر، وأن تضع من التدابير لإدارة هذه الأملاك ما تراه ملائماً لتلك الأحوال بشرط أن لايعمل عمل يكون مخالفاً لشروط المواد ١٥ و ١٦ و ١٨ ».

وفى يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٢ عرض سكرتير جمعية الأمم على الجمعية مذكرة قدمتها الحكومة البريطانية بخصوص المادة ٢٥ الأنفة الذكر وطريقة تطبيقها وهى :

تطلب حكومة جلالة الملك من مجلس جمعية الأمم وفقاً لشروط هذه المادة أن يقرر القرار الآتى :

«لاتطبق المواد الآتية من نظام الانتداب الفلسطينى فى القطر المعروف بشرقى الأردن الذى يشمل جميع المقاطعات الواقعة إلى شرق خط ممتد من نقطة واقعة على خليج العقبة على بعد ميلين إلى غرب مدينة العقبة ماراً بمنتصف وادى عربيه والبحر الميت. ونهر الأردن حتى المنطقة التى يلتقى بها هذا النهر بنهر اليرموك، فمن منتصف هذا النهر حتى الحدود السورية.

والمواد الملغاة هى :

١ - الفقرة الثانية والثالثة من ديباجة صك الانتداب وهذا نصها :

«حيث إن دول الحلفاء الكبرى وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ للشعب اليهودى مع البيان الجلى أن لاتفعل شيئاً يضر الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين الآن، ولا الحقوق أو المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى.

«وحيث إن ذلك هو اعتراف بالصلة التاريخية التى تصل الشعب اليهودى بفلسطين والبواعث التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القوى فى تلك البلاد».

والمادة الثانية من صك الانتداب - ونصها :

«تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى اليهودى كما جاء فى ديباجة هذا الصك

وترقية أنظمة الحكم الذاتى وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان».

والمادة الرابعة والسادسة :

هذا نص المادة الرابعة : «يعترف بوكالة يهودية صالحة كهيئة عامة لتشير وتعاون فى إدارة فلسطين فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يمس إنشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين وتساعد فى ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً».

ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هى هذه الوكالة المنصوص عليها فى ماتقدم مادامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة لهذا الغرض. وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ مايلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يرغبون المساعدة فى إنشاء الوطن القومى».

ونص المادة السادسة : «على حكومة فلسطين مع كفالة عدم إلحاق الضرر بحقوق سائر طوائف الأهالى ومراكزهم أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين فى أحوال مناسبة وتنشيط بمعونة الوكالة اليهودية المنصوص عنها فى المادة الرابعة استقرار اليهود فى الأراضى الزراعية، وفى جملتها الأراضى المبذورة والأراضى البور غير المطلوبة للأعمال العامة».

والمادة السابعة، وهذا نصها : «يجب على حكومة فلسطين أن تسن قانوناً للجنسية ينص على تسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم على الرعوية الفلسطينية».

والجملة الثانية من الفقرتين الأولى والثانية من المادة ١١ ونصها : «ويجوز لحكومة البلاد أن تتفق مع الوكالة اليهودية على أن تصنع وتدير بشروط

الإنصاف والعدل الأعمال والمصالح والمنافع العامة، وترقى مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة مباشرة هذه الأمور بنفسها».

والمادتان ١٣ و ١٤ وهما خاصتان بالأماكن المقدسة في فلسطين والمادة ٢٢ وهي خاصة بالاعتراف باللغة العبرية لغة رسمية والمادة ٢٣ وهي خاصة بالأعياد. وفي تطبيق نظام الانتداب على شرقى الأردن تقوم حكومته بالأعمال التى تقوم بها حكومة فلسطين فى فلسطين بمراقبة الدولة المنتدبة.

٢ - تقبل حكومة جلالة الملك التبعة التى تقع على عاتقها فى تطبيق نظام الانتداب على شرق الأردن وتتكفل بأن الشروط التى توضع لإدارة ذلك القطر وفقاً للمادة ٢٥ لا تكون بأية وسيلة غير مطابقة لبقية شروط نظام الانتداب التى لم يشر إلى عدم تطبيقها هذا القرار.

أول تصريح رسمي لبريطانيا

كان أول تصريح رسمى أصدرته بريطانيا خاصاً بشرقى الأردن التصريح الذى تلى فى عمان يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٣ وقد ألقاه السر جلبرت كليتن باسم بريطانيا ونصه :

«تعترف حكومة جلالة الملك بوجود حكومة مستقلة فى شرقى الأردن برئاسة صاحب السمو الأمير عبدالله بن الحسين. شرط أن توافق جمعية الأمم على ذلك وأن تكون حكومة شرقى الأردن دستورية تمكن حكومة جلالة الملك من القيام بتعهداتها الدولية فى مايتعلق بتل البلاد، وذلك بواسطة اتفاق يعقد بين الحكومتين».

كيف ضمت العقبة ومعان إلى شرقي الأردن؟

فى يوم ١٨ مارس سنة ١٩٢٤ أعلن الملك حسين تنازله عن إدارة العقبة ومعان الداخلتين فى مملكة الحجاز إلى نجله الأمير عبدالله فضمها إلى بعضها وأنشأ منهما ولاية جعل معان مقرها وقيل أن هذا اللاحق شخصى.

واغتتم الإنكليز فرصة الحرب الحجازية - النجدية فحملوا الأمير عبدالله على إقناع أخيه بالتنازل نهائياً عن هذه المقاطعة لإمارة شرقي الأردن فتم لهم ما أرادوه واحتفل يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٢٥ فى معان بفصلها نهائياً عن الحجاز وإلحاقها رسمياً بشرقي الأردن وهذا نص الاتفاق الرسمى الموقع بين الأخوين يوم ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ :

تقرر بين جلالة الملك على وسمو الأمير عبدالله ما يأتى :

- أ- التصريح بسلامة الشرق العربى.
- ب - عدم - ازعاج جلالة الخليفة الأعظم نظراً لمقامه فى العالم العربى والإسلامى - أى أنه لايجرى التسليم إلا بعد تشريف جلالته لجده (١).
- ج - لايجرى التسليم إلا بعد صدور الأوامر لموظفى ولاية معان.
- د - عدم التعر لمناقلات الحجاز الحربية مطلقاً.
- هـ - السماح للحكومة الحجازية بنقل جندها ومعداتھا إلى أى محل تريد قبل التسليم وبعده.

ولما عقد المؤتمر الإسلامى فى مكة سنة ١٩٢٦ أثيرت مسألة العقبة وانتقد

(١) المقصود هنا بعبارة جلالة الخليفة المعظم هو الملك حسين، ولا يخفى أنه كان يومئذ يقيم فى العقبة من أعمال معان، وقد نزلها لاجئاً على أثر غزو النجديين للحجاز.

الخطباء الأساليب التي اتبعت فى فصلها عن الحجاز وإلحاقها بشرقى الأردن وطلبوا من حكومة مكة العمل لاستردادها وفعلاً دار البحث عليها فى خلال المفاوضات التي جرت فى جده لعقد معاهدة تنظم العلاقات بين حكومتى مكة ولندن، وانتهت بإضافة الملحق الرابع إلى تلك المعاهدة.

المعاهدة الأردنية الإنكليزية

وعملاً بالتصريح البريطانى الصادر يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٣ وقد نشرناه أنفاً وهو يقضى بعقد معاهدة بين شرقى الأردن وإنكلترا تحدد علاقاتهما بدأت المفاوضات بين المندوب السامى البريطانى لفلسطين من جهة وبين رئيس الحكومة الأردنية من جهة أخرى واستمرت نحو ٤ سنوات، وفى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٨ وقع على هذه المعاهدة ونشرت فى لندن وعمان يوم ٢٦ مارس وهى :
حيث إن لصاحب الجلالة البريطانية بحكم انتداب معهود فيه إليه يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ صلاحية للعمل فى ما شمله الانتداب من إقليم.

وحيث إن صاحب السمو أمير شرقى الأردن قد أقام حكومة فى القسم المعروف بشرقى الأردن ما فى الإنتداب من إقليم.

وحيث إن صاحب الجلالة البريطانية مستعد أن يعترف بقيام حكومة مستقلة فى شرقى الأردن فى حكم صاحب السمو أمير شرقى الأردن. على أن تكون دستورية وجاعلة صاحب الجلالة البريطانية. حيث يقوم بما هو إلى هذه الأقطار من عهوده الدولية اعترافاً يقع عن طريق معاهدة تقع مع صاحب السمو.

فقد عقد صاحب الجلالة البريطانية وصاحب السمو أمير شرقى الأردن معاهدة إجابة لهذه الأغراض، وسعيّاً إلى هذه الغاية، وعينا لهما مفوضين مطلّقين:

عن صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأرلنده والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند الفلد مارشال الريت أنو رابل اللور بلومر.
وعن صاحب السمو أمير شرقى الأردن حسن خالد باشا أبو الهدى.
اللذين بعد تبادلهما بلاغ تفويضيهما واعتبارهما صحة ورسماً تعاهدا كما يلي:

المادة ١ - معاهد صاحب السمو أمير شرقى الأردن أن صاحب الجلالة البريطانية يمثلته فى شرقى الأردن وكيل بريطانى عامل بالنيابة عن المندوب السامى لشرق الأردن، وأن المخابرة مابين صاحب الجلالة البريطانية وسائر الدول كافة من الجهة الواحدة وبين حكومة شرقى الأردن من الأخرى تكون عن طريق الوكيل البريطانى والمندوب السامى المذكورين.

ومعاهد صاحب السمو الأمير أن اعتيادى نفقات الحكومة والإدارة المدنيتين ومرتببات الوكيل البريطانى وأفراد ديوانه ونفقاتهم تحتملها كافة شرقى الأردن، وييسر صاحب السمو الأمير محال لإقامة البريطانيين من ديوان الوكيل البريطانى.

المادة ٢ - إن صلاحيتى الاشتراع والحكم المعهود فيهما إلى صاحب الجلالة البريطانية منتدباً لفلسطين يمارسهم فى هذا القسم المعروف بشرقى الأردن صاحب السمو الأمير عن طريق ما يعين وما يتعين فى قانون شرقى الأردن الأساسى وفى كل تعديل يلحقه بمصادقة صاحب الجلالة البريطانية من حكومة دستورية، وفى سياق سائر مواد هذه المعاهدة يراد بكلمة (فلسطين) - ما لم ترد معرفته على وجه آخر - ذلك القسم من الإقليم الذى فى الانتداب الواقع إلى غربى خط يخط من نقطة على ميلين غرباً من مدينة العقبة القائمة على الخليج المعروف بهذا الاسم صعوداً فى قلب وادى عربة فقلب البحر الميت فقلب نهر الأردن حتى ملتقاه بنهر اليرموك فى قلب هذا النهر حتى الحد السورى.

المادة ٣ - معاهد صاحب السمو الأمير أنه مدى هذه المعاهدة لايعين فى شرقى الأردن موظفاً غير ذى جنسية أردنية من دون موافقة صاحب الجلالة البريطانية وأمر استخدام موظفين بريطانيين وكيفية تعيينهم فى شرقى الأردن من حيث العدد والشروط يضبط بمعاهدة على حدتها.

المادة ٤ - معاهد صاحب السمو الأمير أن كل ما قد يقتضى لتام القيام بما هو إلى أقطار شرقى الأردن من دولى مسئوليات صاحب الجلالة البريطانية وعهوده من قانون أوامر أو نظام يتخذ ويستسن فى شرقى الأردن من قانون أو أمر أو نظام ما قد يعوق تمام القيام بما ذكر من دولى المسئوليات والعهود.

المادة ٥ - معاهد صاحب السمو الأمير أنه ينقاد بمشورة صاحب الجلالة البريطانية مسوقة إليه عن طريق المندوب السامى لشرقى الأردن فى جميع الشئون المختصة بعلاقات شرقى الأردن الخارجية وفى جميع مهام الشئون المتصلة بما هو إلى شرقى الأردن من دولى عهود صاحب الجلالة البريطانية ومصالحة وما إليها. وأخذ صاحب السمو الأمير على نفسه أن يتبع فى شرقى الأردن خطة فى الشئون الإدارية والمالية وموارد الخزينة ما يضمن لحكومته وماليتها الاستقرار وحسن الانتظام، وأن يدع صاحب الجلالة البريطانية على علم بما يعتزم وبما يتخذ من تدابير قضاء لحق هذا الالتزام من الإنفاذ وأنه لا يحدث تغييراً فى نظام شرقى الأردن من دون موافقة صاحب الجلالة البريطانية.

المادة ٦ - يتعهد صاحب السمو الأمير أن يتبع مشورة صاحب الجلالة البريطانية فى قانون الميزانية السنوى، وفى كل قانون ذى علاقة بشئون مشمولة فى هذه المعاهدة وفى كل قانون يكون من نوع من الأنواع التالية أى :

(١) قانو يتصل بأمر نقد شرقى الأردن أو يتعلق بإصدار ورق نقد. (٢) قانون تفرض به رسوم جديدة. (٣) قانون يسوغ به جعل أشخاص - هم من رعايا حكومة عضو فى جمعية الأمم أو معاهدة لحكومة صاحب الجلالة تنضم لها من

الحقوق ما كانت لتتمتع به لو كانت عضواً في الجمعية المذكورة - خاضعين أو معرضين لحكم فقد أهلية غير مخضع ولا معرض له أيضاً رعايا بريطانيون ولا ذوو جنسية حكومة أجنبية. (٤) قانون خاص يوضع به لأمر الوراثة في عرش الأمير أو لأمر إقامة مجلس حكم. (٥) قانون يسوغ به جعل أرض أو مال أو عطية أخرى أو منحة لشخصه. (٦) قانون يسوغ به أن يتولى الأمير السيادة على شيء من الأقطار في خارج شرقي الأردن. (٧) قانون يتعلق بأمر اختصاص المحاكم النظامية على الأجانب. (٨) قانون يحدث تغييراً في أوضاع القانون الأساسي أو يعدها أو يضيف إلى تفاصيلها.

المادة ٧ - لا يكون بين فلسطين وشرقي الأردن حاجز جمركي والتعريفية الجمركية في شرقي الأردن يصدق عليها صاحب الجلالة البريطانية. وعلى حكومة فلسطين أن تدفع إلى حكومة شرقي الأردن مبلغاً بقدر الرسوم الجمركية المفروضة على ما يدخل فلسطين من غير أقطار شرقي الأردن من البضائع، ثم يدخل شرقي الأردن للاستهلاك المحلي إنما يكون لها حق أن تحجز من المستحق أدائه من هذا القليل مبلغاً مقدار الرسوم الجمركية المفروضة من قبل شرقي الأردن على ما يدخل شرقي الأردن من غير أقطار فلسطين ثم يدخل فلسطين للاستهلاك المحلي، وتلقى تجارة شرقي الأردن ومتاجرها في الموانئ الفلسطينية من التسهيلات ما تلقاه فيها تجارة فلسطين ومتاجرها على السواء.

المادة ٨ - لا يقيم صاحب الجلالة البريطانية عائقاً في سبيل اتحاد شرقي الأردن مع من يرغب فيه من حكومات عربية مجاورة لأغراض جمركية وغيرها.

المادة ٩ - يتعهد صاحب السمو الأمير أنه يقبل وينفذ في الشئون القضائية ما قد يراه صاحب الجلالة البريطانية ضرورياً لصيانة مصالح الأجانب، وتندمج تلك التدابير في معاهدة على حدة تبلغ إلى جمعية الأمم، وريثما تعقد هذه المعاهدة لا يؤتى بأجنبي أمام محكمة في شرقي الأردن من دون موافقة صاحب الجلالة البريطانية.

ويتعهد صاحب السمو الأمير أن يقبل وينفذ من معقول التدابير في الشؤون القضائية ما قد يراه صاحب الجلالة البريطانية ضرورياً صيانة لأمرى الشريعة والصلاحيات في ما هو إلى مسائل ناشئة عن مختلف الملل المذهبية من عقائد دينية.

المادة ١٠ - لصاحب الجلالة البريطانية أن يقيم قوات مسلحة في شرقي الأردن، وله أن يجند وأن ينظم وأن يلى من قوات مسلحة ما يراه ضرورياً للدفاع عن البلاد، ولمعونة صاحب السمو الأمير في حفظ الأمن والنظام.

ويتعهد صاحب السمو بأنه لا يجند ولا يقيم ولا يسمح أن يجند ويقام في شرقي الأردن قوة حربية أو عسكرية من دون موافقة صاحب الجلالة.

المادة ١١ - يسلم صاحب السمو بأن نفقات القوات اللازمة للدفاع في شرقي الأردن تكون عبئاً على إيراداته. وعند نفاذ هذه المعاهدة تظل شرقي الأردن متحملة سدساً من نفقات قوات الحدود، وتحمل أيضاً حالماً تطبيق موارد البلاد المالية الربو في نفقات القوات البريطانية محلة بشرقي الأردن قدر ما تكون معتبرة عند صاحب الجلالة البريطانية مستخدمة في ما هو إلى شرقي الأردن على نفقاتها محله ببريطانيا العظمى وكامل نفقات كل قوة مجندة لشرقي الأردن وحدها.

المادة ١٢ - إذا لم تكف إيرادات شرقي الأردن لنفقاته العادية المصدقة من قبل صاحب الجلالة البريطانية بما في ذلك نفقات القوات المحلية المسؤول عنها شرقي الأردن كما في المادة ١١ ينظر في إمداد من الخزينة البريطانية سواء بجعل معين أو بعقد قرض، ويتدبر صاحب الجلالة البريطانية أيضاً لقاء الربو في نفقات القوات البريطانية المحلة في شرقي الأردن والمعتبرة عند جلالتها مستخدمة في ما هو إلى شرقي الأردن قدر ما تكون إيراداته غير الكافية لتحمل هذا البريد ومدى ذلك.

المادة ١٣ - يتعهد صاحب السمو بتلبية جميع ما قد يقتضيه صاحب الجلالة البريطانية من جهة إلى أخرى من قانون أو أوامر أو نظام إجابة لأغراض المادة العاشرة. ويتعهد أن لا يتخذ ولا يسن في شرقى الأردن قانوناً ولا نظاماً يكون فى رأى صاحب الجلالة حائلاً دون أغراض تلك المادة.

المادة ١٤ - يتعهد صاحب السمو أنه يتبع مشورة صاحب الجلالة فى أمر إعلان الأحكام العرفية فى جميع شرقى الأردن أو فى أى جزء منها. وأن يعهد فى أمر حكم ما قد يجعل تحت الأحكام العرفية من أجزاء من شرقى الأردن إلى من قد يسميه صاحب الجلالة البريطانية من ضابط أو ضباط من قوات جلالته. ويتعهد أيضاً أنه عند إعادة الحكم المدنى يسن قانوناً خاصاً يتحمل به مسؤولية كل عمل عملته القوات المسلحة المقامة من قبل صاحب الجلالة وكل عمل تركته وكل تقصير وقع فى الأحكام العرفية.

المادة ١٥ - لصاحب الجلالة أن يمارس سلطته على أفراد القوات المسلحة المقامة أو المولى عليها من قبل جلالته فى شرقى الأردن. وفى سياق الأغراض المرادة بهذه المادة وبالخمس السابقة يعتبر مفاد الكلمتين (القوات المسلحة) شاملاً للملكيين الملحقين بالقوات المسلحة أو المستخدمين فيها.

المادة ١٦ - يتعهد صاحب السمو أن ييسر فى جميع الأحيان كل تسهيل لانتقال قوات صاحب الجلالة البريطانية (داخلاً فى ذلك استعمال دوائر اللاسلكى وخط التلغراف والتلفون البريين وحق مد خطوط بريدة) ولنقل الوقود والعتاد والذخيرة واللوازم واختزانها فى طرق شرقى الأردن وسككها الحديدية ومسالكها المائية وموانئها.

المادة ١٧ - يتعهد صاحب السمو أنه يعمل بمشورة صاحب الجلالة فى جميع الأمور المتعلقة بمنح الامتيازات، أو باستغلال الموارد الطبيعية، أو بإنشاء السكك الحديدية وأعمالها وباقتراض القروض.

المادة ١٨ - لا يتنازل عن أرض فى شرقى الأردن ولا تؤجر ولا تجعل بأى صورة فى ولاية دولة أجنبية وليس هذا بمانع صاحب السمو من اتخاذ ما قد يكون ضرورياً من تدبير فى أمر الإقامة فيما خص ممثلين أجنيين وقياماً بمقتضى المواد السابقة.

المادة ١٩ - يتعهد صاحب السمو الأمير أنه إلى حين انعقاد معاهدات تسليم المجرمين خاصة آيلة إلى شرقى الأردن يكون النافذ من معاهدات تسليم المجرمين مما بين صاحب الجلالة والدولة الأجنبية سارياً حكمة فى شرقى الأردن.

المادة ٢٠ - تنفذ هذه المعاهدة حال إجازتها من الفريقين الساميين المتعاقدين من بعد قبولها من الحكومة الدستورية المقامة على حكم المادة الثانية، والحكومة الدستورية تعتبر وقتية إلى أن تكون هذه المعاهدة قد صودق عليها على هذا الوجه. ولاشئ يمنع الفريقين الساميين المتعاقدين من إعادة النظر من حين إلى حين آخر فى أوضاع هذه المعاهدة قصد تحويل قد يبدو مرغوباً فيه فى ما يكون فى حينه من أحوال وظروف.

المادة ٢١ - صيغت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية ويكون لكل منهما عين المقام والاعتبار ويكون للإنكليزية التقدم عند الاختلاف بينهما فى تفسير مادة من مواد المعاهدة وشهادة بذلك وقع المفوضان المطلقان المذكوران على هذه المعاهدة فى القدس فى اليوم العشرين من شهر فبراير (شباط) سنة ١٩٢٨.

حسن خالد أبو الهدى الفيلد مارشال بلومر

وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨ أعلن إبرام هذه المعاهدة ووضعها موضع التنفيذ وأرسل المندوب السامى بهذه المناسبة كتاباً إلى الأمير جاء فيه «أمرت أن أحيطكم علماً باعتراف جلالته الملك بوجود حكومة مستقلة فى شرقى الأردن تتولى التشريع والإدارة بلا قيد غير التحفظات المنصوص عليها فى المعاهدة، وأن يؤدى إلى أميرها ما يؤدى للأمراء المالكين ورؤساء الدول من تحيات مألوفة».

نظام الحكم في شرقي الأردن

نظام الحكم في شرقي الأردن دستوري نيابي مقيد وإمارتها وراثية في ذرية الأمير عبدالله بن الحسين. وقد وضع دستورهما بالاشتراك بين دار الإمارة ودار المندوب السامي، ونشر يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٢٨ وهو في ٧٢ مادة. وقد جاء في المادة ١٦ منه أن السلطات التشريعية والإدارية مخولة للأمير عبدالله بن الحسين ولورثته من بعده وأن ولاية العهد في الذكور من سلالة الأمير وفقاً لقانون الوراثة الخاص، وجاء في المادة ٢٠ أن الأمير هو الذي يعين رئيس الوزراء ويقيله أو يقبل استقالته من منصبه.

وجاء في المادة ٢٠ يؤلف مجلس تنفيذي لإسداء المشورة للأمير من رئيس وزراء وأعضاء آخرين لا يتجاوز عددهم الخمسة يعينهم الأمير بناء على توصية رئيس الوزراء. إما من الموظفين الرئيسيين في الإدارة أو من نواب الأمة المنتخبين.

وجاء في المادة ٢٥ أن السلطة التشريعية تناط بالمجلس التشريعي والأمير، ويتألف هذا المجلس من ممثلين منتخبين طبقاً لقانون الانتخاب ومن رئيس الوزراء وأعضاء المجلس التنفيذي الآخرين الذين لم ينتخبوا ممثلين. ومدة المجلس ثلاث سنوات، ويتألف من ١٦ نائباً ١٣ مسلماً بينهم ٢ من الشراكسة المسلمين و ٣ من المسيحيين.

وجاء في المادة ٧٠ أنه يجوز للأمير في أي وقت خلال سنتين من تاريخ بدء العمل بهذا القانون مع رعاية التزاماته العهدية أن يغير بمنشور يصدره أي حكم من أحكام هذا القانون الأساسي ويلغيه أو يضيف عليه تنفيذاً للغايات المتوخاه منه، ويجوز له أن يضع أية مواد أخرى ضرورية ليطبقها على ما ينطوى عليه من أحكام. وللحكومة البريطانية في عمان مندوب يمثل المندوب السامي لحكومة فلسطين، وهو همزة الوصل بين الحكومتين (عمان والقدس).

الحركة الوطنية في شرقي الأردن

وعلى أثر إعلان نصوص هذه المعاهدة ونشر الدستور عقد رجال هذه الإمارة وأصحاب الشأن فيها مؤتمراً وطنياً في عمان لدرس الحالة والنظر في ما يجب اتخاذه من تدابير. فاحتجوا على ما جرى ووضعوا الميثاق الوطني الآتي وتعاهدوا على تنفيذه وهو :

بالاستناد إلى العهود المقطوعة للعرب عامة من جانب حليفهم بريطانيا العظمى أثناء الحرب العامة.

والى الوعود الرسمية المقطوعة من قبلها لشرقي الأردن خاصة، وإلى المادة (٢٢) من عهد جمعية الأمم.

والى مبادئ الرئيس ولسن الأربعة عشر التي اعترفت بها الحلفاء ووعدوا رسمياً بتحرير الشعوب المظلومة على أساسها.

والى الوعد الرسمي الصادر عن وزارتي خارجية إنكلترا وفرنسا سنة ١٩١٨ للبلاد العربية المحررة.

قد اجتمعنا نحن ممثلي الإمارة العربية الأردنية في مؤتمرنا الوطني المنعقد في عمان يوم ٢٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٨ وقررنا ميثاقاً وطنياً لبلادنا البنود الآتية :

١ - إمارة شرقي الأردن دولة عربية مستقلة ذات سيادة بحدودها الطبيعية المعروفة.

٢ - تدار بلاد شرقي الأردن بحكومة دستورية مستقلة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن الحسين المعظم وأعقاب من بعده.

٣ - لاتعترف بلاد شرقي الأردن بمبدأ الانتداب إلا كمساعدة فنية نزيهة

لصالح البلاد، وهذه المساعدة تحدد بموجب اتفاق أو معاهدة تعقد بين شرقي الأردن وحليفة العرب بريطانيا العظمى على أساس الحقوق المتقابلة والمنافع المتبادلة دون أن يمس ذلك بالسيادة القومية.

٤ - تعتبر شرقي الأردن وعد بلفور القاضى بإنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين مخالف لعهود بريطانيا وعودها الرسمية للعرب، وتصرفاً مضاداً للشرائع الدينية والمدنية فى العالم.

٥ - كل انتخاب للنياية العامة يقع فى شرقي الأردن على غير قواعد التمثيل الصحيح وعلى أساس عدم مسئولية الحكومة. أما المجلس النيابى لايعتبر انتخاباً ممثلاً لإرادة الأمة وسيادتها القومية ضمن القواعد الدستورية بل يعتبر انتخاباً مصطنعاً لاقيمة تمثيلية صحيحة له، والأعضاء الذين ينتخبون على أساسه إذا فصلوا بحق سياسى أو مالى أو تشريعى ضار بحقوق شرقي الأردن الأساسية لا يكون لفصلهم قوة الحق المعترف به من قبل الشعب. بل يكون لفصلهم جزءاً من أجزاء تصرف السلطة الانتدابية وعلى مسئوليتها.

٦ - ترفض شرقي الأردن كل تجنيد لا يكون صادراً عن حكومة دستورية مسئولة. باعتبار أن التجنيد لايتجزأ من السيادة الوطنية.

٧ - ترفض شرقي الأردن تحمل نفقات أى قوة احتلالية أجنبية، وتعتبر كل مال يفرض عليها من هذا القبيل مالاً مغتصباً من عرق عاملها المسكين وفلاحها البائس.

٨ - ترى شرقي الأردن مواردها، إذا منحت حق الخيار بتنظيم حكومتها المدنية، كافية لقيام إدارة دستورية صالحة فيها برئاسة سمو الأمير المعظم صاحب الإمارة الشرعى. أما الإعانة المالية التى تدفعها الحكومة البريطانية فإن بلاد شرقي الأردن تعتبرها نفقات ضرورية لخطوط المواصلات الإمبراطورية وللقوى العسكرية المعدة لخدمة المصالح البريطانية. ليس إلا لذلك فإن هذه

الإعانة التي يضاف إليها اليوم قسم من واردات البلاد لتحقيق غايات لامصلحة لشرق الأردن فيها. كما هو الواقع لاتحول بريطانيا العظمى حق الإشراف على ماله شرقى الأردن. هذا الإشراف المركزى الضار الواقع باليوم، ولهذا فإننا نعتبر الوضع المالى الحاضر المبنى على سياسة تخفيف الإعانة المالية عن عاتق المكلف البريطانى على حساب المكلف الأردنى عبارة عن وضع ضار غير مشروع لاتتحمله موارد البلاد، ومن الواجب إبطاله واستبداله بنظام يؤيد استقلال حكومة شرقى الأردن المالى مقرررين أن التصرف المالى الحاضر لايجوز صدوره عن حليفة غنية كبريطانيا بالنسبة لبلاد فقيرة كشرقى الأردن.

٩ - تعتبر بلاد شرقى الأردن كل تشريع استثنائى لايقوم على أساس العدل والمنفعة العامة وحاجات الشعب الصحيحة تشريعاً باطلاً.

١٠ - لاتعترف شرقى الأردن بكل قرض مالى وقع قبل تشكيل المجلس النيابى.

١١ - لايجوز التصرف بالأراضى الأميرية قبل عرضها على المجلس النيابى وتصديقه عليها، وكل بيع وقع قبل انعقاد المجلس يعتبر باطلاً.

وتتابعت المؤتمرات بعد ذلك وأخرها مؤتمر عمان الخامس المعقود يوم ٥ يونيو سنة ١٩٣٣ من دون أن تغير أو تبدل شيئاً من الوضع الراهن. وقد أبدت الحكومة البريطانية أن توافق على تعديل المعاهدة وإزالة ما فيها من غبن رغم طلب الحكومة نفسها للتعديل. أما موقف الأمير إزاء الحركة الوطنية فهو مبهم فيوم يوالى الوطنيين ويوم يعرض عنهم وينأى بجانبه.

معركة طربة وبيان عن العلاقات

بين الهاشميين والسعوديين

لم تكن معركة طربة - وقد أشرنا إليها في ما تقدم ووعدنا باستيفاء الكلام عليها - سوى مظهر من مظاهر التنازع على الزعامة والسيادة بين الملك حسين والملك عبدالعزيز السعود، فقد كان كل منهما يطمع في بسط نفوذه على الجزيرة والتفرد في الحكم.

والحقيقة أنه ما كاد الشريف حسين باشا يصل إلى الحجاز في سنة ١٣٣٦ معيناً أميراً لمكة، حتى وجه أنظاره نحو نجد لمقاومة الدعوة الدينية التي كان عبدالعزيز السعود يبثها بين القبائل الحجازية الضاربة على حدود بلاده لحملها على تأييده في سياسة التوسع التي يسير عليها. وكان أول ما فعله الحسين أنه جهز حملة كبيرة قادها بنفسه سنة ١٣٢٩ ومعه الملكان على وفيصل من أنجاله وعساكر بيشه وعكيل (ويؤلف هؤلاء سلاح الفرسان في الحملة) وسار لتأديب هذه القبائل والقضاء على النفوذ النجدي.

واشترك في هذه الحملة محمد بن حميد (عم سلطان بن بجاد وكبير قبيله عتيبة) وأبو العلا شيخ العصما من عتيبة وعدد كبير من الشيوخ والرؤساء فسار حتى الخرمة - على حدود نجد - وهاجم قبائل الدواسر (في أسفل وادي الخرمة) فقاوموه، وقد أمدهم عبدالعزيز السعود بقوة من رجاله قادها أحد إخوته فهزمهم الحسين وأسر شقيق عبدالعزيز فخضعت له القبائل من عتيبة والبقوم ومطير. ثم أطلق سراح الأمير النجدي المأسور، وعقد الصلح مع ابن السعود، بتوسط محمد بن حميد على أن لا يتعرض ابن السعود لقبائل البقوم وسبيع ومطير الضاربة على الحدود، ولا للقبائل الداخلة في المنطقة الحجازية حتى الشعراء (شفا نجد).

واغتتم أبن السعود فرصة اشتباك الشريف فى الحرب العظمى وانهماكه فى قتال الترك فى الشمال، فنشط لنشر دعوته الدينية بين القبائل فكثرت عدد أنصاره.

ومما يستحق الذكر هنا أن عبدالعزيز السعود أرسل سنة ١٣٣٤ هـ وفداً إلى الحجاز، وذلك فى أول دخول حكومته الحرب يطلب من الشريف تحديد الحدود نهائياً والاعتراف بنجد ومصالحها، فأجابه بقوله «كل ما أنت عليه فهو لك» وعاد الوفد من دون أن ينال مثلاً، وحضر رجاله حصار الطائف وحلوا ضيوفاً فى مخيم الأمير عبدالله، وكانت العلاقات بين الفريقين حسنة، وكان أهل نجد يتجرون مع الحجاز.

وظهر الخلاف بين الحكومتين فى مظهر جديد على أثر ما حدث بين الأمير عبدالله وخالد بن لؤى من نزاع، ولا يخفى أن الشريف حسيناً عين خالداً فى سنة ١٣٣٧ أميراً على الخرمة، ولم تكن الإمارة فى بيته. بل كانت فى الأشراف الحواريث، وكان خالد يفد مع كبار الأشراف مرتين أو ثلاثة فى السنة للسلام على الحسين ولقضاء بعض المصالح فى مكة ويبدى زائد الإخلاص، وقد اشترك مع رجاله فى حصار الطائف بقيادة الأمير عبدالله. فلما سلمت جاء إلى مكة وحج ثم صحب الأمير إلى الخاكية شرقى المدينة لمنازلة الترك، ثم تحولوا إلى العيس.

وقضى خالد زمناً فى العيس مع الأمير، ثم وقع بينهما خلاف أدى إلى غضبه واستئذانه بالرجوع إلى بلاده، وبين الرواة اختلاف فى تعليل أسبابه، والرأى الأرجح هو أن خصاماً شجر بين خالد وبين فاجر بن شلوع من شيوخ قبيلة الروقة (عتيبة نجد) فلطم هذا خالداً فاعتقله الأمير بضعة أيام ثم سرحه فلم يقنع خالد بهذه العقوبة. فاستأذن فى الرحيل، فأشار الشريف شاكر بن زيد بن فواز على الأمير بأن لا يأن له خوف إنتقاضة فأجابه: من هو حتى أخافه؟ ثم أذن له بشرط أن يمر بمكة ويزور الملك. فلم يفعل بل قصد طربه بطريق رابع فجمع

رجالها فيها وحصنها وكاتب ابن السعود، وأنشأ معه علاقات ودية وعمل على نشر دعوته الدينية بين القبائل. وخامرت الملك شكوك فكتب إليه بالحضور فأرسل يعتذر ويقول: إن هنالك أسباباً تقضى ببقائه. وبعد أيام عين الملك قاضياً للخرمة من أهل الوجه فقصدها ونزل على خالد (أميرها) فأكرم مثواه وأبقاه نحو شهر. ثم كتب إلى فضيلة الأستاذ عبدالله بن سراج قاضى القضاة ورئيس الحكومة الحجازية كتاباً خاصاً يقول فيه إنه بسبب الظروف الحاضرة يميل إلى إعادة القاضى. لأنه يحب الجدل ويتدخل فى مالىس من اختصاصه، وحمل القاضى نفسه هذا الكتاب، ولما اتصل خبره بالحسين دعاه وسأله فحدثه بأعمال خالد واتباعه دعوة أهل نجد فتظاهر بالغضب وطرده القاضى.

وانتظر أياماً ثم كتب إلى خالد كتاباً خاصاً يدعوه للقدوم لمباحثته فى بعض الشؤون فأبى فكرر الطلب وأرسل الرسل فأجاب أنه مستقل وأنه لا يحضر، فأصدر الملك أمراً بعزله وعين أحد أبناء عمه فى مكانه، وهو شريف من أهل الخرمة، ولم يطق هذا البقاء طويلاً. بل كتب إلى الملك يستعفيه، ويقول إن خالداً لم يبق له نفوذاً ولا وجهة.

ولجأ الملك إلى القوة فجهز حملة تتألف من ٥٠٠ بدوى بقيادة الشريف حمود بن زيد بن فواز ومعها رشاشان ومدفع جبلى. فبلغ خبرها خالداً فكمن لها بخيله ورجله فى بطن نخل، قرب الخرمة، فلما وقعت فى الكمين وضع السيف فيها وفتك برجالها وغنم ما معهم من سلاح ومعدات. فأمر الملك بتجهيز حملة ثانية من ألف بدوى معهم ٤ مدافع ورشاشات، ولما اقتربت الحملة من منازلها، بيتها ومعه عربان سبيع والدواسر ووضع السيف فى رجالها عند الفجر، فأبادها وغنم أسلحتها، وأصيب قائدها برصاصتين فى فخذه، وما كان رجال خالد يقلون عن ألفى مقاتل.

وكان لانتصاره على حملتى الملك أثر بليغ فى نفوس القبائل فالتفت حوله

وأيدته، واضطربت الحالة فأمر الحسين بإعداد حملة ثالثة عقد لواءها الشريف شاكر بن زيد، ويتفاوت عدد رجالها بين ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ معظمهم من عتيبة، فسلكت طريق مران، وهى طريق نجد، فهاجمتها قبائل عتيبة مع خالد وما كادت المعركة تبدأ حتى انفض رجال الشريف شاكر زيد من حوله وتسلبوا ومعهم الذخائر والسلاح فارتد إلى مكة بعد أن أضاع كل شئ.

وجهز الحسين على الأثر حملة رابعة جمعها من بنى سفيان وهذيل وثقيف وبنى سعيد وحرب الحجازية مع جانب من عساكر بيشه وولاه صهره عبدالله باشا بن محمد، ومعه الشريف شاكر بن زيد نفسه.

وكان عدد رجالها يتفاوت بين ٣ - ٤ آلاف، فسارت حتى حضن، إلى الجهة الغربية من الطائف، وحدد مهمتها بتأديب قبائل البقوم وحماية العربان المواليين للحكومة، وفى حضن تلقت أمراً من الملك بالتزام موقفها وعدم إجراء أى حركة انتظاراً لوصول الأمير عبدالله، وقد وجهت إليه القيادة العليا، فأقامت نحو شهرين فانتشرت الحمى بين رجالها ومات منهم عدد غير قليل وأصبح الباقون فى حالة لاتساعد على الأعمال العسكرية.

وكان الأمير عبدالله فى خلال هذه الحوادث مخيماً فى العيس. فجاءه أمر والده بالرحيل مع جيشه فجاء إلى أبيار ومنها قصد العشيرة (نقطة متوسطة بين المدينة والطائف ومكة وحضن إلى الثانية أقرب وتبعد عن الثالثة ثلاث مراحل) وهبط الحسين العشيرة قبل وصول ابنه، وأقام ينتظره فوافاه وكان جيش الأمير يتألف من ٧٠٠ جندي نظامى و ٣٠٠ خيال، و ١٧ مدفعاً جبلياً وهاوتزر و ١٤ رشاشة، وبدو من عقيل وعتيبة وبيشة لا يقلون عن ثلاثة آلاف. وكذلك أرتدت إلى العشيرة القوات التى كانت فى حضن بقيادة الشريف عبدالله باشا ابن محمد. وجاء أيضاً شرف بن راجح أمير الطائف وشاكر بن زيد والأشراف من آل ناصر وهزاع وآل الحارث فعمدوا مؤتمراً برئاسة الحسين استمر ثلاثة أيام.

ومما يستحق الذكر هنا أن بنى سفيان وبنى هذيل أبلغوا الملك فى العشيرة أنهم لا يذهبون إلى الشرق لقتال القبائل، وأنهم يدافعون عن أراضيهم فقط.

الإنكليز يتدخلون والحسين يرفض

ووصل إلى العشيرة، والمؤتمر مجتمع فيها، حسين روى أفندى سكرتير المعتمد الإنكليزى فى جدة، يحمل كتاباً من ولسن باشا المعتمد فسلمه إلى الملك يدا بيد، فلما فضه وقراه قال بصوت عال على مسمع من الجميع «أذهب وقل لهم إنه ليس لهم حق التدخل فى شئوننا وأننا نفعل ما نريد» ولم يرسل جواباً، وقيل يومئذ فى مكة إن حكومة لندن أرسلت بواسطة معتمدها تنصح الحسين بالاعتدال وعدم الإيغال فى العداء، وبالرجوع مع جيشه إلى الطائف فيوافيه ابن السعود فيجرى الصلح والتفاهم، ويقال إنها أرسلت مثل هذا الاقتراح إلى الرياض، وقد عجل الحسين بالرفض، وقال إن هذه أمور داخلية ليس لأحد أن يتدخل فيها.

المعركة الفاصلة وكيف وقعت ؟

وزحف جيش الأمير عبدالله على الأثر متجها إلى الشرق، وفيه عبدالله باشا ابن محمد والشريف شاكرك وكبار الأشراف فى الحجاز، وعدد من كبار الضباط فقيه من القواد الجنرالالية حلمى باشا، وصبرى باشا، وحامد باشا الوادى وإبراهيم بك الراوى. و٥٠٠ ضابطاً. وكانت القيادة العامة للجيش المنظم (مشاه وفرساناً ومدفعية) منوطة بالجنرال حلمى باشا يعاونه صبرى باشا. وكان مجموع الجيش يتألف كما يأتى :

٨٠٠ جندى نظامى

٣٠٠٠ بدوى

٢٢ رشاشة

١٧ مدفعاً جبلياً وهاوتزر

ولهذا الجيش مهمتان عند الحسين : تأديب القبائل التى شقت عصا الطاعة وإعادتها إلى الحضيرة، والزحف على الرياض وإخضاع ابن السعود.

ونزل الجيش حضناً بعد رحيله من العشيرة، وضرب الأمير مخيمة فيها وكان يميل إلى التأنى والاكتفاء بمهاجمة القبائل النازلة هنالك والتنكيل بها قبل الإقدام على خوض معركة حاسمة، ولما طال به المقام، كتب إليه والده يستحثه بالزحف والإسراع فى العمل فلم يربدا من الرحيل فغادر حضناً بعد ما قضى فيها نحو ثلاثة أسابيع ونيفا، وقصد طربة فدخلها بلا عناء بعد ضربها بالمدافع.

ووصلت إلى مخيم الأمير فى طربة ركوبه من نجد، والركوبة فى اصطلاح الحجازيين كل قافلة تتألف من ٨ هجن وترسل فى مهمة خطيرة، وتحمل إليه كتاباً من ابن السعود، يسأله فيه عن صحة ما شاع عن إزماعه الزحف على نجد فى حين أن العلاقات ودية بينهما ويسأله التوسط لإصلاح ذات البين وعدم سفك الدماء، فكتب إليه جواباً يطمئنه فيه ويقول أنه سيسعى للصلح.

ومما يستحق الذكر أن معظم الأشراف الذين كانوا فى الحملة وهم بمثابة «هيئة أركان الحرب». أشاروا على الأمير باعتقال رسل ابن السعود وبعدم إطلاق سراحهم إلا بعد انتهاء مهمته العسكرية قائلين إنهم جاءوا للاستطاع، وبما أنهم عرفوا أسرار الجيش، لأنهم قضوا نحو أسبوع فى مخيمة فلا يجوز تسريحهم فلم يستمع إليهم، ولم يأخذ بقولهم وجاءت الحوادث مؤيدة لبعد نظرهم فلم يمتض أربعة أيام على سفر هؤلاء حتى بيت الجيش ومزق شر ممزق.

وحدث حادث آخر، لا يقل عن هذا غرابة، وذلك أن بدويّاً من ذوى زياد (عتيبة) جاء إلى مخيم الأمير فى مساء الليلة التى قرر فيها خالد أن يببته وأبلغه أن القبائل متجمعة فى الخرمة للهجوم عليه، وأنهم سيباغتونونه فى الليلة نفسها، فبدلاً من أن يأمر باتخاذ الأهبة أمر بإعدامه بحجة أنه رسول للعدو جاء يثبط العزائم ويلقى الذعر فى القلوب فأعدم فوراً.

ولما بلغ ذلك مسامع الأشراف (هيئة أركان الحرب) اقترحوا على الأمير بأن ينقل مخيمه إلى داخل طربه ويعبئ جيشه وينظمه - احتياطاً - فيسهل عليه الدفاع، وما كانت حالة الجند ووضعها الحربى تبعث على الارتياح، فرفض الأخذ برأيهم، وأبقى كل شئ على حاله. لأنه ما كان يعتقد أن خالداً وابن السعود يقدمان على مهاجمته. وهنالك من يقول بأن التنافس بين الأشراف (هيئة أركان الحرب) ومحاولة كل منهم الظهور له دخل فى الانكسار. فقد كان بعضهم ينافس بعضاً وينقض بعضهم آراء بعض. وكان قادة الجيش النظامى يسمعون ما يدور بينهم من مناقشات من دون أن يبدوا رأياً حاسماً.

وقبيل الفجر من ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٨ باغت خالد بن لؤى جيش الأمير عبدالله، وكان مستغرقاً فى النوم، ولم يتخذ أقل احتياط، وكانت مدافعه ورشاشاته ملقاه على أبواب الخيام وغير معدة للاستعمال، وما كادوا يبدأون بإطلاق النار حتى وقع الذعر والأضطراب فى قلب المعسكر فضرب الجند بعضهم بعضاً.

وفقد الأمير عبدالله معظم عبيده ورجال حاشيته فى ابتداء المعركة، ثم نجا بصعوبة على فرس قتلت تحته برصاصه فأبدلها بناقة حملته حتى الطائف. وقتل أيضاً أمير اللواء حلمى باشا قائد الجند النظامى، وأصيب معاونه الجنرال صبرى باشا بجروح بليغة وجرح أيضاً حامد باشا الوادى وإبراهيم بك الراوى، ويقدر عدد قتلى الأشراف فى تلك المعركة بخمسين. وقد استمرت نحو خمس ساعات مزق فيها جيش الأمير، وبلغت فلوله الطائف يوم ٢٨ شعبان.

وكان الجيش المهاجم يتألف من قبائل عتيبة وسبيع وقحطان والبقوم، وقد تجمع في الخرمة بقيادة خالد بن لؤى، وفيه كبار شيوخ عتيبة ورؤسائها، وكان ابن السعود يخيم يومئذ في «اللصة» وتبعد عن الخرمة نحو ثلاث مراحل، لمساعدة خالد ورجاله عند الحاجة، فلما زحفوا إلى طربه لمهاجمتها، تقدم هو إلى الخرمة ونزل في منازلهم لإنقاذهم إذا احتاجوا إليه، وبعد ما تم له النصر وصل بجيشه إلى طربه وخيم فيها، وكانت أبواب الحجاز مفتوحة أمامه.

الإنكليز يتوسطون ثانية

وخاف أهل الطائف العاقبة وأوجسوا من شر هجوم يهجمه المنتصرون فرحل بعضهم إلى مكة، وبينهم أسرة الملك حسين وأسر الأشراف، وكانت تصطاف فيها، ولما بلغ الخبر الملك أرسل على الفور ٥٠٠ جندي نظامي إلى الطائف بقيادة محمود القيسوني باشا وزير حربيته واضطرب أشد اضطراب وخاطب رئيس حكومته الشيخ عبدالله سراج قائلاً «ماذا نفعل؟؟» فأجابه ليس لنا سوى الدفاع ومتابعه الحرب.

وللمرة الأولى سمح الملك لرئيس حكومته أن يتصل بالأجانب ويخاطبهم في شؤون رسمية، فقد جرى منذ قيام حكومته على احتكار كل سلطة وحصرها في شخصه، واتصل الشيخ ابن سراج تليفونياً من ثكنة جرول العسكرية بمعتمد انكلترا في جده وخاطبه بما وقع فأجابه: لقد أرادت بريطانيا من الأول أن تنهى المسألة سلماً بعقد اتفاق يزيل أسباب الخلاف فلم يصغ الحسين إليها ثم وعده بمخاطبة حكومته وإبلاغه جوابها، وطلب منه إعداد مكان في جده لنزول طيارات انكليزية فأعد، ووصلت يوم ٧ رمضان طيارتان.

واقترح المعتمد على رئيس الحكومة أن يجتمعا في جدة للمفاوضة في ما

ينهى المشكلة بين نجد والحجاز وقال إنه مستعد للسفر إلى لندن إذا لزم الأمر، وطلب منه إبلاغ هذا الاقتراح إلى الملك وموافاته بجوابه. ولما عرض الأمر عليه قال يجب بيان أمهات المسائل التى يتناولها البحث، فقال له الرئيس إنها لاتعرف إلا بعد الاجتماع، فقال الملك لابد من الاطلاع عليها. ولما أبلغ المعتمد تليفونياً ما جرى ضحك ووعد بالاهتمام فى الأمر، وبعد يومين أخبره أنه جاءه أمر من لندن بإبلاغ ابن السعود أن يعود إلى بلاده، وقال إنه أعد كتاباً بهذا المعنى له وسأله أن يرشده إلى من يتسلم الكتاب ليرسل إلى صاحبه فأرشده إلى الشيخ (محمد الطويل ناظر الجمارك فى الحجاز يومئذ) وزار هذا دار الاعتماد وتسلم الكتاب وشكر المعتمد باسمه وباسم الحكومة الحجازية على توسطها وأرسله فى الحال إلى مكة فتسلمه الملك صباح ١٢ رمضان، وكان مفتوحاً وأرسله مع «ركوبة» تتألف من ٨ هجائه فبلغوا طربه فى ٣ أيام أى أنهم قطعوا المسافة بنصف المدة المقررة وهى ٦ أيام.

وتلقى ابن السعود كتاب المعتمد ظهر يوم ١٥ رمضان وهو يشتغل بجمع الأسلاب والذخائر ويعد المعدات، ويرقب الحوادث لمعرفة ما يستقر عليه رأى عدوه، وقد لايبعد أن يكون وضع الخطط لمهاجمة الطائف، وبينها وبين طرية مرحلتان فقط، وكان الحسين قد حصنها وعهد بالقيادة فيها إلى صبرى باشا وهو الذى جرح يوم طرية وهذا كتاب المعتمد ملخصاً :

«أمرتنى حكومة جلالة الملك أن أبلغكم بأن تعودوا إلى نجد حالماً يصل إلى يدكم كتابى هذا، وتتركوا طربة والخرمة منطقة غير مملوكة حتى مفاوضات عقد الصلاح وتحديد الحدود، وإذا أبيتم الرجوع بعد الاطلاع على هذا الكتاب فحكومة جلالة الملك تعد كل معاهدة بينكم وبينها ملغية وتتخذ مايلزم من التدابير ضد حركاتكم العدائية، وبالعكس فهى تقدر عملكم إذا عدتم وتعتبر أنك قمتم بحقوق الود والولاء وأخذتم بنصائحها الودية. لأنها تعد الجميع أصدقاء لها وهى تأسف

أشد الأسف لما وقع بين أصدقائها سواء كان النصر في جانبكم أو في جانب الحسين» .

وأكرم ابن السعود الرسل كل الإكرام وبعد أن تلا الكتاب ووعاه، كتب رداً عليه وسلمه مغلقاً إلى الرسل ونادى في قومه بالرحيل فرحلوا مساء ذاك اليوم عائدين إلى نجد، وعاد الرسل إلى مكة فأبلغوا الحكومة ما وقع وسلموها الكتاب فأرسلته إلى المعتمد في جدة.

الأمير عبدالله في الطائف ومكة

وصل الأمير عبدالله إلى الطائف يركب ناقه وتحتة خرج وعليه عباءة وفروة، ومعه شاكر بن زيد وإثنان من خدمة الذين سلموا، فأقام فيها، ينحى باللائمة على والده ويقول إنني نصحته بعدم الإيغال في العداة وأشرت عليه بأن أقيم في الطائف وأبنى حولها سوراً وأكاتب القبائل وأستميلهم تدريجاً، وقلت له إنه لافائدة لنا من القتال. لأن جميع القبائل «تديننت» أي اعتنقت مذهب أهل نجد ويقول إنه كان واثقاً من النتيجة التي صار إليها وإنه لم يفعل ما فعله إلا امتثالاً لأمر أبيه.

وقضى أياماً هنالك فبنى سوراً من اللبن حول الطائف سلحه بالمدافع وشحنه بالمقاتلة خوف المباغتة، وكتب إليه والده بأن يجمع القبائل ويستعد لحرب جديدة فأبى، فطلبه إلى مكة فجاءها في أواخر رمضان ودخلها ليلاً، خلافاً لعادته وعادة إخوته فقد كانوا يدخلونها في رابعة النهار وفي موكب رسمي، فأوفده والده إلى جدة فقابل معتمد إنكلترا وباحثه في الوسائل التي يجب التوصل بها لحل المشكلة ولكنه فشل أمام عناد والده وكان يعارض في عقد كل اتفاق.

وعاد الأمير عبدالله ثانية إلى الطائف، بأمر والده، للنظر في أمر قبائل القسمة والجدعة والوزانين والطعمة والسبعة وبعضها ينزل بين مكة والطائف، فقد شقت عصا الطاعة بعد يوم طربة وأخذت تعتدى على السابلة فأخذها باللين والحكمة فاستقرت الأمور، وقضى نحو ستة أشهر في الطائف جاءت في خلالها بعض شيوخ البقوم وسبيع وغيرها مقدمة خضوعها وطاعتها، ثم رجع إلى مكة لمقابلة أخيه الملك على القادم على رأس قوة من المدينة، وكان يتولى إمارتها في ذلك العهد.

وما كاد يستقر به المقام حتى تلقى أمراً من أبيه بأن يأخذ قوة أخيه وهي ٦٠٠ جندي ويستنفر القبائل الموالية ويزحف على طربه ويضرب خالداً وأنصاره ضربه شديدة، فقال له: أما أن تعد جيشاً نظامياً لا يقل عدد رجاله عن ثمانية آلاف مجهزاً بالمعدات الحربية الحديثة، وجيشاً آخر من البدو بين هجانة وخيالة، ولا يقل عدد الجيشين عن ١٥ ألف مقاتل، وأما أن تتركني وشأني أو تسير على سياستي السلمية فأسعى لاستمالة القبائل ولو بموافقتها على تدينها وأفضها تدريجاً من حول ابن السعود فلم يرض ذلك والده وأسمعه كلاماً. فأجابه لقد هزمت حينما أطعت أمركم، ولن أعرض نفسي لهزيمة أخرى.

واعتزل الأمير عبدالله على أثر ذلك عمله في الطائف ولم يعد إليها ثانية، ولم يعد يتدخل في شؤون الحكومة، وكان يجاهر بانتقاده لسياسة والده.

وبعد شهرين اتفق الملك وابنه على سراً على أن يتظاهرا الأخير بأنه ذاهب إلى الطائف ليدل الهواء ويصحب معه قواه كلها وأخوه عبدالله، وحينما يبلغون السيل، ويبعد مرحلة عن الطائف، يقف انتظاراً لوصول تعليمات الملك، وحين وصولها يسلمها إلى أخيه وهي تقضى بأن يذهب بطريق حضن لمهاجمة خالد بن لؤي، وكان مجموع هذه القوات لا يزيد عن الألفين، وفعلوا تلقوا وهم في السيل أمراً مختوماً من الملك ففضه على وسلمه إلى أخيه فرفض الامتثال وقال له :

أذهب أنت وحدك إذا شئت فلن أذهب، ولا أسود صحيفتي. فحاول أن يقنعه بتلبية الأمر فأبى وأخيراً قصدا الطائف، وهناك اتصل على بوالده تلفونياً فسأله عن أخيه وهل نفذ الأمر فأجابه أنه معي، وأن جميع القوى تحت أمركم فدعا بعبدالله فكلمه فأصر على الرفض.

وقضى الأميران نحو ثلاثة أشهر في الطائف ثم رجعا إلى مكة، ومنها ذهب على إلى مقره في المدينة، وكانت العلاقات في أثناء ذلك فاترة بين عبدالله ووالده ثم انتهى الأمر باستقالته من وكالة الخارجية وسفره إلى شرق الأردن على المنوال الذي بسطناه آنفاً.

وخلاصة ما جرى بعد ذلك أن خالداً واصل شن الغارة بلا انقطاع على القبائل الموالية لحكومة مكة، وكانت المعارك سجالاً بينه وبينها حتى تم لها ولأنصاره احتلال الطائف يوم ٦ صفر سنة ١٣٤٣ ومنها زحف إلى مكة وقوض بناء تلك الحكومة، وقد استوفينا الكلام على ذلك في أثناء إيراد سيرة الملك عبدالعزيز السعود.

بين الأمير عبدالله وابن السعود في شرقي الأردن

ما فتئ الأمير عبدالله منذ نزوله شرقي الأردن يكيد لابن السعود ويسعى للانتقام منه، ولقد حمل النجديون على عمان في شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ بقصد احتلالها فطردوا، ثم حملوا عليها ثانية في سنة ١٩٢٣ فهزموا، فزاد ذلك في تأريث الأحقاد، وخصوصاً بعد استصفاء ابن السعود للحجاز، وأخيراً رأى جلالة الملك فيصل أن يتدخل للإصلاح والتوفيق. كما تدخلت الحكومة البريطانية بواسطة رجالها السياسيين فتم الاعتراف رسمياً، وعقدت بين الحكومتين معاهدة صداقة وتحكيم.

معاهدة سايكس - بيكو

هذا نص معاهدة سايكس - بيكو السرية، وقد عقدت في القاهرة يوم ٨ مايو سنة ١٩١٦ بين الحكومتين الإنكليزية والفرنسوية لتقرير مصير بلاد العرب، وقوبلت منذ عقدها بالاستياء الزائد :

المادة الأولى - أن فرنسا وإنكلترا مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة، أو حلف دول عربية تحت سيادة رئيس عربى فى المنطقتين (١) و (ب) ^(١) المبينتين فى الخريطة الملحقة بهذه المعاهدة، ويكون لفرنسا فى منطقة (١) وإنكلترا فى منطقة (ب) حق الولاية فى المشروعات والقروض المحلية، وتنفرد فرنسا فى منطقة (١) وإنكلترا فى منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية، أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثانية - يباح لفرنسا فى المنطقة الزرقاء ^(٢) وإنكلترا فى المنطقة الحمراء ^(٣) إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثالثة - تنشأ إدارة دولية فى المنطقة السمرات ^(٤) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلى شريف مكة.

المادة الرابعة - تنال إنكلتره ما يأتى :

(١) مينائى حيفا وعكا.

(١) المنطقة (١) هى داخلية سورية والمنطقة (ب) داخلية العراق حتى بغداد.

(٢) هى شقة سورية الساحلية.

(٣) هى العراق من بغداد إلى خلية العجم.

(٤) فلسطين.

(٢) يضمن مقدار محدود من مياه دجلة والفرات فى المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لاتدخل فى زمن ما فى مفاوضة مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الإفريقية أولاً.

المادة الخامسة - تكون إسكندرونة ميناء حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية ولا تنشأ معاملات مختلفة فى رسوم الميناء، ولا تسهيلات خاصة يرفض إعطاؤها للملاحة والبضائع البريطانية، وتباح حرية النقل للبضائع الإنكليزية عن طريق إسكندرونة وسكة الحديد فى المنطقة الزرقاء. سواء كانت تلك البضائع واردة إلى المنطقة الحمراء أو المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منهما. ولا تنشأ معاملات مختلفة (بالذات أو بالتبع) على أى سكة من سكك الحديد، أو فى أى ميناء من موانئ المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر الإنكليزية.

تكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد التى تحت حمايتها ولا يقع اختلاف فى المعاملة ولاتسهيلات فى رسوم الميناء يرفض إعطاؤها للملاحة والبضاعة الفرنسية، ويكون نقل البضائع الفرنسية حراً بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الإنكليزية فى المنطقة الحمراء. سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو المنطقة الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة (ب) أو واردة إليها. ولا يجرى أدنى اختلاف فى المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع أو البواخر الفرنسية فى أى سكة من سكك الحديد، ولا فى أى ميناء من الموانئ فى المناطق المذكورة.

المادة السادسة - لاتمد سكة حديد بغداد فى المنطقة (أ) إلى ما بعد الموصل جنوباً ولا فى المنطقة (ب) إلى ما بعد سامراً شمالاً، وذلك إلى أن يتم إنشاء خط حديدى يصل بغداد بحلب. ماراً بواى الفرات، ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

المادة السابعة - يحق لبريطانيا العظمى أن تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدى يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ماعدا ذلك حق دائم بنقل الجنود فى أى وقت كان على طول هذا الخط. ويجب أن يكون معلوماً لدى الحكومتين أن

هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد وأنه إذا حالت دون إنشاء خط الاتصال فى المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لإدارته تجعل إنشاءه متعذراً فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة أن تسمح بمروره فى طريق بربوره - أم قيس - ملقى - أيدار - غسطا - مغاير - قبل أن يصل إلى المنطقة (ب) .

المادة الثامنة - تبقى تعريفية الجمارك التركية نافذة عشرين سنة فى جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء، والمنطقتين (أ) و (ب) فلا تضاف أى علاوة على الرسوم، ولا تبدل قاعدة التثمين فى الرسوم بقاعدة أخذ العين إلا أن يكون باتفاق بين الحكومتين.

ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه، وما يفرض من رسوم الجمارك على البضائع المرسله إلى الداخله يدفع فى الميناء ويعطى لإدارة المنطقة المرسله إليها البضائع.

المادة التاسعة - من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لاتجرى مفاوضة فى أى وقت كان للتنازل عن حقوقها، ولا تعطى مالها من الحقوق فى المنطقة الزرقاء لدولة أخرى سوى الدولة أو حلف الدولة العربية بدون أن توافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك التى تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا فى ما يتعلق بالمنطقة الحمراء.

المادة العاشرة - تتفق الحكومتان الإنكليزية والفرنسوية بصفتها حاميتين للدولة العربية على أن تمتلكا ولا تسمحان لدولة ثالثة أن تمتلك أقطاراً فى شبه جزيرة العرب أو تنشئ قاعدة بحرية فى الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقى، على أن هذا لا يمنع تصحيحاً فى حدود عدن قد يصبح ضرورياً بسبب عداء الترك الأخير.

المادة الحادية عشرة - تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدولة العربية.

المادة الثانية عشرة - من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان فى الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية.

حيدر أباد

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

أعظم الحكومات الإسلامية فى الهند شاناً، وأكبرها مقاماً، وأكثرها ثروة، وأعزها جنداً، وأشدها بالدين تمسكاً، وهى مشمولة بالحماية البريطانية كبقية الأقطار الهندية.

ويبلغ عدد سكانها بموجب إحصاء رسمى نشرته حكومة حيدر أباد نفسها سنة ١٩٢٦ كما يأتى :

١١,٢٢٦,١٣٦ هندوسياً و ١٧٣ لاريا و ٣٦ برهو و ٢٠ بهرة و ٢١٠,٢٦٠ جينا و ٤٧٢٦ سيك و ١٣٠٠٩٩٠ مسلماً و ٥٤٢٩٩ أجنبياً، و ١٥٢٩٠ زرادشتياً، و ١٢ يهودياً و ٢٨٥٧٢٢ من عبدة الأرواح ويتألف جيشها من عناصر مختلفة.

وتبلغ مساحتها السطحية ٨٢٦٩٨ ميلاً مربعاً ومن مدنها المشهورة أورانج أباد ونظام أباد وكول بارجا وعادل أباد وإكسندر أباد، وجميع سكان الأخيرة من الأجانب وتتمتع باستقلال فى إدارتها الداخلية.

ويعول سكانها على الزراعة فى معاشهم ويجلس على عرشها صاحب السمو العالى مير عثمان بن محبوب على خان وهذا رسمه :



صاحب السمو مير عثمان بن علي (شاه حيدر اُباو)

صاحب السمو العالي مير عثمان بن علي

شاه حيدر آباد

مولده ونشأته

ولد في حيدر آباد الدكن سنة ١٨٨٦ ونشأ في حجر والده مير محبوب علي خان وتعلم في مدارس الحكومة.

علومه - يستظهر سموه العالي القرآن الكريم، ويعرف لغة الأردو (لغة مسلمي الهند، وهي مزيج من أربع لغات : العربية، والفارسية، والتركية، والبشتو) كما يعرف لغة الإنكليز، ولغة الترك، ويفهم اللغة العربية ويتكلمها بصعوبة.

وقد اشتهر سموه، بشدة التمسك بالدين والغيرة عليه، والعناية بإقامة أحكامه وبترك مانه عنده ومحاربه. كما اشتهر بالبذل والسخاء في سبيل نشره وتأنيده، ويقدر ما ينفقه سنوياً على طبع الكتب الدينية الإسلامية وتوزيعها في أرجاء مملكته وفي بقية الأقطار الهندية بعشرات الألوف من الجنيهات يتبرع بها من جيبه الخاص، لخدمة الدين المبين.

ومع ما اشتهر به من الجود والإحسان للأعمال الخيرية فهو يكره الإنفاق بسخاء في الأمور الأخرى، ومعنى ذلك أنه لا يبذر ثروته كما يفعل معظم الأمراء وإنما يضع كل شيء في موضعه.

ومما يستحق الذكر من أخباره، أنه يرقب بنفسه حالة موظفي دولته ولا يوافق على تعيين موظف لا يصلى، وفي نادى الموظفين في حيدر آباد، وهو ناد فخم مؤثث على أحدث طراز، جامع يؤدي فيه الموظفون الصلاة في أوقاتها ومتى تحقق أن موظفاً لا يصلى أو يتناول المسكرات أمر بإخراجه من الخدمة.

وفى الحديقة العمومية فى حيدر أباد «ملت باغجه سى» مسجد فخم بنى على طراز مسجد يلدز، ويؤدى فيه المتنزهون الصلاة إذا أدركتهم ويزدحم عادة بالناس عند صلاة المغرب فلا يبقى أحد فى الحديقة لا يصلى.

مقابلاته - يتبع سموه فى داخل قصره أشد أصول «الإتيكيت» فلا يسمح بمقابلاته إلا لكبار القوم، ولا بد من طلب الأذن مقدماً لكل مقابلة بواسطة كبير الأمناء، وقد يتأخر ورود الجواب مدة طويلة لا بد للطالب خلالها من الانتظار، ومن سمح له وجب عليه أن يدفع رسماً مقداره نحو جنيهين لصندوق الزكاة وينفق فى المشروعات الخيرية.

ملابسه - يلبس فى قصره ملابس بسطاء الهنود - أى جبة طويلة وقميص هندى طويل، ويضع على رأسه عرقية بيضاء. أما فى الحفلات الرسمية أو حفلات العرض فيضع على عمته تاجاً من الألماس لا يقدر بثمن، ويلبس رداء (سترة) مرصعة باللؤلؤ الفاخر فوق سروال ضيق وحذاء أوروبى.

أوصافه - هو قصير القامة، قمحى اللون، حسن الملامح، بشوش الوجه، لين، متواضع، أنيس، جواد، يعطف أشد العطف على إخوانه المسلمين ويبرهم، وقد خصص رواتب كبيرة لكثير من علماء المسلمين، وبينهم بعض علماء مصر والحجاز والهند يتناولونها بانتظام من خزينته، ولاتقل مبراته السنوية وخيراته عن نصف مليون جنيه.

ولما قرر الكماليون فى مارس سنة ١٩٢٤ طرد الخليفة عبدالمجيد خان من بلادهم وأخرجوه وعائلته من دون أن يعوضوهم شيئاً وعرف أن حالتهم المادية على غير مايرام خصص ٣٠٠ جنيه شهرياً للخليفة يتناولها من خزينته وينفقها على عائلته وأبناء سرته، ثم أبلغها إلى ألف فى سنة ١٩٣١ على أثر اتصالهما برابطة المصاهرة.

ثروته - يعد سموه من أغنياء العالم ويملك مجموعة من الجواهر منقطعة

النظير، ويقال أن بينها سبعة من اللؤلؤ عددها مئة حبة كل حبة بحجم «البندقة» لا تقوم بثمن لندرته ولتشابه حباتها، وقد وضعت هذه المجوهرات في أقبية تحت الأرض يتفقدتها من أونه إلى أخرى، ويشاهد تلك الكنوز الثمينة ومعظمها مما ورثه من أجداده.

ويقال إن ثروته الخاصة لاقل عن مائة مليون جنيه يبلغ ريعها ثلاثة ملايين سنوياً، لأنه يستغل بعضها، ولا يقل الوفر السنوي من إيرادات مملكته ويقدر بستة ملايين جنيه يتناول الإنكليز منها مليوناً ومائتي ألف جنيه بنسبه عشرين بالمائة مقابل نفقات الإدارة المركزية ونفقات الأمن الخارجى، والباقي وقدره ٤٨٠٠٠٠٠ جنيه يتصرف به كما يشاء فينفق ما ينفقه ويحتفظ بالباقي لنفسه ويقال إن ما يقتصده سنوياً بعد نفقات الحكومة لا يقل عن مليون جنيه في بعض السنين يضيفه إلى ثروته الخاصة.

أراؤه - هو محب للإصلاح ميال إليه، متمسك بالجامعة الإسلامية أشد التمسك. ينادى أنه لاهية للمسلمين ولا فوز إلا إذا تمسكوا بأحكام دينهم، وهو يقاوم أشد المقاومة اشتغال البنات المسلمات بالتمثيل والرقص والغناء، ولا يسمح لجوقة تمثيل أو غناء فيها فتاه مسلمة بدخول بلاده والإقامة فيها، ويقول إنه يعجب كيف يقبل مسلم على نفسه أن تزاول إبنته أو زوجته أو أخته الرقص ويؤله سماح بعض الحكومات المسلمة للمغنيات المسلمات بمزاولة هذه المهن التي لا يقرها الإسلام.

زوجاته - تزوج بأربع زوجات، وله ولدان وخمس بنات وقد أحسن تربيتهن. واسم نجله الأكبر وولى عهده صاحب زاده نواب أكبر شاه وقد تزوج سموه سنة ١٩٣١ بالميرة درشهور كريمة الخليفة عبدالمجيد خان العثماني.

رتبه العسكرية - فى سنة ١٩١٨ رقى إلى رتبة فريق أول شرف (لفتنتنت جنرال) فى الجيش البريطانى، ومنحه الملك جورج لقب «صاحب السمو العالى» وهو لقب خاص أنشئ له.

كيف يقضي يومه ؟

يعيش سموه، عيشة البساطة التامة، في قصره الخاص، الكائن في داخل مدينة القصور التي يملكها في حيدر أباد. ويؤدي صلاة الصبح جماعة، ومثل ذلك بقية الفروض. ففي داخل قصره مؤذن يؤذن الأوقات كلها وإمام يقيم الصلوات، ويصلي سموه جماعة الأوقات كلها في المسجد الكبير. ويخرج للصلاة يوم الجمعة في موكب رسمي فخم.

ويتناول طعام الصباح في داخل الحريم، ويتغدى مع حاشيته في غرفة المائدة ويتعشى أيضاً وينام باكراً وينهض باكراً.

كيف ارتقي العرش ؟

فى يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩١١ توفى والده المرحوم مير محبوب على خان فخلفه على العرش باحتفال حافل، وقام بأمر البلاد خير قيام.

وهو العاشر يلى الأريكة من العائلة الأصفية، ومؤسسها ميرقمر الدين خان فاتح جنك نظام الدولة. كان وزيراً للسلطان محمد شاه سلطان دهلى ووالياً على الدكن وكوجارت. فاستقل سنة ١٧٢٣ وتسمى بأصف شاه وخلفه ابنه الرابع نظام على خان. فأصف شاه الثانى. فناصر جم. فنواب صلابة جم فإسكندر شاه. فنواب ناصر الدولة شاه. فأفضل الدولة قمير محبوب على خان والد عثمان خان الحالى.

عهد

نشأت دولة حيدر آباد الدكن فى الهند سنة ١٧٢٣ على أطلال الإمبراطورية الإسلامية المغولية وكانت تتمتع بالاستقلال التام حتى جاء الإنكليز الهند فى القرن التاسع عشر عاملين على استعمارها وبسط نفوذهم عليها فدخلت تحت حمايتهم (١).

ولزم نظام حيدر آباد الحياد حينما ثارت الهند على الإنكليز ثورتها العظمى سن ١٨٥٧ فلم يؤيد الثوار، ولم يقاتل الإنكليز فحفظ له هؤلاء هذه اليد، وكذلك كان شأن معظم أمراء المسلمين الهنود. فقد رأوا أن مصلحة قومهم هى فى عدم الانضمام إلى الهندوس الثائرين على الإنكليز.

وسلطان حيدر آباد، هو أعظم أقيال الهند مقاماً، وأكبرهم شأنًا، ويعامله الإنكليز معاملة خاصة، تميزه عن الأمراء الآخرين، وهو الوحيد الذى يحق له أن يرسل نائباً عنه يمثل إلى مؤتمر الأمراء، ويعقد عادة برئاسة نائب الملك، فى دهللى عاصمة الهند السياسية، ويمثل حكومة الهند لدى بلاطه مندوب بريطانى، ويزوره أحياناً الملك فينزل فى قصر خاص فخم إقامة لنزوله.

ويزور سمو النظام عثمان دهللى فتطلق ٢١ مدفعاً عند وصوله، ويستقبله نائب الملك استقبالاً فخماً. ولم يزر سموه العالى إنكلترا حتى الآن مع أن أمراء الهند لا يفتأون غادين راحين إليها، والمفهوم أنه لا يزورها إلا إذا دعاه الملك جورج رسمياً إلى زيارته.

(١) فى الهند إمارات إسلامية أخرى دون حيدر آباد مكانة، وهى بهوبال ورامبور وجهود وبهاوير وماراها مسلمون.

نظام الحكم في حيدر آباد

نظام الحكم في حيدر آباد إسلامي في روحه. مدني في مظهره، فهناك حكومة مدنية ذات أنظمة وقوانين وأوضاع إدارية يرأسها هندوسي (مجوسي) ولعل منشأ ذلك كثرة عدد المجوس من رعاياها. وهناك وزارات متعددة: وزارة المالية والحربية والداخلية والخارجية والعدلية والمعارف والأوقاف والوزراء جميعهم مسلمون.

وقد جرى أمراء هذه الدولة أن يتولوا الحكم بأنفسهم مباشرة من دون وزراء يساعدونهم كما يقضى مبدأ تقسيم الأعمال في الدولة، وإلى سمو النظام الحالي يعود الفضل في الأخذ بهذا المبدأ النافع. فقد عمل به منذ سنة ١٩١٦ فأنشأ مجلس وزراء يتألف من رئيس وسبع وزراء.

وكذلك أصلح الجيش ونسقه على الطراز الحديث، وجيش هذه الحكومة مزيج في الوقت الحاضر من العناصر الآتية :

جيش عربي نظامي يقوده الشيخ محسن سعيد وهو حضرمي

جيش عربي غير نظامي (باشبوزق) وقائده السلطان عمر القيطعي

جيش تركي نظامي

جيش فارسي نظامي

جيش حبشي نظامي

وقد كان أمراء حيدر آباد يعتمدون في العهد الماضي على هذه الأجناد يحشدونها من المهاجرين المسلمين الذين ينزلون بلادهم. وقد كان سمو النظام الحالي أول من فكر في إصلاح الجيش وتنظيمه وأنشأ لهذه الغاية مدرسة حربية في حيدر آباد يتخرج فيها الضباط.

وهناك جيش آخر اسمه الجيش الإمبراطورى ويقوده ضباط إنكليز. وهو تحت تصرف نائب الملك فى الهند ومسلح أحسن تسليح. وبهذه المناسبة نقول أن فى حيدر أباد جالية عربية كبيرة لا يقل عددها عن ٤٠ ألفاً. بينها نحو ١٠ آلاف تعمل فى الجيش. وقد كان لدى سمو النظام جيش من الفيلة يتألف من ٢٥٠ خفض عدده أخيراً إلى عشرين لعدم الحاجة، ويركبها سموه وهى من أكبر الفيلة فى العالم.

الإصلاحات فى عهده

يمتاز عهد النظام الحالى بما تم فيه من إصلاحات عظيمة كما يمتاز بما أنشأه من أبنية وشاده من مدارس وأثار تنطق بفضله وعظيم غيرته. وأول أثاره وأعظمها الجامعة العثمانية التى أنشأها فى حيدر أباد سنة ١٩٢٠ وتتألف من كلية للأدب وأخرى للعلوم الرياضية، والكيمياء والطبيعات وفيها ٦٠٠ طالب ويرسل كل سنة عدد من طلبتها إلى أوروبا ومصر واليابان. وكذلك فقد أنشأ فى سنة ١٩١٦ لجنة للتأليف والترجمة، كانت نواة الجامعة العثمانية - وقد تأسست بعدها، وتضم كبار علماء الهند وأفاضلها وتتولى الحكومة طبع ما تقرر طبعه من مؤلفات: وهى إما قديمة تراجع وتدقق، وإما حديثة منقولة عن لغات أجنبية أو جديدة، وتوزعه. وفى مدينة أورانج أباد، مجمع علمى يشمله النظام برعايته ويعد أقدم مجمع علمى فى الهند ويعمل لنشر العلوم وتعزيزها.

مدرسة الأمراء - وكذلك أنشأ سنة ١٩٢٤ مدرسة لأبناء العائلة المالكة وسماها «مدرسة الأمراء» يتعلم فيها أبناء هذه العائلة، وبعد أن يتخرجوا منها

يستخدمون في الحكومة بنسبة الشهادة التي يحملونها ويقول إنه يجب عليهم أن يتعلموا ويخدموا البلاد وينالوا أجوراً مقابل خدمتهم، وفي ما عدا ذلك فلا يعطيهم شيئاً.

دار الكتب - وكذلك أعد مكتبة في حيدر أباد أنشأ لها داراً فخمة، وتضم المكتبة ٤٠ ألف مجلد منها ١٥ ألف مجلد عربي، ومثلها بالفارسية والأردو، ويزور هذه المكتبة كل يوم ٢٠٠ زائر، وتبلغ ميزانيتها السنوية ٢٨ ألف روبية. وأنشأ بناية فخمة لتكون داراً لوزارة العدلية، وأنشأ داراً فخمة للمحاكم على اختلاف درجاتها.

ومما يستحق الذكر أن ٨٣ من المدارس الأولية في حيدر أباد هي للمسلمين وكذلك فنسبه مدارسهم الثانوية ٤٥ في المائة و ٤٤ من المدارس الابتدائية.

ألبانيا

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

ألبانيا هي الدولة الإسلامية الوحيدة المستقلة في أوربا، وإيطاليا نفوذ كبير فيها.

وتبلغ مساحتها السطحية ٤٠٠٠٠ كيلو متراً مربعاً، وتحدها يوغسلافيا من الشمال، واليونان من الشرق والجنوب، والبحر الأدرياتيكي من الغرب. وعاصمتها تيرانا. ويبلغ عدد نفوسها ٨٣٣٦١٨ كما جاء في إحصاء نشر سنة ١٩٢٧ بينهم ١٨٢٠٥١ أرثوذكسيا و ٨٨٧٩٣ كاثوليكياً و ٣٣ يهودياً. والباقي مسلمون يتدينون على مذهب الإمام أبي حنيفة، ولألبانيا جالية كبيرة في إيطاليا وفي أميركا وفي اليونان. ومن مدنها الكبرى اشقودره (سكوتاري) وكوريجه (غوريتزا) والبصان وبرات وفالونا ودراج واليسيو ودبره.

ويتكلم سكان البانيا اللغة الألبانية (شكيب) وهي مزيج من اللغات الأوربية والهندية، ويكتبونها بالأبجدية اللاتينية من سنة ١٨٧٩.

والبانيا بلاد جبلية اشتهر أبنائها بالشدة والنجدة والفروسية، ولايزالون رغم وجودهم في أوربا يعيشون معيشة القبائل ويسيطرون على عاداتها، ومعولهم على الزراعة وعلى ما يرسله المهاجرون من أبنائهم إلى أميركا وإيطاليا.

والخدمة العسكرية إجبارية في ألبانيا ولديها جيش عدده ٤٥٠٠ جندي، و ٣٥٠٠ شرطى، وفي الجيش الألباني مئة ضابط طلياني.

ونظام الحكم فيها ملكي، وملكها هو أحمد ماتى زوغو الأول، وهذا رسمه :



(الملك إسماعيل زوغو) ملك ألبانيا)

الملك أحمد زوغو

ملك ألبانيا

مولده ونشأته

ولد يوم ٨ أكتوبر سنة ١٨٩٥ فى مدينة مات من أعمال تيرانا مقر قبيلته،
والده المرحوم جمال باش ماتى زوغو، والدته فاطمة هانم طويطانى شقيقة
أسعد باشا طويطانى رئيس حكومة ألبانيا بعد سفر البرنس دافيد غيليوم
الألماني.

وقضى طفولته فى مات ونشأ فيها ثم أرسل إلى الآستانة - وكان والده يتقلد
منصباً رفيعاً فى وزارة الحرب العثمانية - فأدخله مدرسة غلطة سراى (ليسيه)
فنال شهادتها ودخل على أثر ذلك مدرسة الحقوق وظل فيها حتى نشبت الحرب
العظمى فعاد إلى بلاده، وكانت قد انفصلت عن تركيا ودخلها بطريق
يوغسلافيا، وقصد مدينة مات وأقام فيها زعيماً لمقاطعتها.

واغتزم النمسيون فرصة الحرب العظمى فدخلوا ألبانيا واحتلوا شمالها كما
احتل الإيطاليون غربها، ونزل الفرنسيون غوريتزا والمقاطعة الوحيدة التى لم
يطأها جندي أجنبي فى زمن الحرب ولم تخضع لنفوذ أجنبي هى مقاطعة مات
فقد وقف زعيمها أحمد بك زوغو فى وجه الأجانب، وحال بينهم وبين بسط
نفوذهم على بلاده. على أن الفريقين جلا بعد الحرب عن ألبانيا كلها.

وانتخب نائباً عن مقاطعة مات فى الجمعية الوطنية التى اجتمعت فى لشنه
يوم ٢ فبراير سنة ١٩٢٠، وقد صدر الأمر بانتخابها على أثر موافقة حكومة
طرخان باشا المؤقتة على دخول ألبانيا تحت الحماية الإيطالية فأسقطت الجمعية
تلك الحكومة، ولم تقر المعاهدة وألفت مجلساً أعلى لإدارة البلاد مؤلفاً من أربعة

أعضاء، وعهد هذا المجلس إلى سلمان بك دلفينو بتأليف الوزارة فألفها، وقلد أحمد بك زوجو وزارة الداخلية.

وفى ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٢ استقال سليمان بك من رئاسة الوزارة فألفها أحمد بك زوجو، وظل فى الدست حتى شهر مارس سنة ١٩٢٤ فاستقال من الحكم فخلفته وزارة برئاسة شوكة فرلاشى بك وهو من أنصاره، وكانت مهمتها إدارة الانتخابات لعقد جمعية وطنية تقرر نظام الحكم، وقد أسفرت هذه الانتخابات عن فوز أنصار زوجو فوزاً أقلق خصومه فتآمروا وأعدوا المعدات لإضواء ثورة، تقضى على أماله، فأعلنت الثورة فى أوائل شهر يونيو سنة ١٩٢٤ وزحف المتأخرون على أشقودرة فاحتلوها كما احتلوا مناطق أخرى. فلم يطق أحمد بك زوجو ثباتاً فلجأ إلى يوغسلافيا فخلا الجو لخصومة، وفى يوم ١١ يونيو تألفت الحكومة الجديدة برئاسة الأب فان ولى زعيم الثورة، وهو كاهن أرثوذكسى.

وأقام زوجو فى منفاه يعد المعدات لثورة يستعيد بها الحكم، ولما وثق من النجاح زحف على ألبانيا يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤ على رأس جيش من أنصاره فاحتل تيراناً يوم ٢٣ منه، وفر خصومه إلى إيطاليا. وفى يوم ٨ يناير سنة ١٩٢٥ أعيد تأليف الوزارة الجديدة برئاسة، ودعيت الجمعية التأسيسية على الفور فقررت فى شهر فبراير المتأداة بالنظام الجمهورى واختارت أحمد زوجو رئيساً للجمهورية. وفى أول سبتمبر سنة ١٩٢٨ أبدل النظام الجمهورى بنظام ملكى ونودى به ملكاً على ألبانيا.

كيف يقضي يومه؟

يقطن أحمد زوغو الأول في قصر الطويطاني في تيرانا، ويقع على مقربة من شارع زوغو الأول وفيه دواوين الحكومة ومكاتبها، وقد انتقل إليه هذا القصر من أخواله، على أن الحكومة بدأت منذ عهد قريب بإنشاء قصر فخم ليكون مقراً للوك البانيا.

ويدير شؤون الدولة في هذا القصر وينام ويأكل فيه ويستقبل ضيوفه وزواره ولا يغادره إلا قليلاً، والمعروف عنه أنه يظل يعمل أحياناً كثيرة حتى بعد منتصف الليل، ولا ينام إلا بعد إنجاز أعماله.

وتتألف أسرته في الوقت الحاضر من والدته فاطمة هانم ومن شقيقته سنية هانم، وهي رئيسة جمعية الصليب الأحمر في البانيا، وقد تزوج من سنوات بكريمة ورلازكي بك وهو من كبار المالكين ثم طلقها وذلك قبل أن يرقى العرش، ولم تلد له أولاداً، ويقال إنه يود الرجوع إليها أملاً بأن تلد له ولداً.

أوصافه - هو جميل الطلعة بهيها، مشهور بالجمال الساحر، ذو جاذبية مغناطيسية وتأثير سحري غريب.

أخلاقه - شجاع، مقدم، جريء، امتاز بالإقدام كما امتاز بالكرم والسخاء، وبهاتين الخصلتين الشجاعة والكرم ساد البانيا وامتلكها، وهو يعول على الشبان وحدهم، ومعظم موظفي الحكومة الألبانية اليوم من هؤلاء الذين يلتفون حوله ويؤيدونه ويثقون به وهو ديمقراطي، لا اثر للكبرياء والعظمة في حركاته وسكانه.

علومه - يجيد اللغتين التركية والألمانية ويتكلم الفرنسية والإيطالية واليوغسلافية، ويعرف قليلاً من العربية، وذلك عدا لغته الأصلية وهو واسع الاطلاع، كثير المعلومات، ميال إلى التقدم والإصلاح.

دينه - يتظاهر بالتدين، وكثيراً ما يخرج لأداء صلاة الجمعة فى موكب رسمى، وهو يبرر العلماء وحفظه القرآن، ويجود عليهم بالعطايا والهبات من وقت إلى آخر، ويقولون إنه يصوم رمضان وإنه متعصب لدينه متمسك به.

ثروته - لا يملك ثروة خاصة، ويعيش من راتبه ويبلغ ٢٠ ألف فرنك شهرياً (نحو ألف جنيه) وهو ينفقه ولا يدخر منه شيئاً.

صحته - يقال إنه مصاب بمرض السل فى الحنجرة، وقد جاءوا له بجراحين من فينا لإجراء عملية جراحية فاعتذروا عن القيام بها، فجئ بجراحين إيطاليين تولوا فحصه ولم يصدروا قرارهم.

والمفهوم أن والدته تسعى لكى تعين وكيلة له فى خلال مرضه بالاشتراك مع ابن شقيقه حسين بك زوجو. على أنه لا يزال يتولى بنفسه إدارة المملكة.

المؤامرات لاغتياله - دبرت مؤامرات عديدة لاغتياله أهمها مؤامرة شهر أكتوبر سنة ١٩٢٨ على أثر المنادة به ملكاً، وقد أعدم ١١ شخصاً بسببها وأعلن الأحكام العرفية.

وقد أطلق الألبانى فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٣ الرصاص فى سلانك على حسن بك برشتنه أحد زعماء الألبان المشهورين بعداء أحمد زوجو فقتله فأراح الملك من خصم عنيد قوى دبر عدة مؤامرات لاغتياله فى السنوات الأخيرة.

علاقاته الغرامية - اشتهر بمغامرات الغرامية. فقد كانت له معشوقة جميلة تدعى مدام زينت فلورا سمت نفسها وماتت فى لندرا.

وامتلكت قلعة حسناء إيطالية أقامت معه مدة طويلة فى قصره ثم غادرته عائدة إلى رومية، وقد ظهر بعد ذلك أنها جاسوسة تعمل لحساب حكومتها، وقصدت بعد ذلك باريس ثم جاءت إلى لندن وحاولت بيع رسائل الحب والغرام التى كتبها لها فتمكن أحد أصدقائه من انتزاع هذه الكتب بحيلة لطيفة منها فانتحرت على الأثر.

٤٢٩

ظلت ألبانيا حتى إعلان الحرب البلقانية فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ تابعة للدولة العثمانية، فلما فاز البلقانيون عليها، وجلت عن مقدونية تألفت يوم ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٢ أول حكومة ألبانية فى فالونا، اعترف بوجودها مؤتمر السفراء يوم أول ديسمبر سنة ١٩١٢ وحدد حدودها، وفى يوم ٣ منه عين الأمير غيليوم دى فيد أميراً عليها، فلم يطل مقامة بها بل غادرها يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩١٤ على أثر إعلان الحرب العظمى مستقيلاً. فخلفه أسعد باشا الطوپطانى بصفته نائب ملك.

وفى يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٨ اجتمع مندوبو ألبانيا وعددهم ٤٨ فى دراج ونادوا بطرخان باشا رئيساً للحكومة المؤقتة لألبانيا.

وفى يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٩ عقدت هذه الحكومة معاهدة مع إيطاليا وضعت بموجبها ألبانيا تحت الحماية الإيطالية فهاجت البلاد وماجت وصادتها روح وطنية أدت إلى اجتماع جمعية وطنية فى لشنه يوم ٢ فبراير سنة ١٩٢٠ فأسقطت حكومة طرخان باشا، وأنشأت مجلساً أعلى للحكم يتألف من أربعة أعضاء هم : عاكف باشا الألبصانى البكداشى، وعبدى بك الطوپطانى، والدكتور تور تولى (ارثوذكسى) والأسقف لويس بوقشى (كاثوليكي) وفى سنة ١٩٢١ حل محلهم عمر باشا فريونى، رفيق بك طوپطانى، سوتيربيجى. وأنطون بيستولى، وفى سنة ١٩٢٤ ظل الأخير وحده.

وفى شهر فبراير سنة ١٩٢٥ أنشئت الجمهورية فى ألبانيا ونودى بأحمد زوغو رئيساً لها، وفى أول سبتمبر ١٩٢٨ اجتمعت الجمعية الوطنية ونادت به ملكاً باسم أحمد زوغو الأول.

مطامع الإيطاليين في ألبانيا وصلتهم بها

للإيطاليين مصالح في ألبانيا نشأت عن مجاورتها لهم في بحر الإديرياتيک ويطمع الإيطاليون في جعله بحيرة إيطالية، ولما كان الشعب الألباني لا يزال تقريباً على الفطرة فقد اغتبنوا الفرصة وعملوا على توسيع نفوذهم باستمالة الزعماء وهكذا تم لهم في يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٩ عقد معاهدة مع حكومة طرخان باشا وضعوا فيها هذه البلاد تحت حمايتهم. فهز عملهم الرأي العام الألباني هزاً، ونشط الروح الوطني فنهض الألبانيون ينادون بأنهم لا يعترفون بما وقع. فنقض الاتفاق واضطر الإيطاليون إلى الجلاء عن ألبانيا بموجب اتفاق اليوزى يوم ٣ أغسطس سنة ١٩٢٠ ما عدا جزيرة ساسينو.

ورأى أحمد زوغو بك بعد ما أستتب له الأمر على أثر ثورة سنة ١٩٢٤ أن مصلحته تقضى بالتقرب من إيطاليا، خوف إضرار نار ثورة جديدة في بلاده، فقد أشاعوا أن الأب فان نولى زعيم تلك الثورة لم يبق إلا بتحريض بعض موظفي إيطاليا وإغرائهم، وكان أحمد بك يميل إلى يوغسلافيا في ذلك الوقت؛ يؤيد ذلك فرار الأب فان نولى وأنصاره إلى إيطاليا حينما فاز عليهم أنصار أحمد زوغو وهزموهم - نقول إن أحمد بك رأى أن مصلحته هي في وصل حبله بإيطاليا. فعقد معها معاهدة تحالف عرفت باسم معاهدة تيرانا وهذه مقدمتها :

أن إيطاليا وألبانيا حبا بتوثيق العلاقات الودية بينهما ولتقوية دعائم السلام العالمى، وللمحافظة على موقف ألبانيا الحاضر من الوضعية السياسية والقضائية طبق ما حدد في المعاهدات بين الفريقين، وطبق مقررات جمعية الأمم قررنا عقد ميثاق محبة وولاء، وعينا لهذه المهمة سعادة البارون إلوازى مندوباً عن صاحب الجلالة ملك إيطاليا، وسعادة حسين بك فيرونى وزير خارجية ألبانيا مندوباً عن عظمة رئيس جمهورية ألبانيا. فاتفق الفريقان بملء رضائهما على عقد المعاهدة المؤلفة من المواد الآتية :

المادة الأولى - إن كل خطر يهدد دولة ألبانيا. سواء كان سياسياً أو حقوقياً أو مؤدياً إلى اقتطاع جانب من أراضيها مخالف لمصالح الفريقين المتعاقدين السياسية.

المادة الثانية - للمحافظة على الحالة الراهنة في ألبانيا ولاتقاء كل خطر يوجه إليها يتعهد الفريقان المتعاقدان بتأييد بعضهما بعضاً، وبأن يمتنع كل منهما عن عقد أى اتفاق عسكري يضر بمصالح الفريق الآخر المحددة بموجب هذا الميثاق.

المادة الثالثة - يتعهد الفريقان بأن يحيلوا إلى التحكيم كل مشكلة تنشأ بينهما ولا يستطيعان حلها وينظمان اتفاقاً خاصاً بذلك.

المادة الرابعة - مدة هذه المعاهدة خمس سنوات، ويجوز لأحد الفريقين أن يطلب فسخ أحكامها أو تعديل إحدى موادها قبل انتهاء هذا الأجل بسنة واحدة.

المادة الخامسة - بعدما يصدق مجلساً الأمة في الحكومتين على هذه المعاهدة تسجل في سجل جمعية الأمم، ويتم تبادل نسخها المصادقة في روما.

وبعد التوقيع على هذه المعاهدة أرسل البارون إلوازي إلى وزير الخارجية الألبانية الكتاب الآتي :

سيدى الوزير :

« طلبتم إلى أن أوضح لكم رأى الحكومة الإيطالية في بعض النصوص الواردة في الاتفاقية الودية والسلمية المعقودة بيننا في ٢٦ نوفمبر الماضى. وقد رغبتم إلى بصورة خاصة أن أعلمكم بما إذا كانت الحكومة الإيطالية تشارككم الرأى فى تفسير عبارة المعاهدات المنعقدة منذ دخول ألبانيا فى جمعية الأمم. فأنا أؤكد لكم كما أثبت لكم أثناء محادثتى الشفهية بأن حكومة روما تشاطركم رأيكم فى تفسير هذه العبارة ».

وأخيراً لفتم نظرى إلى العبارة الواردة فى المادة الثانية القائلة « بالتأييد

المشترك والمناصرة الودية» فهذه العبارة صريحة واضحة لاتستدعى الشك والريب، فالتأييد المشترك والمناصرة الودية لايمكن تفسيرهما إلا بأنهما تكونان حينما تستدعى الحاجة إلى ذلك، ويطلبهما أحد الفريقين من الفريق الآخر.

وأخيراً لى الشرف أن أعلم سعادتكم بأنى على استعداد تام وذلك بحسب الأوامر التى تلقيتها من حكومتى فى روما للبدء فى المفاوضات اللازمة لعقد اتفاق تحكيمى كما ورد فى المادة الثالثة من المعاهدة. وفى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧ أيدت إيطاليا هذا الاتفاق بقرض عقده لألبانيا بخمسين مليون فرنك إيطالى.

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٢٣ أرسلت الحكومة الإيطالية مذكرة إلى ألبانيا طلبت فيها المطالب الآتية :

١ - استبدال الإخصائيين الأجانب الموجودين فى خدمة ألبانيا بإخصائيين إيطاليين.

٢ - تسليم الأبنية العسكرية إلى الحكومة الإيطالية.

٣ - استبدال بعثة البوليس البريطانية ببعثة إيطالية.

٤ - إلغاء المعاهدات الاقتصادية والتجارية المعقودة بين ألبانيا والدول الأجنبية.

٥ - إعادة افتتاح المدارس التابعة للإرساليات الكاثوليكية التى أقفلتها الحكومة الألبانية.

٦ - إدخال اللغة الإيطالية فى المدارس واعتبارها لغة رسمية.

٧ - إنشاء مدرسة إيطالية فى غوريتزا بدلاً من المدرسة الفرنسية الملغاة.

وفى ٢٨ أغسطس أصدر الملك أمراً ملكياً يقضى بجعل تعليم اللغة الإيطالية إلزامياً فى المدارس الألبانية، وجاء فى أمر آخر أن ٨٠ فى المائة من بعثات الطلاب التى ترسلها ألبانيا يجب أن تذهب فتدرس فى إيطاليا.

وفيما عدا ذلك فعلاقات ألبانيا مع الدول الأخرى حسنة، وقد دخلت عضواً في جمعية الأمم سنة ١٩٢٨ بتعضيد إيطاليا ومساعدتها، وهى الدولة الإسلامية الرابعة المشتركة فى تلك الجامعة وهذه أسماؤها: إيران وتركيا والعراق وألبانيا. ولعظم الدول الأوروبية وزراء مفوضون لدى الحكومة الألبانية يتصلون بوزير خارجيتها مباشرة، وعلاقاتها منظمة تنظيماً حسناً بالحكومة التركية وبينهما معاهدة صداقة وود.

وقد تمت فى عهد الملك الحالى كثير من الأعمال الإصلاحية فعبدت الطرق وأنشئت الجسور على الأنهر والترع، ولم يكن يوجد جسر واحد من قبل فأصبح باستطاعة المسافرين أن يجول فى ألبانيا بالسيارة، وباشروا مد أول سكة حديد من تيرانا إلى دراج، كما أرسلت الحكومة الجديدة كثيراً من البعثات العلمية إلى الخارج، وفى مصر اليوم بعثة ألبانية أرسلتها حكومة زوغو إلى الأزهر لدراسة العلوم الدينية واللغة العربية. وبالإجمال فالحكومة الجديدة عاملة على الإصلاح.

نظام الحكم فى ألبانيا

نظام الحكم فى ألبانيا دستورى ملكى فى الظاهر. إلا أنه دكتاتورى فى الواقع فالملك هو مصدر كل سلطة، وهو صاحب النفوذ المطلق فى مملكته. ورئيس الوزارة الألبانية مسئول أمام الملك، وهناك ست وزارات: داخلية وخارجية ومالية وحقانية وحربية وزراعة. وللحكومة الألبانية مجلس نواب يتألف من ٧٢ نائباً ينتخبون على درجتين، ويتألف من حزبين رئيسيين. حزب الشعب وحزب المحافظين.

المغرب الأقصى

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

أكبر ممالك الإسلام فى أفريقية الشمالية مساحة، وأكثرها سكاناً، وهى خاضعة لثلاث حمايات :

الحماية الفرنسية

والحماية الأسبانية.

والحماية الدولية.

وتبلغ مساحتها السطحية ٥٢٠٠٠٠ كيلو متر مربع موزعة بين الحماية كما يأتى : ٤١٥ ألف فى منطقة الحماية الفرنسية و ١٠٤٦٠٠ فى منطقة الحماية الأسبانية و ٣٨٠ كيلو فى منطقة الحماية الدولية.

ويقدر إحصاء فرنسوى نشر سنة ١٩٢٦ سكان المغرب الأقصى ٤٧٥٠٠٠٠ نسمة. منهم ٤٢١٦٨٢٦ فى المنطقة الفرنسية عرب مسلمون يتدينون على مذهب الإمام مالك. بينهم ١٠٧٥١٢ يهودياً متجنسون بالجنسية المغربية، و ٦٦٢٢٧ فرنسواً، أما الباقون وعددهم ٧٠٠ ألف فينزلون فى المنطقة الأسبانية والمنطقة الدولية. على أن الخبرين بشؤون المغرب الأقصى يؤكدون أن عدد سكانه لا يقل عن اثنى عشر مليوناً من العرب المسلمين.

ورباط الفتح هى العاصمة السياسية فى هذه الأيام، وقد كانت فى مراكش وفاس من قبل، ومن أشهر مدنه الدار البيضاء ومكناس وسلا وتازا فى المنطقة الفرنسية، ومليلاً وسوتا وطيطوان والعريش والقصر فى المنطقة الأسبانية وطنجه فى المنطقة الدولية.

ويحد المغرب الأقصى الجزائر وموريتانى الأسبانية والبحر المحيط والصحراء. والجانب الأكبر منه جبلى، ويحيا سكان الجبال حياة البداوة وهم فى نضال مستمر مع الفرنسيين والأسبانيين.

وسلطان المغرب الأقصى اليوم هو محمد بن يوسف، وهذا رسمه :



السلطان محمد بن يوسف (سلطان الغرب اللأقصى)

السلطان محمد بن يوسف

سلطان المغرب الأقصى

مولده ونشأته

ولد في فاس (عاصمة المغرب الأقصى القديمة) ووالده السلطان يوسف بن مولاي الحسن، سليل أشراف تافيلات الحسنيين، وقد أسسوا دولتهم في المغرب الأقصى سنة ١٦٦٤ وأصلهم حجازيون هاجروا من ينبع، ويلقب السلطان منهم بلقب الخلافة، ويخطب باسمه على المنابر ولم يعترفوا بخلافة العثمانيين ولم يقروها.

ونشأ في قصر أبيه ثم أدخل مدرسة ابتدائية في فاس تعلم فيها القراءة والكتابة ودرس اللغة الفرنسية، ولما تقلد والده السلطنة وانتقل إلى الرباط انتقل معه إليها وأدخل في المدرسة اليوسفية الثانوية ودرس فيها. وهو يعرف اللغتين العربية والفرنسية تكلماً وكتابة.

عائلته - تزوج سنة ١٩٢٦ بإحدى الأميرات من أبناء عمومته، في حياة والده، وقد أقام بمناسبة هذا الزواج أعزاساً فخمة. وولد له مولود ذكر صحبه معه في رحلته الأخيرة إلى فرنسا.

أوصافه - هو طويل القامة، نحيف البنية، مستطيل الوجه، ذو لحية قصيرة، ولون ضارب إلى السمرة.

ويلبس الملابس المغربية، وفوقها البرنس ويضع على رأسه طربوشاً.

ويغلب عليه اللين والتواضع، وهو قليل الاهتمام بما يجري حوله.

رحلاته - يزور فرنسا بلا انقطاع وأكثر ما تكون زيارته لها في فصل الصيف، فيقضى الأسابيع في مصايفها الجميلة، وآخر زيارته كانت في شهر يوليو سنة ١٩٣٣ ثم غادرها يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٣ مع ولده وحاشيته.

وقد أهداه جلالة الملك فؤاد الوشاح الأكبر من وسام محمد على سنة ١٩٢٩ فسلم إليه في حفلة أقيمت في دار المفوضية المصرية ببarris.

كيفية يقضي يومه ؟

يقطن السلطان الشاب مع أسرته فى القصر السلطانى فى رباط، وهو ينام باكراً وينهض باكراً، ويؤدى الصلاة فى أوقاتها المفروضة. ويصوم شهر رمضان. ولقد كان أول ما فعله عند مبايعته أنه أمر بكبير أمناء والده السيد ابن عبابو فطرد من القصر شر طرد وصودرت أملاكه وأمواله وتقدر بنحو مائة مليون فرنك، وذلك لأنه كان شديد الوطأة عليه وهو صغير. كما أنه كان مشهوراً بمقاومة السياسة البربرية وسيأتى الكلام عليها.

والسلطان الشاب قليل الاختلاط بأبناء شعبه لا يكاد يعرفهم ولا يكادون يعرفونه، وقد نشأ هذا الفتور بسبب الطريقة التى تولى فيها العرش، وهو يعتمد على تأييد الفرنسيين، كما يعتمدون عليه فى تنفيذ خططهم وأغراضهم.

كيف ارتقي العرش ؟

توفى والده السلطان يوسف يوم الخميس ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧ على أثر رجوعه من فرنسا بعد رحلة رسمية رحلها إليها ومرض في خلالها، وخلف ثلاثة أولاد ذكور: إدريس وهو الأكبر، وقد أوصى له أبوه بولاية العهد من بعده، وحسن وحمادة وهو الأصغر.

ورأى ولاية الأمور الفرنسيون أن مصلحتهم تقضى بإصعاد حمادة الصغير إلى العرش. فأخذوا له البيعة من العلماء ورجال الدولة والأمراء وفي جملتهم الأميران حسن وإدريس وذلك يوم الجمعة ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٧ وتسمى السلطان الجديد باسم محمد الثالث، وأذاع الفرنسيون على أثر ذلك أنهم أيده لأنه يعرف اللغة الفرنسية ويحب فرنسا.

ولما جاءه المقيم العام يهنئه بارتقائه العرش يوم ٢٢ نوفمبر خطب فقال «أنه يأمل الحصول على فوائد كثيرة تصيبها بلاده بإرشاد فرنسا، ويطلب منها أن تظل ساهرة على ملكه ومصير بلاده».

عقده

انصرفت فرنسا منذ تم لها الاستيلاء على الجزائر إلى استتفاء المغرب الأقصى وضمه إلى إمبراطوريتها الاستعمارية في أفريقية الشمالية.

ولقد كان مولاي السلطان عبدالعزيز بن مولاي الحسن أول من تنبه إلى أغراضها، وأدرك ما تضرره لبلاده فعمل على إصلاح جيشه وتنسيقه وتحسين النظام الإداري. مستعيناً على ذلك ببعض ضباط الترك، وكانوا يفرون من منافيتهم السحيقة في طرابلس الغرب وبنغازي وفزان في العهد الحميدي، فيستخدمهم وينتفع بمواهبهم، ورأى الفرنسيون، وكانوا يرقبون أحوال المغرب الأقصى عن كثب، أن نجاح الحركة الإصلاحية قد يعرقل مشروعاتهم فقاوموا السلطان ودفعوا «أبا حمارة» وهو من أبناء القبائل المغربية فأشعل نار الفتنة في البلاد واستولى على الريف منادياً أنه ثار على السلطان لخروجه على أحكام الدين ومحاولته التشبه بالإفرنج واقتباس نظمهم فجندت الحكومة القوى لمقاتلته وقد أفتت تلك الثورة قوى المغرب، وأودت بالسلطان وعرضه فتنازل عن الملك في سنة ١٩٠٨ فخلفه أخوه مولاي عبدالحفيظ، وقد مهد له الفرنسيون للوصول إلى العرش مقابل وعده لهم بوضع بلاده تحت حمايتهم، وقد أنجز وعده فوضع يوم ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ معاهدة الحماية في فاس وهي ملخصة :

المادة الأولى - اتفقت الحكومتان على إجراء الإصلاحات التي تحسبها فرنسا موافقة لمراكش، ورضى السلطان بقبول كل الإصلاحات القضائية والمالية والعسكرية التي ترى فرنسا تنفيذها.

المادة الثانية - تتعهد الحكومة الفرنسية بأن جميع الإصلاحات التي تقوم بها في داخل المغرب الأقصى لا تمس الدين الإسلامي بسوء في كثير ولا قليل، ولا تجلب أي ضرر على الحالة الدينية، ولا تلحق أي أذى بنفوذ السلطان.

المادة الثالثة - تتعهد فرنسا بالمحافظة على حقوق أسبانيا فى مراكز ومركز
طنجة الدولى^(١).

المادة الرابعة - يحق لفرنسا أن تحتل احتلالاً عسكرياً أى جهة أرادت إذا رأت
الحالة داعية إلى ذلك للمحافظة على الأمن، وأن تتولى أعمال البوليس سواء فى
البر أو البحر.

وتعد فرنسا السلطان بتعزيده، وجميع المشروعات الإدارية تقترحها فرنسا
ويقرها السلطان.

المادة الخامسة - يمثل فرنسا معتمد عام يقيم فى البلاد، وتكون له القوة التى
للجمهورية الفرنسية، وهو الوسيط الوحيد بين المغرب وسائر ممثلى الدول
الأجنبية.

وللمعتمد أن يوافق على أوامر السلطان العالية، وعلى فرنسا أن تمثل الأمة
المغربية، وتحمى مصالحها فى البلاد الأجنبية.

المادة السادسة - رضى السلطان أن لايتدخل فى شئ من المعاهدات الدولية،
وأن لايعقد قرصاً، ولايمنح أى امتياز بدون رضى فرنسا.

المادة السابعة - الحكومتان المتعاقدتان تحفظان لأنفسهما حق تنظيم مالية
البلاد.

وثار الناس فى فاس حينما عرفوا أن السلطان قبل الحماية الفرنسية،
وهاجموا قصره يريدون الفتك به. فسافر إلى الدار البيضاء ناجياً بنفسه، ووقعت

(١) فى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٢ عقدت معاهدة بين أسبانيا وفرنسا لحل مشكلة المنطقة
الأسبانية وقد تقرر فيها أن ينتدب السلطان مندوباً يمثل فى هذه المنطقة ويسمونه خليفة.
وحددت منطقة طنجة نهائياً فى سنة ١٩١٣ وعقد لأجلها اتفاقان دوليان الأول يوم ١٨
ديسمبر سنة ١٩٢٣ والثانى يوم ٥ يوليو سنة ١٩٢٨ ويمثل السلطان مندوب فى طنجة
وهى واقعة فعلا تحت النفوذ البريطانى.

بين المهاجمين والجند الموالي للسلطان معارك شديدة سالت فيها الدماء أنهاراً، وتدخل الفرنسيون لحماية السلطان والدفاع عنه، وأعلنت الأحكام العرفية على الأثر، ولم يتم للفرنسيين إخماد الثورة إلا بعد عناء وتعب شديدين.

ولم يطل الأمر به. بل تنازل عن الملك ولحق بأخيه الأكبر عبدالعزيز ولا يزال الاثنان على قيد الحياة، الأول فى طنجه والثانى (عبدالحفيظ فى باريس) فجاء الفرنسيون بأخييهما يوسف، وولوه العرش بعد ما أخذوا عليه العهود والمواثيق بأن يكون طوع أمرهم.

وفى عهد هذا السلطان انصرف الفرنسيون إلى تنفيذ سياستهم البريرية فى المغرب الأقصى، وسدى هذه السياسة ولحمتها خلق قومية بربرية مستقلة عن القومية العربية ومنفصلة عن الجامعة الإسلامية، وإن كان البربر يتكلمون اللغة العربية ويدينون بالدين الإسلامى، كما فعلوا ببرابرة الجزائر من قبل.

وهناك غاية أخرى يرمى إليها الفرنسيون، وهى تجزئه البلاد المغربية إلى ساحل وجبل أو ريف فيضعون لكل جزء نظاماً خاصاً به ويفصلونهما عن بعضهما. ويشبه هذا من وجوه كثيرة ما فعلوه فى سورية، فقد جزءوها إلى أربع دول، وأحيوا عنصريات لم تكن معروفة، وكذلك فقد فتحوا باب التجنس بالجنسية الفرنسية فى تونس على مصراعيه أمام كل طالب لإضغاف الجامعة الوطنية.

وكان أول ما فعلوه لتنفيذ هذه السياسة، هو أنهم استصعدوا من السلطان يوسف (ظهيرا) مرسوماً يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه:

نظراً إلى أن قبائل جديدة تنضم يوماً فيوماً إلى الإمبراطورية المغربية بفضل الأمن والسلام، ونظراً إلى أن هذه القبائل من الجنس البربرى لها قوانين وعادات خاصة تستعمل عندها منذ القدم ولها بها تعلق شديد، ونظراً إلى أنه يلزم لخير

رعايانا ولطمأنينة إيالتنا السعيدة، رعاية الحالة العرفية التى تدير هذه القبائل،
أصدرنا المرسوم الآتى :

المادة الأولى - قبائل العرف البربرى تكون محكومة ومنظمة طبق قوانينها
وأعرافها الخاصة تحت مراقبة السلطات الفرنسية، وتبقى محكومة ومنظمة
كذلك.

المادة الثانية - تصدر قرارات من وزيرنا الأكبر بالاتفاق مع الكاتب العام
للحكومة الشريفة تعين شيئاً فشيئاً وحسب الحاجة :

أولاً : القبائل التى تدخل فى دائرة العرف البربرى. ثانياً: تضع نصوص
القوانين والتنظيمات التى تطبق على قبائل العرف البربرى.

وأدرك السلطان ما تنطوى عليه فكره خلق شعب بربرى مستقل فى المغرب
الأقصى لما ينطوى عليه من أخطار تهدد كيان سلطنته فرفض توقيع مرسوم
عرضه عليه الفرنسيون فى سنة ١٩٢٤ يسمح للأجانب (أى الفرنسيين)
بامتلاك العقارات فى أراضي القبائل البربرية وترفض أعرافها صراحة السماح
لهؤلاء بالتملك فى أراضيها، وأبى أن يسير فى تنفيذ هذه السياسة وهدد
بالاستقالة فصبر الفرنسيون على مضض رغم تحدث بعض رجالهم بضرورة
خلعه وإقصائه بحجة أنه لا يملك حق معارضة مشروعات فرنسا. بل عليه أن
ينفذها بدون تردد ولا إبطاء. ولم يعمر السلطان طويلاً بعد ذلك بل مات على
المنوال الذى وصفناه عقب زيارته لعاصمتهم.

وعاد الفرنسيون إلى إتمام ما بدأوا به فحلموا السلطان الجديد يوم ١٦ مايو
سنة ١٩٣٠ على توقيع (ظهير) مرسوم جاء فى مادته الأولى: أن جميع المخالفات
التي يرتكبها المغاربة فى القبائل ذات العوائد البربرية فى بقية نواحي مملكتنا
السعيدة يقع الفصل فيها من طرف رؤساء القبائل.

وجاء فى المادة الثانية أن القضايا المدنية والتجارية والمختصة بالعقارات

والمنقولات تنظر فيها محاكم خاصة تدعى المحاكم العرفية. ابتدائياً أو نهائياً طبقاً للحدود التى يجرى تعيينها بقرارات وزيرية. كما تنظر هذه المحاكم نفسها فى جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الإرث وتطبق فى كل الأحوال العوائد المحلية.

وجاء فى المادة الرابعة أن المحاكم الاستئنافية «العرفية» تنظر فى قضايا الجنايات ابتدائياً ونهائياً.

وجاء فى المادة الثانية أن القضايا المدنية والتجارية والمختصة بالعقارات والمنقولات تنظر فيها محاكم خاصة تدعى المحاكم العرفية. ابتدائياً أو نهائياً طبقاً للحدود الذى يجرى تعيينها بقرارات وزيرية كما تنظر هذه المحاكم نفسها فى جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الإرث وتطبق فى كل الأحوال العوائد المحلية.

وجاء فى المادة الرابعة أن المحاكم الاستئنافية «العرفية» تنظر فى قضايا الجنايات ابتدائياً ونهائياً.

وجاء فى المدة السادسة أن المحاكم الفرنسية التى تفصل فى الأمور الجنائية طبقاً للقوانين الخاصة بها لها الحق فى نظر الجنايات التى ترتكب فى النواحى البربرية.

وجاء فى المادة السابعة أن القضايا المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب والمطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم للمحاكم الفرنسية تعتبر من اختصاصات المحاكم نفسها.

ولغة هذه المحاكم هى الفرنسية.

ولما نشر هذا الظهير والغاية منه منع البربر من التقاضى أمام المحاكم الشرعية الإسلامية أقفلت المدن احتجاجاً ولجأ الناس إلى المساجد قائلين بصوت

واحد «اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير. لا تفرق بيننا وبين أخواننا البربر» وتألقت الوفود من جميع المدن وقصدت رباط الفتح وقدمت إلى السلطان مطالب الأمة المغربية وهى :

أولاً - احترام نفوذ جلالة السلطان أيده الله بالإيالة الشريفة وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية وذلك بجعل الولاة المخزنين من قضاة وقواد وبشاوات ومحتسبين ونظار وأمناء الأملاك مسئولين أمام الحكومة الشريفة.

ثانياً - إصدار ظهير مولوى يجعل سائر الحواضر والبوادي خاضعين لحكم الشريعة الإسلامية.

ثالثاً - تنظيم المحاكم الشريفة وإصلاحها وتولية الأكفاء فيها. سواء الشرعية منها أو محاكم البشاوات والقواد والمحتسبين وتعميمها فى سائر القطر المغربى لافرق بين حواضره وبواديه.

رابعاً - توحيد برنامج التعليم فى سائر المدارس التى تؤسس لتعليم الأهالى سواء فى المدن أو القبائل وتعميم اللغة العربية التى هى لغة القرآن فيها وتعميم تعليم الدين الإسلامى.

خامساً - احترام اللغة العربية، لغة البلاد الدينية والرسمية فى الإدارات كلها بالإيالة الشريفة وكذلك فى سائر المحاكم وعدم إعطاء أى لهجة من اللهجات البربرية أية صفة رسمية، ومن ذلك عدم كتابتها بالحروف اللاتينية.

سادساً - إيقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ومنعهم من التجول فى القبائل والحضور فى الأسواق والمواسم، ونشر أى شئ يمس بكرامة الإسلام وحرمة النبى ﷺ بأى نوع من أنواع النشر.

سابعاً - لا تعطى أى إعانة من ميزانية الدولة الشريفة أو ملك من أملاك المخزن الشريف للجمعيات التبشيرية الساعية فى تشييد الكنائس ومندليات التبشير فى أطراف البلاد المغربية.

ثامناً - عدم السماح للمبشرين بإحداث ملاجئ للأيتام واللقطاء ومدارس صناعية وعلمية للبنين والبنات والإنفاق عليها من المال المعد للمصالح العامة وأموال جماعة المسلمين كما هو مقرر فى الشريعة الإسلامية. أما ما سبق تأسيسه فإما أن تقوم به الحكومة الشريفة، وأما أن يقفل. وعلى أى حال لا ينبغي أن تبقى هذه الأوضاع تحت نفوذ المبشرين.

تاسعاً - لا يعين الرهبان والمبشرون للتدريس فى مدارس الحكومة أو لإدارتها. عاشراً - عدم التعرض لفقهاء المكاتب والمشارطين بالقبائل وإعطاء الحرية للوعاظ والعلماء وشيوخ الطرق الصوفية للتجول فى الأنحاء المغربية لتعليم الناس أحكام دينهم وحثهم على إقامة شعائره.

حادى عشر - إسقاط جوازات السفر بداخل الإيالة، ويحصل بها بعد الحضرى عن البدوى، ويتعذر بذلك تفقيه الأمة فى الدين والاكتفاء عند التنقل بورقة التعريف الشخصية.

ثانى عشر - اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية ماعدا الأجانب تحت رعايا مولانا السلطان وسلطته خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التى تؤسس باسمه الشريف، وكذلك اعتبار جميع المغاربة - ما عدا اليهود - مسلمين بمعنى أنه لا توجد ملة ثالثة للمغاربة الوطنيين.

ثالث عشر - منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين فى هذه النهضة، وعدم التعرض لمن خاض فيها.

ولما تلقى السلطان هذه المطالب عقد اجتماعاً عاماً حضره وزراؤه ورجال فرنسا وأراد إصدار ظهير (مرسوم) يلغى به الظهير الأخير الذى اضطره الفرنسيون إلى توقيعه فعارضه هؤلاء معارضة شديدة فسكت، وأخيراً اضطرت السلطة الفرنسية إلى كتابة رسالة دعى الناس إلى المساجد فى المدن والقرى وأسواق البوادي لسماعها فحضرها يوم ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هـ

فتليت عليهم باسم السلطان وقد جاء فيها أن فرنسا تعترف مبدئياً بأن كل قبيلة بربرية تطلب التقاضى إلى محكمة إسلامية تجاب إلى طلبها.

نظام الحكم في المغرب الأقصى

نظام الحكم فى المغرب مستمد اسماً من الشريعة الإسلامية. فليس هناك دستور مدون، ولا قوانين ولا أنظمة، وإنما هى «أعراف» تواضعوا عليها وكانوا يرجعون إلى الشريعة لاستخراج الأحكام منها.

وكان للمغرب الأقصى فى عهد استقلالة حكومة عليها مسحة مدنية تتألف من رئيس وزراء، ووزير للداخلية وآخر للمالية والأوقاف والحقانية، وكانوا يسمون وزير الخارجية (وزير البحر).

وقد قضى الفرنسيون على هذه الأوضاع كلها واختزلوا الحكومة المغربية. فهى تؤلف اليوم من رئيس وزراء ووزير للمعدلية وآخر للأوقاف ليس لهم من السلطة سوى الاسم. فقد استقرت السلطة الحقيقية فى دار الحماية الفرنسية (المقيم العام) وأنشأ الفرنسيون لكل فرع من فروع الإدارة مديرية عينوا لها موظفاً فرنسياً. فهناك مدير للمالية وآخر للداخلية وثالث للمعدلية ورابع للأوقاف الخ. وهم يعدون القوانين واللوائح والأنظمة ويرسلونها إلى رئيس الوزراء فيوقعها مع زميليه ويرفع ما يحتاج منها إلى مراسيم للسلطان فيصدر المرسوم اللازم.

ويقدر عدد الموظفين الفرنسيين فى المغرب الأقصى بستين فى المائة من مجموعة الموظفين. والوظائف الصغيرة خاصة بالمغاربة والكبيرة بالفرنسيين. وكذلك وضعوا يدهم على البلديات المغربية فالمجالس البلدية هنالك تؤلف فى

كل مدينة من عدد متساو من الوطنيين والفرنسويين، مهما كان عدد هؤلاء قليلاً ويرأس المجلس حاكم المدينة، وينوب عنه قانوناً فى حالة غيابه عضو فرنسوى، ولما كان الحكام لا يحضرون هذه الاجتماعات فالبليات كلها فى يد الفرنسويين. وكذلك وضعوا يدهم على الجيش الغربى وضباطه منهم وهم يستخدمونه فى أغراضهم الاستعمارية.

وهناك هيئة تشريعية يطلقون عليها اسم «الجمعية الشورية» ومقرها فى رباط الفتح، وأعضاؤها فرنسويون تنتخبهم الجالية الفرنسية بالاقتراع المباشر وليس فيها مغربى. وتجتمع كل سنة مرة، ويمكن أن تدعى إلى دورات استثنائية إذا دعت الحاجة. وهى تنظر فى ميزانية الدولة وتصدقها، ومهمتها الحقيقية حماية مصالح الاستعمار، وتخفيف الضرائب عن الأجانب وتحميلها للوطنيين.

تونس

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

تونس قطر إسلامى كبير فى ساحل أفريقية الشمالى (المغرب الأدنى) مشمول بالحماية الفرنسية، ويلقب أميره بلقب الباي^(١).

ويقول إحصاء فرنسوى شبه رسمى نشر سنة ١٩٢٦ أن سكانها يبلغون ٢١٥٩٧٠٨ نسمة منهم ٥٤٢٣٤ يهودياً و ١٦٠ ألف أوربى بينهم ٧١ ألف فرنسوى، والباقى عرب مسلمون، ويؤكد أهل الخبرة من التونسيين أن سكان تونس لا يقلون عن ثلاثة ملايين عربى مسلم وأن عدد الأجانب فيها كما يأتى :

١٣٠ ألف طليانى، ٧٠ ألف فرنسوى، ١٢٠ ألف يهودى، ١٢ ألف أجنبى من جنسيات أخرى، ومساحتها السطحية ١٦٧٤٠٠ كيلو متر مربع، وتحدها الجزائر من جهتين، وطرابلس الغرب والبحر الأبيض، وعاصمتها تونس، ومن أشهر مدنها صفاقس وسوسة والقيروان وبنزرت وقابس والمهدية.

وكان لتونس فى عهد استقلالها جيش وطنى يتألف من ٥٠ ألف جندى فى زمن السلم فألغاه الفرنسيون حينما بسطوا حمايتهم عليها، وألحقوا وحداته بجيش الاحتلال ويستخدمونه فى أغراضهم الاستعمارية.

وتونس قطر زراعى مشهور بخصب أرضه وجوده إقليمية، ووفره معادنه، وغناه الطبيعى.

وباي تونس اليوم هو سمو أحمد بن على بك وهذا رسمه :

(١) محرفة من كلمة «بك» الفارسية ومعناها فى الأصل «أمير» وهى اليوم لقب شائع يطلق على رجال الطبقة الراقية فى مصر وبعض بلاد العرب.



أحمد باشا بن علي (تونس)

مولاي أحمد باشا بن علي

بأى تونس

مولده ونشأته

ولد فى قصر والده الخاص فى المرسى يوم ١٣ شوال سنة ١٢٧٨ هـ وانتقلت إليه ولاية العهد يوم ١١ يناير سنة ١٩٢٨ وولى الحكم يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٩ على أثر وفاة ابن عمه محمد الحبيب، وهو السابع عشر على الإمارة من العائلة الحسينية.

نشأته وعلومه - نشأ فى تونس وتربى فى قصر والده المرحوم على بك، وتعلم القراءة والكتابة على أساتذة جئ له بهم. منهم المرحوم أحمد جمال الدين والشيوخ بن يوسف شيخ الإسلام الحنفى الحالى وغيرهم من الأساتذة والمدرسين، ولم يدخل مدرسة، ولم يتقن لغة عدا لغته العربية، ولم يتخصص فى علم من العلوم، إنما هو ذو ميل إلى الأدب العربى نشأ عن اتصاله وهو شاب بالأدباء واجتماعه إليهم ومطالعة كتب الأدب.

وقد اشتهر بين أمراء العائلة الحسينية بالاقتصاد وجمع المال، ترك له والده ثروة كبيرة حينما توفى سنة ١٩٠٢ م فتماها وهى تزداد من سنة إلى أخرى بما يتقاضاه من راتب وما يضاف إليها من ريع أملاكه الخاصة وتقدر ثروته بالملايين.

أخلاقه - هو مشهور بالمحافظة على أحكام الدين، يقيم الصلاة فى أوقاتها، ويصوم رمضان، ويتبع المحرمات وقد اشتهر بالعفاف والتقوى، وهو قليل الكلام، قليل الحركة، بعيد عن الأذى، ينام باكراً وينهض باكراً، ويقطن مع أسرته فى قصر المرسى، وقد ورثه عن والده، ويعد من القصور الفخمة. أما الحفلات الرسمية فتقام فى قصر الحكم فى تونس أو فى قصر المرسى، وهو المقر الرسمى للباى، وقد اعتاد الأمراء أن يسكنوه. بيد أن الأمير الحالى فضل

الإقامة فى قصره الخاص، وهو يشهد الحفلات الرسمية أو شبه الرسمية فى القصرين المذكورين.

وقصور التاج متعددة فى تونس. فهناك قصر باردو وقصر الحكم وقصر المرسى وقصر حمام الأنف (هو قصر الشتاء) والقصر السعيد، وقد اعتادوا أخيراً أن ينقلوا إليه جنث الأمراء بعد وفاتهم فتخرج منه بموكب رسمى للدفن.

ويتغدى الباي مع حاشيته ومع من يكون هنالك من الضيوف. أما فى شهر رمضان فتقام حفلات الأفطار كل مساء ويرأسها الباي بالذات ويدعى إليها الكبراء والعلماء والأعيان ثم يصلون التروايح جماعة فى مسجد القصر وفى كل قصر من قصور التاج مسجد للصلاة وإمام ومؤذن وتقام الصلاة جماعة عقب كل أذان ويؤديها الباي.

أسرته - تزوج وهو شاب بإحدى الأميرات من بنات عمه فولدت له أولاداً توفى كبيراهم الطيب والمختار. فحزن عليهما حزناً شديداً ولديه أولاد صغار ذكوراً وإناثاً.

أوصافه - هو طويل القامة، معتدل الجسم، أبيض اللون، كث الشعر، أزج الحواجب، يلبس الملابس الإفرنجية، ويميل إلى الهدوء والبساطة ويبتعد عن البهارج والزخارف.

وهو يقرأ الصحف الوطنية التونسية، وقد عرف بميله إليها وعطفه عليها، قبل أن يلى العرش، ومما روه عنه أنه ما كان يقرأ الصحف المناوئة للحركة الوطنية.

أسفاره - سافر للمرة الأولى بعد تقلده زمام الأمر إلى باريس فى سنة ١٩٣٠ فزارها فاحتفت به حكومة الجمهورية الفرنسية وأدبت له مأدبة رسمية تبودلت فى أثنائها الخطب بينه وبين رئيس الجمهورية، وبعد ما قضى بضعة عشر يوماً فى هذه الرحلة قفل إلى عاصمة بلاده.

راتبه - يتناول الباي من صندوق الحكومة التونسية راتباً سنوياً يبلغ ثلاثة ملايين من الفرنكات.

عقده

هو السابع عشر على الأريكة من هذه العائلة، ومؤسسها هو حسين باشا بن على، تركى الأصل، كردى المنبت، جاء تونس فى أوائل القرن الثانى عشر للهجرة ضابطاً فى الجيش التركى، وظل يترقى حتى عين حاكماً عسكرياً لمقاطعة «الكاف» ولما ثار التونسيون سنة ١١١٧هـ على المراديين اختاروه أميراً وكان برتبة أميرالاي وكتبوا إلى الباب العالى فأقره وأصدر فرماناً بتوليته على أن تكون الإمارة وراثية فى عقبه ومنحه رتبة باشا، ولقد ظل الأمراء التونسيون يعينون بفرمان سلطاني حتى الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٨١ فانقطعت على أثره الصلات السياسية بين الأستانة وتونس. على أنهم ظلوا يخطبون باسم الخليفة العثماني فى جوامع تونس حتى انتهاء عهد السلطان محمد رشاد سنة ١٩١٨.

وهذه أسماء الأمراء الذين تعاقبوا على الأريكة من هذه الأسرة: حسين باشا ابن على تركى، على باشا، محمد باشا بن حسين، على باشا الثانى، حمودة باشا، عثمان باشا، محمود باشا، حسين باشا، مصطفى باشا، أحمد باشا، محمد باشا، محمد الصادق باشا، وفى عهده احتل الفرنسيون تونس، على باشا، محمد الهادى باشا، محمد الناصر باشا، محمد الجيب باشا.

كيف استعمر الفرنسيون تونس؟

ظلت تونس حتى سنة ١٨٨١ خاضعة خضوعاً اسمياً للباب العالى فكان يكتفى بإصدار فرمانات : بتعيين أمرائها وبالخطبة على المنابر باسم الخليفة وبالعملة تسك باسمه، وفيما عدا ذلك فكان أمراء تونس يتمتعون باستقلال تام داخلى وخارجى ويعقدون المعاهدات السياسية والمحالقات.

واتجهت أنظار الفرنسيين - بعدما استقرت أقدامهم في الجزائر سنة ١٨٥٠ - إلى الاستيلاء على تونس، وأدرك التونسيون غاية الفرنسيين وخافوا عاقبة التهاون، ورأوا أن يستعينوا بدول أوربا لمقاومة الخطط الفرنسية وإحباطها، وكان من جملة ما فكروا فيه أن يفتحوا أبواب بلادهم للأجانب ويكثر من منحهم الامتيازات الاقتصادية ويسهلوا لهم سبل القدوم إلى بلادهم ليستخدموهم في مناصب الحكومة التونسية، وحسبك أنهم وزعوا المناصب بين رعايا الدول فاخترصوا الفرنسيين بوظائف الجيش والتعليم والهندسة، والإيطاليين بوظائف القصر والصحة، والإنكليز بالأسطول وغايتهم من ذلك إذكاء نيران التنافس بين الدول والحيلولة دون تنفيذ خطط الاستعمار الفرنسي ومهدوا لهذه السياسة بإرسال الأمير حسين بك إلى رومية فزار ملكها زيارة رسمية تبودات في أثنائها الخطب وقد تضمنت وصفاً مسهباً لما بين تونس وإيطاليا من صلات قديمة.

ولم تخف غاية التونسيين عن الفرنسيين فقرروا التعجيل بالعمل واغتنموا فرصة حدوث اضطرابات بين قبائل خمير وهي تقطن على الحدود بين تونس والجزائر، فزحف جيش فرنسي لجب يتألف من ٤٠ ألف مقاتل فاخترق الحدود التونسية، وتقدم بلا مقاومة حتى القصر السعيد (قصر الباي) وهو على ٣ كيلو مترات من تونس، فحضر نطقاً حوله وأرسل قائده الجنرال بريار مشروع المعاهدة التي يقترح عقدها إلى الباي يطلب إليه أن يوقع عليها في خلال ساعتين وإلا فهو ينفذ ما يراه لازماً من التدابير.

واستدعى الباي (محمد الصادق) وزرائه وكبار رجال دولته على عجل واستشارهم في ما يعمل فأشار العربي بن زروق (وزير المعارف) بالمقاومة وقال للباي أنه يجب عليه أن يبرح القصر في الحال إلى تونس فيحشد الجند ويستعد للنضال.

قال : ولكن الخزينة فارغة، قال إن رجال الدولة أغنياء وفي استطاعة كل منهم أن يدفع مبلغاً كبيراً من المال.

قال : والجند قليل، قال نجميعه حالاً.

قال : أو تريد أن تلتطخ لحيثى بدمى، وأمسك لحيته البيضاء بيده. قال : وما شأن نفس واحدة فى سبيل مليونين من المسلمين.

وتناول الباي على أثر هذه المحاورة مشروع المعاهدة ووقعه.

نص معاهدة الحماية (١)

ويسمونها معاهدة باردو

أرادت الدولتان، دولة الجمهورية الفرنسية ودولة باي تونس أن يقطعوا أسباب الشغب والقلق الواقع قريباً فى حدود الدولتين وفى الشطوط التونسية، وأرادوا أن يربطوا العلائق القديمة، علائق المودة والجوار الحسن فاعتمدوا على ذلك، وعقدوا هذه المعاهدة لنفع الجهتين، وعلى موجب ذلك فإن رئيس الجمهورية الفرنسية عين مندوبه الجنرال بريار للاتفاق مع حضرة الباي السامية فاتفقا على الشروط الآتية :

المادة الأولى - المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغيرها المعقودة بين الجمهورية الفرنسية وحضرة الباي يتحتم إقرارها واستمرارها.

المادة الثانية - ليسهل على دولة الجمهورية إتمام الوسائل الموصلة إلى المقصود الذى بقى بالمهتمين العظيمنتين فحضرة الباي ترضى بأن السلطة

(١) عدلت هذه المعاهدة بعد ذلك بمعاهدة المرسى فى شهر يونيو سنة ١٨٨٣ تعديلاً قضى بجعل الاحتلال أبدياً.

العسكرية الفرنسية توضع العساكر فى المراكز التى تراها لازمة لتقرير الراحة وتوطيدها، والأمان فى الحدود والشطوط وجلاء العساكر يكون باتفاق السلطتين العسكريتين الفرنسية والتونسية. على أن الدولة التونسية قادرة على تقرير الراحة فى البلاد.

المادة الثالثة - تتعهد دولة الجمهورية لحضرة الباي بأن يستند عليها دائماً فى الدفاع عن جميع ما يتخوف منه من الضرر. سواء فى نفسه أو فى عائلته أو فى مايوجب قلق دولته.

المادة الرابعة - دولة الجمهورية الفرنسية تضمن إجراء المعاهدات الموجودة الآن بين الدولة التونسية والدول الأوربية المختلفة.

المادة الخامسة - يمثل دولة الجمهورية الفرنسية لدى حضرة الباي وزير معين للنظر فى إجراء هذه المعاهدة، وهو يكون واسطة بين الدولة الفرنسية وذوى الأمر والنهى من التونسيين، وكذا فى كل الأمور المشتركة بين المملكتين.

المادة السادسة - يعهد إلى النواب السياسيين والقناصل الفرنسيين فى الممالك الأجنبية بحماية أعمال تونس وشؤون رعيته، وفى مقابل ذلك فحضرة الباي يتعهد بأن لايعتمد معاهدة عمومية من غير إعلام دولة الجمهورية بها ومن غير أن يحصل على موافقتها من قبل.

المادة السابعة - دولة الجمهورية الفرنسية ودولة حضرة الباي يبقيان لأنفسهما الحق فى أن ينظما المالية التونسية ليتمكن لهما بذلك دفع الدين التونسى العام، وهذا التنظيم يضمن حقوق أصحاب الدين التونسى.

المادة الثامنة - تحمل القبائل العاصية بالحدود والشطوط على دفع غرامة حربية، وتتعقد دولة الجمهورية مع حضرة الباي فيما بعد شروطاً على تقديرها وطرق جبايتها ودولة حضرة الباي تضمن ذلك.

المادة التاسعة - تتعهد دولة الباي بمنع إدخال السلاح والآلات الحربية إلى المملكة الجزائرية الفرنسية من جزيرة جربا وقابس وبقية المراسى الجنوبية في المملكة.

المادة العاشرة - تعاد هذه المعاهدة بعد إبرامها من قبل الجمهورية الفرنسية إلى تونس في أقرب وقت وتسلم إلى حضرة الباي السامية.

حرر في ١٢ مايو سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد

الجنرال بريار محمد الصادق باي

ومما يستحق الذكر أنه بينما كان الباي ووزرائه يتشاورون في قبول الإنذار أو رفضه، كان المسيو كلمنصو، يهاجم في قصر البوربون وزارة المسيو جول فرى، مطالباً بإسقاطها، تؤيده أكثرية النواب لأنها فتحت بمغامرتها في تونس باباً على فرنسا لايسد، وخاف رئيس الوزارة العاقبة، فتوارى عن المثل أمام المجلس ريثما يتبين موقف الباي، فلما جاءه البرق بموافقته وتوقيعه المعاهدة سرى عنه وقابل المجلس بوجه يتدفق بشرا فهتف له. وغادر السيد العربى بن زروق، وهو الذى أشار بالمقاومة القصر على الفور فلجأ إلى دار القنصلية البريطانية فتوسط القنصل وجاء ببارجة من مالطة حملته إلى الأستانة فقضى فيها مدة ضيفاً مكرماً لدى السلطان عبدالحميد، ثم رحل إلى المدينة المنورة فجاور فيها حتى مات قبيل الحرب العظمى.

وما كاد الباي يوقع على هذه المعاهدة حتى حدثت ثورات واضطرابات في القيروان وصفاقس والسواسى وغيرها من المدن والمقاطعات لقي الفرنسيون تعباً ونصباً في إخمادها.

الحركة الوطنية في تونس

يرجع عهد الحركة الوطنية في تونس ابتداء الاحتلال الفرنسي. فقد أيقظ النفوس بضغطه، ونشط الهمم بأساليبه، على أن التجاء المحتلين إلى تدابير الشدة جعل البلاد تهدأ بعد ثورتها الأولى سنة ١٨٨٣.

ولقد أيقظ اشتداد الضغط، وخصوصاً في سنى الحرب العظمى ما هجع من نشاط التونسيين. فهبوا في سنة ١٩١٩ - أى بعد ختام الحرب العظمى - يطالبون فرنسا بحقوقهم واستقلالهم ويستنجدونها عهودها بالجلء عن بلادهم، عملاً بالمبادئ التى أعلنها الحلفاء فى إبان الحرب العظمى، ومكافأة لهم على ما بذلوه فى سبيلها. فقد أشترك فيها ٦٥ ألف جندي تونسي قتل وجرح منهم ٤٥ ألفاً كما قدمت تونس ٣٠ ألف عامل لمصانع فرنسا الحربية، ووضعت مواردها المادية الأخرى تحت تصرفها.

وأرسل التونسيون وفداً إلى باريس برئاسة الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي - زعيم الحركة الوطنية للمطالبة بحقوقهم، فلم يلق سوى مطل وتسويق ثم قبض على الأستاذ الثعالبي، وألقى فى غياهب السجون متهماً بتهم كاذبة مفتراه.

وهذا بيان موجز عن مطالب التونسيين وقد حملها وفدهم إلى باريس :

١ - يعتبر تونسيا ويتمتع بكل ما للمواطن التونسي من حقوق ويؤدى ما عليه من واجبات كل من يتجنس بالجنسية التونسية من الذين ولدوا فى تونس وتوطنوها أو أقاموا فيها عشر سنوات.

٢ - إطلاق الحرية الفردية من كل قيد يقيد بها إلا فى الأحوال الشرعية التى يرجع أمرها إلى المحاكم والحق العام. وينطوى تحت هذا المبدأ :

مبدأ حرية العمل. وحرية إنشاء الشركات والنقابات. وحرية الكلام. وحرية المطبوعات وحق الشكوى. وصيانة المساكن والممتلكات.

ومبدأ المساواة التامة أمام القانون والتساوى فى الأعباء السياسية، ويتفرع عن ذلك إلغاء الامتيازات الخاصة والامتيازات المالية وأن يكون لكل تونسى من دون نظر إلى مذهبه الحق فى أن يتقلد من وظائف الدولة ما يتناسب مع كفاءته الشخصية.

٣ - إعادة تنظيم السلطات العامة على منوال جديد مع الاحتفاظ بالإمارة للعائلة المالكة وبنظام ولاية العهد.

٤ - إعادة تنظيم الدوائر الإدارية على منوال جديد أيضاً.

٥ - حرية التسليم، على أن يكون التعليم الابتدائى إلزامياً للبنين باللغة العربية، وعلى أن يكون تعلم لغة أجنبية إلزامياً - فى الصفوف الثانوية.

٦ - مسح الأراضي الزراعية، والاحتفاظ بمبدأ التسجيل العقارى.

٧ - توزيع الأعمال العمومية على البلاد بنسبة الحاجة، وطبقاً لما توحى به الحالة الاقتصادية.

٨ - الاعتراف للعمال وأصحاب الصناعات والمهن والمستخدمين والموظفين ورؤساء الأعمال بحق إنشاء النقابات وحق الاعتصاب.

٩ - وضع قوانين اجتماعية لحماية الطفولة والمرأة والشيخوخة.

١٠ - إنشاء مجلس نيابى ينتخب أعضاؤه مباشرة على أن تكون الوزارة مسؤولة أمامه، ويستثنى من المسئولية الوزارية، وزير الخارجية، المقيم العام، ووزير الحربية، قائد جيش الاحتلال، ووزير البحرية، وقائد الأسطول الفرنسى - أهـ.

ولقد كان التونسيون يعلقون آمالاً عظيمة على البائى الحالى قبل أن يلى

العرش لما اشتهر به من العطف على الحركة الوطنية، شأن بقية أمراء وأميرات العائلة المالكة، وبالفعل فقد وقف فى ابتداء أمره مواقف مشرفة، فامتنع عن تعطيل بعض الصحف الوطنية حينما أراد الفرنسيون تعطيلها، كما أقال الوزير الأكبر، خليل بو حاجب وشيخ الإسلام أحمد بن بيرم لاشتغالهما بتأييد الاحتلال، وأبدلهما بمن كان الوطنيون يثقون بهما.

ولما ظهرت حركة التجنيس فى تونس، بمناسبة رفض الشعب دفن الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية فى مقابر المسلمين باعتبارهم مرتدين، قامت تونس وقعدت واهتزت من أقصاها إلى أقصاها حينما حاول الفرنسيون إرغام الناس فى أول الأمر على دفن هؤلاء فى مقابرهم، وصادف فى تلك الأثناء حلول عيد النحر فخرج الباي من قصره فى اليوم الرابع عملاً بالتقاليد القديمة يرد الزيارة للأعيان الذين جاءوه معيدين، فأحاط به الناس، وأخبروه بما وقع فبكى متأثراً وكلفهم أن يؤلفوا وقدماً لمقابله فى قصر المشتى.

وأراد مأمور مركز حمام الأنف - وهو فرنسى - منع الوفد من الوصول إلى القصر حينما جاء، وطلب من قائد حرس الباي إرسال نجدة لتفريق الجماهير ولما عرض الأمر على الباي أمر بأن يفسح للوفد. فمثل بين يديه فسمع مطالبه وسداها ولحمتها رفض دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسية من المسلمين فى المقابر الإسلامية فوعدهم خيراً.

ولما جاءه الوزير الأكبر فى الغداة وعرف بما جرى قال: له إذا كنت قد فزت فى إقصاء الوزير الأكبر السابق وتغيير شيخ الإسلام فلن توفق فى إلغاء قانون الجنسية، ولن يتساهل معك الفرنسيون، ولا يبعد أن ينقموا عليك فيقصوك عن العرش وينشئوا جمهورية وتكون جنيت على نفسك وأهلك ووطنك فلزم الاعتدال.

نظام الحكم في تونس

أنشأ الفرنسيون في تونس بعد احتلالها، نظام حكم غريب شاذ ينفذه الباي، ولا تزال البلاد تحكم باسمه، ولا يزال صاحب السلطة العليا بحسب القوانين النافذة.

وتتألف القوة التنفيذية في الحكومة التونسية من الباي رئيساً أعلى يحكم بواسطة مجلس وزرائه، وكان هذا المجلس يتألف في عهد الاستقلال من سبع وزارات أما في الوقت الحاضر فيتألف كما يأتي :

الوزير الأكبر وهو تونسي ويتقلد منصب وزارة الداخلية

وزير القلم والاستشارة

وزير العدلية

هؤلاء هم التونسيون في مجلس الوزراء. أما الفرنسيون من أعضائه فهم :

المقيم الفرنسي العام بصفته وزير الخارجية التونسية

قائد جيش الاحتلال الفرنسي بصفته وزير الحربية التونسية

أميرال الأسطول الفرنسي بصفته وزير البحرية التونسية.

مديرون عامون للداخلية والعدلية والمالية والمعارف والأشغال العامة والفلاحة والتجارة والبريد والبرق وجميعهم من الفرنسيين، وهم أعضاء طبيعيون في مجلس الوزراء وبإضافتهم إلى المقيم والقائد والأميرال يصبح عدد الفرنسيين ١١ مقابل ٣ من الوطنيين.

ويجتمع مجلس المديرين أسبوعياً في دار المقيم العام وبرتاسته فيبت في شؤون الدولة ويبلغ ما يقرره إلى الوزير الأكبر لإصدار المراسيم اللازمة.

وتوضع ميزانية الحكومة التونسية فى وزارة الخارجية فى باريس، وقد جرت العادة أن يقصدها المديرون سنوياً الواحد بعد الآخر لدرسها هناك وترسل بعد إقرارها إلى المقيم العام لعرضها على الهيئة التشريعية وإقرارها وتنفيذها.

الهيئة التشريعية - ولا يقل نظام الهيئة التشريعية لتونس فى غرابته عن نظام الهيئة التنفيذية ولا يخفى أنه كان لتونس قبل الاحتلال الفرنسى دستور نالته سنة ١٨٥٠ ويسمونه (عهد الأمان) وقد نص على إنشاء مجلس نيابى (المجلس الكبير).

ولقد ظل هذا المجلس يجتمع فى دوراته المقررة حتى سنة ١٨٧٣ ففى تلك السنة ثار على بن غداهم - من كبار شيوخ القبائل على حكومة الباي^(١) طالباً بتخفيض الضرائب وتنفيذ أحكام الشريعة. فاضطرب حال الحكومة وساءت الأمور فلجأت إلى إعلان الحكم العرفى وظل مضروباً حتى عهد الحماية.

ولم يدع المجلس الكبير إلى الاجتماع بعد الاحتلال، بل استبدلوه بجمعية تشريعية جميع أعضائها من الفرنسيين وعددهم ٣٠ ثم أضافوا إليها سنة ١٩٠٩ خمس عشر عضواً تونسياً تعينهم الحكومة تعييناً، وظل هذا شأنها حتى

(١) يقال فى بعض المصادر إن المسيولايون روش المستشرق الفرنسى الشهير هو الذى اغراه على الثورة ودفعه إليها تمهيداً للاستيلاء على تونس، وذلك أنه بعد ما قضى سنوات مجاوراً فى الأزهر بمصر اتقن فى خلالها اللغة العربية هاجر إلى مكة وأقام فيها مدة لدراسة شئون المسلمين، ثم سافر إلى الجزائر واتصل بالمرحوم مولاي عبد القادر، وكان يقاتل الفرنسيين ويناضلهم فاندس بين رجال بطانته متظاهراً بالتقوى والاخلاص فوثق به الأمير واختاره كاتبا له فوقف على أسرارهم وأبلغها حكومته، وبعد ما فاز فى الجزائر عينته حكومته قنصلاً عاماً لها فى تونس ليمهد للاستيلاء عليها فجاءها وأقام فى عاصمتها مدة ثم طلب من الحكومة إجازة للخروج إلى الصيد. فكان يخرج بلا انقطاع ويدرس شئون القبائل عن كثب وأخيراً تعرف إلى المرحوم على بن غداهم وكان من انكسب الشيوخ وأوسعهم نفوذاً فاستضافه مشتركاً عليه أن يعد له حجرة صغيرة فى منزله فأجابه إلى طلبه، ولما دخلها طلب طشتاً وإبريقاً ثم أغلق عليه الباب وقام يصلى وظل فى صلاته سحابة النهار والليل فرآه الخدم فأبلغوا سيدهم أمره فجاء فى الغداة يطلب لثم راحته لأنه من الصالحين الاتقياء فقال له أرجوك أن تكتم امرى لأننى أخاف أن يعرفه الفرنسيون فيفتكون بى وأنا لم أقبل منصبى إلا خدمة للمسلمين وبعد ما وثق به أخذ يطعن فى الحكومة عن طريق الدين يقول له كيف تقبلون هذه الحالة وأنتم مسلمون وما زال به حتى حمله على الثورة والانتفاض ولما وقعت الواقعة عاد إلى فرنسا.

سنة ١٩٢٢ فعدلوها تعديلاً جديداً، وتتألف الآن من دائرتين: دائرة فرنسوية وعدد أعضائها ٥٠ عضواً ينخبهم الفرنسيون في تونس بالاقتراع المباشر. ودائرة وطنية تتألف من ١٨ عضواً ١٣ منهم يختارون بموجب نظام إنتخابي ضيق محدود. يشترط في الناخبين والمنتخبين أن يكونوا مزارعين ومن أصحاب الأملاك - أى أنه ليس لأهل المدن أن يشتركوا في انتخابهم، والغاية من ذلك إقصاء الأكفاء عنها، أما الخمسة الباقون فهم موزعون كما يلي: اثنان يهوديان وثالث تختاره البلديات، ورابع تنتخبه غرف التجارة وخامس تنتخبه غرف الزراعة.

ويرأس المقيم العام أو نائبه دائرتى المجلس، ولا يجوز لهما أن يجتمعا سواء، وتدرس كل دائرة الميزانية على حدة، وتؤلف لجنة يسمونها المجلس الأعلى عند حدوث خلاف بينهما للفصل فيه، قوامها ثلاثة من النواب الوطنيين ومثلهم من الفرنسيين، وتجتمع برئاسة المقيم العام أو معاونته ويشترك فيها المديرون العامون الفرنسيون فتحل الخلاف بما تراه.

ولا يجوز للمجلس الكبير - وقراراته استشارية - أن ينظر في مخصصات العائلة المالكة، ولا في مخصصات دار الإقامة العامة، ولا في القروض وفوائدها، ولا في مخصصات الشرطة، ولا يحق له أن يناقش الحكومة ولا يسألها عن تصرفاتها.

ويبلغ عدد الموظفين الفرنسيين في تونس ١٢ ألف موظف. يتقلدون جميع المناصب العليا والوسطى تقريباً، وهناك أربعة آلاف وطني يتقلدون المناصب الصغيرة، ويتناول الموظفون الفرنسيون ٥٣ فى المائة من مجموع الإيرادات السنوية للحكومة وتقدر بستمائة مليون فرنك.

وللمستعمرين من الفرنسيين (Colon) النازلين في تونس امتيازات واسعة يراد بها تشجيعهم على الاستعمار، ويملكون القسم الأكبر من الأراضي الزراعية الجيدة.

لحج

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

مخلاف يمانى مشمول بالحماية البريطانية فى اليمن السفلى (جنوب اليمن) يبلغ عدد سكانه ٩٠ ألفاً، وهم عرب مسلمون يتدينون على مذهب الإمام الشافعى، ويعولون على الزراعة فى معاشهم، وقد تقدمت تقدماً عظيماً فى الأيام الأخيرة ومساحته مع مساحة النواحي التسع اليمانية نحو ٢٥٠٠ ميل، وهى واقعة بين عدن وحدود الدولة المتوكلية.

وعاصمة لحج مدينة الحوطة وسكانها اثنا عشر ألف نسمة. بينهم عدد من يهود اليمن والصوماليين وبعض الأخطا، ومن أشهر مدنها وقراها: بير أحمد ودار الأمير وبير فضل والمجرفة ولها موانئ على البحر الأحمر أشهرها جبل حسان.

وعدد جند سلطان لحج زمن السلم ألفان يزداد عددهم زمن الحرب بمن ينضم إليهم من رجال القبائل وتؤلف أكثرية سكان السلطنة.

وسلطان لحج هو عبدالكريم بن على محسن فضل العبدلى، وهذا رسمه :



السلطان عبد الكريم (الفضل) سلطان الحج

السلطان عبد الكريم الفخزل

سلطان لحج

مولده ونشأته

ولد فى الحوطة (عاصمة لحج) سنة ١٢٩٨هـ ونشأ فى حجر والده المرحوم السلطان فضل بن على محسن فجاء له بمؤدبين ومشايخ فقرأ عليهم علوم اللغة العربية والفقه الإسلامى وتعلم الفروسية وركب الخيل حينما بلغ أشده، وشب كما يشب غيره من الأمراء.

أوصافه - هو نحيل الجسم، طويله، عصبى المزاج، مستطيل الوجه، دقيق الأنف، غائر العينين، تبدو التجاعيد فى وجهه لما قاساه من أهوال زمن الحرب - وهو عربى صميم مضياف، سخى، حلو الحديث، واسع الاطلاع، صريح، مصلح نهض ببلاده، وجعلها فى مقدمة بلاد اليمن عمرانا.

وله ذوق فى الموسيقى، ويحسن عزف بعض الأدوار على البيانو، محب للأدب والعلوم. يقرأ الصحف والكتب، ويتابع سير الحركتين الأدبية والسياسية فى بلاد العرب وفى بلاد الشرق، فلا يفوته خبر من أخبارها.

ملابسه - يلبس سموه ملابس إفرنجية ويضع جنبية تحت عباءة بنية وعمامته هندية ملونة، ولباسه يجمع بين الذوقين العربى والإفرنجى. وكذلك مطبخه فهناك الماكل العربية والإفرنجية، والسلطان متدين يؤدى الصلاة فى أوقاتها، ولا يشرب المسكر، ومجلسه فى الغالب يضم صفوه الأدباء والفضلاء، وقد اعتاد أن ينام عند الساعة العاشرة مساء، وينهض باكراً ويشرف على شؤون بلاده بنفسه.

أسفاره - زار الهند للمرة الأولى سنة ١٩٠٥ صحبة عمه السلطان أحمد بن محسن للاشتراك فى حفلة تتويج الملك إدوارد السابع فى دهلى.

ودعى فى سنة ١٩١٧ للسفر إلى مصر ومقابلة الدوق أون كنوت لمباحثته فى شؤون اليمن. فسافر إليها مع عدد من رجاله وحاشيته. فقلده الدوق نيشان

امبراطورية الهند من الدرجة الثانية كى. سى. آى. إى. مع لقب سير. ودعى إلى مأدبة عامة أديت له فى دار نائب ملك بريطانيا فى مصر، وقابل جلالة الملك فؤاد خلال تلك الزيارة ثم عاد إلى مقره فى عدن.

وأدب له بعد رجوعه حاكم عدن الإنكليزى مأدبه تكريم قدم له فى ختامها سيفاً أهدها إليه اللورد ولينجدن حاكم بومباى يومئذ، وخطب الحاكم خطبة أشار فيها إلى الصلات الطيبة التى تصل العائلة العبدلية بالإمبراطورية الإنكليزية، وقال: «إن خدمات السلطان عبدالكريم لاتقدر بثمن».

وفى شهر شعبان سنة ١٣٤٠ (١٩٢١) زار الهند للمرة الثانية وقضى مدة فى بوثا (مضيف الهند) وقصد حيدر أباد الدكن بدعوة من صديقه السلطان غالب القعيطى فقضى فيها مدة.

وفى سنة ١٩٢٣ زار مصر للمرة الثانية فقضى فيها أياماً ثم سافر إلى لندن فقابل الملك جورج فى قصر بكنجهام. فأدب له مأدبه خاصة كما أدب له المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية يومئذ مأدبة فاخرة، ثم زار باريس ورومه وبرن، وقضى فى رحلته هذه ثلاثة أشهر شاهد فيها المدنية الأوربية عن كثب.

ولما اشتد الخلاف بين حكومة الإمام يحيى وحكومة عدن سنة ١٩٢٨م وخيف من وقوع حرب توجه السلطان عبدالكريم ومعه الميجر فاول معاون والى عدن والسيد علوى بن حسن الجفرى وزير لحج إلى تعز فقابلوا السيد على بن الوزير أميرها، وفاوضوه للوصول إلى اتفاق. ولما كان هذا لايملك حق الفصل فى الأمور عادوا من دون أن ينجزوا شيئاً.

وفى سنة ١٩٣٢ زار مصر للمرة الثالثة، وقصد إلى سورية فأقام أياماً فى دمشق يتفقد آثارها ومعالمها ثم جاء جبل لبنان للاصطياف وقضى أياماً فى مصايفه الشهيرة، وخصوصاً فى مصيف حمانا وزار بيروت أيضاً ثم عاد إلى بلاده.

علومه - يجيد اللغة العربية، ويتكلم الإنكليزية، ويميل إلى الأدب العربى ويطالع كتبه وكتب التاريخ.

كيفية يقضي يومه ؟

أنشأ السلطان عبدالكريم قصراً جديداً فى الحوطة يعد من أرقى القصور وأبهاها لا فى اليمن وحدها، وإن كان لا نظير له فى اليمن، بل فى جميع بلاد العرب، وغرس حوله حديقة بهجة غناء مزدانة بأنواع الزهور والأشجار. وهو مفروش على أحدث طراز ومؤنث بأفخر أثاث.

ولهذا القصر ثلاثة أجنحة: جناح للمكاتب وفيه ديوان السلطان وهيئة سكرتاريته، وجناح للزوار، وجناح خاص به يقطنه فى النهار. وينام فى المساء فى سراى الحريم وهى منعزلة عن القصر.

وينام السلطان مبكراً وينهض مبكراً، فيصلى الصبح ويقرأ جانباً من القرآن ثم يقصد قصر الحكم، فيستقبل زائريه، ويظل على ذلك حتى الظهر فيصلى جماعة فى مسجد القصر وراء الإمام. ثم ينتقل إلى غرفة المائدة، وهى منسقة أجمل تنسيق فيجلس السلطان وحوله ضيوفه، ومن يكون قد استبقاهم من زواره لتناول الطعام معه، فيأكلون الطعام وهم جلوس على كراسى حول مائدة صفت فوقها الجفان مملوءة بالماكل – أى أنهم لا يأتون بالطعام تدريجاً على الطريقة الأوروبية، بل يأتون به دفعة واحدة، فيأكل كل إنسان من اللون الذى يختاره ويفضله، ويأكل السلطان بالشوكة والسكين ويتأنى ويحدث جلساءه فى مختلف الشؤون ويباسطهم.

ويتناول طعام العشاء على الطريقة نفسها، وبعد أداء صلاة العشاء يعود إلى قصر الحريم بعد ما يسمر مع جلسائه فينام فيه بين نسائه وأولاده.

راتبه – ليس للسلطان راتب خاص من أموال الحكومة، وإنما له ما يفيض عن حاجات بيت المال، ينفقه فى أغراضه وشئونه، ولا يجبى السلطان ضرائب من رعاياه، وإنما يكتفى بدخل الجمرك، وبالعشر، وبإيرادات مزارعه الخاصة وتدر عليه كثيراً بعد ما أصلحها وأتقنها.

عنه

فى السنة الثانية للحرب العظمى سنة ١٩١٥ حمل على سعيد باشا القائد التركى فى اليمن على النواحي التسع المشمولة بالحماية البريطانية، وأعلن انه يقصد عدن لافتتاحها وقطع المواصلات البحرية بين إنكلترا ومستعمراتها.

وبلغ الجيش التركى لحج بدون عناء فهاجم الحوطة فصمد له العبادلة وقتلوه بقيادة المرحوم السلطان على بن أحمد، وكانوا يعتمدون على مساعدة الحكومة البريطانية لهم فى مقاومة الترك ومن انضم إليهم من عرب اليمن، وقد زحفوا بحملة قدر عدد رجالها بثمانية آلاف مجهزة بالمدافع الجبلية والرشاشات، ولما تأخر وصول النجيدات تراجعوا فدخل المهاجمون الحوطة من الجانب الغربى فى الساعة العاشرة من ليلة الإثنين (٢٨ شعبان سنة ١٣٣٣) وظل القتال دائراً حتى قبيل الفجر فخرج السلطان قاصداً عدن. فمر بكمين للإنكليز فظنوه من الأعداء فأطلقوا عليه الرصاص فأصابوه بسبع منها وقتلوا فرسه فحملة رجاله مجروحاً على الاكتاف إلى قصره وكان الترك يرمونهم بالبنادق من أطراف المدينة فجرحوا بعضهم ثم نقل فى الغداة بسيارة إلى عدن ومات فيها. فاجتمع أصحاب الحل والعقد من قومه وبايعوا السلطان عبدالكريم الفضل غرة رمضان سنة ١٣٣٣ فاتخذ عدن مقاماً له ولرجالها، وقدر عدد الذين هاجروا معه بأربعة آلاف أو يزيدون تفرقوا فى البلاد. ونهب الترك وجنودهم الحوطة ولم يتركوا فيها شيئاً.

وكانت معركة الحوطة خاتمة المعارك التى دات فى ذلك الميدان. فقد قنع الترك بلحج وأقاموا فيها يستغلون أراضيها ويتنعمون بخيراتها كما قنع الإنكليز منهم بعدم ازعاج حامية عدن، وظل الحال على هذا المنوال حتى عقدت الهدنة بين الحلفاء والترك يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ فاستسلم قائد القوات التركية فى لحج إلى الإنكليز فأرسلوه إلى مصر.

وبعد ما تم جلاء الترك عن لحج نهائياً واستقرت الأمور غادر السلطان عدن يوم ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٧ ومعه أمراؤه ورجاله ووالى عدن الإنكليز وقائدها العسكرى، وهيئة أركان الحرب قاصدين الحوطة فدخلوها فى موكب عظيم وألقى الميجر جنرال استيورت قائد عدن خطبة هنا فيها السلطان بعودته إلى عاصمة ملكه باسم الدولة البريطانية، وقال بعد ما أشار إلى حوادث الحرب «وقد التزمتم سموكم الصبر وانتظرتم الوفاء كل هذه المدة الطويلة. وإنى شاكر لسموكم عن نفسى لمساعدتكم ومناصحتكم لى».

ثم قرأ برقية من جلالة الملك جورج الخامس أرسلها لتهنئة سلطان لحج بمناسبة عودته إلى عاصمة ملكه وهى :

«أهنئ سموكم تهنئة صميمية على ارتقائكم كرسى سلطنتكم فى قاعدة مملكتكم، ولقد سمعت بسرور عن إخلاصكم الذى هو سجيته عائلتكم على ممر الأزمان. لقد قاسى سموكم محناً فى السنين الغابرة، ولكن تم لنا النصر الآن فكل رجائى أن يعود الخير لأهالى لحج عاجلاً بحسن تدبيركم السديد، وتنمو لهم السعادة كما كانت سابقاً».

ورد السلطان على خطبة الجنرال القائد وعلى تهنئة الإمبراطور شاكرأ ما لقيه من حفاوتهم مدة إقامته فى عدن ومرافقتهم له فى عودته إلى عاصمته.

كيف دخلت لحج تحت الحماية ؟

ظل مخلاف لحج حتى أواسط القرن الثانى عشر للهجرة تابعاً لحكومة صنعاء، ففى سنة ١١٤٥هـ نهض الشيخ فضل بن على العبدلى السلامى^(١)

(١) السلاميون قبيلة قديمة فى لحج أصلها من ذى سلمة.

يشد أزره اليوافع. فطرد الجند الأمامى واستقل بهذا المخلاف وخلفه ابنة عبدالكريم فعبد الهادى بن عبدالكريم ففضل بن عبدالكريم فأحمد عبدالكريم فمحسن فأحمد محسن فضل فعلى محسن فضل ففضل بن على محسن فضل ففضل بن محسن فضل فاحمد فضل محسن فضل فالسلطان الحالى وهو الثانى عشر.

واتجهت أنظار الإنكليز إلى عدن منذ بدأوا باستعمار الهند فى القرن الثامن عشر، فنصبوا لها الشراك وبدأوا يعملون للاستيلاء عليها متدرجين فى تنفيذ خططهم.

وأولى معاهداتهم معها تلك التى عقدت فى عدن يوم ٦ سبتمبر سنة ١٨٠٢ م ومثل إنكلترا فيها الماركيز ويلسلى أحد أعضاء مجلس شورى الدولة المنوطة به أعمال ملك بريطانيا فى الهند الشرقية بواسطة نائبة السر هوم يوفهام مع السلطان أحمد عبدالكريم سلطان لحج القائم من طرفه الأمير أحمد باصهى «لريط العلائق الودية والتجارية بين الطرفين».

وتقع هذه المعاهدة فى ١٧ مادة جاء فى الأولى فيها أنه يسمح بالاتجار بين رعايا بريطانيا ورعايا السلطان. وجاء فى المادة الثانية أن هذا يفتح ميناء عدن لجميع البضائع الواردة على المراكب الإنكليزية مقابل مكس يتناوله على البضائع والتجارة بنسبة ما هو مدون فى قوائم البضاعة اثنين فى المائة ولا زيادة لمدة عشر سنوات. وله بعد أن تنقضى أن يزيد رسومه إلى ثلاثة فى المائة.

وجاء فى المادة الثامنة أنه يجب أن يجعل سجل يسجل فيه أسماء رعايا الإنكليز القاطنين فى عدن، وأن يعطى كل واحد منهم شهادة مقيدة فى ديوان القاضى والى عدن لكى لا يحدث نزاع بعد الآن، وتعهد السلطان عن نفسه وورثائه فى المادة العاشرة ببذل المساعى التى فى وسعه لاسترداد الديون التى لرعايا الإنكليز عند رعاياه. وجاء فى المادة الثانية عشرة أن جميع المشاجرات بين

رعايا الدولة البريطانية ورعايا السلطان تفصل بمقتضى قوانين البلد المقررة، ووافق السلطان فى المادة ١٤ أن يعطى للدولة البريطانية أرضاً فى غربى المدينة بعوض مالى لكى تستعملها، وجاء فى المادة ١٥ أن للبريطانيين أن يدخلوا المدينة من أى باب وأن يركبوا الخيل والبغال والحمير وأى حيوان آخر يستحسنون ركوبه، وجاء فى المادة ١٦ أن السلطان يعطى قطعة أرض تكون مقبرة عامة للرعايا البريطانيين الذين يموتون فى حدوده مجاناً فلا يدفعون سوى نفقات الدفن.

وحدث فى سنة ١٢٥١هـ أن غرق مركب هندى اسمه (دريا دولت) ملك السيدة بيجم الهندية، وفيه بضائع وحجاج فذهب العربان البضائع وسلبوا الذين سلموا من ركابه أموالهم وعروهم من ثيابهم. فتدخل الإنكليز وجاء عدد من الهند القبطان هنس وقابل السلطان وطلب إليه أن يعيد الأشياء المنهوبة أو يدفع ١٢ ألف ريال فأرجع السلطان ما قيمته ٧٨٠٨ ريالات، وكتب على نفسه سنداً تعهد فيه بدفع الباقي بعد سنة.

احتلال عدن

وفى سنة ١٢٥٤هـ عاد القبطان هنس إلى عدن منتدباً لاحتلالها بأى طريقة كانت فاقترح على السلطان تسليمها مقابل ٨ آلاف ريال سنوياً فرفض الطلب فحاصر عدن ودارت معركة بين الفريقين يوم ٢٥ شوال سنة ١٢٥٤هـ وما هى إلا أيام حتى وصلت إلى أمام عدن قوة مؤلفة من ثلاثة مراكب حربية ومعها ٣٠ مدفعاً وقوة من الجند إنكليزاً وهنوداً فضربوها بالمدافع، ووقع قتال انتهى بانسحاب السلطان من عدن فاستولوا عليها.

على أن هنس نفسه عاد فى السنة التالية سنة ١٢٥٥هـ فعقد عهداً جديداً مع السلطان محسن فضل هذه خلاصته :

تعهد السلطان محسن فضل وأولاده أحمد وعلى وعبدالله وفضل بحماية الفقير والضعيف وسلامة قبائلهم وتأمين الطرق وأنه مسئول عن أى عمل سئ يرتكبه أصحابه فى الطرق وأن لا يحدثوا أى نوع من المقاومة ضد الدولة البريطانية، وأن تكون مصلحة الفريقين واحدة.

وفى مقابل ذلك تعهدت الدولة البريطانية أن تدفع المعاشات للفضلى واليافعى والحوشى وقبائل الأمير، وأن تعطى للسلطان محسن وأولاده ما تناسلوا معاشاً قدره ٦٥٠٠ ريال سنوياً إبتداء من شهر ذى القعدة سنة ١٢٥٤ وأن الأرض من المجراد إلى لحج وإلى جميع حدود قبيلة العبادلة المعروفة يظل تحت سيطرة السلطان، وعند حدوث أى هجوم على لحج أو على قبائل العبادلة أو عدن أو على عساكر بريطانيا فالسلطان محسن والدولة البريطانية يكونان يداً واحدة، وإذا دخل أحد رعايا السلطان عدن فعليه إطاعة قوانين الدولة البريطانية وعلى رعايا الدولة البريطانية أن يطيعوا أحكام السلطان فى لحج والسلطان وأولاده معافون من العوائد عند دخولهم عدن وخروجهم منها.

ولم يلبث العبادلة أن هاجموا عدن فى تلك السنة بقصد أسترجاعها فلم يوفقوا فكرروا الهجوم مثنى وثلاث وفشلوا وقطعت حكومة عدن المرتبات المقررة بموجب المعاهدة السابقة. على أن السلطان محسناً عاد فصالح الإنكليز سنة ١٢٥٩هـ فأعادوا له الراتب.

وفى يوم ٧ جمادى الآخر سنة ١٢٩٨ (٥ مايو سنة ١٨٨١) عقد السلطان فضل بن على بن محمد محسن معاهدة جديدة مع حكومة بريطانيا التزم فيها ما يلى :

- ١ - أن يكون مسئولاً عن كل ما يحصل من أفعال التعدى من قبيلة الصبيحة.
- ٢ - تعهد عن نفسه وعن حلفائه بأن لا يعقد معاهدة من أى نوع كان مع أى

دولة أخرى ببيع أو رهن أو إيجار أو هبة في أى قسم كان من البلاد الواقعة الآن أو التى تقع فى المستقبل تحت حكم سلاطين العبادلة من دون رضا الدولة البريطانية.

٣ - لاتعمر قلاع أو عمارات أخرى على ساحل البحر من دون إجازة والى عدن ولا يستورد أو يصدر سلاحاً أو ذخائر أو رقيقاً أو تجارة أو مسكرات أو مكيفات من جهة من جهات الساحل بدون إجازة والى عدن.

ولاتزال هذه المعاهدة نافذة حتى الآن، ويعمل السلطان الحالى لتعديلها على منوال موافق، وقد باحث بعض ولاة الأمور البريطانيين، ولكنه لم يصل إلى نتيجة حاسمة ويتناول راتباً شهرياً من عدن قدره ٣٢٠٠ روبية وتطلق ٢١ مدفعاً عند زيارته لها.

ويمتاز عهد السلطان الحالى بما تم فيه من إصلاح وتقدم جعل بلاد لحج فى مقدمة بلاد اليمن عمراناً وازدهاراً فتحسنّت زراعتها ونمت ثروتها واستقرت أمورها وغبطها جيرانها.

ففى عهد هذا السلطان المصلح أنشئ أول مستشفى فى الحوطة، وأنيرت بالكهرباء وشقت فيها الشوارع الواسعة، وغرست على جوانبها الأشجار حتى صارت تضاهى بجمالها وبهائها أجمل المدن الحديثة، وفى عهده شقت الترع والجداول واستخدم البخار فى إرواء الأراضى وغرست أنواع الأشجار والفاكهة فجادت ونمت، وهنالك مجلس للزراعة مؤلف من كبار المزارعين يرأسه السلطان بالذات، ويشترك فيه عدد من الإخصائيين الذين جاء بهم ومهمته السعى لترقية الزراعة وإنهاضها، وكذلك عنى السلطان بالعلم فأنشأ عدة مدارس وجاء بمعلمين من مصر وسورية كما أنشأ مسجداً فخماً وبالإجمال فهو لايفتا يعمل على إنهاض إمارته وترقيتها بما تصل إليه يده، حتى صارت فى عهده وبشهادة جميع الذين زاروها ودرسوا أحوالها أرقى إمارات اليمن.

مؤتمر النواحي التسع

وفى عهد هذا السلطان وللمرة الأولى عقد فى سنة ١٩٣٠م أول مؤتمر فى الحوطة، ضم سلاطين النواحي التسع وشيوخها، وحضره السلطان عبدالكريم بنفسه والسلطان عبدالله بن حسين الفضل والسلطان عيدروس بن محسن العفيفى والسلطان محمد بن صالح الهردى والسلطان فضل بن محمد الهردى والسلطان عوض بن عبدالله العوالقى والسلطان صالح ابن حسين العوذلى وأمير الضالع نصر بن شايف والسلطان محسن بن على مانع الحوشى وغيرهم من الشيوخ.

وقد افتتح هذا المؤتمر الكولونيل سيمس حاكم عدن ورأس جلساته السلطان عبدالكريم وتم الاتفاق على وضع ميثاق تضامن على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإنشاء مجلس يحكم بحل المشاكل التى تقع بين هذه الإمارات الصغيرة بالطرق الودية، ثم عقد هذا المؤتمر ثانية فى السنة التالية سنة ١٩٣١ ورأسه السلطان أيضاً، وفيه تم التوقيع على ميثاق التضامن وعند انتهائه أدب للسلاطين والأمراء والمشايخ مآدبة حافلة فى حديقة قصره حضرها أيضاً والى عدن وكبار رجال حكومته وضباطه وقدر الذين شهدوها بالمئات.

نظام الحكم فى لحج

نظام الحكم فى لحج هو الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام الشافعى ويدير السلطان البلاد مباشرة بمؤازرة وزيره السيد علوى بن حسن الجفرى، وهو مصدر كل سلطة، وهناك قضاة شرعيون يفصلون فى القضايا.

ولقد أراد السلطان عبدالكريم أن يدخل تعديلاً على نظام ولاية العهد، وذلك بأخذ البيعة لنجلاه الأكبر الأمير فضل، والقاعدة المتبعة عندهم في انتقال الحكم أن يجتمع أمراء العائلة المالكة مع العقال أي (الحكام الإداريون للمدن) ومشايخ القبائل فيختارون أحد أمراء العائلة المالكة ويكون عادة الأكبر، فيقف من يدعى «المنصب» فيعلن الذين أشتروا في مأتم السلطان المتوفى انتخاب السلطان الجديد فيبأيعونه ويقرون ما وقع.

تلك هي القاعدة القديمة التي أراد سموه تعديلها، وبيان ذلك أنه يوم ٣ شوال سنة ١٣٥١ هـ دعا الأمير فضل نجل السلطان إلى قصره رجال القبائل وشيوخها وأبلغهم أن والده اختاره لولاية العهد وسألهم رأيهم فوافقوا وكذلك استمال أمراء بيت على محسن فوافقوا أيضاً. ولما اتصل ذلك بالأمراء منصور محسن وعبدالله محسن وعبدالكريم محسن عقدوا اجتماعاً ليلة الأربعاء ١٣ شوال في دار الأمير أحمد منصر قرروا فيه عدم الاعتراف بما جرى من أخذ بيعة ولاية العهد للأمير فضل، ووضعوا فيما بينهم الإجراءات التي تنفذ عند موت السلطان الحالي وانتخاب من خلفه. كما وضعوا مذكرة احتجاج أبلغوها إلى الحكومة الإنكليزية طالبين منها أن لاتعترف بالبيعة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد اعتدى محمد سعد الأمير ليلة ٢٥ شوال على الأمير فضل نفسه (ولى العهد) وأطلق عليه رصاصتين من مسدسه أصابت الواحدة عينه والثانية فخذته فنقل إلى عدن للمعالجة وشفى وقتل الفاعل، وعلى أثر ذلك اعتقل بأمر السلطان الأمراء الذين اتفقوا على عدم الاعتراف بولاية العهد لابنه في نفس الدار التي اجتمعوا فيها حينما قرروا عدم الاعتراف ثم نفوا إلى سيشل.

حضر موت

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

مخلاف يمانى، مشمول بالحماية البريطانية يعد من جملة النواحي التسع. يحده من الشرق شعيب وادى الزهور، ومن الغرب عين بامعبد، ومن الشمال رمال نجد والربع الخالى، ومن الجنوب البحر العربى. وتبلغ مساحته السطحية ١٢٠ ألف كيلو متر مربع، وعدد سكانه ٢٠٠ ألف عربى مسلم سنى.

وفى حضرموت حكومتان : حكومة القعيطية تحكم الساحل مع ما أنضم إليه غربى عين بامعبد وجميع دوعن والقطن وشبام وحجر ابن دغار، وحكومة الداخل، وتشمل تريم وسيون ويلحق بهما ثلاث قرى. وعاصمة الأولى المكلا وعاصمة الثانية سيون. وهما مرتبطتان بمعاهدة عقدت بينهما فى عدن سيأتى الكلام عليها.

وأعظم مدن الدولة القعيطية : الشحر وشبام والمكلا، وهى العاصمة، ودوعن، وأعظم مدن الدولة الكثيرية بعد العاصمة تريم وغياث. ويعول سكانها على الزراعة وعلى إمدادات الجاليات الحضرمية فى جاوه وفى الهند. وفى حضرموت كثير من آثار الحميريين القديمة التى تدل على علو كعبهم فى فن البناء. وعلاقاتها مقطوعة بالعالم المتمدن تقريباً. ولا يزال سكانها على الفطرة. ولا يسمح بدخول الأجانب إليها.

وللدولة القعيطية جيش نظامى لايزيد عدده عن الفين وتستطيع أن تجند ٨٠٠٠ متطوع عند الحاجة.

وسلطان هذه الدولة هو عمر بن عوض القعيطى اليافعى، وهذا رسمه :



(السلطان عمر بن عوض القعيطي (حضر موت)

السلطان عمر بن عوض القعيطي

سلطان حضرموت

مولده ونشأته

هو رابع سلاطين هذه الدولة ولد في حيدر أباد سنة ١٢٨٧هـ على الأرجح ونشأ فيها، وتخرج في مدرستها الحربية، ثم انتظم في سلك جيشها، وهو القائد العام للجيش العربي غير النظامي في حكومة حيدر أباد، ويعد من أركانها كما أشرنا إلى ذلك من قبل ورتبته العسكرية (جمعدار) ولا يزال مضطرباً بعمله العسكري هنالك، فيقضى شهرين أو ثلاثة كل سنة في عاصمة بلاده، يشرف على شؤونها، ويقضى الأجزاء الأخرى في حيدر أباد، ولأل القعيطي قصور فخمة في تلك العاصمة ينزلونها، وقد ورثوها عن أسلافهم، ويعدون في جملة الأغنياء أصحاب الثروات الكبيرة، وله قصر صغير في عدن ينزل فيه أثناء مروره فيها.

أوصافه - هو طويل القامة، عريض الجثة، أبيض البشرة، حليق الذقن، له شاربان مرتفعان، يلبس الملابس الإفرنجية أحياناً، والعربية اليمانية، أو الهند أحياناً، ويتمنطق بخنجر ويلبس في خنصر يده اليسرى خاتماً يحتوي على فص ثمين من الزمرد.

أخلاقه - مشهور بالاعتصام وصفاء القلب والميل إلى العظمة، وهو يحب السينما والتصوير وفي قصره بالكلأ ماكنة لعرض أشرطة السينما تعمل بلا انقطاع إبان إقامته. كما أنه مغرم بتصوير ماتقع عليه عينه من المناظر الطبيعية وغيرها.

زوجاته - يقال إن عدد زوجاته لا يقل عن العشرين بين عربيات وهنديات

وجوار وهن يصحبته فى أسفاره بين المكلا وحيدر آباد فيحضرن معه إذا حضر ويرحلن إذا رحل، ولديه أيضاً عدد غير قليل من الأولاد أكبرهم فى الخامسة عشر من سنه وهم ينشأون على الطريقة الهندية.

قصوره - للسلطان قصران فى المكلا : قصر المعين وقد بناه أخيراً على أحدث طراز وعلى نسق قصره الخاص فى حيدر آباد وجهازه بجميع معدات الراحة وأثاثه بأفضل تأثيث وبلغت أكلافه نحو ٢٠٠ ألف روبية. وقصر الباغ (الحديقة) وهو قصر الحكومة وفيه مقرها.

وقد اعتاد السلطان أن يقفل قصر المعين حين رحيله إلى الهند ولا يفتح إلا حين رجوعه ولايسمح لأحد بدخوله.

علومه - يجيد لغة الأوردو، لغة مسلمى الهند، كتابه وقراءة ويتكلم اللغة العربية ولايجيد الكتابة فيها، ويتكلم الإنكليزية أيضاً، وحديثه طلى، وهو واسع الاطلاع خبير بشؤون العالم ملم بحالته.

ملابسه - يلبس فى الأوقات العادية الملابس العربية ويتمنطق بخنجر. أما فى الحفلات الرسمية فيضع على رأسه عمامة يزينها تاج من الألماس، ويلبس ستره طويلة، يضع على صدرها ثلاثة أحبال من الألماس على طريقة أمراء الهند.

كيفية يقضي يومه ؟

قلنا إن أيام السلطان مقسمة بين المكلا وحيدر آباد فهو يقضى شهرين أو ثلاثة من كل سنة فى الأولى، فيقيم فى قصر المعين الذى أنشأه حديثاً، مع نسائه وأنجاله، ويقضى الشهور الباقية فى حيدر آباد يقوم بواجبه العسكرى على المنوال الذى وصفناه.

وقصوره سواء فى الهند أو فى المكلا أو فى عدن مفروشة على أبداع طراز، وفيها طائفة كبيرة من الخدم والحشم وهم يتبعون نظاماً دقيقاً لا يقل فى دقته عن النظام المتبع فى قصور الملوك، ويلبسون على نسق واحد.

ويتناول السلطان طعام الصباح فى قصر الحريم ويتغدى فى غرفه المائدة سواء فى حيدر آباد أو فى المكلا أو عدن مع من يكون هنالك من الزوار أو مع الذين دعاهم أو استبقاهم، وفى كل قصر من قصوره غرفة فاخرة للطعام وهم يأتون بأصناف الطعام دفعه واحدة فى جفانها ويضعونها على المائدة. فيتناول كل واحد حسب اشتهاؤه وحاجته، ويأكل السلطان بالسكين والشوكة ويؤدى الصلاة فى أوقاتها.

سياحته - قصد الحجاز فى سنة ١٩٢٨ م فأدى فريضة الحج ثم زار مصر فى رجوعه إلى الهند وقضى فيها أياماً، ثم زارها للمرة الثانية إبان رحلته إلى أوروبا سنة ١٩٣٠ وقد امتدت أشهراً، وقصد لندن فاحتفى به الإنكليز، وفضلاً عن ذلك فهو لا يبرح ذاهباً أيماً بين عدن والمكلا وحيدر آباد.

كيفية ارتقي العرش؟

ارتقى العرش في سنة ١٩٢٣ على اثر وفاة أخيه السلطان غالب، عملاً بتقاليدهم، وهي تقضى بانتقال الأمر إلى الأكبر فالأكبر.

وأصل هذا البيت من يافع (قبيله في اليمن السفلى) هاجر أبناؤه من عهود طويلة إلى حيدر آباد والتحقوا بجيش النظام، وقد أثرى أحدهم وهو الحاج عمر بن عوض من التجارة ومن خدمة الجيش، فأصبح ذا نفوذ ومكانة بين قومه اليوافع، فحدثته نفسه بالاستيلاء على حضرموت مغتتماً فرصة الاضطرابات وسوء الحالة فأخذ يعد لذلك العدة وفي سنة ١٢٧٤هـ احتل مدينة شبام وخلفه ابنه عوض فسار سيرة أبيه، وهو أول من لقب بسلطان من أمراء هذه العائلة فظفر سنة ١٢٨٤ بالشحر وقد هاجمها بجيش كبير من البحر جاء به من الهند ثم استولى على حجر سنة ١٣١٠هـ وتملك بعدها دوعن، وتوفي سنة ١٣٢٧هـ فخلفه ابنه السلطان غالب، فسار على منهاج أبيه، وتوفي سنة ١٣٤٣هـ فخلفه أخوه السلطان عمر الحالي.

كيف دخلت حضرموت تحت الحماية؟

ظلت حضرموت مستقلة في شؤونها الداخلية والخارجية حتى سنة ١٨٨٨م ففي تلك السنة، عقد السلطان عوض - والد السلطان الحالي - معاهدة مع حكومة عدن، رضى فيها ببسط الحماية البريطانية على بلاده، وتعهد بأن لا يؤجر شيئاً من أراضيه لدولة أجنبية إلا بعد موافقة بريطانيا.

وللسلطان القعيطى راتب اسمى من حكومة عدن، أسوة بحكام النواحي

التسع، يبلغ ستين روبية سنوياً لا يتناوله لسعة ثروته، وتطلق المدافع تحية له عند وفوده إلى عدن، ويرحب فيه ولاية الأمور الإنكليز.

وفى يوم ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦ هـ عقدت بتوسط حكومة عدن الإنكليزية معاهدة بين الحكومة القعيطية وبين الحكومة الكثيرية حكومة آل عبدالله، لتنظيم علاقتهما والقضاء على الاختلافات الداخلية، ونحن نورد خلاصتها لخطورة شأنها.

جاء فى مقدمتها ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد قول الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . وقال الله تعالى ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ . وها نحن ولله الحمد مؤمنون ومتبعون لهدى نبينا محمد ﷺ ومعتقدون بأن فى إجماع الكلمة ما يعود نفعه للمسلمين وصلاح العباد والبلاد وراغبين فيما يوجب الأمن والراحة للأهالى ورفاهيتهم فى داخل البلاد، وخارجها. فلهذا. الدول الكرام القعيطية وآل عبدالله عقدوا بينهما معاهدة مؤبدة إلى أن يشيب الغراب ويفنى التراب، وهما السلطان السر غالب بن عوض ابن عمر وعمر بن عوض بن عمر القعيطى عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة، والسلاطين منصور بن غالب ومحسن بن غالب آل عبدالله عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة، وجعلوا الشروط الآتية :

الشرط الأول - يرتضى السلطان القعيطى مولى الشحر والمكلا وسلاطين آل عبدالله أهل كثير أن يكون إقليم حضرموت اقليماً واحداً، وأن الإقليم المذكور يكون من متعلقات الدولة البريطانية تابعاً لسلطان الشحر والمكلا.

الشرط الثانى - يقر السلطان القعيطى مولى الشحر والمكلا أن سلاطين آل عبدالله هم سلاطين الشنافر، ولكن آل عبدالله يحكمون فى داخل حضرموت على مدن وقرى سيون. وتريم. وتريس. والعزف. ومريميه. والغيل. وصار الاعتراف أن فخذ الشنافر الآتى ذكرهم تابعون لسلاطين آل عبدالله، وهم آل عمر وآل عامر والفخايد آل كثير والعوامر وآل باجرى وآل جابر وما شملته حدودهم وهى معروفة مشهور وجاء فى الشرط الرابع أن سلاطين آل عبدالله لن يعترضوا بأى طريقة كانت للحكم على حضر موت. ماعدا المدن المذكورة فى الشرط الثانى ويقرها ويعترفوا بأن ليس لهم حق التعرض فى المحلات الأخرى.

وجاء فى الشرط الخامس أن سلاطين آل عبدالله يقبلون المعاهدة المعقودة بين الدولة البريطانية ودولة القعيطى رابطة لهم، ويرتضون أن يمتثلوا شروطها بأمانة ويرتضوا أن تكون جميع معاملاتهم ومراسلاتهم مع الدولة البريطانية بواسطة السلطان القعيطى مولى الشحر والمكلا.

وجاء فى السادس أن كلا الفريقين يوقف الفتن فى الحال والاستقبال ويعفو عما سلف ويحافظ فى المستقبل على الأمان فى السبل الكائنة فى حدودهما المعروفة وإجراء العدالة طبقاً للشرعية واحترام السادة العلوية وإسعاف المظلوم وإقامة العدالة العامة.

وتعهدا فى الشرط السابع بمساعدة بعضهما بعضاً إذا حصل خلاف من أحد الحزبين على رعاياهم وأصحابهم ومن تعلق بهم أو شريف أو عابر سبيل وأن تؤخذ العشورات بالمقدار المرتب على جميع الناس.

وجاء فى الشرط العاشر أن سلاطين القعيطى وسلاطين آل كثير يقبلون بالسوية أن يعاونوا بعضهما بعضاً بحسب مقدرتهم واستطاعتهم فى أى تدبير فيه صلاح حال حضرموت ورقيةا.

وتعهدت الدولة البريطانية فى الشرط الحادى عشر بأن تجتهد فى أن تصلح جميع الخصامات الناشئة فى المستقبل بين سلاطين القعيطى وكثير بعد تاريخ هذه المعاهدة بالتحكيم بواسطة والى عدن.

٤٩٥

نشطت الحركة الإصلاحية فى حضرموت فى عهد السلطان الحالى، فقد هال عقلاء الحضارمة ومفكروهم ما آلت إليه حالة بلادهم من التأخر والانحطاط فتنادوا إلى إصلاحها وإنهاضها، وبدأوا فعقدوا مؤتمراً فى شهرى ربيع الثانى وجمادى الأولى سنة ١٣٤٦ فى المكلا حضره مندوبو الدولتين (القعيطية والكثيرية) ونخبة من سادات البلاد وأعيانها فقرروا بادئ ذى بدء الاتصال بالجاليات الحضرمية فى المهاجر والاستعانة بها، وانتدبوا الشيخ الطيب الساسى لهذه المهمة فسافر إلى سنغافورة، مندوباً عن الدولتين والمؤتمر، ودعا كبار الحضارمة هنالك إلى الاشتراك فى هذا الواجب الوطنى، فلبت دعوته أربع جمعيات كبيرة فى جزائر جاوة، وعقدوا مؤتمراً فى سنغافورة فى دار النادى العربى، ابتداء يوم الثلاثاء ٢٥ شوال، وانتهى يوم ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٦ هـ. اختتم بإذاعة منشور مطول بالقرارات الآتية:

القرار الأول - قرر المؤتمر إرسال وفد إلى البنادر وحضرموت مؤلف من حضرات الذوات الآتية أسماؤهم:

السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف، السيد أبو بكر بن عبد الله بن أحمد العطاس، الشيخ سعيد بن عبد الله باجرى، الشيخ أبوبكر بن محمد الثوى يحمل قرارات هذا المؤتمر المحتوية على الخطة العملية التى انعقد المؤتمر لوضعها بناء على دعوة حضرة المندوب الشيخ الطيب الساسى يعرضها ويبلغها إلى الحكومتين القعيطية والكثيرية والوفد الحضرمى ويشارك فى تأليف الجمعية الوطنية ووضع قوانينها، ويرفع إلى اللجنة التنفيذية التى ألفتها المؤتمر ما يتفق عليه مع الحكومتين والوفد الحضرمى.

القرار الثانى - يفتقر الإصلاح العام إلى نفقات كبيرة لا مناص عنها بالنسبة

لحالة فقر البلاد الحالى، ولما كان اشتراك الحضرىين فى المهاجر لا يتحقق تمام التحقيق فى الإصلاح المطلوب إلا بالإسعاف والمساعدة المادية فقد قرر المؤتمر تكليف الوفود الممثلة فيه غير الجمعيات، تبليغها عقب انفضاضه، طلبه بأن تفتح فوراً باب اكتتاب يرصد باسم الإصلاح الوطنى، وأن تنشر دعاية قومية إليه وتنظم له الوسائل اللازمة. ثم توافى لجنة المؤتمر التنفيذية بما يتم فى هذا الشأن.

أما المبالغ المكتتب فيها فتبقى فى أيدي المكتتبين إلى أن تبلغهم تباشير الإصلاح بواسطة اللجنة المشار إليها، وتعين الوجوه والطرق التى ينظم بها صرف المال المكتتب به وضبطه، وهنالك يدفع المكتتبون اكتتاباتهم إلى اللجنة التنفيذية.

القرار الثالث - رغبة فى وجود جو من الثقة والاحترام بحكومة حضر موت وتعزيزاً لحسن سمعتها ثم إيجاد ما يقنع الرأى العام بوجوب المساعدة المالية للإصلاح الوطنى العام يرغب المؤتمر إلى كل من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تقدم سنوياً ميزانيتهما العامة للجمعية الوطنية أو ما يقوم مقامها الآن لتبدي رأيها فيها وتعديل ما تراه مقتضياً إلى التعديل فى أبواب الإيرادات والمنصرفات وأن يكون قرارها بشأن الميزانيتين مقبولاً ومرعياً لدى كل من الحكومتين وأن ينشر بالميزانيتين بعد ذلك بيان رسمى للعموم.

القرار الرابع - بما أن تنظيم الجمارك من صالح الحكومتين والأمة فإن المؤتمر يطلب منها تنظيم الجمارك، ووضع قانون وقواعد لها تنحسم بها الشكوي. بحيث تكون مواد القانون والقواعد جلية لا تحتتمل سوي وجه واحد صريح. أما مسألة تثمين معשרات البضائع فى الجمارك فيوضع لها حد، وهو أنه إذا رأى من يجب عليه دفع العشور أن عليه غبناً فى التثمين وأراد أن يدفع عشوراً من نفس الصنف المعشر فله ذلك. وعلى إدارة الجمر أن تقبل الصنف بدلاً من العشور وتصريفه. إذ الغرض من الجمارك هو النقد.

القرار الخامس - يري المؤتمر أن البضائع لا تجمرك إلا إذا اجتازت الحواجز الجمركية المعروفة. فالبضائع التي تمر بالكلا مثلاً، ولا تتعدي حواجزها الجمركية إلى الداخل ثم تنقل إلى ميناء آخر فلا تعشر بالطبع فيه إلا عندما تتعدي الحاجز الجمركي، وهذا هو « الترنيث » المعروف أو شبهه، أما البضائع التي تكون قد تعشرت في إحدى موانئ حضرموت وخرجت منها إلى إحدى موانئها الأخرى فلا تعشر ثانية.

القرار السادس - حيث إن الوطن خال من الأعمال التعاونية وأهمها الأمور التجارية فقد قرر المؤتمر السعى في تأسيس شركة تجارية وطنية مركزها المكلا وتكون أسهمها بيد الحضرميين ، وقد رأي المؤتمر أن السبيل الموصل إلى تأسيس هذه الشركة في الوقت الحاضر هو أن يقوم بتأسيسها ذو شخصية مالية معتبرة. فطلب من السيد الهمام عبد الرحمن بن شيخ الكاف مباشرة السعى في تأسيسها والدعوة إليها ، فتفضل حضرته بقبول الطلب .

القرار السابع - رغبة في تقدم هذه الشركة وانتفاع أبناء البلاد بها ، يطلب المؤتمر من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تعاملها هذه الشركة معاملة تفضيلية، وأن تمنحها التسهيلات اللازمة لتقدمها ونجاحها، وقد خول المؤتمر السيد عبد الرحمن حق الاتفاق مع الحكومتين فيما يتعلق بالمعاملة.

القرار الثامن - يخصص خمسة في المائة من صافي ربح الشركة للشؤون الخيرية في الوطن كالمعارف والملاجئ والمستشفيات ويتولي صرف ذلك مجلس إدارة الشركة.

القرار التاسع - يطلب المؤتمر أن تشتري الحكومتان خمسة في المائة من مجموع أسهم الشركة كل حكومة بنسبة حالتها المالية.

القرار العاشر - يطلب من الحكومتين تشكيل إدارة عامة للمعارف في الوطن تتولى النظر في أمور التعليم. بالإشراف العالي على جميع المدارس هناك لتحسين نظامها وتوحيد برامجها وتوسيع دائرة التعليم بقدر الإمكان.

القرار الحادى عشر - (أ) - استقلال القضاء: يري المؤتمر وجوب استقلال القضاء بالبلاد الحضرية، وإبعاد كل تأثير أو تدخل خارجى عنه. (ب) - مرتبات القضاء: دفع الحكومتين مرتبات شهرية للقضاة كافية لسد حاجتهم حفاظاً لكرامتهم وتنزيههم عن أن يكونوا موضعاً لشبهة. (ج) - الشهود: فحص حالة الشهود الذين يؤدون شهاداتهم فى الدوائر القضائية التثبت من صدق الشاهد بكل ما تساعد عليه الأقوال فى مذهب الإمام الشافعى من اختلاء القاضى بالشهود والتفريق بينهم والتدقيق فى استقراءاتهم وغير ذلك حتى يقضى على شهادة الزور التى فشا أمرها بين صغار النفوس وأدنيائها. (د) - المحاماة: تنظيم قانون للمحاماة بحيث لا يباح لشخص احترافها إلا بشهادة فى يده من لجنة تتألف من العلماء القضاة، ولا يجوز الاعتراف بوظيفة المحاماة لمن كان موظفاً فى دوائر الحكومة. (ه) - دوائر القضاء: تأسيس دوائر رسمية منظمة للقضاء وإيجاد سجلات لجميع الأحكام وتدوينها مسجلة. (و) - الأحكام: ويرى المؤتمر لزوم تفكير الحكومتين من الآن فى إيجاد مجلة تجمع وتنظم فيها الأحكام المعتمدة من مذهب الإمام الشافعى حتى يحفظ القضاء من مسائل التأويل وتناقض الأحكام، وتكون هذه المجلة على مثال مجلة الأحكام الشرعية التى وضعت فى الآستانة.

القرار الثانى عشر - بما أن الجمعية الوطنية لا بد لها من قواعد عامة تؤسس بموجبها فقد قرر المؤتمر تخويل وفده حق المناقشة والمفاوضة فيها مع الوفد الحضرى والاشتراك معه فى وضعها. لأنه بتبادل الأفكار مع من بالوطن فى المحيط الذى ستتكون فيه الجمعية يظهر لهم ما لا يلاحظه البعيد.

القرار الثالث عشر - حيث إن المؤتمر يرى أن يبقى الباب مفتوحاً للحضرميين فى المهجر للاشتراك فى الجمعية الوطنية ومساعدتها فإنه يطلب أن يكون للجمعيات الحضرية فى المهجر حق التمثيل فى الجمعية الوطنية.

القرار الرابع عشر - بما الإصلاح الوطنى التام لاتتم الفائدة المطلوبة منه مادام الحضرميون متنازعين ومنشقين ومختلفين فى المهجر فضلاً عن أن اتحادهم وزوال الاختلاف من بينهم هو أول درجات الإصلاح. فالمؤتمر يطلب من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تعينا لجنة يرئسها السلطان صالح بن غالب بعضوية فرد من السادة العلويين وفرد من غيرهم تنظر فى هذا الخلاف الواقع بين الحضرميين فى المهجر، وتسعى للتوفيق بينهم فإن لم تتمكن من ذلك تدعو المختلفين إلى المحاكمة لديها وتطلب منهم إرسال وفودهم إليها أو توكيل من يدافع عنهم، وبعد أن تسمع أقوال الفريقين وحججهم ومستنداتهم وتنظر فى أمرهم بدقة وإمعان تصدر حكماً أدبيا علي من يظهر لها خطاه وتعنته وتعيده من الفريقين وتشفع هذا الحكم بحيثياته وأسبابه ثم تنشره فى الجرائد مع إصدار منشور مستقل به معزز بالطلب من الرأى العام أن يحتقر الفريق الذى صدر عليه الحكم وينبذه حتي يكون لهذا الحكم تأثير يضع حداً لمن تحدثه نفسه بالتعنت وينفض الناس من حوله فيبقي وجوده كعدمه، وبذلك يقضى علي الخلاف. أما إذا حصل صلح حقيقى ووافق تام قبل وصول وفد المؤتمر إلى حصرموت فلايبقي لهذا القرار موضع ولا معنى .

القرار الخامس عشر - سعيأ فى تمهيد السبيل بالقطر الحضرمى للإصلاح العام المطلوب، فإن المؤتمر يطلب من الحكومتين القعيطية الكثيرية أن تسعيا وتقيما صلحاً بين قبائل حصرموت فى الدم والثرث والطوارف لمدة أقلها خمس سنوات .

القرار السادس عشر - إذا أخطأ فرد أو أفراد قليلون من إحدى القبائل الحضرمية وعجزت قبيلتهم عن ردعهم وإخضاعهم وتبرأت منهم فلا يحق للحكومتين أذى أى فرد من أفراد هذه القبيلة سوي المتمرد أو المتمردين، لكن يجب علي قبيلة المتمرد مساعدة الحكومتين علي إخضاعه، وتقديم ما يلزم للحكومتين من الضمانات الجارية المعروفة.

القرار السابع عشر - رغبة في إيجاد أداة صلة بين الحكومتين ورعاياهما في المهجر تكون أثراً لوجودها بينهم فالمؤتمر يطلب من الحكومتين القنصلية والكثيرة أن تعملوا لتحقيق هذه الرغبة كأن تعين موظفاً تلحقه بالقنصليات الإنجليزية في البلاد الأخرى أو موظفاً متصلاً بقلم الجوازات في البلاد الإنجليزية ليكون مساعداً لتسهيل أعمال الحاضرين من تصديق علي جوازات سفر أو وكايل ونحوها، ويترك المؤتمر للحكومتين الشكل في تنفيذ هذا الطلب .

القرار الثامن عشر - لا يحق لوفد المؤتمر أن يقبل أى تعديل كان في القرار الثالث المختص بميزانية الحكومتين. لأن سمعتهما واطمئنان الشعب وثقته بحكومتيه متعلقة بتقديم الميزانية السنوية وإعلانها للرأي العام .

القرار التاسع عشر - جعل المؤتمر لوفده الحق في قبول تعديل القرار العاشر المختص بالمعارف فيمكن تعديله بالاكْتفاء بإيجاد ناظر عام للمعارف أو موظف كبير يكون أداة لربط المدارس واتصالها بعضها ببعض وتوحيد أو تقريب برامجها إذا اقتضى الحال في الوطن هذا التعديل.

القرار العشرون - خول المؤتمر لوفده الحق في قبول زيادة عدد أعضاء اللجنة التي تدعو المختلفين في المهجر إلى المحاكمة إليها تبعاً للقرار الخامس عشر إذا طلبت الحكومتان هذه الزيادة.

القرار الحادى والعشرون - لتعقب قرارات المؤتمر الاتصال بوفده المسافر إلى البنادر فحضر موت وللاتصال بالجمعيات الحضرية في المهجر ، شكل لجنة أسماها « اللجنة التنفيذية لمؤتمر الإصلاح الحضري الثانى بسنغافورة » من حضرات الذوات الآتية أسماؤهم وجعل مقرها سنغافورة:

رئيس: السيد إبراهيم بن عمر بن محمد السقاف، نائب رئيس وأمين صندوق: السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف، سكرتير: السيد أبو بكر طه عبد القادر السقاف، معاون: الشيخ أبو بكر بن محمد بن على الشوى .

تنحصر اختصاصات هذه اللجنة فيما يلي:

- ١- تعقب قرارات المؤتمر. ٢- الاتصال بوفد المؤتمر الذى قرر إرساله إلي البنادر فحضر موت. ٣- الاتصال بوفود الجمعيات التى مثلت فى هذا المؤتمر.
- ٤- مكاتبة الجمعيات الهيئات والأشخاص الشهيدين الذين لم يحضروا المؤتمر.
- ٥- دعوتهم للاكتتاب باسم الإصلاح الوطنى العام والسعى فيه. ٦- طلبها موافاتهم لها بما ينتج بهذا الشأن. ٧- جمع قيمة الاكتتاب للإصلاح الوطنى العام حينما يأتى دور جمعها. ٨- نشر النشرات التى تراها ضرورية ومساعدة علي أعمال الإصلاح الوطنى المطلوب. ٩- إعلان الجمعيات الحضرية بالمهجر حينما يتم تأسيس الشركة التجارية الوطنية، وطلبها منها جمع أفرادها وحثهم علي الاشتراك للفائدة والتعاون الوطنى. ١٠- عقد مؤتمر إذا دعت الحاجة والمصلحة إليه.

القرار الثانى والعشرون - بما أنه يلزم مبدئياً فتحت اعتماد مالى قدر بخمسة آلاف ريال للمصاريف الإدارية للجنة التنفيذية ولسفر الوفد الذى تقرر سفره إلي الوطن من أول شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ فقد قرر المؤتمر بعد موافقة جميع أعضائه فتح اكتتاب بينهم ليكتتبوا بما تيسر لذلك، فاكثتبا بما بلغ مجموعه ٣١٤٠ ريالاً وكلف المؤتمر سكرتيه بالكتابة للأعضاء الذين لم يحضروا ليشتركوا فى هذا الاكتتاب.

صودق على هذه القرارات جميعها من جميع الأعضاء الموقعين أدناه فى الجلسة الختامية للمؤتمر ليلة السبت ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٤٦هـ، ١٢مايو ١٩٢٨ فى منزل رئيس المؤتمر السيد إبراهيم بن عمر السقاف بطريق جنسرى لين رفلم بسنغافورة.

رئيس المؤتمر: إبراهيم بن عمر السقاف، السكرتير: أبو بكر طه السقاف، أعضاء: السيد عبد الرحمن شيخ الكاف، السيد أبو بكر العطاس، علوى بن طاهر

الحداد، عيديروس المشهور، عبد الرحمن بن عمر جواس، سقاف بن محمد السقاف، أبو بكر بن محمد الشوى، سعيد بن عبد الله بابحري، سعيد بن طالب بن جعفر بن طالب.

رد السلطان على المؤتمر

وعلي أثر إذاعة المنشور والقرارات أرسل عظمة السلطان الرسالة الآتية إلي واضع هذا الكتاب في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٧ لينشر في مجلة الشرق الأدنى في القاهرة قبل تعطيل الحكومة لها فنشره في عددها ٤٤ الصادر في ١٤ ربيع الأول. قال السلطان:

ظهرت لنا بوادر حركة إصلاح مباركة من القطر الحضرمي أملنا منها الإصلاح ونشر العلوم وتقوية الروابط بين أهالي القطر الحضرمي ببند الضغائن التي أخرجت البلاد عن الإصلاح أولاً ثم السير بها تدريجياً في معارج الفلاح حسب ما تقتضيه الحاجة حتي لاتصطدم الحركة بفشل من المحافظين.

فكر السلطان صالح بن غالب القعيطي النائب عنا وقت غسيابنا في الهند، وهو مملوء الفؤاد بحب النهوض للأمة الحضرمية، ورأي مع ذلك يقظة أفكار رجالها في حضرموت واتجاه أنظارهم للإصلاح في عقد مؤتمر بالملكلا جمع فيه ذوى اليسار وبعض أعيان الجهة الحضرمية وقرروا أن يوفدوا إلي سنغافورة رجالاً يدعو رؤساء الجمعيات وذوى الشخصيات البارزة من الحضارم في جاوه ليعقدوا مؤتمراً في سنغافورة لأجل الشروع في معدات الإصلاح وتقديم الأهم علي المهم حتي يتسني للأمة الحضرمية النهوض من كبوتها في جو صاف من الضوضاء.

ولكن عين لهذا العمل المهم رجل غريب يدعي الطيب الساسى ليس له أدنى معرفة بحضرموت وقبائلها غير ما سمعه مدة إقامته القصيرة فى تريم.

ولما وصل الساسى إلي سنغافورة أرسل دعوة لحضرات رؤساء الجمعيات وذوى الحثثيات وكثير من غيرهم من الأدباء الحضارم القاطنين بجاوة وذلك بواسطة بعض رجال فى سنغافورة فأنكر ذوو العقول الراجحة دعوة رجل غريب لا ناقة له ولا جمل فى حضرموت، فلم يلب دعوته إلا أناس قليلون لا يتجاوزون عدد الأصابع، ومع ذلك عقدوا مؤتمراً - كما يزعمون - باسم الإصلاح الحضرمى ورتبوا قرارات كما يدعون تنطوى علي أغراض شخصية تعود علي القطر الحضرمى بأضرار جسيمة، وإن كانت فى ظاهرها لمن ليس له معرفة بحالات الجهة الحضرمية ربما ظن أنها تنطوى علي شئ من الإصلاح. ومن هذا تجنب ذوو المكانة وذو العقل حضور جلسات مؤتمر سنغافورة لما يعرفون عن حقيقة الحالة وما تنطوى عليه تلك القرارات من التفرقة بين أهل حضرموت. وحيث إننا بكل قوانا وغاية جهدنا مصممون علي تقديم بلادنا وتحضيرها وترقيتها عارفون منابت الإصلاح ورجاله فإننا من الآن شارعون فى رقيها علي يد الرجال الذين نعتد عليهم فى الإصلاح الحقيقى المرغوب، فبعد اطلاعنا على ما قرره مؤتمر سنغافورة المزعوم بدعوة الساسى فنحن رفضناه لمعرفتنا بضرره علي أمتنا.

سلطان الشحر والمكلا

عمر بن عوض القعيطى

رد اللجنة التنفيذية على السلطان

ولما اطلعت اللجنة التنفيذية علي كتاب السلطان أرسلت إلي مجلة الشرق الأدنى الكتاب الآتى:

«لقد اطلعت اللجنة علي كتاب منسوب إلي السلطان عمر بن عوض القعيطى فاستبعدت صدوره من سموه لما ذكر فيه من بعض ما يتناقض مع الحقيقة ويثير الدهشة. كالقول بأن الأستاذ الساسى أرسل دعوته إلي المؤتمر بنفسه ولم يترك ذا شأن من الحاضرميين بهذه الجهات، وأما ما جاء من إنكار ذوى العقول الراجحة دعوة رجل غريب. فذلك ما لا نفقه له معنى. وهل أرسل الدعوة بصفته الشخصية أو باسم منتدبيه الذين أحدهم السلطان نفسه.

وبعد فهل يجوز التعريض بمن أجابوا هذه الدعوة بمحاولة التقليل من شأنهم ومن إحساساتهم إلا إذا كان يجب أن نفهم بعد اليوم انه لا يمكن أن نعتبر أى مندوب يحمل توابع أى رجال مسؤولين فى دول حاضرموت، ولولا ما ورد للجنة من كتب قبل وبعد سفر المندوب من أولئك الذين انتدبوه، وما ورد فى نفس هذا الكتاب الذى نتكلم عنه مما يؤيد تفويض الأستاذ الساسى، لجاز لنا من الدهشة أن نشك فى أن تلك التواقيع مزيفة، ولكن حتي علي فرض هذا المستحيل من التزييف أو حصول سوء تفاهم مع المندوب أو منتدبيه. فنظرة بسيطة بعين العدل والإنصاف لاتدع لغير التشجيع والثناء سبيلاً إلي اعمال المؤتمر نفسه وقراراته. وهل يمكننا أن نلغى عقولنا ونتجاوز عما يمس كرامة رجال المؤتمر فنسكت علي ما قيل فى الكتاب بأن قرارات المؤتمر تنطوى علي أغراض شخصية تعود علي القطر الحضرى بأضرار جسيمة؟ كلا! وإن اللجنة لتتحدي كل من يستطع أن يأتيها بفقرة واحدة غير جزيلة الفائدة للوطن حكومة وشعباً من تلك القرارات، وترفع الصوت عالياً بذلك انتصاراً للحق. أما إذا كان فى

الأمر وشاية أو دسياسة جعلت من الحسن قبيحاً والحق باطلاً - كما نخاله - فليخسأ مثيروها الذين لا يعيشون علي نور الإصلاح، ولا تحلو لهم الحياة إلا في ظلام الفوضى والخراب، وليعلموا أن الباطل زهوق، وسوف لا يمضى إلا القليل حتي تتجلي الحقيقة لذى عينين، ويتبدد ما أثاره هؤلاء المفسدون المغرضون من غبار الوشاية والغش، ويقدر السلطان عمر رجال المؤتمر ويفخر بهم، لأنهم الذين أجابو الإصلاح، وتداولوا فيه بصدق ونزاهة وإخلاص وأدوا للوطن واجبه الأسمى، بعكس أولئك الذين لم يريدوا إلا أن يكونوا حجر عثرة في عرقلة الإصلاح، وحسبهم ذلك وخزاً للضمير إن كان لهم ضمير وخزياً عند الله والناس وهو حسبنا ونعم الوكيل».

ولم يكتف السلطان بما كتب بل أمر بإقصاء المرحوم العلامة السيد محمد بن عقيل والشيخ الطيب الساسى عن حضرموت .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٣١ (٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠) وصل إلي المكلا وفد من السادة آل الكاف لمباحثة عظمة السلطان عمر فى إصلاح القطر الحضرمى. فدار البحث حول دعوة مؤتمر إصلاحى وطنى تنفذ الحكومتان قراراته وإنشاء طريق للسيارات فلم تنتج تلك المحادثات نتيجة تذكر.

نظام الحكم في حضرموت

نظام الحكم فى حضرموت هو الشريعة الإسلامية، السلطان هو مصدر كل سلطة، وينوب عنه السلطان صالح بن غالب مدة وجوده فى الهند، وهو صاحب ولاية العهد عملاً بتقاليد آل القعيطى.

ويدير حركة الحكومة ويصرف شؤون البلاد وزير الدولة الأكبر، واسمه أبو

بكر بن الحسين بن حامد المحضار، وقد ورث هذا المنصب عن أبيه، ويساعده في عمله عمه عبد الرحمن، ومنهما ومن السلطان تتألف هيئة الحكومة القعيطية، وهناك مجلس شوري تختار الحكومة أعضائه من كبار رجال البلاد، وتعرض عليه الخطير من الشؤون، ورأيه استشاري، ولا بد من أخذ رأيه إذا أريد فرض ضرائب جديدة، وهناك مجلس آخر للنظر في القضايا يرأسه السلطان بالذات.

ويتألف دخل الحكومة من إيرادات الجمارك، وتقدر بنحو نصف مليون روبية، يضاف إليها نحو مائة ألف من أبواب أخرى غير مباشرة ينفق منها نحو نصفها أو أكثر من النصف علي مرافق البلاد ومصالحها، ويتسرب الباقي إلي خزينة السلطان ويأخذه معه في رجوعه إلي الهند. ويسمى ضباط الجيش عندهم «مقادمة» ويسير جيش هذه الحكومة علي الأنظمة القديمة .

وقد أنشأ السلطان مستشفى في المكلا للحكومة، وفيها خمس مدارس ابتدائية بعضها أهلى وبعضها حكومى.

مسقط

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

سلطنة عربية فى خليج فارس مشمولة بالحماية البريطانية، تقوم فى مبتدئه من جهة الهند وهى اقرب قطر عربى إليها كما أن الكويت اقربها إلى العراق، وفى الخليج عدد غير قليل من الحكومات أو المشيخات العربية، واكبرها ثمان، وهذه أسماءها بحسب وضعها الجغرافى :

مسقط ، رأس الخيمة، الشارقة، أبو ظبى، دبى، قطر، البحرين، الكويت.
وجميعها مشمولة بالحماية البريطانية وقد أغفلنا الكلام عن المشيخات الأخرى لضالة شأنها .

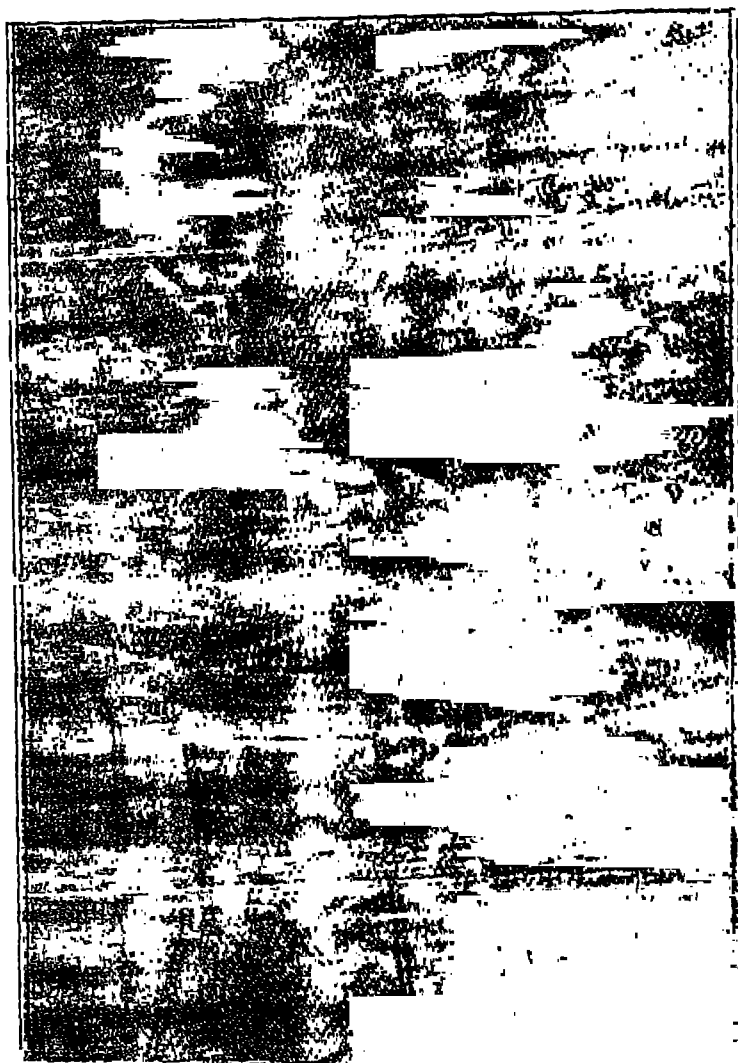
ولقد ضعف أمر مسقط كثيراً بعد ثورة سنة ١٩١٣ فقد نهض رعاياها من سكان الداخلية يقاتلونها لقبولها الحماية البريطانية ، وانتهت الثورة بانفصالها عنها وإنشاء إمارة دينية عاصمتها نزوي سيأتى الكلام عليها.

ومساحة مسقط وعمان ١٤٠ ألف كيلو متر مربع، وطول ساحلها نحو ٤٠٠ كيلو متر، وسكانها عرب مسلمون يبلغ عددهم نحو مليون ونصف مليون تقريباً سنيون والباقي إباضية، وهنالك عدد قليل من الهندوس. وتنتج هذه البلاد نوعاً من التمر (البلح) الأسود لامثيل له، يحبه الأمريكيون ويبتاعونه فى أول موسمهم، وفيها معادن كثيرة وتربتها جيدة وإقليمها مناسب، وزراعتها نامية.

ومسقط عاصمة البورسعيديين، ونزوي عاصمة إمام عمان، ومن مدنها المشهورة: مطرح، والشحر، وشيناس، ولوا، وبرقة، وسميل، وصور، ونخيل.... الخ.

وتمتد حدودها من ظفار فى حضرموت حتى قطر على الخليج الفارسى، ومن البحر العربى حتى الربع الخالى.

وسلطان مسقط هو سعيد بن تيمور البوسعيد. وهذا رسمه:



السلطان سعيد بن تيمور (سلطان مسقط)

السلطان سحيد بن تيمور

سلطان مسقط

مولده ونشأته

ولد في مسقط ونشأ في قصر والده، ودرس فيه القراءة والكتابة، ولما بلغ أشده أرسل إلى بمباي (الهند) فدخل مدرسة القديس كزافييه الإنكليزية. فأتى الدراسة الثانوية ونال شهادة البكالوريا، ثم أرسل إلى بغداد سنة ١٩٢٦ فدخل طالباً في المدرسة الثانوية المركزية لتعلم اللغة العربية. ف قضى فيها سنة وفي نهايتها عاد إلى مسقط.

وكان يشرف عليه مدة وجوده للدراسة في بمباي وبغداد ويتولى تثقيفه وتهذيبه أحد فضلاء العرب الذين نشأوا في الهند وتعلموا تعليماً راقياً. فأنشأ منه رجلاً مهذباً يعد في طليعه شبان العرب الناهضين.

أوصافه - حنطى اللون، بهى الطلعة، ذو عينيّن جميلتين، نكى جذاب، نحيف النية.

ملابسه - يلبس الملابس الإفرنجية، وهو كثير التأنق، جميل الهمام.

أخلافه وأراؤه - بعيد عن الصلف والكبرياء، ميال إلى الجد، كثير التفكير، منطيقى، يتتبع باهتمام الحركتين السياسية والأدبية في بلاد العرب خاصة والعالم عامة، يؤيد فكرة الجامعة العربية ويميل إليها.

وظائفه - لم يكد يعود إلى مسقط بعد إتمام دراسته حتى تقلد منصب رئاسة الوزارة ووزارة الداخلية بدلاً من عمه الأمير نادر. فأدارهما بمهارة وظل فيهما حتى تنازل له والده عن السلطنة فبويع بها كما سيأتى بيانه.

علومه - يعرف اللغات العربية والأوردية والإنكليزية، وله إطلاع على العلوم الحديثة، ويطلع الصحف والكتب ويميل إلى الأدب العربي.

زواجه - تزوج بعد عودته إلى مسقط بإحدى الأميرات من قريباته وقد ولدت له ولداً ذكراً ولم يتزوج سواها.

راتبه - يتناول في الوقت الحاضر راتباً قدره ثلاثة آلاف روبية في الشهر بدلاً من سبعة آلاف، وقد خفض هذا التخفيض بسبب سوء الحالة الاقتصادية، ويقال أيضاً إنه باع يخته وسيارته بسبب هذه الضائقة أيضاً.

ويقطن قصور سلاطين البوسعيد القائمة على شاطئ مسقط، وهي سلسلة قصور فخمة، وفيها ينام ويأكل وفيها مكتبته الرسمي، وفيها يستقبل زواره وقاصديه.

وهو ينهض مبكراً فيتوضأ ويصلى ويستحم ويتزين ويفطر ثم يبدأ باستقبال الزوار، ويتناول طعام الغداء في غرفة المائدة من القصر، وهي مؤنثة على الطراز العصري مع حاشيته ورجال حكومته وزواره، ثم يؤدي صلاة الظهر جماعة في مسجد القصر، وبعد ذلك يدخل إلى الجناح الخاص بالحريم فيظل فيه إلى العصر. فيخرج للصلاة، ويؤدي بقية الفروض على هذا المنوال وينام مبكراً.

كيف ارتقي العرش ؟

فى أوائل سنة ١٩٣٠ غادر السلطان تيمور بن فيصل عاصمة بلاده مسقط قاصداً الهند فناب عنه ولى عهده ورئيس وزرائه نجله الأمير سعيد، وفى أواخر سنة ١٩٣١ دار على الألسنة بأنه سيتنازل عن الملك لولده القائم مقامه. وفعلاً أرسل فى أواخر شهر رمضان سنة ١٣٥٠ كتاباً إلى أمراء العائلة السلطانية يقول فيه أنه نظراً لعجزه عن القيام بمهام السلطنة ولاشتداد المرض عليه، ولما أبرزه ولى العهد فى خلال هذ المدة من الكفاءة فى إدارة البلاد فهو يتنازل له عن السلطنة، ويوصيهم به خيراً ويرجو الالتفاف حوله وتأييده وشد عضده والمحافظة على السلطنة، ورعاية المعاهدات التجارية والودية المعقودة مع الدول وخصوصاً مع بريطانيا.

وفى يوم أول شوال سنة ١٣٥٠ وزعت أوراق الدعوة على الكبراء والعلماء والعظماء والموظفين والتجار للاجتماع فى قصر السلطنة يوم ٢ منه فلما جاءوا وقف سمو ولى العهد وقال: قد دعوناكم لسماع الأوامر الشريفة الصادرة من جلالة والدى السلطان تيمور، ثم ناول السكرتير الخاص الكتاب الصادر من والده والموجه إلى أمراء العائلة السلطانية فتلاه، وقد أوردنا خلاصته آنفاً، والناس وقوف، وبعد انتهائه، قال الأمير نادر كبير العائلة السلطانية: سمعنا وأطعنا وردد الحاضرون هذا القول، ثم طلبوا إليه أن يجلس على العرش الذى كان يجلس عليه والده. فجلس فصافحوه مهنئين، وأطلقت المدافع والبنادق ابتهاجاً بما تم وتبدلت الخطب المعتادة، وهو الحادى عشر من عائلة البوسعيد ومؤسسها الإمام السيد أحمد بن سعيد. بويع بالإمامة سنة ١١٦١ فقام بالأمر خير قيام وقاتل الفرس وأجلاهم عن مسقط وغيرها من بلاد عمان. وخلفه نجله السيد سعيد فالسيد سلطان بن أحمد فالسيد سعيد بن سلطان فالسيد ثوينى فالسيد سالم فالسيد عزان فالسيد تركى فالسيد فيصل فالسيد تيمور وهو والده.

عقده

خضعت عمان لحكومة الخلفاء الراشدين منذ ابتدأت الدعوة الإسلامية، وأول عامل وليها هو عمرو بن العاص فاتح مصر، ثم انفصلت إدارياً في أوائل عهد الأمويين، ولما ولي الحجاج العراق جهز الجيوش لإخضاعها فتم له ما أراد، وأغتنم العمانيون فرصة ضعف الدولة الأموية في أواخر عهدها فانفصلوا عنها وبايعوا إماماً منها، فجهز أبو جعفر المنصور قوة قتلت الإمام ومزقت جيشه، وعاد العمانيون إلى الانتقاض في عهد هارون الرشيد فقاتلهم ولم ينل منهم منالاً، وظلت الإمامة في عمان قائمة وقد تقلب عليها كثيرون، وعظم أمر هذه الدولة في القرون الوسطى وحاربت البرتغاليين في القرن السادس عشر حينما أرادوا بسط نفوذهم على الخليج الفارسي، وطردتهم واستولى أسطولها الحربي على شواطئ الهند كما غزا سواحل أفريقية الشرقية، واستولى عليها حتى رأس الرجاء الصالح. وقد بلغ أحد ملوكها الرياض وفتحها.

وضعف أمر هذه الدولة في السنين الأخيرة، بسبب الحروب المتواصلة، وأغتنم الإنكليز الفرصة فتدخلوا في شؤونها محاولين بسط حمايتهم عليها، وفي سنة ١٨٦١ عقدوا أول معاهدة معها، فكانت مقدمة للحماية التي ضربت بعدئذ.

وفي سنة ١٣٣١ عقد السلطان فيصل بن تركي، جد السلطان الحالي معاهدة ثانية معهم، رضى بوضع بلاده تحت الحماية الإنكليزية وبأن لا يعقد معاهدة مع دولة، ولا يهب امتيازاً إلا بعد موافقة الحكومة الإنكليزية مقدماً، وما شاع ذلك حتى عمت الثورة البلاد في جمادى الآخرة سنة ١٣٣١ انتقاضاً على السلطان وحكومته، ف وقعت معارك بين الثوار الذين ألفوا حكومة اتخذت نزوى عاصمة لها، وبين جند حكومة السلطان، وفي أوائل سنة ١٣٣٨ عقد مؤتمر في السيب حضره رجال الحكومتين، فعقد صلح بينهم على بنود أهمها عدم تدخل السلطان في داخلية البلاد، وعدم تدخل أمام عمان في بلاد السلطان.

وأول من بويع بالإمامة في عمان الإمام سالم بن راشد الخروصي، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٣١ هـ على أثر الثورة فقام بالأمر خير قيام حتى اغتاله اعرابى اسمه سيطن ولد التويل الغزازى سنة ١٣٣٨ هـ لأنه أراد إنفاذ حكم عليه، فبايع العمانيون الإمام محمد بن عبدالله الخليلي وهو القائم بالأمر الآن.

وحكومة عمان دينية، شرعية، تسير في أحكامها وسننها سيرة الخلفاء الراشدين؛ ويجتمع أهل الحل والعقد من رجالها عند وفاة الإمام فيختارون من تتوفر فيه الكفاءة والشروط المطلوبة فيقوم بالأمر، والقريشية غير شرط عندهم.

ولم تحدد الحدود نهائياً بين الحكومتين، وإنما هنالك حدود وهمية فحكومة مسقط تملك السواحل، ويبلغ طولها نحو ٤٠٠ كيلو متر، وحكومة عمان تسيطر على الداخل، ولا يتجاوز عرض أراضى الأولى ٤٠ كيلو متراً في بعض الجهات.

نظام الحكم في مسقط وعمان

نظام الحكم في عمان ديني، وحكومتها مستقلة استقلالاً تاماً لاشائبة فيه، ويحيط بالإمام نخبة من العلماء والكبراء يشاورهم في الأمور ويشركهم في إدارة البلاد.

أما في مسقط فهنالك نظام مدني، وتتألف الحكومة من رئيس وزراء يختاره السلطان ويكون مسؤولاً أمامه، ويتقلد بالإضافة إلى الرئاسة وزارتي الداخلية والخارجية. ويتقلد وزارة المالية إنكليزي، يتمتع بنفوذ عظيم في هذه الحكومة العربية المسلمة.

ومما تمتاز به حكومة مسقط وجود قنصل فرنسوى وآخر أميركى يمثلان

حكومتيهما لديها يضاف إليهما قنصل بريطاني، ولا يوجد قناصل أجنبى لدى حكومات الخليج العربية الأخرى.

ولا يوجد قناصل لدى حكومة نزوى العمانية، وقد حدث بين هذه الحكومة وبريطانيا خلاف فى سنة ١٩٢٨ وإليك صورة المذكرة التى أرسلتها تلك الحكومة إلى قنصل إنكلترا فى مسقط يوم ٢٤ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٧ هـ :

«جناب قنصل بريطانيا العظمى فى مسقط:

أما بعد فقد تواترت الأخبار عن مؤامرات ضد سلامة استقلال بلادنا العمانية، وأن شيخ قبيلة بوعلى رفع راية أجنبية على منزله فى قرية العقيقة التابعة لمركز صور معلناً انفصال قبيلة بوعلى عن المملكة العمانية والتحاقها بأجنبى عنها، ولذلك رأينا ضرورة إعلام جنابكم باسم الأمة العمانية بأن الأمة لاتعترف بأى اتفاق خارجى يتعلق بالبلاد مع أى شخص كان، ولا تقبل أية مداخلات أجنبية بأى صورة كانت، وتمزق بسيوفها كل راية محدثة مهما كانت صفتها ولو فى شبر من الأرض فى داخل حدود مملكتها العمانية من ظفار إلى قصر، ومن البحر إلى الربع الخالى، وإنها مستعدة لمحاربة كل من يتوسل إلى ذلك بأى وسيلة كانت مادامت فى أفراد رجالها ذرة من الحياة. لأنها ترى مملكتها جسماً واحداً لا يقبل التجزئة بوجه من الوجوه. فنرجو تبليغ هذا إلى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى لتغرافياً ليكون فى علمها خدمة للسلام وحققاً للدعاء».

الكويت

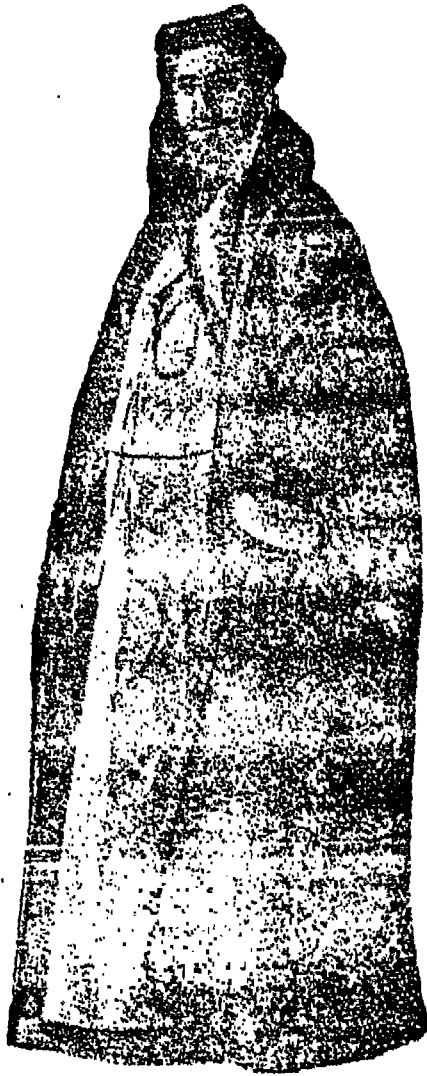
معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

إحدى الإمارات العربية المشمولة بالحماية البريطانية في الخليج الفارسي قائمة بين العراق ونجد وكلاهما طامع في ضمها إلى بلاده، وبينها وبين الأخيرة شقة حياد رسمت سنة ١٩٢٣.

وعاصمتها الكويت، وتعد في مقدمة موانئ الخليج أهمية وعمراناً، وتجاريتها في اللؤلؤ نامية واسعة، والكويتيون مشهورون بالغوص عليه وعدد سكانها ١٢٠ ألفاً عرب سنيون يتدينون على مذهب الإمام مالك، ويمتدحون بأصلهم إلى قبيلة مطير بينهم نحو ٤٠٠٠ زنجي وألف فارسي، ويأتيها تجار من اليهود والهندوس في موسم اللؤلؤ، ويقدر عدد سكان ملحقاتها بأربعين ألفاً، وأشهرها :
الويرة والصبيحة وأم الرءوس.

وليس للكويت جيش نظامي. بل شرطة بلدية للمحافظة على الأمن في داخلها، ويتجند أهلها للدفاع عنها إذا هاجم، مهاجم وكان لها سور يعول عليه في رد غارات العربان فقد أهميته في هذه الأيام.

وشيخ الكويت هو سمو الشيخ أحمد الجابر آل صباح وهذا رسمه :



الشيخ أحمد الجابر (الكويت)

الشيخ أحمد الجابر

شيخ الكويت

مولده ونشأته

هو نجل الشيخ جابر بن الشيخ مبارك آل صباح، ولد في الكويت سنة ١٨٨٠ على الأرجح ونشأ فيها وتعلم القراءة والكتابة في قصر والده.

أوصافه - هو ربعة القامة، حنطى اللون، ممتلئ الجسم، كث الشعر، بهى المنظر، لطيف الحديث، جذاب الملامح.

أخلاقه وثروته - والطف والتواضع من أخلاقه، وهو يحسن مقابلة زائريه ويرضيههم بحديثه، يميل إلى معالجة الأمور باللين والحكمة، بعيد عن العنف وسفك الدماء، بعيد عن الحرمات وتعاطيها، معروف بالميل إلى الاقتصاد، ولديه ثروة كبيرة تقدر بالملايين.

ملابسه - يلبس الملابس العربية، ويضع الصمادة والعقال على رأسه، ويتدثر بالعباءة ويتمنطق بخنجر في وسطه، على عادات أمراء العرب.

آراؤه وعلومه - وهو متأدب واسع الاطلاع يرقب سير الحركة الأدبية والعلمية والسياسية في الشرق العربي عن كثب، ويقرأ الكتب والصحف، ويجالس الأدباء والعلماء، وهو معجب بالمدنية الأوروبية ميال إليها.

ومن الخطة التي سار عليها أن يوافيه إلى قصره في كل مساء أحد شيوخ الدين فيتلو درساً في الفقه أو الحديث والعلوم الإسلامية الأخرى، فيستمع إليه الأمير مع من يكون هنالك من ضيوفه وزواره، ويظل على هذه الحالة حق أذان العشاء.

كيفية يقضي يومه ؟

يقطن الشيخ مع أسرته في قصر دسمان، وهو واقع على ٣ كيلو مترات من الكويت، يطل على خليج فارس، وقد جدد حديثاً وأثنته بالأثاث الفاخر وجهازه بجميع وسائل الراحة الحديثة.

وينتفض سموه مبكراً فيتوضأ ويصلي، ويقرأ ما تيسر من القرآن ويشرب القهوة ويفطر ثم ينتقل بالسيارة إلى قصر الحكم في داخل مدينة الكويت، فيستقبل الزائرين، ويقابل الموظفين وينظر في الرسائل والكتب والشؤون الأخرى حتى الظهر فيتغدى مع من يكون هنالك من الزوار والحاشية، ثم يصلي جماعة في مسجد القصر مع الموجودين ثم يستريح حتى قرب العصر، فيغادر إلى قهوة السوق (قهوة كائنة في وسط سوق الكويت التجاري) وحوله رجال البوليس والحجاب. فيجلس فيها فيلتف الناس حوله فينظر في مصالحيهم وقضاياهم، ويفصل فيها. أي أنه يأتي إلى المتقاضين بدلاً من أن يأتوا إليه، وتلك عادة قديمة من عادات شيوخ الكويت، وبعد أن ينتهي من نظر القضايا، يعود بالسيارة إلى قصره قرب المغرب فيصلي جماعة في مسجد القصر مع من يكون هنالك من الزوار والحجاب والخدم وراء أمام القصر الخاص، ثم يتعشى مع الزوار والحاشية في غرفة المائدة، وهي مؤتة على طراز عصرى حديث، وينتقل مع ضيوفه إلى (مشرب القهوة) وهو بهو خاص (Fimoire) فيشربون القهوة ويسمرون، وينام الشيخ عادة مبكراً.

وقصر دسمان منار بالكهرباء، وفيه مولد للكهرباء مؤلف من جهازين بقوة خمسة أحصنة.

أسفاره - حج للمرة الأولى في سنة ١٣٣٦ أي في عهد الملك الحسين فأكرم وفادته، ودعته الحكومة البريطانية سنة ١٩١٩ على أثر ختام الحرب العظمى وهو ولى للعهد إلى زيارة عاصمتها لندن. فلبى الدعوة وسافر إليها بطريق بمباى

فبلغها في شهر صفر سنة ١٣٣٨ فاهدى إلى ملك الإنكيز حصاناً عربياً وسيفاً
وخنجرأ مذهبين فقبل الإمبراطور هديته شاكرأ.

وزار بعض مدن انكلترا وشاهد المراكز الصناعية فأعجب بها، وبعد ما قضى
مدة في ضيافة الإنكليز عاد إلى مدينته وقد أهدته الحكومة الإنكليزية وسام سى
أى إى.

وقصد الرياض يوم ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٣٩هـ ومعه أحد أنجال الشيخ
خزعل خان لمفاوضة عبدالعزيز السعود بالصلح بعد ما هاجم الإخوان النجديون
الجهرة (الكويت) وقتلوا من أهلها كثيرين، وحاصروا أميرها في قصره، ولم
يخرجهم منها سوى تدخل الإنكليز وتهديدهم بإطلاق النار. ولما اتصل
بعبدالعزیز خبر انتدابه للمفاوضة سر كثيراً لأنه يوده ويعجب بأخلاقه، وقال له
حينما التقيا «أنا سيف مسلول بيدك فاضرب به كما تشاء».

ولم تطل إقامته في الرياض فقد جاءه نعى عمه وانتخابه خلفاً له. فعاد على
عجل إلى الكويت، وفي يوم ١١ رجب سنة ١٣٣٩هـ بويع بالإمارة وارتقى العرش
باحتراف رسمي.

وفي شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ ركب الباخرة البريطانية «جكلام» فأبحرت به
إلى مسقط، ومعه رئيس قناصل الإنكليز في خليج فارس ومندوب من قبل فرقه
الطيران الإنكليزية فزارها كما زار البحرين ودبى، واجتمع بحكامها، وقيل إن
الحكومة البريطانية انتدبت للقيام بهذه الرحلة ومفاوضة هؤلاء الحكام في إنشاء
اتحاد عربى يشمل إمارات الخليج العربية ثم قصد بغداد لهذه الغاية.

وقصد في شهر إبريل سنة ١٩٣٢م الرياض فزار جلالة الملك عبدالعزيز لحل
المشاكل القائمة بين الكويت ونجد وفي مقدمتها مسألة «المسألة» أى الاتجار ولم
يوفق إلى حلها.

وهو يكثر من التردد على البصرة في العراق، ولأل الصباح أملاك كثيرة فيها
وقد زار بغداد زيارة رسمية سنة ١٩٣١.

عقبه

نعى إلى سمو الشيخ أحمد وهو فى نجد عمه الشيخ سالم، فى شهر رجب سنة ١٣٣٩ فعاد على الأثر إلى الكويت وتقلد زمامها.

وهو التاسع من آل صباح الذين تتابعوا على إمارة الكويت وأولهم الشيخ عبدالله الصباح، مؤسس هذا البيت، تولى الحكم سنة ١٧٥٦ م ثم ابنه جابر، فصبح، فعبدالله، فحمد، فمبارك، فجابر، فسالم، وأصلهم من ربيعة، قدم الكويت جدّهم الأعلى (صبح) فى القرن الثامن عشر، وكانت عبارة عن بيوت صغيرة حقيرة لبنى خالد فتديرها، وعمل على إصلاحها فنمت وعظم أمرها، وخلفه ابنه الشيخ عبدالله، وهو أول من حكم رسمياً، فزهرت على يده وتقدمت.

كيف دخلت تحت الحماية ؟

ولقد كانت الكويت بحكم وضعها الجغرافى، ووقوعها بين العراق ونجد، وكانت خاضعتين للحكم العثمانى فى القرن الماضى عثمانية، وكان شيوخها يتمتعون باستقلال داخلى كمعظم شيوخ العرب إذ أبقت الدولة لهم نظمهم وعاداتهم.

ودخلت الكويت تحت الحماية الإنكليزية سنة ١٩١٣ هـ على أثر حادث مؤلم خلاصته أن الشيخ مبارك الصباح، اتفق مع ولده على أن يذبحا الشيخ عبدالله شيخ الكويت وأخاه جراحاً ليتربع الأول مكانه فى دست الإمارة. فذبح مبارك الشيخ، وذبح ابنه أخا الشيخ واستوليا على الحكم فضجت الكويت لهذا الحادث وذهب أبناء القتيل إلى البصرة طالبين من الدولة العثمانية التدخل ومعاقبة عمهم وولده. فأرسلت بارجة من البصرة إلى الكويت تحمل بعض الموظفين مع قوة عسكرية لإبلاغ مبارك أمر الدولة بالسفر إلى الآستانة. فدخل عضواً فى مجلس شورى الدولة، أو يختار الإقامة فى مكان آخر فتجرى عليه الدولة راتباً.

وقبل وصول البارجة كاتب الشيخ مبارك المعتمد الإنكليزي في أبيع شهر طالباً حمايته. فارسل بارجة حربية رست في الكويت ومنعت البارجة العثمانية من القيام بأدنى عمل، وبذلك دخلت الكويت فعلياً تحت الحماية البريطانية.

وعلى أثر هذا الحادث عقد اتفاقاً مع الحكومة الإنكليزية شبيهاً بالاتفاقات الأخرى التي تعقدها مع أمراء اليمن، وقد تعهد فيه بأن لا يكون للكويت علاقات مع حكومة أجنبية مهما كانت، وفي مقابل ذلك تعهد الإنكليز بحماية الكويت من البحر.

وفي يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٠٣ عقد الباب العالي اتفاقاً مع الحكومة البريطانية بواسطة السفير العثماني في لندن تنازلت فيه الدولة عن سيادتها على الكويت والبحرين وبقية جزر الخليج الفارسي، وتعهدت بأن لاتجند سكانها المقيمين في العراق ولا تأخذ من صياديتها رسوماً.

ولما عقدت الحكومة البريطانية معاهدتها الأولى مع أمير نجد يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ جاء في المادة السادسة منها ما نصه :

«يتعهد ابن السعود كما تعهد أبأؤه من قبل بأن يتحاشى الاعتداء على الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان المشمولة بحماية الحكومة البريطانية، ولها صلات عهديه مع الحكومة المذكورة، وأن لايتدخل في شؤونها. وتحدد حدود هذه الأقطار في مابعد».

وكذلك نص في المادة السادسة من المعاهدة التي عقدتها الحكومة البريطانية مع الملك عبدالعزيز آل السعود في جده يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ على حماية الكويت والبحرين فقالت ما نصه «يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية».

خلافها مع نجد

ولابد لنا من الإشارة إلى الجفاء الذى استحكم فى السنوات الماضية بين الكويت ونجد، ومصدره الخلاف على الرسوم الجمركية. فقد طلبت حكومة الرياض من حكومة آل الصباح أن تدفع لها جانباً من دخل جماركها لأن معظم متاجر الكويت تباع فى نجد، ولما رفضت طلبها أصدر ابن السعود أمراً إلى رعاياه بعدم الاتجار معها، وبذلت وسائل كثيرة لحل هذه المشكلة دواً. فلم يتيسر ذلك حتى الآن لتمسك كل حكومة بموقفها. فحكومة الكويت تقول إن ما تجبيه من التجار باسم ضريبة جمركية هو حق من حقوقها، ويقول النجديون إنه لما كانت هذه العروض التى تتقاضى عليها حكومة الكويت الرسوم تباع للنجدين فيجب أن يكون لحكومتهم نصيب منها.

وزاد فى طنبور الخلاف نغمة هجوم الإخوان النجديين المتتابع على أراضي الكويت، وآخرها هجوم قبائل مطير يوم ٣١ يناير سنة ١٩٢٨ على أم الريان بقيادة الشيخ فايد بن سلوان، وذبهم السكان ونهبهم الماشية والأموال. ولما اتصل ذلك بحكومة الكويت جهزت جندها فى ٢٠ سيارة مع مائة فارس وعدد من الهجاة فأدركوا الإخوان فى أم الركبة ودارت بين الفريقين معركة سقطت فيها كثير من القتلى وبينهم ثلاثة من آل صباح: عبدالله آل جابر، وخليفة وعلى آل سلى، وفاز الكويتيون فى النهاية واستردوا المنهوبات.

ولما خرج فيصل الدرويش على ابن السعود فى شتاء ١٩٢٨ م وجهز هذا القوى لمطاردته أرسل فيصل كتاباً إلى شيخ الكويت يرجو السماح له بالمسابقة، ويهدد بالهجوم إذا رفض طلبه. فعقد الشيخ مجلسه فقرر رفض الطلب وإعلان النفير العام والاستعداد للطوارئ.

وعلى أثر ذلك هاجم النجديون الجدى يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ فصدوا

واشتركت السفن الإنكليزية الحربية التى أرسلت إلى الكويت فى الدفاع عنها، وقد سكنت الحالة بعد ذلك، ولم تحدث حوادث وإن كانت المسألة الجمركية لم تحل حتى الآن.

نظام الحكم فى الكويت

الشريعة الإسلامية هى نظام الحكم فى الكويت، والأمير هو مصدر كل سلطة وهو يشرف على أعمال حكومته بنفسه، ومعظم دخل هذه الحكومة من إيرادات الجمارك ومن الضرائب غير المباشرة.

ولحكومة الكويت مجلس شورى ينظر فى شئونهم، ويعقد برئاسة الشيخ وأعضائه كبار البلاد، ورايه استشارى فى الغالب.

وليس لولاية العهد نظام خاص فى الكويت، واندمجوا على أن يتولاها الأكبر فالأكبر من آل الصباح. والقاعدة عندهم أن تتم مبايعة الأمير الجديد بعد وفاة الأمير - باتفاق سابق يتم بين آل صباح ومعتمد الحكومة البريطانية.

ولا يتدخل المعتمد الإنكليزى فى شئون الكويت مباشرة، بل يتصل بالشيخ سراً، ويتجنب الإنكليز جهدهم الظهور على مسرح السياسة الكويتية، عكس موقفهم فى البحرين تماماً.

وقد تم فى عهد الأمير الحالى، إنشاء المكتبة الأهلية والنادى الأدبى وتأسيس كثير من المدارس، وأرسلت الكويت بعثة علمية إلى بغداد لتلقى العلم العراقى مدارسها، وهى الأولى من نوعها.

وفى عهد الأمير أيضاً، انتقل مركز رئاسة الخليج البريطانية من أبى شهر إلى الكويت، ونالت شركة عراقية امتيازاً بإنارة الكويت لكهرباء وشرعت فى العمل.

البحرين

معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها

البحرين، أو جزر أوال، اسم لمجموع جزر متجاورة فى خليج فارس هى المنامة، والمحرق، والرفاع، والحد، والبديع، وهى مشمولة بالحماية البريطانية، شأن جميع الإمارات العربية فى الخليج.

ومساحتها السطحية ٥٥٢ كيلو متراً مربعاً، وعدد سكانها مائتا ألف، أكثرهم من الشيعة العرب. الذين يتبعون على مذهبى الأصولية الشيعية ويشغلون بالزراعة، وسكان المدن عرب سنيون يتدينون على مذهب الإمام مالك، وهناك عدد من الشيعة الإيرانيين والهنود.

وتعد جزر البحرين من مراكز التجارة الكبرى فى خليج فارس، وتصدر منها كميات عظيمة من اللؤلؤ سنوياً إلى الهند وأوروبا وأميركا، كما تعد مركزاً لتجارة نجد يقصدها أهل الحسا والقطيف.

وعاصمتها السياسية المحرق، وفيها قصر الشيخ - وأكبر جزرها المنامة، ويبلغ عدد سكانها ٤٠ ألفاً وهى عاصمة التجارة.

وليس للبحرين قوة عسكرية، وهناك قوة صغيرة للشرطة، وشيخ البحرين هو سمو الخليج أحمد بن الشيخ عيسى آل خليفة.



الشيخ محمد بن عيسى (البحرين)

الشيخ حمد بن عيسى خليفة

شيخ البحرين

مولده ونشأته

ولد في قصر والده في المحرق سنة ١٨٨١ م على الأرجح ونشأ فيه وتعلم القراءة والكتابة، ولا يعرف لغة غير العربية.

أوصافه - هو حنطى اللون، ربة، مكتنز الجسم، كث اللحية، خفيف الروح، غير مقتر ولا مقتصد، ميال إلى البداوة، وتبدو عليه فى حركاته وسكناته.

وهو هادئ، متواضع، مسالم، بعيد عن الضرر والأذى، بعيد عن الحركتين السياسية والأدبية، لا يشغله عن نياقه وصيده شاغل.

راتبه - كانت خزائن البحرين حتى سنة ١٩٢٣ تحت تصرف الشيخ ينفقها كيفما شاء ويتصرف فيها، وتغير الحال بعد ما وضع الإنكليز يدهم على حكومة الجزيرة. فقد خصصوا للشيخ راتباً شهرياً قدره عشرة آلاف روبية، يتناولها شهرياً كما خصصوا رواتب أخرى للمشايخ من آل خليفة، وليس للشيخ ثروة خاصة سوى ماورثه حديثاً من والده المرحوم الشيخ عيسى وقد كان ذا ثروة كبيرة.

أسرته - هو متزوج بإحدى بنات عمه، وله أولاد عديدون وأكبرهم فى الثالثة والعشرين، وهو يتعلم فى بيروت.

كيفية يقضي يومه ؟

خالف الشيخ حمد عادة الشيوخ من آل خليفة، وقد كانوا ينزلون في قصورهم بالبحر، فانتقل إلى المنامة، وأقام في قصر له هنالك مع أسرته وأولاده، وهو يستقبل فيه زائريه.

ويستقيظ من نومه مبكراً، فيتوضأ ويصلي الصبح ويقرأ ما تيسر من القرآن ثم يخرج إلى البهو الخارجى لاستقبال الزائرين ويتناول معهم القهوة العربية.

ولاتوجد غرفة للمائدة في قصر المنامة، بل يأكلون على خوان يمد على الأرض، ويختارون غرفة الطعام بحسب الحاجة، فإذا كان الأكلون كثيرين، اختاروا غرفة كبيرة، وفرشوا الخوان ثم جاءوا بالأرز وفوقه اللحم فيجلس الأكلين ومعهم الشيخ على طول الخوان فيأكلون، وحينما ينتهون يأتي الخدم فيأخذون الأتية ويطوون الخوان. وهذا شأنهم كل يوم، ويختارون غرفة صغيرة إذا كان عدد الأكلين قليلاً، ويتغدى ويتعشى مع من يكون هنالك يومياً من الزوار والحاشية.

ويصلى الظهر جماعة في مسجد القصر، كما يصلى العصر والمغرب والعشاء في أوقاتها وينام مبكراً.

وهو ولوع بصيد الحبارى (طائر معروف في البحرين) فهو يخرج دائماً لصيده مع حاشيته، على هجته وهو كثير العناية بهذه الهجن، كما هو ولوع بالصيد، والصيد سلوته الوحيدة.

زيارته لإنكلترا - في سنة ١٩٢٥م سافر الشيخ حمد إلى إنكلترا مع بعض حاشيته بدعوة من الحكومة الإنكليزية فقصده لندن وقضى فيها مدة شاهد أثارها ومعالمها ولقى حفاوة من الإنكليز ثم عاد إلى بلاده، وقد اعتاد في صباه أن يزور الهند من دون انقطاع لقرب المسافة.

عنه

هو التاسع من آل خليفة، وأولهم الشيخ محمد بن خليفة، فابنه الشيخ خليفة، فابنه الشيخ أحمد، فالشيخ سلمان، فالشيخ عبدالله، فالشيخ محمد، فالشيخ على، فالشيخ عيسى، فالشيخ حمد.

ولى الحكم فى شهر مايو سنة ١٩٢٣م بأمر المعتمد البريطانى، وذلك أن خلافاً نشب بين نجدى وإيرانى من سكان المنامة بسبب ساعة اتهم الأول الآخر بسرقتها. فتعصب لكل منهما أبناء قومه فتشاجروا وتضاربوا، فلما اتصل ذلك بمعتمد إنكلترا السياسى فى بوشهر جاء ببارجتين حربيتين، وطلب من الشيخ عيسى اعتزال الحكم وقد تولاه من سنة ١٨٧١ بحجة ضعفه وبلوغه درجة الشيخوخة فأبى فجمع المعتمد أعيان الجزيرة، وأبلغهم أنه عين الشيخ حمد مكان أبيه وهكذا كان.

وتلا هذا التبدل سلسلة من الإجراءات أفضت إلى انتقال السلطة فعلياً إلى يد ممثل الحكومة البريطانية وختم الشيخ فى يده.

فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة قدم الزيارة (بلدة فى قطر المناوحة لجزر البحرين) من الكويت تاجر اسمه الشيخ محمد بن خليفة أحبه الناس لورعه وبره وكرمه، ولوه أمرهم ورغبوا إليه أن يقيم بينهم فأطاعهم وخلفه ابنه الشيخ خليفة فالشيخ أحمد، ويلقب بالفتاح فقد حارب عامل البحرين الفارسى واسمه الشيخ نصر آل مذكور، واستولى على الجزيرة سنة ١٧٨٢ وأقام عاملاً من قبله ثم عاد إلى الزيارة، ولم يطل به المقام فتوفى وخلفه ابنه سلمان وفى عهده غزا سلطان مسقط البحرين فصالحه ودخل فى طاعته فلم يرق ذلك قومه فكاتبوا أمير نجد (وهو يومئذ الأمير عبدالعزيز الأول) فأرسل جيشاً إلى الزيارة

والبحرين فاحتلها وضمهما إلى نجد، ولما يئس آل خليفة من عدل ابن السعود جهزوا جيشاً حمل على البحرين وطرد السعوديين، ومن ذلك اليوم دخلت في حوزتهم.

وتولي الجزيرة بعد وفاة الشيخ سلمان الشيخ عبدالله ثم خلفه الشيخ محمد وفي عهده هذا دخلت البحرين في حماية الإنجليز علي اثر حروب وقعت بينه وبين خصومه آل خليفة. إذ قبل ما عرضه عليه المعتمد البريطاني في أبى شهر، فعقد معه معاهدة تضمن له سلامة بلاده وترد عنها كل غارة مقابل تنازله عن حقه في تجهيز الجنود والسفن البحرية .

وثار أهل قطر سنة ١٨٦٧م علي حكومة البحرين - وكانوا يتبعونها - فأرسل الشيخ محمد أخاه إلي أبى شهر يطلب النجدة من معتمد إنجلترا السياسى عملاً بالاتفاق المعقود بينهما. كما أخذ يعد عدته للمقاومة فوقعت بينه وبين الثوار معركة دامية نقم عليه المعتمد بسببها. وكان قد سافر إلي قطر حينما وصل هذا علي مركب حربي إلي البحرين فعد سفره نكثاً للعهد، وما نكثه العهد سوى قيامه بالدفاع عن بلاده. فأطلق المدافع علي القلعة فدمرها وطلب من الشيخ علي شقيق الشيخ عبدالله أن يتولي الحكم مكان أخيه الذي سقطت حقوقه بسفره فقبل الشيخ علي ما عرض عليه وتولي الحكم فساء ذلك أخاه فبدأت الحرب بينهما وانتهت بانهزام الشيخ علي وسقوطه قتيلاً، فعاد الشيخ محمد إلي الحكم ولم يلبث طويلاً حتي قبض عليه بعض آل خليفة وسجنوه. فأدي ذلك إلي نشوب فتنة جديدة جاء علي أثرها معتمد الإنجليز السياسى وتولي أمر البحرين بعدما أطلق بضعة مدافع علي المنامة ثم جمع مجلساً من الأهالى واستشارهم فيمن يولي حاكماً فاختروا الشيخ عيسى بن الشيخ علي فنودي به شيخاً علي البحرين.

وكان أول ما فعله الشيخ الجديد هو أنه عقد معاهدة مع الإنجليز يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ هذا نصها:

نحن عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين أتعهد باسمي واسم من سيخلفني من بعدى فى إمارة البحرين أن لا أقدم علي عقد أية معاهدة كانت مع أى دولة كانت لعقد أى اتفاق كان دون الحصول علي رضى وموافقة الدولة البريطانية، وفى الوقت نفسه أتعهد بأن لا أمنح بدون الحصول علي رضى بريطانيا أى امتياز كان لأية دولة كانت بتأسيس قنصليات أو بتأسيس محطات لأخذ الفحم. إن هذا الاتفاق لا يؤثر قط علي المخابرات الحبية الموجودة بين حكومتنا والحكومات المجاورة ولا ينفذ عليها.

وفى يوم ١٣ مارس سنة ١٨٩٢ وقع الشيخ عيسى نفسه العهد الآتى:

نحن شيخ البحرين عيسى بن علي آل خليفة نتعهد رسمياً أمام اللفتنت كولونيل ا. س تالير الموظف السياسى البريطانى فى خليج فارس باسمنا واسم وراثتنا من بعدنا بإتمام الشروط الآتية:

١- أن لا ندخل فى مخابرة واتفاقات مع أية دولة كانت عدا بريطانيا.

٢ - لانسمح بأية صورة من الصور لأى مندوب من مندوبى الدول الأجنبية بالبقاء أو تأسيس علاقات له مع بلادنا دون الحصول علي موافقة بريطانيا .

٣ - نتعهد بعد استثناء الحكومة البريطانية بأن لا نرهن ولا نعطي ولا نبيع أية قطعة من أراضى بلادنا إلي أى كان، ولا نسمح قط بأى صورة كانت لأى أجنبى أن يملك قطعة من بلادنا.

وبعد توقيع هذا الاتفاق عينت إنجلترا لها معتمدا سياسياً لمراقبة أمور الجزر اتخذ المنامة مقراً له، واحتفل برفع العلم البريطانى عليها رسمياً.

وفى ٣٠ إبريل سنة ١٨٩٨ عقد الشيخ عيسى معاهدة ثالثة مع إنجلترا تعهد فيها بأن يمنع إدخال السلاح إلي بلاده أو أن يجعلها مركزاً لتصدير السلاح إلي غيرها من البلاد.

وفى ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٢ بعثت بريطانيا مذكرة إلى حكومة الباب العالي بواسطة سفارتها فى الأستانة هذا نصها:

« لما كانت السفارة البريطانية فى الأستانة قد تلقت تعليمات من وزارة الخارجية بأن جزر البحرين هى تحت مطلق الحماية البريطانية فلى الشرف أن أعرب لدولتكم أن بريطانيا لا تنظر بعين الرضى إلى تدخل الموظفين العثمانيون فى شؤون رعايا تلك الجزيرة» فرد عليها الباب العلى مصرراً على التمسك بحقوق سيادته ومذكراً بكتبه الرسمية إلى الحكومة البريطانية. فأجابته السفارة أن حكومة الهند تعتبر البحرين مستقلة من سنة ١٨٢٠ وأنها بسطت حمايتها على تلك الجزيرة باتفاقات عقدتها معها فى أوقات مختلفة. على أن الترك عادوا فتنازلوا عن مدعياتهم على تلك الجزيرة بموجب معاهدة لندن المعقودة يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩١٣ بينهم وبين إنجلترا فقد جاء فى المادة ١٣ منها ما نصه:

« تتعهد الدولة العلية العثمانية بالتنازل عن سائر حقوقها فى جزر البحرين مع جزيرتى لبنان الأعلى ولبنان الأدنى وتعترف باستقلال البحرين وتصدق عليه.

« وتعلن الحكومة البريطانية أنه ليس فى نيتها قط إلحاق جزر البحرين بممتلكاتها»

ولما عقدت معاهدة جدة يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م بين الحكومتين الإنجليزية والحجازية، وتعهد ابن السعود فى المادة السادسة منها بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين أرسلت الحكومة الإيرانية فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٧ مذكرة إلى جمعية الأمم تحتج على هذه المادة مدعية أن البحرين من الأملاك الفارسية، وأنها تعد هذا الاتفاق خرقاً لسيادة إيران فردت عليها إنجلترا بمذكرة مؤرخة فى ٢٩ نوفمبر سلمتها إلى سفير إيران فى لندن قالت فيها إن بريطانيا لا تعرف أى أساس يصح أن تبنى عليه إيران دعواها بالسيادة على هذه

الجزر. فهي ليست جزءاً من إيران من الوجهة الجغرافية وليست مأهولة بأناس من عنصر إيراني. علي أن الحكومة البريطانية تعلم أن الجنود الإيرانيين وأتباع الزعماء أغاروا مرة خلال القرن السابع عشر، وفي خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر علي جزائر البحرين، واحتلوها ولكن القبائل العربية أغارت عليها حوالي سنة ١٧٨٣ بقيادة الزعيم الذي تحدر منه شيخها الحالي وانتزعتها من حكومة الشاه، ومن ذلك الحين لم تقع قط تحت سلطنة إيران الفعلية.

نظام الحكم في البحرين

الشريعة الإسلامية هي نظام الحكم في البحرين. ينفذها الشيخ صاحب الحكم ، هكذا كانت الحالة حتي شهر مايو سنة ١٩٢٣ أما بعد ذلك فقد انتقل الحكم إلي يد المعتمد البريطاني فعلاً لا اسماً.

وفي البحرين اليوم ثلاثة مجالس: الأول يحضره الشيخ والمعتمد البريطاني ويفصل في المسائل الخطيرة. ولأسيما في ماله علاقة بالأجانب، والأجانب هم العرب من أبناء الأقطار العربية وبعض الفرس وجميعهم مسلمون، والثاني هو المجلس العرفي أي المجلس الذي يحل الاختلافات والدعاوى بموجب العرف والعادة. ويتألف من ٨ أعضاء: أربعة منهم يختارهم الشيخ من العرب، وأربعة يختارهم المعتمد الإنجليزي من العرب الأجانب. والمجلس الثالث هو المجلس البلدي، ويتألف من ٢٠ عضواً ينتخب الأهليون نصفهم، وينتخب الشيخ النصف الآخر وينظر في الشؤون المحلية.

وتبلغ قوة الشرطة في الجزيرة ٥٠ جندياً لحفظ الأمن وتنفيذ أوامر المحاكم وهناك قوة أخرى تسمى الليفي وعددها ١٥٠ جندياً بقيادة ضابط بريطاني وهي تابعة للمعتمد مباشرة.

ملحق خاص
جلالة الملك غازي الأول
ملك العراق

فجع العرب ونحن نعد الجزء الثانى
من كتابنا بوفاة جلالة الملك فيصل الأول
مؤسس النهضة العربية، وانتقال العرش
إلى جلالة الملك غازى الأول، فأعدنا هذا
الملحق خاصاً بجلالته، وهذا رسمه:



جلالة الملك غازي الأول بن فيصل (ملك العراق)

جلالة الملك غازي الأول بن فيصل

ملك العراق

مولده ونشأته

ولد في مكة في شهر مارس سنة ١٩١٢ وكان جلالته المغفور له والده يقود حملة أبيها لتأديب السيد محمد علي الإدريسي الثائر في عسير علي الدولة العثمانية. فسمي «غازي» تيمناً بغزو أبيه، ووالدته الملكة حزيمة كريمة الشريف ناصر باشا بن علي، ويتصل نسبه من ناحية الأبوين بالنبي محمد بن عبد الله القرشي العدناني. فهو غازي بن فيصل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي ندى بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن علي بن عجلان بن رميثة ابن أبي ندى بن حسن بن علي بن قتادة (أول الأمراء في مكة) بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسي بن عبد الله بن محمد الثائر بن يونس بن عبد الله بن موسي الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

ونشأ في حجر والدته تحت رعاية جده المغفور له الحسين بن علي ملك الحجاز لغياب والده زمن طفولته عن مكة، يعالج الأحداث التي تتالت علي بلاد العرب، فمن إعلان الحرب العظمي إلي إعلان الثورة العربية وإعدادها إلي تجهيز الجيوش وسوقها إلي إنشاء دولة دمشق إلي السفر لحضور مؤتمر الصلح إلي معركة ميسلون إلي لندن فالحجاز فبغداد وفيها حظ رحاله، وأنشأ هذا الملك الضخم وكونه في أحسن تكوين .

وتولي الشيخ ياسين البسيوني، إمام الملك الحسين الخاص، إقراءه القرآن في

داخل القصر وتعليمه القراءة والكتابة، ثم جئ له بالسيد حسن العلوي فدرسه قواعد اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامى .

وزار الأمير عبد الله الحجاز فى صيف سنة ١٩٢٣ لأداء فريضة الحج وصلة الرحم، وعاد بالباخرة رضوي الحجازية فركبها من جدة إلى العقبة، فصحبه الأمير غازى ابن أخيه، وهى المرة الأولى التى يغادر فيها الحجاز، وكان فى الحادية عشرة من سنيه، ولما بلغا عمان يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٣ استقبله وفد عراقى يتألف من صفوة باشا العوا وحسين بك السعدون ، وعبد الله بن مسفر، ورافقه إلى بغداد بطريق دمشق فاستقبل استقبالاً رسمياً، ووضع من ذاك اليوم تحت إشراف المغفور له والده مباشرة، فقد تولي بنفسه اختيار المعلمين الأساتذة له، وأنشأه نشأه صالحة، وأنبت نباتاً حسناً، وأعد له هذا العمل الخطير، والمنصب الكبير. أما جلالة الملكة والدته وصاحبات السمو الأميرات شقيقاته فقد وفدن إلى العراق بعد ذلك بسنة تقريباً، فغادرن الحجاز إلى بغداد علي أثر الغزوة النجدية (سبتمبر سنة ١٩٢٤).

وتولت المسز قلى الإنجليزية مهمة تربيته وتدرسه اللغة الإنجليزية فكانت تصحبه فى غدواته وروحاته ، وفى شهر إبريل سنة ١٩٢٦ غادر بغداد بطريق عمان ومعه تحسين بك قدرى فجاء القاهرة وقضى فيها يومين ضيقاً علي المندوب السامى البريطانى (اللورد جورج لويد) فى داره بقصر الدوبارة، ثم ركب البحر إلى إنجلترا فدخل كلية هارو وقضى فيها سنتين ونصف سنة تقريباً وفى أواسط شهر أكتوبر سنة ١٩٢٨ غادرها بحراً إلى الأسكندرية فوصلها يوم الثلاثاء ٢٣ منه. فاستقبل فيها بالحفاوة اللائقة ونزل فى فندق سان استفسانو وأدب له المندوب السامى البريطانى فى المساء مأدبة عشاء، كما أدب له بعد ظهر الأربعاء محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية يومئذ مأدبة غداء فى الأسكندرية شهدها الوزراء والكبراء، ثم جاء القاهرة فى الغداة فبات فى دار القنصلية العراقية

وركب الطائرة إلى بغداد فاستقبل فيها بالحفاوة الفائقة، وأدخل علي الأثر طالباً في المدرسة الحربية.

وقد صحبه مدة إقامته في إنجلترا الأستاذ الشيخ كاظم الدجيلي، قنصل العراق اليوم في المحمرة لتدريسه اللغة العربية، وبمناسبة مروره بالقاهرة وما لقيه من حفاوة أرسل المرحوم عبد المحسن السعدون رئيس الوزارة العراقية يومئذ الكتاب الآتي إلي محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية قال:

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس وزراء المملكة المصرية
بالقاهرة

يا صاحب الدولة

بلغ حضرة صاحب الجلالة ملك العراق ما لاقاه ولي عهده سمو الأمير غازي خلال مروره بعاصمة المملكة المصرية في طريقه إلي بغداد من العناية التي خصه بها حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول، وما أظهرتموه دولتكم نحو سموه من اللطف فسر جلالته لذلك، وأعرب عن تقديره لهذا العطف السامي الذي تجلت فيه روح المودة والصداقة بين المملكتين بأجلي مظاهرها .

إن الأمة العراقية تحفظ في قلبها أجمل العواطف نحو مصر، ولاشك في أن الأمة المصرية تشعر بنفس هذا الشعور، وقد جاءت الحفاوة التي لاقاها الأمير غازي دليلاً ساطعاً علي هذا الشعور المتقابل. وإنني أنتهز هذه الفرصة الحسنة فأقدم إلي دولتكم باسمي وبالنسبة عن الحكومة العراقية أخلص عبارات الشكر والامتنان راجياً لوادي النيل العز والرفاه وتفضلوا يا صاحب الدولة بقبول فائق احترامي.

١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨

المخلص

عبد المحسن السعدون

رئيس وزراء العراق

فأجابه بالرد الآتى:

حضرة صاحب السعادة عبد المحسن باشا السعدون رئيس وزراء المملكة
العراقية ببغداد:

لقد تشرفت بتسلم كتاب سعادتك المؤرخ ١٤ تشرين الثانى سنة ١٩٢٨ والذى
تفضلتكم فيه بتوجيه الشكر إلى الحكومة المصرية فى شخصى للحفاوة التى
قوبل بها ولى عهد حضرة صاحب الجلالة ملك العراق عند مروره بمصر عائداً
إلى بغداد، مما كان له أطيّب الأثر فى نفس حضرة صاحب الجلالة والده الكريم،
وقد كانت الحكومة المصرية مدفوعة بما قامت به بواجب التحية والضيافة لأمير
كريم تربط بلادنا ببلاده أمتن روابط المودة والصداقة. وإنى شخصياً وبصفتى
رئيساً للحكومة المصرية لسعيد جداً بالفرصة التى أتاحتها زيارة سمو الأمير
غازى لبيان ما انطوت عليه جوانح أمتنا من أرق العواطف وأصدق الأمانى
إحداهما للأخري. كما إنى أغتنم الفرصة لاشكر لسعادتك وللحكومة العراقية
جميل تمنياتكم لبلادنا العزيزة وما تفضلتم بإسدائه إلى من شكر. متمنياً
أصدق التمنيات وأعذبها لخير المملكة العراقية وسعادة شعبها الكريم. وتفضلوا
يا صاحب السعادة بقبول فائق الاحترام .

القاهرة فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨

رئيس مجلس الوزراء

محمد محمود

وأصدر المغمور له والده تعليمات خاصة إلى مدير المدرسة الحربية بأن لا يميزه
فى معاملة، ولا يفرق بينه وبين زملائه، وكان زائر المدرسة يجد قطعة تعلق
سريره الخاص كتب عليها « الشريف غازى بن فيصل » مجردة من لقب الإمارة.
وأتّم دروسه العسكرية وتخرج برتبة ملازم ثان فى الجيش العراقى فى شهر

يوليو سنة ١٩٣٢ م وغادر المدرسة مودعاً من زملائه وتاركاً بينهم أطيب الذكريات، وقد كان يشترك معهم فى المناورات والتمرينات، ويقوم بعمله اليومى فينظف سلاحه ويرتب فراشه بنفسه كبقية زملائه الطلاب، وعلي أفضل منوال.

والحقه والده بعد ذلك بهيئة المرافقين العسكريين (ياوران) فى البلاط الملكى فكان يعمل فى غرفتهم، وإذا دخلوا علي والده لتهنئته بعيد أو موسم يدخل فى آخرهم عملاً بقاعدة القدم فى الجندية. وكان يحضر مآدب البلاط الرسمية بدعوة والده، ويشترك فيما يدور علي المائدة من أحاديث.

وقام مقام المغفور له والده فى أعمال التاج حينما غادر بغداد يوم ٥ يونيو سنة ١٩٣٣ الزيارة إنجلترا تلبية لدعوة الملك جورج، وحلف اليمين الدستورية أمام مجلس النواب، ثم تولاهما ثانية حينما غادر بغداد يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٣ إلي برن، وقد وافته منيته فى تلك الرحلة فخلفه علي العرش يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ و ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ هـ والمرجو أن يكون خير خلف لأفضل سلف.

كيفية يقضي يومه ؟

نشأ جلالة نشأة عسكرية. فهو ينام مبكراً وينهض مبكراً، يستيقظ عادة بين الساعة الرابعة والخامسة فيستحم ويتوضأ ويصلى ثم يتزين ويفطر، ويتألف فطوره عادة من الفواكه والبوريج والدجاج المشوى والبيض ويشرب الشاي، فإذا كان الفصل صيفاً، ركب جواده ومعه ياوره وخرج يتريض مدة ساعة أو أكثر فى الحقول، ثم يعود بعدها إلى البلاط الملكى . وقد اعتاد قبل أن يلى العرش خلال فصل الربيع الماضى أن يدخل على المغفور له والده فى مكتبه الخاص بالبلاط الملكى ، فيتلو بين يديه فصلاً من كتاب عصر المأمون تأليف الدكتور أحمد فريد الرفاعى، ثم يلخصه شفاهاً ثم كتابة، وكانت هذه العملية تستغرق ساعة على الأقل كل يوم ، وفى اختيار هذا الكتاب للمطالعة مغزى لا يخفى .

وينام جلالتة فى قصر الحريم، إلى غربى دجلة، وتقطنه جلالة الملكة والدته وصاحبات السمو شقيقاته الأميرات، وفيه يتغدى ويتعشى، ويسير على غرار المغفور له والده فيأتى البلاط الملكى فى الساعة السابعة كل صباح، ويظل حتى الساعة الواحدة بعد الظهر، ثم يخرج بسيارته فيقصد قصر الحريم لطعام فيأكل فى قاعة المائدة مع الذين يدعوه ثم يستريح حتى الأصيل. وهو يدخن قليلاً.

ولجلالته ولع زائد بالألعاب الرياضية، وهو يجيد لعب التنس وكرة القدم والقفز والبولو والكروكيت. كما يجيد ركوب الخيل ، وهو كثير العناية بخيوله ويقود سيارته بنفسه، وكثيراً ما ساقها بمعدل ١٢٠ كيلو متراً فى الساعة، كما هو مغرم بالصيد أيضاً، وقد كان إبان دراسته فى المدرسة الحربية يغتئم فرصة عطلة يوم الجمعة فيخرج مبكراً للصيد، ويعود بعد الظهر فيستحم ويتغدى، ومن عاداته أن يشرب الشاي بعد كل طعام على الطريقة الحجازية ثم يرجع إلى المدرسة.

وله ميل إلى الطيران وقد اقترح علي المغفور له والده أن يسمح له بتعلمه فقال له: نحن ملك الأمة لأمك أنفسنا

أوصافه - هو حنطى اللون، ممشوق القامة. منتصبها، أشهل العينين، جذاب الملامح، حليق الذقن، قوى البنية، مفتول العضل، تقرأ البسالة والإقدام فى تقاطيع وجهه، وتشع عيناه ذكاء.

ملابسه - يتأنق كثيراً فى ملابسه وفى هندامه، ويبدو فى أحسن الحلل وأتقنها، وهو يلبس الملابس الملكية فى الأوقات الخاصة، ولباسه المعتاد هو اللباس العسكرى ولم يظهر حتى الآن فى الملابس العربية.

أخلاقه - هو كثير التواضع، جم الحياء، يميل إلى البساطة وهو كثير العطف علي إخوانه وأصدقائه شديد الحذب عليهم، وقد كان وهو صاحب ولاية العهد يدعو زملاءه فى المدرسة وأصدقاءه إلى شرب الشاي، أو إلى العشاء معه، بدون انقطاع، ومن أظهر صفاته الكرم والسخاء والحنو، ويروي الناس فى بغداد عن كرمه روايات عديدة. ومما يقولونه أن صحفياً قصد البلاط يوماً يطلب مساعدة، ثم خرج مغاضباً لأنه لم ينل شيئاً. فالتقى به الأمير فى الطريق وسأله عن خطبه فقص عليه قصته فقال له انتظر، ثم ذهب إلى غرفته وجاء بعشرين ديناراً وهى كل ما كان يملكه وصرفه مسروراً.

وقصد الموصل يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٩٣٣ لاستعراض الجيش واغتتم الفرصة فزار المستشفى العسكرى، وتفقد الجرحى الذين كانوا يعالجون فيه (جرحى ثورة الأشوريين) وأهدى لكل واحد منهم ديناراً فى منديل من حرير تقديراً لبسالته.

ولما حلت الكارثة العظمى بفقد المغفور له والده أصدر أمره إلى ناظر خزينته الخاصة بإطعام الفقراء فى جميع أنحاء العراق صدقة علي روح والده ساكن الجنان، فنفذ أمره.

خطبته - احتفل فى بغداد يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ بعقد قرانه علي الأميرة عالية كريمة عمه الملك على بن الحسين وتولي صيغة العقد الشيخ

يوسف عطا مفتى بغداد، وتزف إليه في شهر نوفمبر المقبل. وقد جرت الخطبة عملاً بوصية المرحوم والده.

أسفاره - زار خلال إقامته في إنجلترا للدراسة سويسرا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وقصد الأندلس فوقف على أطلال الحمراء وغرناطة وقفة أثرت في نفسه وتركت أبلغ العظات، وجعلته يكثر من الكلام عن الأندلس ومجد العرب وماضيهم العظيم وضرورة إحيائه. وزار مصر والقدس والشام ويطوف العراق بلا انقطاع باحثاً في شؤونه مجتمعاً إلى رجاله .

وهو كثير العناية بشؤون بلاد العرب، وخاصة بشؤون سورية ويحبها ويعد زعيم أنصار الوحدة العربية، ومن أشد دعاة السياسة القومية.

وكذلك فهو من أنصار الإصلاح والتجديد ومن الميالين إلى التقدم ، كما أنه جريء مقدام، ولما حدثت ثورة الآشوريين في العراق (شهر يوليو سنة ١٩٣٢) وكان يقوم بأعباء العرش، وتناقلت الألسنة أن بعض الموظفين الإنجليز في العراق، يؤيدون هؤلاء ويعطفون عليهم، زار دار السفارة البريطانية وقابل القائم بأعمالها وقال له ما معناه: «أريد بياناً عى مصدر الأسلحة والوثائق التي صادرها الجيش عند الآشوريين وإعلامى عن سر تأييد بعض الموظفين البريطانيين لهؤلاء

- ليذكر سمو الأمير أن جلالة والده لا يخاطبني بمثل هذه اللهجة.

- لست مسؤولاً عن والدى، وأنا الآن نائبه ومسؤول عن حالة المملكة في غيابه، وقد حدث هذا الحادث في زمنى وأنا المسؤول عنه، ثم قطع الحديث وانصرف

وقد كان لهذه الحادثة صدى كبير في نفوس العراقيين الذين أعجبوا بموقف أميرهم وشهامته ومضاء عزيمته

أساتذته - تولى تدريس العلوم العسكرية الفريق طه باشا الهاشمى، ودرس اللغة العربية وأدبها والتاريخ والجغرافية والعلوم الأخرى على أساتذة كانوا يزورونه يومياً في قصره. منهم الدكتور فاضل الجمالى ومنير القاضى وأحمد المناصفى وكاظم الدجيلى وعز الدين آل علم الدين.

كيف ارتقي العرش؟

فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة من ليلة الجمعة ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ فاضت روح جلالة الملك فيصل إلى باريها فى فندق بلفى من برن (سويسرا) حيث كان يستشفى على أثر نوبة قلبية لم تمهله، فأرسل على الفور نورى باشا السعيد وزير الخارجية ورستم بك حيدر وزير الاقتصاد، وكانا فى معية جلالته البرقية الآتية إلى رئيس الوزراء فى بغداد:

«فجعت الأمة اليوم عند منتصف الليل بوفاة سيدها وحبيبها جلالة الملك فيصل إثر نوبة قلبية (تصلب الشرايين القلبية والذبة الصدرية) كان الله بعون الجميع على هذا المصاب الجلل».

وفى الساعة الثامنة من صباح الجمعة قصد رئيس الوزراء الاستاذ رشيد عالى الكيلانى وياسين باشا الهاشمى وزير المالية وجلال بك بابان وزير الدفاع والسيد عبدالمهدى وزير المعارف وجميل بك المدفعى رئيس مجلس النواب والفريق طه باشا الهاشمى رئيس أركان حرب الجيش إلى قصر الحريم فقابلوا الامير غازى وكان يذرف الدمع سخيئاً فعزوه، ثم طلبوا إليه ان يقسم اليمين الدستورية، وبعد ما أقسمها أعلن رئيس الوزراء تتويجه ملكاً على العراق، وأطلقت حينئذ المدافع (مائة طلقة وطلقة) إيدانا بجلوس الملك الجديد ثم أذيع البلاغ الرسمى الآتى:

جرى تحليف سمو ولى العهد فى الساعة ١٠ من هذا اليوم (١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ و٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٣ وفقاً للمادة الحادية والعشرين من القانون الأساسى (الدستور) وأصبح متوجاً ملكاً على العراق باسم الملك غازى الأول بن الملك فيصل الأول.

وبعد ظهر ذلك اليوم سار جلالته من قصر الحريم إلى البلاط الملكى بموكب

رسمى وقف فى قاعة المراسم ومن ورائه الوزراء فدخل كبار القوم عليه صفاً
صفاً يهنئونه ومروا من امامه مروراً.

وعملاً بأحكام الدستور دعى البرلمان العراقى إلى الاجتماع وضرب يوم
الاثنين ١١ سبتمبر موعداً له ليقسم جلالة الملك اليمين الدستورية بحضوره
وعقد فى الوقت المضروب فقصده جلالته واقسم اليمين^(١).

(١) هذا نص المادة ١٩ من الدستور العراقى الخاص باليمين: يقسم الملك امام مجلس النواب
والأعيان يمين المحافظة على الدستور واستقلال البلاد والإخلاص للوطن.

عهدنا

ما كادت بيعة جلاله الملك غازى الأول تتم ويجلس على عرش والده، حتي رفع إليه رئيس الوزارة العراقية الكتاب الآتى:

إلي أعتاب صاحب الجلالة الملك المعظم

بناء علي تبوء جلالته عرش المملكة العراقية باليمن والإقبال أئتشراف بأن أرفع إلي سدتكم الملكية استقالتي من رئاسة الوزارة راجياً من الله عز وجل أن يؤيد جلالته بتوفيقاته الصمدانية ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٣

رشيد عالي الكيلاني

فرد جلالته بكتاب وجه فيه رئاسة الوزارة إلي الرئيس نفسه، وهذا نصه: وزيرى الأفخم رشيد عالي:

نظراً إلي استقالته من رئاسة الوزارة ونظراً إلي اعتمادنا علي درايتكم وإخلاصكم فقد عهدنا إليكم برئاسة الوزارة الجديدة علي أن تنتخبوا زملاءكم وتعرضوا أسماءهم علينا والله ولى التوفيق.

وأعيد فى اليوم نفسه تأليف الوزارة بلا تغيير ولا تبديل.

وفى يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣ وصلت رفات جلاله الملك فيصل من سويسرا محمولة علي متن الهواء فاحتفل بدفنها احتفالاً لم تعرف بغداد له مثيلاً فى تاريخها، وعلي أثر ذلك أصدر جلاله الملك غازى إلي أبناء أمته هذا البيان وهو أول بيان يصدره:

أن عواطف الإخلاص والمحبة التى انبعثت من قلوب أبناء أمتى علي أثر الكارثة العظمي التى حلت بالبلاد بفقد قائدها وبانى كيانه جلاله والدى المعظم - تغمده الله برحمته - كان لها أعمق أثر فى نفسى، وكانت أكبر سلوى فى مصابى ولا

شك في أنها كانت دليلاً علي تقدير الجميع للأعمال الخالدة التي نهض بها والتضحيات العديدة - وأخراها حياته الغالية - التي بذلها في سبيل أمته وإعلاء شأنها. والآن وقد ودعناه والأسى ملء القلوب. فقد أضحي من واجبنا نحن الذين شاءت الأقدار أن نبقي بعده أن نستترشد دائماً بتلك السياسة الحكيمة التي كان هدفها الأسمى السير بالملكة إلي أوج التقدم والعمران والمنعة وأن نتخذ من مثاله الأعلى مثلاً عالياً في التفاني في خدمة الأمة التي أحبها فوق كل شيء وخدمها بكل قواه وودعها الوداع الأبدي وهو مرتاح لأنه قام بواجبه. والواجب - أي واجبنا جميعاً الذي أمرنا به هو أن نتمسك بالقوة والاتحاد ونجعل من وصيته هذه الأخيرة منهاجاً نسير عليه في مستقبل أيامنا وفي هذه الساعة التي يجيش قلبي فيها بالآلام والفراق ويشكر الأمة علي عواطفها الصادقة المؤسسة. يحق لي أن أنتظر من أبناء شعبي أن يؤازروني بكل قواهم كما أزرؤا والدي في جهاده، وأن يساعدوني علي النهوض بالمسؤولية العظمي التي ألقها القدرة الإلهية علي، وذلك ببذل كل ما في وسعنا في سبيل تحقيق أمانيه السامية.

هذا وإنني باسمي واسم صاحبة الجلالة الوالدة، وباسم الأسرة الهاشمية أكرر ثنائى وشكرى إلي أبناء أمتى، وأرجو لهم جميعاً صبراً جميلاً ورفاهاً شاملاً

غازى.

ولقد بايع أهل فلسطين وسورية جلالته ملكاً عليهم ، بصفته وارث أبيه الذي بايعه السوريون والفلسطينيون بيعة شرعية صحيحة يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٠ يعدونها قائمة، ويرون أنها قد انتقلت إليه بطريق الإرث الشرعى، ويلقبونه بملك العرب، ويعلقون الأمال عليه.

مصادر هذا الكتاب

اسم الكتاب	اسم مؤلفه	لغته
جلالة الملك فؤاد	كريم ثابت	عربى
ملوك العرب	أمين الريحانى	عربى
نفحة اليمن	عبد الواسع الواسعى	عربى
هدية الزمن	أحمد فضل العدلى	عربى
رحلة إلى الثغرين	محمد بن هاشم العلوى	عربى
مذكرات الدكتور شهبندر		
الدكتور عبد الرحمن شهبندر		
	(لم تنشر)	عربى
بهلوى	نويخت	فارسى
سالنامه أفغانستان	حكومة أفغانستان	فارسى
أفغانستان الجديدة	حكومة أفغانستان	فرنسى
Nouveau Afganstan		
دليل العالم الإسلامى	ماسنيون	L . Massigonn
Annuaire Monde Musuleman		
فرنسى		
دائرة المعارف البريطانية		
Encycloepodia Britanica		
نوسال	قناعت كتبخانه سى	تركى
سيرة مصطفى كمال	أمين محمد سعيد	عربى

مذكرات مصطفى كمال عبد العزيز الخاني (ترجمة) تركي
مذكرات الأستاذ الثعالبي عبد العزيز الثعالبي (لم تنشر) عربي
القول الحق في تاريخ سورية ولبنان والعراق نزيه المؤيد العظم (ترجمة)
إنجليزي تأليف: ج. دي. ف. لودر
فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى محمد المكي الناصري
عربي
مجالات المقتطف، كل شيء، المنهاج، الشرق الأدنى

فهرست الجزء الأول

١	مقدمة الدكتور شهبندر
٥	ما هو هذا الكتاب؟
١	مصر - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٣	رسم جلالة الملك أحمد فؤاد
٥	مولده ونشأته
١٠	كيف يقضى يومه؟
٢٤	كيف ارتقى العرش؟
٢٨	عهده - تاريخ مصر السياسى الحديث
٥٧	جلالة الملك والحركة الوطنية
٥٩	نظام الحكم فى مصر
٦١	علاقات مصر مع الدول الإسلامية والغربية
٦٧	العراق - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٧١	رسم جلالة الملك فيصل
٧٣	مولده ونشأته
٨٢	كيف يقضى يومه
٨٩	عهده - تاريخ العراق السياسى الحديث
٩٢	الثورة العراقية
١٢٠	نظام الحكم فى العراق
١٢١	علاقاته الدولية والسياسية ومعاهداته
١٢٩	بلاد العرب السعودية - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
١٣١	رسم الملك عبد العزيز السعود
١٣٣	مولده ونشأته
١٣٩	كيف يقضى يومه؟
١٤٨	عهده - تاريخ نجد السياسى الحديث
١٦٠	نظام الحكم فى المملكة العربية السعودية

الموضوع	الصفحة
علاقاتها السياسية مع الدول الغربية والشرقية	١٦٦
اليمن - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها	١٩١
رسم تقريري لإمام اليمن	١٩٣
مولده ونشأته	١٩٥
كيف يقضى يومه ؟	٢٠٩
عهده - موجز تاريخ اليمن السياسي الحديث	٢٢٥
نظام الحكم في اليمن	٢٢٦
نظام ولاية العهد في اليمن	٢٢٨
علاقاتها الدولية والسياسية	٢٢٨
تركيا - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها	٢٣٩
رسم الغازي مصطفى كمال	٢٤١
مولده ونشأته	٢٤٣
كيف يقضى يومه ؟	٢٥٢
عهده - تاريخ تركيا السياسي الحديث	٢٦٩
نظام الحكم في تركيا	٢٧٥
معاهداتها السياسية والدولية	٢٧٧
إيران - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها	٢٨٣
رسم الشاه رضا بهلوي خان	٢٨٥
مولده ونشأته	٢٨٧
كيف يقضى يومه ؟	٢٩٢
كيف ارتقي العرش ؟	٢٩٧
عهده - تاريخ إيران السياسي الحديث	٣٠٠
نظام الحكم في إيران	٣١٠
علاقاتها السياسية والدولية	٣١١
أفغانستان - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها	٣١٣

الموضوع	الصفحة
رسم الشاه محمد نادر خان ..	٣١٥
مولده ونشأته	٣١٧
كيف يقضى يومه ؟	٣١٩
كيف ارتقى العرش ؟	٣٢١
عهده - تاريخ أفغانستان السياسى الحديث	٣٢٦
نظام الحكم فى أفغانستان	٣٣١
علاقاتها السياسية والدولية	٣٣٢
سورية - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها	٣٣٣
رسم محمد على العابد	٣٣٥
مولده ونشأته	٣٣٧
كيف يقضى يومه ؟	٣٤٠
كيف أعدت الثورة السورية ؟	٣٤١
نظام الحكم فى سورية	٣٥٠
عهده - حبوط مشروع المعاهدة	٣٥١
الميثاق الوطنى السورى	٣٥٢
صك الانتداب الفرنسى لسوريا	٣٥٣
شرقى الأردن - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها	٣٦١
رسم الأمير عبد الله	٣٦٣
مولده ونشأته	٣٦٥
كيف يقضى يومه ؟	٣٦٩
عهده - كيف تأسست إمارته ؟	٣٧٤
نظام الحكم فى شرقى الأردن	٣٨٨
الحركة الوطنية فى شرقى الأردن	٣٨٩
معركة طربة بين الأمير عبد الله وابن السعود	٣٩٢
معاهدة سايكس - بيكو	٤٠٤

الصفحة	الموضوع
٤٠٧	حيدر آباد - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٤٠٩	رسم صاحب السمو عثمان خان
٤١١	مولده ونشأته
٤١٤	كيف يقضى يومه ؟
٤١٥	كيف ارتقى العرش ؟
٤١٦	عهده
٤١٧	نظام الحكم فى حيد آباد
٤٢٠	ألبانيا - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٤٢٣	رسم أحمد زوغو ملك ألبانيا
٤٢٥	مولده ونشأته
٤٢٧	كيف يقضى يومه ؟
٤٢٩	عهده - موجز تاريخ ألبانيا الحديث
٤٣٣	نظام الحكم فى ألبانيا
٤٣٤	المغرب الأقصى - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنه
٤٣٧	رسم محمد بن يوسف سلطان المغرب
٤٣٩	مولده ونشأته
٤٤٠	كيف يقضى يومه ؟
٤٤١	كيف ارتقى العرش ؟
٤٤٢	عهده - موجز عن تاريخ المغرب السياسى
٤٤٩	نظام الحكم فى المغرب الأقصى
٤٥١	تونس - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٤٥٣	رسم أحمد الباي
٤٥٥	مولده ونشأته
٤٥٧	عهده - كيف استعمر الفرنسيون تونس ؟
٤٦٢	الحركة الوطنية فى تونس

الصفحة	الموضوع
٤٦٥	نظام الحكم فى تونس
٤٦٨	لحج - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٤٧١	رسم عبد الكريم الفضل
٤٧٣	مولده ونشأته
٤٧٥	كيف يقضى يومه ؟
٤٧٦	عهده
٤٧٧	كيف دخلت لحج تحت الحماية البريطانية
٤٨٢	مؤتمر النواحي التسع
٤٨٢	نظام الحكم فى الحج
٤٨٤	حضر موت - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٤٨٧	رسم السلطان عمر بن عوض القعيطى
٤٨٩	مولده ونشأته
٤٩١	كيف يقضى يومه ؟
٤٩٢	كيف ارتقى العرش ؟
٤٩٢	كيف دخلت حضر موت تحت الحماية ؟
٤٩٥	عهده - الحركة الإصلاحية فى حضر موت
٥٠٥	نظام الحكم فى حضر موت
٥٠٧	مسقط - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٥٠٩	رسم السلطان سعيد بن تيمور
٥١١	مولده ونشأته
٥١٣	كيف ارتقى العرش ؟
٥١٤	عهده - تاريخ مسقط وعمان السياسى
٥١٥	نظام الحكم فى مسقط وعمان
٥١٧	الكويت - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٥١٩	رسم الشيخ أحمد الجابر شيخ الكويت

الصفحة	الموضوع
٥٢١	مولده ونشأته
٥٢٢	كيف يقضى يومه ؟
٥٢٤	عهده - تاريخ الكويت السياسى
٥٢٧	نظام الحكم فى الكويت
٥٢٨	البحرين - معلومات جغرافية وتاريخية موجزة عنها
٥٣٣	مولد الشيخ حمد بن عيسى خليفة ونشأته
٥٣٤	كيف يقضى يومه ؟
٥٣٥	عهده - موجز تاريخ البحرين السياسى
٥٣٩	نظام الحكم فى البحرين
٥٤٠	ملحق خاص لجلالة الملك غازى
٥٤٣	رسم جلالة الملك غازى
٥٤٥	مولده ونشأته
٥٥٠	كيف يقضى يومه ؟
٥٥٣	كيف ارتقى العرش ؟
٥٥٥	عهده

فهرست الوثائق والمعاهدات السياسية الموجودة في الكتاب

٢٥	كتاب المندوب البريطاني إلى عظمة السلطان فؤاد
٢٦	أول منشور لعظمة السلطان أحمد فؤاد
٣٠	مشروع كرزن لحل المشكلة المصرية
٣٦	تبليغ إنكليزي جديد
٤٤	تصريح ٢٨ فبراير
٤٨	مشروع اتفاق ثروت - تشمبرلان
٥٣	مشروع النحاس - هندرسن
٦١	معاهدة الصداقة بين مصر وإيران
٦٤	معاهدة الصداقة بين مصر وأفغانستان
٦٥	معاهدة تبادل المجرمين بين مصر والعراق
	مطالب العرب في مؤتمر فرساي
	قرار المؤتمر السوري بملكية فيصل
	إنذار فرنسا للحكومة الفيصلية
	منشور الجنرال مود إلى أهل بغداد
	معاهدة الهدنة بين الحلفاء وتركيا
	اتفاق فيصل - تشرشل
٩٤	أول معاهدة بين العراق وبريطانيا
١٠٠	بروتوكول ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٣ بين العراق وبريطانيا
١٠١	معاهدة ثانية بين العراق وإنكلترا
١٠٣	معاهدة ثالثة بين العراق وإنكلترا
١٠٧	المعاهدة الرابعة والأخيرة
١١٦	قرار جمعية الأمم بتحرير العراق
١٢١	معاهدة تبادل المجرمين بين تركيا والعراق
١٢١	اتفاق إقامة بين تركيا والعراق
١٢١	معاهدة تجارة بين تركيا والعراق

الصفحة	الموضوع
١٢٢	بروتوكول تحكيم بين العراق والمملكة السعودية
١٢٢	معاهدة تبادل المجرمين بين العراق والمملكة السعودية
١٢٢	معاهدة صداقة وحسن جوار بين العراق والمملكة السعودية
١٢٤	معاهدة صداقة بين العراق واليمن
١٢٥	معاهدة صداقة بين العراق وأفغانستان
١٢٦	سلسلة معاهدات بين العراق وإيران
١٥٢	اتفاق تسليم جده
١٥٤	بيان ابن السعود بعد الاستيلاء على الحجاز
١٥٥	كتاب ابن السعود إلى ملوك المسلمين
١٥٧	كتاب بيعة ابن السعود
١٥٨	معاهدة مكة بين ابن السعود والأدارسة
١٦٢	قانون التعليمات الأساسية لحكومة الحجاز
١٦٢	كتاب بيعة الأمير سعود بولاية العهد
١٦٣	وصايا ابن السعود لابنه
١٦٦	معاهدة العقير بين إنكلترا وابن السعود
١٦٩	معاهدة جدة بين إنكلترا وابن السعود
١٧٦	معاهدة صداقة بين اليمن وابن السعود
١٧٨	معاهدة صداقة بين فرنسا وابن السعود
١٨٤	معاهدة صداقة بين إيطاليا وابن السعود
١٨٧	المكاتبات السياسية بين شرقى الأردن وابن السعود
١٨٨	بلاغ حكومة مكة عن مفاوضات شرقى الأردن وابن السعود
١٩٠	معاهدة القدس بين شرقى الأردن وابن السعود
١٩٠	بروتوكول تحكيم بين شرقى الأردن وابن السعود
٢٠١	مشروع اتفاق بين تركيا والإمام يحيى
٢٠٤	اتفاق دعان بين تركيا والإمام يحيى

الصفحة	الموضوع
٢٢٢	كتاب الإمام يحيى إلى الملك على
٢٢٩	معاهدة صنعاء بين اليمن وإيطاليا
٢٣١	معاهدة صداقة بين اليمن وروسيا
٢٣٤	إنذار حكومة عدن لليمن
٢٣٦	مذكرة بريطانية إلى الإمام يحيى
٢٧٠	معاهدة انقرة بين تركيا وفرنسا
٢٧١	معاهدة لوزان بين تركيا والحلفاء
٢٧٧	معاهدة صداقة بين تركيا وروسيا
٢٧٨	ميثاق ضمان بين تركيا وروسيا
٢٧٨	معاهدة صداقة بين تركيا وإيطاليا
٢٧٩	ميثاق صداقة بين تركيا واليونان
٢٧٩	معاهدة صداقة بين تركيا وأفغانستان
٢٨١	ميثاق ضمان بين تركيا وأفغانستان
٢٨٢	معاهدة صداقة بين تركيا وإيران
٢٨٢	ميثاق عدم اعتداء بين تركيا وإيران
٢٨٨	قرار الجمعية الوطنية لفارس بخلع القاجاريين
٢٨٩	أول منشور للشاه رضا خان
٣١١	معاهدة سنة ١٩٠٧ بين إنكلترا وروسيا
	معاهدة موسكو وطهران بين إيران وروسيا
٣١١	✓ معاهدة طهران بين إنكلترا وإيران
٣١١	معاهدة تحالف بين إيران وروسيا
٣١٢	معاهدة صداقة بين إيران وأفغانستان
٣١٢	ميثاق ضمان بين إيران وأفغانستان
٣٢٤	أول بلاغ رسمي بتولية نادر شاه
٣٢٦	معاهدة راول بندي بين أفغانستان وإنكلترا

الصفحة	الموضوع
٣٢١	المعاهدة الإنكليزية الأفغانية الثانية
٣٢٨	المعاهدة الروسية الأفغانية
٣٤٥	بلاغ مندوب فرنسا عن دستور سورية
٣٤٦	خطبة مندوب فرنسا عن الجمعية التأسيسية
٣٤٧	المواد الست
٣٤٨	قرار المندوب بوقف الجمعية التأسيسية
٣٤٨	بلاغ ديوان الجمعية التأسيسية
٣٤٩	قرار المندوب بنشر دستور سورية
٣٥٢	الميثاق الوطني السوري
٣٥٣	صك الانتداب الفرنسي لسورية
٣٧٤	معاهدة أم قيس
٣٧٦	قرار جمعية الأمم بمنع الهجرة الصهيونية
٣٧٩	أول تصريح لبريطانيا باستقلال شرق الأردن
٣٨	معاهدة ضم العقبة إلى شرق الأردن
٣٨١	المعاهدة الأردنية الإنكليزية
٣٨٩	الميثاق الوطني لشرق الأردن
٤٠	كتاب معتمد إنكلترا إلى ابن السعود
٤٠٤	معاهدة سايكس - بيكو
٤٣	معاهدة التحالف بين ألمانيا وإيطاليا
٤٣١	كتاب البارون الوزاري إلى وزير خارجية ألمانيا
٤٣٢	مذكرة إيطالية إلى حكومة ألمانيا
٤٤٢	معاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب الأقصى
٤٤٣	معاهدة المنطقة الأسبانية بين فرنسا وأسبانيا
٤٤٣	اتفاق طنجة الدولي سنة ١٩٢٣
٤٤٣	اتفاق طنجة الدولي سنة ١٩٢٨

الصفحة	الموضوع
٤٤٤	ظهير ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ البربري
٤٤٥	ظهير ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ البربري
٤٤٧	مطالب المغاربة من حكومتهم
٤٥٩	معاهدة الحماية بين فرنسا وتونس
٤٥٩	معاهدة قصر المرسى بين فرنسا وتونس
٤٦٢	مطالب التونسيين
٤٦٦	عهد الأمان
٤٧٨	معاهدة ٦ سبتمبر ١٨٠٢ بين لحج وإنكلترا
٤٨٠	معاهدة تحالف بين لحج وإنكلترا
٤٨٠	معاهدة حماية بين لحج وإنكلترا
٤٨٢	ميثاق التضامن بين أمراء النواحي التسع
٤٩٢	معاهدة عدن بين حضرموت وإنكلترا
٤٩٣	معاهدة عدن بين الحكومتين القعيطية والكثيرية
٤٩٥	قرار مؤتمر الإصلاح الحضرمي في سنغافورة
٥٠٢	رد السلطان على المؤتمر
٥١٣	كتاب سلطان مسقط بتنازله عن العرش
٥١٤	معاهدة مسقط التجارية مع إنكلترا
٥١٤	معاهدة الحماية بين مسقط وإنكلترا
٥١٤	معاهدة السيب بين مسقط وعمان
٥١٦	مذكرة حكومة عمان لإنكلترا
٥٢٥	معاهدة لندن بين إنكلترا وتركيا بشأن الكويت
٥٣٦	معاهدة الشيخ محمد خليفة مع إنكلترا
٥٣٦	معاهدة ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ بين البحرين وإنكلترا
٥٣٧	معاهدة ١٣ مارس سنة ١٨٩٢ بين البحرين وإنكلترا
٥٣٧	معاهدة ٣٠ إبريل سنة ١٨٩٨ بين البحرين وإنكلترا

الصفحة	الموضوع
٥٣٨	مذكرة بريطانيا إلى الباب العالي بشأن البحرين
٥٣٨	رد الباب العالي على المذكرة البريطانية
٥٣٨	معاهدة لندن بين إنكلترا وتركيا
٥٣٨	مذكرة إيران إلى جمعية الأمم بشأن البحرين
٥٣٨	رد إنكلترا على المذكرة الإيرانية
٥٤٧	كتاب رئيس وزارة العراق إلى وزير مصر
٥٤٨	رد الوزير على الكتاب
٥٥٣	البلاغ الخاص بتولية الملك غازي
٥٥٥	أول مرسوم للملك غازي
٥٥٥	بيان الملك غازي

هذا الكتاب

يحتوي على تاريخ مفصل للنهضة الوطنية الشرقية الجديدة وفيه سيرة ١٩ ملكاً وأميراً مسلماً وبتان واف عن نساتهم وطراز معيقتهم ودولهم ونظمها السياسية وعلاقاتها الدولية وبسطاً للقضايا الشعوب الشرقية.

وفي الكتاب بيانات تاريخية عن حالة ثمانى عشرة دولة وإمارة إسلامية، ثلاث منها في إفريقيا وهي: محسر وتونس والمغرب الأقصى، وأربع عشرة في آسيا وهي تركيا والعراق وسورية وشرقي الاردن وبلاد العرب السعودية واليمن والحج وحضرموت وحيدر أباد «الهند» وأفغانستان وإيران والكويت والبحرين ومسقط. ودولة في أوروبا وهي ألبانيا، وعن نظمها السياسية وتطورها الاجتماعي ووضعها الدولي، وترجمنا كل ملك من ملوكها وأمير من أمرائها ويقترن اسم معظمهم باسم الدولة أو الإمارة الجديدة. فهو في الغالب مؤسسها وسنوها، مع وصف شامل لأخلاقه ومبادئه وأرائه وميوله السياسية والاجتماعية والدينية وطراز معيسته. وذلك في أسلوب طريف، لم ينسج على منواله حتى الآن في كتب التاريخ العربية.

وأسهبنا في الكلام عن قضايا شعوب الشرق السياسية وعن حركاتها الوطنية وعن مطالبها وأمانيتها، وأتبعناه بما أجمعت عليه من موثيق وطنية تسعى لتنفيذها وتحقيقها، فيعرف كل شعب مطلب جاره، فجاء سجلاً وافياً للنهضة الشرقية بعد الحرب العظمى، وسف لأخبارها وحوادثها.

Bibliotheca Alexandrina



0354331

